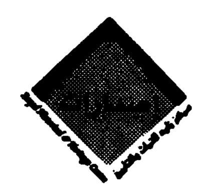


المعجم الجامع

لما صرح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع

الدكتور
حمد محمد بن صراي
قسم التاريخ والآثار

الدكتور
يوسف محمد الشامسي
قسم الدراسات الإسلامية



مركز زايد للتراث والتاريخ

١٤٢١ هـ ـــ ٢٠٠٠م

الطبعة الأولى

تم قيد الكتاب في سجل الايداع النوعي
بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الاعلام والثقافة
تحت رقم ا م ف ٤/ ٦١ ـ ٢٠٠٠ ـ تاريخ ٢١/مايو/ ٢٠٠٠م

تصنيف ديوي 220.3

المعجم الجامع لما صرّح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع

د. حمد محمد صراي - د. يوسف محمد الشامسي

اصدار مركز زايد للتراث والتاريخ

دولة الامارات العربية المتحدة ـ العين

مقاس ١٧ × ٢٤ ص ٤٢١

١ ـ علوم القرآن ٢ ـ جغرافيا ٣ ـ تاريخ



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الامارات العربية المتحدة ـ هاتف ـ: ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, FAX: 971-3-7615177

المعجم الجامع

لما صُرِّح به وأُبهِم في القرآن الكريم من المواضع



بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نال القرآن الكريم اهتماماً كبيراً منذ الصدر الأول للاسلام جمعاً وتدويناً وحفظاً وقراءةً وتدبراً. . ولم ولن يحظى كتاب في الدنيا ما حظي به القرآن العظيم.

وإن من أهم الكتب التي دُوِّنَت ودَوَّنَت في علوم القرآن: كتاب الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي، وسبقه الى ذلك الامام الأصولي الزركشي في: البرهان في علوم القرآن، إلاّ أن السيوطي الذي بنى كتابه الاتقان اعتماداً على البرهان بلغ شأناً أكبر إذ تميز بغزارة أبوابه وتعداد فنونه. . الذي ترى فيه العجب العجاب لكثرة ما ذكر فيه من فنون وعلوم تناولت القرآن الكريم.

فمن ذلك علم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والغريب، والمحكم والمتشابه، والمكي، والمدني، والصيفي، والشتوي، والليلي، والنهاري، والأرضي، والسمائي، وأحكام القرآن. . وغير ذلك الكثير. .

إلّا أن متتبع أبواب الكتاب الذي يعد أوسع ما ألف في هذا الموضوع لا يعثر على شيء نال المواضع والبلدان والأماكن التي ذكرت في القرآن الكريم مجردة. . حتى قام الدكتور حمد محمد بن صراي والدكتور يوسف محمد الشامسي متعاونين في جمع كتاب سمياه: «**المعجم الجامع لما صرح به وأبهم في القرآن الكريم من المواضع**». . وبهذا يكونان قد أضافا علماً جديداً لم يسبقا إليه على ما تناها إلينا.

لقد اختار مركز زايد للتراث والتاريخ هذا الكتاب لنشره من ضمن منشورات المركز لتميزه في موضوعه الجديد والذي يعد سبقا علمياً وعملاً جديداً يضاف إلى رصيد أعماله ومنشوراته..

إن هذا الكتاب عمل معجمي في ترتيبه الأبجدي للكلمات المشروحة، سهل المأخذ، بحثي المادة، جمع بين القديم والحديث، معين للباحثين والدارسين. انتزعت كلماته من الآيات التي لها تعلق في ذكر الأماكن والمواضع على شكل مخصوص، تصريحاً أو إبهاماً، مع ذكر كلام المتقدمين والمتأخرين من مفسرين ومؤرخين وجغرافيين وآثاريين وغير ذلك من مسلمين وأمم اخرى، مع إحالات علمية مفيدة إلى المصادر المنقول عنها.

وبهذا يكون مركز زايد للتراث والتاريخ قد أضاف إلى المكتبة العربية مرجعاً معجمياً جديداً في علم من علوم القرآن.. ذاك الكتاب المعجز أبد الدهر..

والله ولي التوفيق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب جامع لما جاء في القران الكريم من المواضع والبلدان على سبيل التصريح أو الإبهام، فما كان مبهما من المواضع بحثنا عن المراد به مما ذكره أهل العلم فأدرجناه ضمن المواضع التي هي موضوع كتابنا هذا. ثم ما كان الهدف من تأليف هذا الكتاب استقصاء ما في القرآن الكريم من المواضع ليصير مرجعا للباحثين فيما يتعلق بالمواضع والبلدان المذكورة في القرآن الكريم رأينا أن نجعله مرتبا بحسب حروف المعجم تيسيرا للوصول إلى المراد وسميناه: «**المعجم الجامع لما صرّح به وأُبهم في القرآن الكريم من البلاد والمواضع**».

أهمية هذا الكتاب:

تتجلى أهمية هذا الكتاب فيما يلي:

(١) كونه أول كتاب، حسب علمنا، يختص ببحث البلدان والمواضع المذكورة في القرآن الكريم بحثا لغويا وتفسيريا وحديثيا وتاريخيا وآثاريا، فيشمل بذلك جوانب الدراسة المختلفة المتعلقة بالبلد أو الموضع.

(٢) تحديد هذ الأماكن يساعد الباحثين على فهم وتفسير الآيات التي ذكرت مثل هذه المواضع.

(٣) الوقوف على الآراء المتعارضة أو المتناقضة أحيانا في تحديد هذه الأماكن ومحاولة التحقيق والتوثيق وإعطاء رأي علمي موثق حول هذه المواقع.

(٤) إعطاء صورة واضحة عن أهمية هذه الأماكن وسبب إيرادها في القرآن الكريم.

(٥) شرح وتفسير ما أجمله القرآن من أعلام جغرافية.

منهجنا في هذا الكتاب

أولا: من حيث ترتيب الكتاب:

لقد نهجنا في ترتيب الكتاب نهج المعاجم فرتبناه على حروف المعجم، بأن نورد اللفظة القرآنية كما هي في القرآن، أو اللفظة المبهمة التي أريد بها بلدا أو موضعا، فإن سبقت بحرف أو أكثر حذفناه في الترتيب، مثال ذلك حذف «الباء» من «ببكة» لترتب في حرف الباء «بكة»، إلا أن يكون الموضع أو البلد مسبوقا بالألف واللام التي للتعريف، فإنا نثبتها كما هي معرّفة دون اعتبار الألف واللام في الترتيب المعجمي فمثلا: «المدينة» وضعناها في حرف الميم. أما بالنسبة للنص القرآني الذي ذكر في أكثر من آية، ولم يُختلف في المراد به، أو في سياق ذكره في الآية، فإنا نثبت جميع تلك النصوص قبل الشروع في بحث الموضع.

ثانيا: من حيث المصادر:

تنوعت مصادر هذا الكتاب، فشملت كتب اللغة والتفسير والحديث وكتب نقد الرجال ومعاجم المواضع والبلدان وكتب التاريخ والآثار، بل تعدّت نطاق المصادر العربية إلى الأجنبية فحيثما وجدنا فائدة أثبتناها. ولذلك فقد تنوعت المصادر وتعددت، الأمر الذي منعنا من التزام ترتيب معيّن للمصادر في الهامش، لأن هذا الكتاب ليس بحثا مختصا بجانب من جوانب العلوم، فنحن نحتاج فيه تارة إلى الرواية وتارة إلى اللغة ومفردات العربية وتارة إلى أقوال الصحابة والتابعين وتارة إلى الحقائق التاريخية وتارة

إلى الأدلة الآثارية. . . وهكذا. ثم اتبعنا في إثبات المصدر في الهامش بأن نورد المعلومات كافة عن الكتاب، ابتداءً بالمؤلف ثم المصدر ومحققه ومكان طبعه وتاريخ الطبع، إن وجد، ثم الجزء والصفحة. وذلك في أول موضع نعتمد عليه. فإن تكرر المرجع ذاته اكتفينا بذكر المؤلف، ثم أحلنا إلى المصدر السابق، وهذا في حال إذا لم يكن للمؤلف كتب أو بحوث أخرى في هذا الكتاب، فإن تعددت كتب وبحوث المؤلف عندنا، ذكرنا اسم المؤلف وكتابه المكرر، ثم الجزء والصفحة، وعلى من يريد الرجوع إلى المصدر أن يرجع إلى فهارس المصادر والمراجع في آخر الكتاب. وأما ترتيب المصادر في آخر الكتاب فإننا رتبناها حسب أسماء المصنفين، بترتيب حروف المعجم، ابتداء بحرف الألف وانتهاء بالياء، فوضعنا تحت اسم كل مؤلف ما يخصه من كتب وبحوث مرتبة هي الأخرى بترتيب حروف المعجم، فإن اعتمدنا على أكثر من طبعة للكتاب الواحد ذكرنا كل هذه الطبعات في فهرس المعاجم.

ثالثا: من حيث الأحاديث والآثار:

يتضح للقارئ من أول وهلة أن الكتاب اهتم بإيراد الروايات المختلفة عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين، وفي هذه الروايات ما يحتاج إلى نقد وتفنيد، لذا بذلنا الجهد في عزو هذه الروايات إلى مصادرها الأصلية، ثم إيراد أقوال العلماء في نقد الرجال، وحكمهم على هذه الروايات، وخاصة فيما يرفع إلى النبي ﷺ، حتى لا ينسب إليه ما لم يقله، ونفعل مثل هذا غالبا فيما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله تعالى.

وبعد: فعملنا هذا عمل بشري يجري عليه من النقصان والقصور ما جُبل عليه سائر البشر من القصور، فإن الكمال أمر لا ينال، وتمام الكمال إنما هو لله وحده الكبير المتعال، وحسبنا أنا بذلنا ما في الوسع، واجتهدنا قدر الطاقة والإمكان. ونحن إذ نخرج هذا الكتاب فإنا نسأل الله تعالى أن ينفع به قارئه، والناظر فيه، وأن يكتب لنا الأجر والثواب، ثم إنا لنرجو أن

يغض الطرفَ قارئه عما فيه من العيب والنقصان، ونطمع أن يهدي إلينا ما استدركه علينا من القصور، ومثلنا ومثل القارئ كمثل قول القائل:

بالله يا قارئا كتبي وسامعها ... أسبل عليها رداء الحلم والكرم
واستر بلطفك ما تلقاه من خطأ ... أو أصلحنْه تثب إن كنت ذا فهم
فكم جواد كبا والسبق عادته ... وكم حسام نبا أو عاد ذو ثلم
وكلنا يا أخي خطّاء ذو زلل ... والعذر يقبله ذو الفضل والشيم

أو قول الآخر:

بالله يا ناظراً فيه ومنتفعا منه ... سل الله توفيقا لجامعه
وقل أنله إله العرش مغفرة ... واقبل دعاه وجنّب عن موانعه
وخص نفسك من خير دعوت به ... ومن يقوم بما يكفي لطابعه
والمسلمين جميعا ما بدا قمر ... أو كوكب مستنير من مطالعه

وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين
المؤلفان
العين ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كتاب المعجم الجامع لما صُرح به وأُبهم في القرآن الكريم من المواضع

يحتوي على المدن والقرى المذكورة بالاسم في الآيات الكريمات أو لفظة قرية أو مدينة واردة في القرآن ويعنى بها منطقة جغرافية معينة إضافة إلى الأماكن الجغرافية الواضحة، مثل: «مصر». ولفظة ساحل أو شاطىء أو بحر إذا كان المقصود منها بحراً أو ساحلاً أو شاطئاً معيناً.

كما يشرح الكتاب ألفاظاً أخرى مثل نهر إذا كان المقصود منها في الآيات نهراً معيناً، ولفظة وادي وتعني وادياً بذاته وكلمة بلدة إذا كانت تعني بلدة معينة. ولفظة أرض إذا كانت في الآيات تشير إلى مكان جغرافي محدد. ويشمل الكتاب أيضاً الألفاظ الدالة على الأماكن التي تواجدت فيها الأقوام والقبائل البائدة مثل مدين والأحقاف والحجر.

ويتم عرض هذه الأماكن والمواقع أبجدياً. ويعتمد الكتاب على:

(١) كتب التفسير القديمة التي تطرقت إلى شرح وتفسير هذه المناطق.

(٢) كتب التفسير الحديثة التي أشارت إلى هذه الأماكن مقارنة ذلك بالمواقع الجغرافية الحديثة وأماكنها الحقيقية.

(٣) التوراة وشروحها فهي تقدّم مادة علمية لا بأس بها خاصة فيما يتعلق بتاريخ بني إسرائيل.

(٤) كتب الجغرافية الإسلامية مثل معجم البلدان.

(٥) كتب الجغرافية الحديثة التي تصف المواقع الحالية.

(٦) مصادر التاريخ الإسلامي القديمة والحديثة، وخاصة بعض هذه المواقع ورد في السيرة النبوية.

(٧) كتب قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ففيها مادة علمية جيدة. وخاصة تلك التي تهتم بالمقارنات بين المواقع.

(٨) كتب الحديث الشريف ونقد الرجال لها أهمية كبيرة واعتماد واضح في الكتاب.

(٩) إضافة إلى المصادر الأجنبية التي أشارت لبعض هذه المواقع وبالذات الأماكن المذكورة في التوراة.

* * *

نبذة عن المؤلِّفَيْن

(١) الدكتور حمد محمد بن صراي

حصل على الماجستير، في عام ١٩٩١، من جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة، قسم دراسات الشرق الأوسط، في موضوع التاريخ القديم للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية. وكان عنوان الرسالة: ماجان (عمان): مصادر قديمة لحضارتها وتجارتها. إضافة إلى دراسة اللغات والنقوش السامية السامية القديمة.

وحصل على الدكتوراه، في عام ١٩٩٣، من جامعة مانشستر، أيضاً، قسم دراسات الشرق الأوسط، في موضوع التاريخ القديم للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وكان عنوان الأطروحة: منطقة الخليج العربي في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين. يدرّس مساقات التاريخ القديم في قسم التاريخ والآثار، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) الدكتور يوسف محمد الشامسي

حصل على الماجستير في عام ١٩٩٢، من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، في موضوع التفسير، وكان عنوان الرسالة: كعب الأحبار: مروياته وأقواله في التفسير المأثور: جمعاً ودراسة.

وحصل على الدكتوراه في عام ١٩٩٨، من جامعة أم القرى، أيضاً، كلية الدعوة وأصول الدين، في موضوع التفسير، وكان عنوان الأطروحة:

تفسير القرآن العظيم للعز بن عبد السلام من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة: دراسة وتحقيق وتعليق.

ويدرّس مساقات التفسير في قسم الدراسات الإسلامية، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

* * *

حرف الألف

الأحقاف:

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾﴾ (الأحقاف: ٢١):

وهو مكان عاد، قوم هود، عليه السلام، والأحقاف والحقاف: جمع حقف، وتعني الرمل المعوج. أو هو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء كهيئة الجبل أو هو الرمل العظيم المستدير(١). وقيل أن الأحقاف جمع حقف وهي القبة، والمراد مساكن عاد(٢). ولقد اختلفت آراء العلماء والباحثين في تحديد مكان الأحقاف، وهي تنقسم إلى ثلاثة آراء رئيسة:

---

(١) ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، ١٩٨٧، ج٢، ص٥٥٣؛ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، (دار صادر)، ب.ت.، ج٩، ٥٢ ـ ٥٣؛ أثير الدين أبي حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد، ١٩٧٧، ص٨٤؛ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (طبعة دائرة المعارف الإسلامية)، حيدر أباد، ١٩٧٨، ج١٨، ص١٦٣.

يقال إن لفظة «الأحقاف» هي بلغة حضرموت وتعني «الرمل». (انظر: أبا عبيد القاسم بن سلام، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٤٨، حاشية: ١).

(٢) محمد طاهر الصديقي، مجمع بحار الأنوار، حيدر آباد، ١٩٦٧، ج١، ص٥٤٥.

أولا: أن الأحقاف تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكن يختلف أصحاب هذا الرأي أيضا في أي موضع من الجنوب تقع الأحقاف، وأورد العلماء أكثر من مكان(١):

(١) وهو أن الأحقاف جهة في اليمن تقع شمال حضرموت وجنوب الربع الخالي وغرب عمان. أو بمعنى آخر أن الأحقاف هي المنطقة الواقعة بين الربع الخالي وحضرموت وعمان. وعادة ما يقترن القسم الغربي من صحراء الدهناء الشهيرة باسم الأحقاف(٢). وأحيانا تكون الأحقاف اسما مرادفا لإقليم حضرموت وليس المنطقة الصحراوية الرملية الواقعة في شمال حضرموت(٣). والغريب أن المقدسي يجعل حضرموت مدينة في منطقة الأحقاف(٤). وكذلك ابن حوقل في قوله: «وحضرموت في شرقي عدن بقرب البحر، ورمالها كثيرة غزيرة تُعرف بالأحقاف، وهي

---

(١) راجع هذه الأقوال في المصادر التالية: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: ابن باز ومحمد عبد الباقي، بيروت، ١٩٨٩، ج٦، ص٤٦٤؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: محمد أحمد، بيروت، ١٩٩٠؛ ص٩٣؛ رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، القاهرة، ١٩٩٦، ج١، ص١٤٥ ـ ١٤٧؛ سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دمشق، ١٩٨٥، ج٤، ص١٩٣٨؛ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس، ١٩٨٤، ج٩، ص٢٠٠، ج٢٦، ص٤٥؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، بيروت، ط. ٢، ص٧١؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، بيروت، ١٩٨٣، ص١٦٩ ـ ١٧٠؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، بيروت/دمشق، ١٩٩١، ج٢٦، ص٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص١٤٢ ـ ١٤٣. ويبدو أن هذا الاختلاف هو الذي دفع جولدزهير إلى القول أن الأحقاف منطقة غير معروف موضوعها تماما Goldziher,"al-Ḥḳāf", EI[1], vol. 1, p. 183.

(٢) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص١٥١؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، ١٩٩٨، ج١، ص٢٢٩.

(٣) Rentz, G., "Al-Aḥḳāf", EI[2], vol. 1, p. 257.

(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٧.

مدينة صغيرة ولها ناحية وأعمال عريضة»[1]. وقد خلط البعض بين كون الأحقاف منطقة رملية تقع شمال حضرموت وبين كونها منطقة ساحلية تطل على البحر عند الشحر[2].

(٢) أو أن الأحقاف واد بين عمان ومهرة أو هو واد بين عمان وحضرموت. وهو مروي عن ابن عباس[3]. وأيضا هذا التعريف يضع المكان في منطقة واسعة مليئة بالوديان والشعاب نظرا لطبيعة المنطقة تضاريسيا وبيئيا. كما أن القلقشندي يخلط مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية بعضها في بعض فيقول: إن منازل عاد كانت بالأحقاف من اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت[4].

(٣) أو أنها رمل بين عمان وحضرموت وبهذا التحديد يميل الرأي إلى الأخذ بعين الاعتبار التفسير اللغوي لكلمة أحقاف. من حيث كون الكلمة تعني الإنحناء واعوجاع الشيء[5].

---

(١) صورة الأرض، ليدن، ط. ٢، ١٩٣٨، ص٣٨.

(٢) عمر أحمد عمر، الأقوام البائدة، دمشق، ١٩٩١، ص٥٧.

(٣) الطبري، التفسير، ط. ٦، ١٩٦٨، القاهرة، ج٢٦، ص٢٣؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط. (المكتب الإسلامي)، دمشق، ج٧، ص٣٨٤؛ القرطبي، التفسير الكبير، ط. ٢، ١٩٩١، بيروت، ج٨، ص٦٤؛ النسفي، التفسير، ب.ت، (دار الكتاب العربي)، بيروت، ج٤، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) صبح الأعشى، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٧، ج٥، ص١٦.

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ب.ت، (دار المصحف)، القاهرة، ج٨، ص٨٥؛ إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ب.ت، (دار الفكر)، دمشق، ج٨، ص٤٨١؛ أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، قرطاج، ١٩٩٢، ج١، ص٨٦؛ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت، ١٩٨٩، ج١، ص٤٢.

(٣) أو هي أرض أو رمال مطلة على البحر يقال لها الشِّحر. وهذا رأي قتادة[١] ومعروف أيضا هو أن الشحر عبارة عن ميناء في حضرموت، تقع إلى الشرق من المكلا[٢]، أو هي مدينة كبيرة على البحر تشتهر بتصدير الأسماك[٣]. والشحر كذلك ساحل حضرموت أو هو ناحية منها أو هي حصن في حضرموت[٤]. ويجعل ابن حوقل الشحر ضمن إقليم مهرة[٥].

إذن المشكلة انتقلت من تحديد الأحقاف إلى تحديد موضع الشحر وربما يعود هذا الاختلاف إلى تحديد الجزء بالكل أو الكل بالجزء. وأيضا تحديد الأحقاف بالشحر جنوبا، يبعدها عن كونها في شمال حضرموت. ويرى البعض أن هودا عليه السلام مدفون في جبل قريب من الشحر، وتقوم تحت الجبل سوق تعرف بسوق الشحر، غالبا ما تكون في النصف من شعبان، أو في السابع إلى العاشر منه من كل عام. وهذا القبر يبعد عن بلدة العلم (تريم) بحوالي ٨٠ كم. ويزور هذا القبر آلاف الناس سنويا، ويعتقدون اعتقادا جازما أنه قبر النبي هود عليه السلام. والقبر

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ب. ت، (دار إحياء التراث العربي)، بيروت، ج٢٦، ص٢٤؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص٢٣؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٨، ص٨٥؛ إسماعيل حقي البروسوي، المصدر السابق، ج٨، ص٤٨١.

(٢) إبراهيم أحمد المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥، ص٢٢٧؛ يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، ١٩٩٣، ص١٣٧.

(٣) ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ١٩٨٠، ص٣٣٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦.

(٤) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٣٣٨؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص٦٥ ـ ٦٦؛ الهمداني، المصدر السابق، ص٨٤، ٩٠، ٣٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٧١.

(٥) المصدر السابق، ص٣٨.

عليه قبة وملحق به مسجد، وتحيط بالمنطقة المجاورة للقبر العديد من القصص والحكايات والغرائب[1].

(٤) ويستدل الشيخ عبد الوهاب النجار على كون الأحقاف في المنطقة الواقعة بين الربع الخالي وعمان وحضرموت بقوله: «أخبرني السيد عبد الله بن أحمد بن يحيى العلوي، من أهل حضرموت، أنه قام في جماعة إلى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت، ونقب فيها وعثر على بعض الآنية من المرمر، عليها كتابة بالخط المسماري ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له وإثقال كاهله بالأعباء المالية»[2]. ولكن تواجد مثل هذه الآثار ليس دليلا قاطعا على أن المكان من مواضع عاد، وكيف تبيّن لهذا الرجل معرفة وتمييز شكل الخط المسماري من غيره من الخطوط، علما بأن الخطوط القديمة تحتاج إلى متخصصين في قراءتها وتمييزها ومعرفتها وتصنيفها. إلا إذا كان هذا الشخص من علماء الآثار واللغات القديمة.

(٥) ويؤكد ياقوت[3] أن الأحقاف عبارة عن رمال بأرض اليمن، ويورد الرواية التالية استشهادا على صحة قوله، عن «أبي المنذر هشام بن محمد، عن أبي يحيى السجستاني، عن مرة بن عمر الأبلي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: إنا لجلوس عند علي ابن أبي طالب ذات يوم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ أقبل رجل من حضرموت، ثم سأله

---

(١) ابن حبيب، المحبّر، (دار الآفاق الجديدة)، بيروت، ب.ت.، ص٢٦٦؛ جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣١١؛ صحيفة الخليج: (استراحة الجمعة)، ع. ٧٤٩٥، ١٨ شعبان ١٤٢٠هـ = ٢٦ نوفمبر ١٩٩٩، ص٣.

(٢) قصص الأنبياء، ص٧١. انظر كذلك أبا عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٩٢.

(٣) معجم البلدان، ج١، ص١٤٢ ـ ١٤٣. ويؤكد ابن عبد المنعم الحميري أن بلاد عاد كانت باليمن. (المصدر السابق، ص١٤). ويقول المقدسي: إن قبر هود عليه السلام في الأحقاف على الساحل وليس كما حدد ياقوت الموضع بأنه في الداخل حيث الكثبان والتلال الرملية. (أحسن التقاسيم، ص٩٦ ـ ٩٧).

ذات يوم أتعرف الأحقاف؟ قال الرجل: إن قبر هود يقع بالقرب من كثيب أحمر تخالطه مدرة حمراء ذي سواك وسدر في منطقة الأحقاف. وأن هودا عليه الصلاة والسلام موضوع في هذا الكهف. ومكتوب عند رأسه بالعربية: أنا هود النبي الذي أسفتُ على عاد بكفرها، وما كان لأمر الله من مرد. وقد صدّق علي قول هذا الرجل وقال: كذلك سمعته من أبي القاسم رسول الله ﷺ». وهذه الرواية شديدة الضعف بل موضوعة نظرا لتهالك اثنين من رواتها وهما: أبو القاسم الأصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي، الكوفي، وهو متروك، كذاب، رمي بالرفض[1]؛ وأبو هشام محمد بن السائب الكلبي، وهو قد ضعّفه علماء الحديث ورواياته غير موثوق فيها، خاصة أن الحديث يتصل بالنبي ﷺ[2]. إضافة

---

(١) حول أقوال العلماء في الأصبغ بن نباتة، انظر: أبا حاتم الرازي، كتاب الجرح والتعديل، (دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد)، ط. ١، (دار إحياء التراث العربي)، بيروت، ج٢، ص٣١٩ ـ ٣٢٠؛ ابن حبان، كتاب المجروحين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب، ١٤٠٢هـ، ج١، ص١٧٣ ـ ١٧٤؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، حلب، ١٩٩١، ص١١٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: محمد علي البجاوي، بيروت، ١٩٦٣، ج١، ص٢٧١؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، ١٩٨٣، ج٣، ص٣٠٨ ـ ٣١١.

(٢) حول أقوال العلماء في ابن الكلبي، انظر: ابن حبان، كتاب المجروحين، تحقيق: محمد إبراهيم زيد، مكة، (دار الباز)، ب.ت.، ج٣، ص٩١؛ الدارقطني، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: موفق عبد الله، الرياض، ١٩٨٤، ص٣٨٧؛ الذهبي، تذكرة الحفّاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعملي، بيروت، ١٩٥٦، ج١، ص٣٤٣؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، بيروت، ١٩٨٥، ج١، ص٢٧١؛ رجال تفسير الطبري جرحا وتعديلا، جمع وترتيب: محمد صبحي حلاق، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٨٨ ـ ٤٨٩؛ السمعاني، الأنساب، بيروت، ١٩٨٨، ج٥، ص٨٦ ـ ٨٧؛ محمد جاسم حمادي المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، (مكتبة الطالب الجامعي، ١٩)، مكة المكرمة، ١٩٨٦، ج١، ص٣٥٨ ـ ٣٦٥؛ محمد بن صامل العلياني السكمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، الرياض، ١٩٨٦، ص٤٩٠ ـ ٤٩١.

إلى أن هناك رواية تقول بأن قبره بين الركن والمقام عند الكعبة وقيل إن قبره عليه السلام في مهرة. وقيل إن قبره بجامع دمشق[1]. ويبدو أن قصة وجود قبر هود في الأحقاف حيث الرمال والكثبان كانت شائعة منذ القدم. ويورد ابن سعد الرواية التالية عن عبد الله بن أبي فروة أنه قال: «ما يعلم موضع قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة، قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت، وقبر هود فإنه في حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تَنْدى، وموضعه أشد الأرض حرا، وقبر رسول الله ﷺ»[2]. وهذه الرواية تشابه رواية ياقوت الحموي في الضعف والتهالك نظرا لضعف راويها ابن أبي فروة واتهامه بالكذب والوضع وعدم إسناده لرواياته، وهذه منها، ولم يتابعه أحد على أسانيده ولا على متونه[3].

(٦) أن عادا كانوا ١٣ قبيلة، وقيل: ١١ قبيلة أو ١٠ قبائل، ينزلون الرمل بالدو والدهناء وعالج ووبار وعمان وحضرموت[4]. ويبدو أن هذا

---

(١) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٩٣؛ جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣١٣؛ المحب الطبري، القِرى لقاصد أم القرى، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ص٦٥٤؛ محمد بن أحمد كنعان، قصص الأنبياء وأخبار الماضين، خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، ١٩٩٦، ص١٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ب. ت، (دار صادر)، بيروت، ج١، ص٥٢.

(٣) حول أقوال العلماء في ابن أبي فروة، انظر: أبا أحمد بن عدي، الكامل في الضعفاء، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٣٢٦ ـ ٣٣٩؛ ابن حبان، كتاب المجروحين، ج١، ص١٣١ ـ ١٣٢؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص١٩٣ ـ ١٩٣؛ خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دمشق، ١٩٩٦، ج٤، ص٥٩٦ ـ ٥٩٧؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٣، ص٤٤٦ ـ ٤٥٤.

(٤) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٣٣٨؛ ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٨؛ أبو زيد البلخي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: خليل عمران، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٢٥؛ أبو عبيد البكري، كتاب =

التحديد الجغرافي قد توسّع في تحديد مكانهم، خاصة أن بين المناطق المذكورة مسافات شاسعة. كما توسع هذا التحديد في أعداد القبائل المنتسبة لعاد. وقيل إن عادا قبيلتان، عاد الأولى وعاد الثانية[١].

(٧) ومنهم من جعل مناطق عاد تشمل أراضٍ شاسعة من شبه الجزيرة العربية تمتد من صحراء الربع الخالي إلى منطقة الخليج العربي واليمامة والكويت، وتشمل أيضا العراق والهضبة الإيرانية[٢].

(٨) ومنهم من جعل عادا في شرقي عدن، قرب البحر الأحمر[٣]. وهذا التحديد خطأ نظرا لكون البحر الأحمر يقع إلى الغرب من عدن وليس إلى الشرق.

والملاحظ على هذه الأقوال عدم الدقة في التحديد والتوسع أحيانا في التعريف لدرجة أنه يشمل مناطق صحراوية شاسعة. ويعود هذا التشعب والتوسع إلى التفسير اللغوي «للحقف». وبناء على ذلك فإن شبه الجزيرة العربية أغلبها رمال وكثبان وتلال تعلو وتنخفض. والمفسرون هم الذين حددوا المكان في الجنوب أو الشمال أو أي موضع آخر. وإن كان الجزء الغربي من الربع الخالي يعرف باسم صحراء الأحقاف ويتراوح ارتفاع كثبانها بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ قدم، ويطلق على الجزء الشمالي من الأحقاف اسم رملة يام ويقع على حدود نجران ويطلق على الجزء الجنوبي اسم رملة السبعتين وتقع على حدود اليمن. إلا أن هذه الصفات المميزة ليس فقط في صحراء الأحقاف أو الجنوب بل أن صحاري شبه الجزيرة العربية تتميز

= المسالك والممالك، ج١، ص٩١؛ المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، باريس، ١٩٠٣، ج٣، ص٣١.

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٧٤٤، ٩٠٩.

(٢) حول هذا الرأي، انظر: نجيب محمد البهبيتي، الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، الدار البيضاء، ص١٩٨٧، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٣) محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥٥. ويقول د. محمد ألتونجي أن ثمودا (في الحجر) قد ورثوا الديار عن عاد. (معجم أعلام الحديث النبوي، الكويت، ١٩٩٩، ص٨٣).

بالكثبان الرملية المرتفعة مثل كثبان صحراء النفوذ التي ترتفع حوالي ٣٠٠٠ قدما، وكذلك صحراء الدهناء تحتوي على كثبان رملية مرتفعة[١].

ثانيا: أن مكان عاد هو في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ويدلل أصحاب هذا الرأي على ذلك بالآتي[٢]:

١ ـ ذكر بطليموس في جغرافيته قبيلة اسمها Oadeae (عاد)، وقال إنها تقطن في المناطق الشمالية الغربية من بلاد العرب على مقربة من منازل ثمود[٣].

٢ ـ يقرن القرآن الكريم غالبا بين عاد وثمود، مما يدل على قربهما مكانا وزمانا، ومما يثبت رواية بطليموس. وكذلك فرّق المقدسي[٤] بين الأحقاف وديار عاد وربط ديار عاد بديار ثمود.

٣ ـ إن المنطقة التي يقصدها بطليموس تسمى أرض حسمى[٥] وهي منطقة جبلية، وبها إرم أو رم، هو جبل يقع على بعد ٢٥ كم شرق العقبة.

---

(١) حسين حمزة بندقجي، جغرافية المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٨١، ص٨٧، ٨٩؛ عبد الله بن ناصر الوليعي، «جغرافية هضبة نجد: دراسة لحافاتها وأوديتها»، الدراة، ع. ٤، س. ٢١، (١٤١٦هـ)، ص١١٦، ١٣٧؛ عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٧، ج١، ص٥٦، ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) حول أدلة هذا الرأي، راجع المصادر التالية: ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١٤؛ أحمد جمال العمري، الحديث النبوي والتأريخ، القاهرة، ١٩٩٠، ص١١٠ ـ ١١١؛ جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣٠١، ٣٠٥ ـ ٣٠٦؛ عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٢٤٦ ـ ٢٤٩؛ نفس المؤلف، تاريخ العرب القديم، ج١، ص٣٠٩ ـ ٣١٠؛ محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، بيروت، ١٩٨٣، ص١٧٢.

(٣) Buhl, F., "ʿĀd", EI^2, vol. 1, p. 169.

(٤) المصدر السابق، ص٧٣.

(٥) أرض حِسْمَى في شمال غرب الحجاز، بين وادي القرى وبلاد الشام. وهي أرض غليظة، حصوية كثيرة الجبال والوديان. تكثر على صخورها النقوش والكتابات القديمة. ويعتبر جبل إرم (رم) أشهر جبال حسمى. (انظر: حمد الجاسر، المعجم =

٦ ـ وورد في الحديث عن ابن عباس، قال: «لما مر النبي بوادي عُسْفان حين حج قال يا أبا بكر أي وادٍ هذا قال هذا وادي عسفان قال مر به هود وصالح على بكرات حُمْر خُطُمها الليف أُزُرهم العباء وأرديتهم النِّمار يلبون يحجون البيت العتيق»[1]، ويقع هذا الوادي في شمال

= الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان، وقيل غير ذلك. وأما خُساف فيرى ياقوت أن الصواب أنها برية بين بالس وحلب، مشهورة عند أهالي حلب وبالس، وكان بها قرى وأثر عمارة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٨، ٣٧٠).

(١) الإمام أحمد، المسند، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٥٠١، رقم: ٢٠٦٧. قال البنا الساعاتي (الفتح الرباني، ج٢٠، ص٤٢) عن هذا الحديث: «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفي إسناده زمعة بن صالح، فيه كلام، وله عند مسلم فرد حديث قرنه مسلم بآخر، ولكن أورده الحافظ ابن كثير في تاريخه بسنده ومتنه، وقال: إسناده حسن». وعلّق عليه العلامة محمد أحمد شاكر (مسند الإمام أحمد، ج٢، ص٢٨٧، رقم: ٢٠٦٧) بقوله: «انفرد أحمد بهذه الرواية دون الكتب الستة». وعلّق عليه المحققان شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد بقولهما: «إسناده ضعيف لضعف زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام مختلف فيه». (مسند الإمام أحمد، بيروت، ١٩٩٤، ج٣، ص٤٩١ ـ ٤٩٢، ٤٩٥ ـ ٤٩٦). أما زمعة بن صالح فقد ضعّفه الإمام أحمد، وقال عنه ابن معين: ضعيف وهو أصلح حديثا من صالح بن أبي الأخضر، وقال عنه مرة: صويلح الحديث. وضعّفه أبو داوود، وقال عنه عمرو بن علي: فيه ضعف في الحديث، وقد روى عنه الثوري وابن مهدي، وهو جائز الحديث مع الضعف الذي فيه. وقال أبو أحمد بن عدي: ربما يهم في بعض ما يرويه وأرجو أن حديثه صالح لا بأس به. وقال البخاري: منكر الحديث، ما أراه يكذب ولكنه كثير الغلط. (انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٣، ص٦٢٤؛ ابن حبان، كتاب المجروحين، ج٢، ص٣٠٨؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢١٧، رقم: ٢٠٣٥؛ الترمذي، العلل الكبير، تحقيق: حمزة ديب، عَمان، ١٩٨٦، ج١، ص٤٣١، ج٢، ص٩٦٧؛ الذهبي، الكاشف، تحقيق: عزت علي وموسى علي، القاهرة، ١٩٧٢، ج١، ص٢٥٤؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٩، ص٣٨٦ ـ ٣٨٩). وأما سلمة بن وهرام اليماني قال عنه ابن معين: ثقة، وضعّفه الإمام أحمد، وقال عنه ابن حجر: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات. (انظر: ابن حبان، كتاب الثقات، حيدر آباد، =

مكة[1]. مما يدل على أن هودا كان قادما من منطقة تقع في شمال شبه الجزيرة العربية، لأن القادمين من الشمال يمرون بهذا الوادي في طريقهم إلى مكة كما فعل الرسول ﷺ.

٦ ـ جعل ابن فضل الله العمري منازل عاد بين الحجاز والشام، وإن كان بعد ذلك يخلط بين عاد وثمود في بناء البيوت المنحوتة في الصخر[2].

ومع وجود الأدلة لكلا الرأيين إلا أن تحديد مواطن عاد في شمال شبه الجزيرة العربية أو جنوبها الغربي يحتاج إلى تنقيب آثاري كبير للبحث عن منازل عاد، وجهود عالمية وأدوات متقدمة وآلات دقيقة. وعلى العموم فإن من المفروض أن منازل عاد كانت لها عظمة وضخامة تجعل الإنسان يقف مدهوشا ومتعجبا.

ثالثا: أن أرض الأحقاف وموطن قوم عاد، بأرض مصر[3]. وعلى الرغم من حداثة وغرابة هذا الرأي إلا أن له وجهة نظر جديرة بالاهتمام وليس بالضرورة تصديقها. ويثير هذا الرأي[4] عددا من الأسئلة حول أصل

= ١٩٨٠، ج٦، ص٣٩٩؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٤٨؛ الذهبي، الكاشف، ج١، ص٣٠٩؛ سؤلات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور، المدينة، ١٩٨٨، ص٤٧٣؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١١، ص٣٢٩ ـ ٣٢٩).

(١) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج٣، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥، ٢١٦ ـ ٢١٧؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٦، ص١٠٠.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إعداد: فؤاد سزكين، إستانبول، ١٩٨٨، ج١، ص١٧٣.

(٣) حول هذا الرأي، انظر: محمد سمير عطا، الفراعنة، لصوص حضارة، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٣ ـ ٥٣.

(٤) ذكر عدد من الرحالة والمؤرخين والجغرافيين المسلمين أن الأهرامات من بناء عاد، انظر: ابن جبير، الرحلة، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٨؛ القاسم بن يوسف التجيبي، =

بناة الأهرامات وهل المصريون فعلا أم هم قوم أكبر منهم حجما. ويورد كذلك الأدلة التالية على صحة استيطان العاديين مصر:

(١) صغر أحجام أجساد المصريين القدماء الذين لا يزيدون عنّا بأكثر من ١٠٪ فكيف تمكنوا من نقل الأحجار الضخمة التي بنيت بها الأهرامات، ويقطّعونها مستخدمين الأخشاب ويتم نقلها مئات الكيلومترات ثم رفعها شاهقا. أما العاديون فهم أطول قامات وأضخم هيئات، وهم يتلاءمون مع طول التماثيل وضخامة المباني. وأن الفراعنة والملوك المصريين قد ادعوا بناء هذه العمائر. وكذلك لم يعثر على مومياءات الملوك في داخل الأهرامات. فمن المحتمل إذن وجود حضارة قبل الفراعنة لم تكشف بعد مثل الحضارة الفرعونية التي لم تكشف بصورة كبيرة إلا بعد العثور على حجر رشيد. وبما أن قوم عاد ضخام الأجسام، حيث كان الواحد منهم بطول النخلة أي حوالي ١٥م.، فإن الحجر الذي يزن ٢٥٠٠ كجم بالنسبة لهم مجرد طوب، وهذا الطول يؤكده الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧)؛ ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ (الأعراف: ٦٩)؛ ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥).

(٢) حضارة عاد حضارة غامضة غير واضحة المعالم فإلى الآن لم يعثر على آثارها. وهذا مخالف لقول الله عز وجل: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٣٨)؛ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (غافر: ٨٢)؛ ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ (الفجر: ٨).

(٣) يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ (الأحقاف: ٢٤)، فلفظة أودية ربما تشير إلى مصر ففيها وادي النيل

= مستفاد الرحلة والاعتبار، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس، ١٩٧٥، ص١٦٧؛ الورثيلاني، الرحلة، بيروت، ١٩٧٣، ص٥٧٤.

الذي له دلتيان: رشيد ودمياط، ومنهما تتفرع عدد من الأودية أما جنوب شبه الجزيرة العربية فلا يوجد فيها أودية مشابهة لأودية مصر.

(٤) يقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ (الحاقة: ٦ ـ ٨) أي أنهم هلكوا بسبب ريح قوية قضت عليهم، ولذلك لم يعثر على جثثهم الضخمة. ويدل على هبوب الرياح العاتية أن تمثال أبو الهول كان مغطى بالرمال عند اكتشافه، ولا يمكن لعوامل التعرية العادية أن تغطيه بأكمله مما يؤكد هبوب هذه الرياح العاتية القوية. وغير مدون على أبي الهول أية كتابات تثبت انتماءه لأي من الفراعنة مما يدل على أنه كان مغطى بالرمال لم يرهُ الفراعنة وإلا نسبوه إليهم. وكذلك الأهرام المدفونة في الرمال وغير المكتملة تدل على هبوب رياح عاتية عنيفة مفاجئة.

(٥) ولا مانع من سكنى الفراعنة هذه المباني واستقرارهم فيها فالله تعالى يقول: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤٥). وأشار عدد من المؤرخين والمفسرين المسلمين إلى أن عادا سكنوا مصر[١].

---

(١) قدّم محمود عبد الحميد أحمد عرضا قيّما حول هجرات وتواجد العناصر العربية في مصر منذ عصر الدولة القديمة، انظر كتابه: الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام ومصر، القاهرة، ١٩٨٨، ص٥٩ وما بعدها. ويذكر عدد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين أن العرب العمالقة والعاديين قد سكنوا مصر، ومنهم ينحدر عدد من الفراعنة. انظر: أبا عبيد البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٨٦، ٥١٧؛ ابن حبيب، المصدر السابق، ص٤٦٦ ـ ٤٦٧؛ ابن قتيبة، المعارف، ٢٧؛ ابن الوردي، التاريخ، النجف، ١٩٦٩، ج١، ص٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط. ٢، ج١، ص٣٣٥؛ عبد الملك بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ج١، ص١٢٨؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، تحقيق: إبراهيم =

(٦) يخبر الله عز وجل أن فرعون سأل موسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، (طه: ٥١ ـ ٥٢)، فبعد أن أيقن فرعون أن موسى مرسل من ربه سأله عن أكثر ما يشغل باله وهو أخبار القرون الأولى السابقة، مما يدل على معرفة الفراعنة بوجود حضارات سابقة لهم أكثر منهم قوة فخاف أن يعلن موسى عنها.

(٧) قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (القصص: ٤٣)؛ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ (النجم: ٥٠)، ووجود عاد أولى يدل على وجود عاد ثانية وهم الفراعنة.

(٨) قال سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ (الأعراف: ٧١)، أي أن عادا اتخذوا أسماء كثيرة ومتعددة لآلهتهم، مثل أسماء رع وآمون وحورس هي آلهة عادية. ولهذا يلاحظ في كثير من أسماء آلهة المصريين الأصل العربي. أما المصريون القدماء فكانوا يؤلهون ملوكهم.

(٩) وجود أوجه للتشابه بين حضارتي عاد والفراعنة التي وردت في القرآن الكريم منها قوله تعالى عن عاد: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ (الشعراء: ١٣٣، ١٣٤)؛ ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ (هود: ٦٠)؛ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ (النجم: ٥٠)، والثانية هم الفراعنة الذين قلّدوهم. وعن الفراعنة: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ (الشعراء: ٥٧)؛ ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ (القصص: ٤٢).

وعلى الرغم من وجاهة بعض هذه الأدلة إلا أن إثبات تواجد العاديين في مصر يواجه بكثير من الصعوبات والمشاكل العلمية والآثارية والفكرية. ولا يعني ضخامة المباني وعلو العمائر ضرورة قيام أقوام ضخام ببنائها فيمكن للإنسان بما آتاه الله من العقل والتفكير من ابتداع آلات دقيقة وضخمة تستطيع نقل وتحمل ثقل الصخور والحجارة. ولا يعني عدم العثور على

= الأبياري، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٥٠ ـ ١٥١؛ النويري، نهاية الأرب، القاهرة، ب.ت.، ج١٥، ص١١٥؛ Vajda, G.,"ʿAmālīḳ", EI², vol. 1, p. 429.

حضارة وآثار قوم عاد في شبه الجزيرة العربية أن العاديين كانوا في مصر وأن آثارهم الأهرامات والمباني المصرية. وعلى الرغم من قيام بعض الفراعنة بنسبة عدد من عمائر سابقيهم إليهم إلا أن ذلك لا يشمل كل ملوك مصر. بل العديد من المخلفات والمباني موجود عليها نقوش وكتابات تدل على منشئيها. كما أن من طبيعة الإنسان التفاخر والتباهي في المظاهر والمادية وتبيان العظمة والقوة وفي اعتقادنا أن العديد من ملوك مصر وفراعنتها كان إظهار القوة والفخامة سبب في بناء عمائرهم. وكذلك فإن المفسرين والمؤرخين والجغرافيين المسلمين على الرغم من ذكرهم أن عادا قد استقرت في أرض مصر، إلا أنهم في الأغلب ما كانوا يوردون أن العمالقة هم سكان مصر، وكانوا يفرّقون بين عاد والعمالقة ولا يعتبرونهما قبيلة واحدة[١]. كما أن صاحب هذا الرأي دلل على رأيه بتأويل الآيات التي تحمل أكثر من معنى وتختلف في تفسيرها العقول مثل سؤال فرعون موسى عن القرون الأولى ليس بالضرورة أنه يعني قوم عاد، وخشيته من كشف موسى سر العاديين الذين كانوا يستوطنون مصر، ثم حل الفراعنة محلهم وادعوا أنهم أصحاب العمائر الضخمة.

ويرى الدكتور رشدي البدراوي رأيا عقليا وسطا وهو أن الجد الأعلى لعاد وهو عاد بن عوص بن أرام بن لود بن سام بن نوح قد استقر في بداية هجرته مع أهله وعشيرته من شمال العراق في شمال غرب شبه الجزيرة العربية حيث تسمت المنطقة باسمه إرم (أرام). ثم تواصلت هجرة أحفاده من الشمال الغربي إلى الجنوب واستقر بنو عاد في الأحقاف[٢]. وهذا رأي وجيه ولكن المشكلة تكمن في عدم ثبوت سلاسل أنساب الأنبياء ولم يرد فيها نص من القرآن والسنة. أما الطبري فبعد أن أورد الآراء المختلفة حول منازل عاد ومكان الأحقاف، قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن

---

(١) الطبري، التاريخ، ج١، ص٢١٦، ٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ١٩٨٥، ج١، ص٤٨، ٥٧، ٨٠.

(٢) رشدي البدرواي، المرجع السابق، القاهرة، ج١، ص١٤١، ١٤٥ ـ ١٤٦.

يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشام، وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشحر، وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية»[١].

الأخـدود:

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝﴾ (البروج: ٤):

يكاد أن يجمع المفسرون والرواة وأصحاب معاجم المواضع والبلدان على أن الأخدود شق في الأرض في قرية من قرى نجران[٢]. ومع ذلك وجد من يقول أن الأخدود بمذارع اليمن (أي قرى اليمن)، ورُوي هذا القول عن علي. ورُوي عنه أيضا أن الأخدود كان في الحبشة[٣]. وقد تناولت سورة البروج قصة مجموعة من المسلمين الموحدين، أحرقوا بالنار لأنهم آمنوا بالله تعالى وحده لا شريك له. وعلى الرغم من آراء المفسرين والرواة حول قصة الأخدود إلا أن القرآن الكريم لم يبيّن هوية الأشخاص ولا اسم الذين عذبوهم وأحرقوهم ولا مكان الأخدود. وقد ورد كذلك في حديث صهيب عن النبي ﷺ أن ملكا من الملوك كان عنده ساحر، فلما كبر سنّه وأحس بدنو

---

(١) التفسير، ج٢٦، ص٢٤.

(٢) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٢١؛ ابن حبيب، المصدر السابق، ص٣٦٨؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٩٠٤ ـ ٩٠٥؛ الألوسي، روح المعاني، بيروت، (دار إحياء التراث العربي)، ب.ت.، ج٣٠، ص٨٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢؛ مجاهد بن جبر، التفسير، تحقيق: عبد الرحمن بن الطاهر بن محمد السورتي، إسلام أباد، ب. ت.، ج٢، ص٧٤٧؛ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: قاسم الشماعي، بيروت، ١٩٨٩، ج١، ص٦٩.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكة، ١٩٩٧، ج١٠، ص٣٤١٣؛ ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢، ٣٣٣؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص٨٨، ٨٩.

أجله طلب من الملك أن يرسل إليه غلاما يعلّمه السحر ليخلفه عند الملك، فدفع إليه غلاما يعلّمه السحر. وكان الغلام وهو في طريقه إلى الساحر يمر على عابد مسلم (أو راهب) يعلّمه الدين الحق وأن الله تعالى بيده ملكوت السماوات والأرض. وبيّن الحديث كيفية إيمان الغلام ثم قيامه بتطبيب الناس وإبراء الأكمه وسائر الأمراض بإذن الله تعالى، حتى انتشر خبره. واكتشف الملك أمره، فعذبه حتى دل على الراهب، فقتل. وحاول قتل الغلام بعدة طرق حيث أرسله ليلقى به من قمة جبل ولكن الجبل قد اهتز وتساقط الحراس وعاد الغلام ثم أرسله ليلقى في البحر ولكنه أيضا نجا وسقط الحراس في البحر بعدما تحرك بهم القارب. وعندما عاد الغلام، أخبر الملك بأنه يمكن أن يقتله أمام الناس وأن يقول الملك عندما يرميه بالسهم، باسم رب هذا الغلام، فلما فعل ذلك مات الغلام. دون أن يعي الملك الحكمة من هذا الإجراء. ولكن الناس آمنوا بالله عز وجل فحفر لهم الملك خندقا وأمر بحرقهم إن أصروا على إيمانهم ودينهم الجديد. وفي الرواية قصة الصبي الرضيع الذي ترددت أمه بين القذف في النار وبين الكفر، فقال الصبي لأمه: اصبري فإنك على الحق[1].

ومن الملاحظ أيضا أن الرسول ﷺ لم يبين هوية الغلام ولا الراهب ولا الملك ولا حتى هوية وأعداد المحروقين. ولكن اشتهر بين أغلب

---

(١) حول هذا الحديث، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٩٠٥؛ الإمام أحمد، المسند، ج٩، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣، رقم: ٢٣٩٨٦؛ عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، ١٩٧٢، ج٥، ص٤٢٠ ـ ٤٢٣؛ القرطبي، تلخيص صحيح الإمام مسلم، دمشق، ١٩٨٨، ج٢، ص١٣٥٧ ـ ١٣٥٩؛ النووي، شرح صحيح مسلم، بيروت، ١٩٧٢، ج١٨، ص١٣٠ ـ ١٣٣. وقد روى هذا الحديث أيضا الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة البروج، ج٥، ص٤٣٧، رقم: ٣٣٤؛ والنسائي وابن حبان وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى الموصلي والبزار والبيهقي. (انظر: الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، الرياض، ١٤١٤هـ، ج٤. ص١٨٢ ـ ١٨٣).

المؤرخين والمفسرين والرواة أن هذا الملك هو ذو نواس زرعة تبع بن تبان بن أسعد بن أبي كرب الحميري، أو هو زرعة بن زيد بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس. وسمي بذي نواس لذؤابة كانت تتدلى على رأسه. وقد حكم حوالي ثمانين سنة وقيل ثماني وستين سنة. وهو الذي حفر الأخدود، وأمر بإحراق الموحدين أو المؤمنين أو النصارى. وقيل: إن هذا الحدث كان في زمان تبع(١).

وقيل: إن الملك يدعى مالك(٢)، وقيل هو ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل بن تبع، المسمى بيوسف، وكان قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة(٣)، وزعم البعض أن الحادثة كانت قبل مبعث المسيح(٤).

وعلى الرغم من شيوع قصة ذي نواس وأثره في إحراق أهالي نجران، إلا أن الرواة والأخباريين تباينوا في تفسير سبب هذا الإحراق، فقال البعض، وهذا رأي شائع أيضا، أن الملك أراد إجبارهم على اعتناق اليهودية، كون ذي نواس يهوديا، وقيل: إن أهالي نجران تنصروا ولم يدخلوا

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عمر الطبّاع، بيروت، ١٩٩٥، ص٦٠؛ السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، ١٩٦٧، ج١، ص١٩١؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٦٩.

(٢) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت/ صيدا، ١٩٩٧، ج٣، ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٣) أبو القاسم بن بشكوال، كتاب الغوامض والمبهمات، تحقيق: محمود مغراوي، جدة، ١٩٩٤، ج٢، ص٥٤٦، رقم: ٥٣١؛ السهيلي، التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عبد مهنا، بيروت، ١٩٨٧، ص١٨٢؛ الحافظ العراقي، المستفاد من مبهمات المتن والإسناد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الحميد البر، القاهرة، ١٩٩٤، ج٣، ص١٧٦٢، رقم: ٧٢٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملح وآخرين، بيروت، ١٩٨٩، ج٢، ص١٢١.

اليهودية مما أثار الملك عليهم وأمر بالتخلص منهم[1]. ورُوي عن علي سبب آخر يرجع سبب الإحراق إلى كون الملك مجوسيا وأنه شرب الخمر فسكر ثم زنى بأخته أو ابنته ولما أفاق ندم على فعلته واستشارها في الأمر، فأشارت عليه بأن يقول للناس: إن الله قد أحل نكاح البنات والأخوات ولكن عارضه نبي ذلك الزمان ومعه العديد من الناس ورفضوا قوله، فأشارت عليه بأن يحفر أخدودا عظيما ويشعل فيه النيران ثم يحرق فيه كل من خالفه[2]. وهذه القصة يبدو عليها الانتحال نظرا لكون علي في رواية سابقة يقول: إن الأخدود كان بأرض اليمن، كما أنه لا يعرف عن ملوك اليمن أنهم كانوا على المجوسية أبدا، وقد اشتهرت المجوسية في فارس. ورواتها يعقوب القمي عن جعفر بن أبزى[3]. ويبرر الفخر الرازي والثعلبي، هذه الرواية بأن عليا ذكرها عندما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في أحكام المجوس[4].

وفي رواية أخرى تتناقض مع السابقة أن سبب الإحراق هو قتال نشب بين المؤمنين والكافرين في اليمن وانتصر المؤمنون في القتال ثم تعاهدوا مع الكافرين في ألا يغدر بعضهم ببعض ولكن الكافرين غدروا بالمؤمنين وأخذوهم وأرادوا إجبارهم على الكفر، فاقترح رجل من المؤمنين بأن

---

(١) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص١٤٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقّا وآخرين، بيروت، ب.ت.، ج١، ص٣٧؛ ابن حبيب، المصدر السابق، ص٣٦٨؛ شكران خربوطلي، شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٢، ص١٢٢، ٢١٢ فما بعدها، ٢٤٨ فما بعدها.

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١٨؛ ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور، القاهرة، ب.ت.، ص١٥٩؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص٨٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٣.

(٣) الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٣٢.

(٤) الثعالبي، عرائس المجالس، القاهرة، ب.ت.، ص٣٩٥؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، القاهرة، (دار الغد)، ١٩٩٢؛ ج١٦، ص.

يحفر أخدودا، توقد فيه النيران، ثم يعرض المؤمنون عليها فمن أجاب إلى الكفر ينجو منها ومن رفض يلقى في النار، ففعل الكافرون ذلك وأحرقوا من بقي على التوحيد حتى عجوزا تحمل طفلا في حجرها فتلكأت فقال لها الصبي امضي ولا تتقاعسي[(١)]. وهذه القصة تختلط مع حديث النبي ﷺ عن أصحاب الأخدود التي يرويها صهيب. وهذه القصة رواها قتادة بصيغة: «حُدثنا أن علي بن أبي طالب كان يقول»[(٢)]. وهي صيغة تحتمل التضعيف.

ويرى البعض أن ملك الحبشة قد أرسل حملة إلى اليمن في سنة ٥٢٣م. تغلبت على ذي نواس الذي فر من عاصمته ظفار ثم عاد فباغت الجيش الحبشي وأنزل به خسائر كبيرة ومن ثم اضطهد النصارى وعذبهم. وكان سبب الاضطهاد بالتالي هو الانتقام من الحبشة عن طريق النصارى المشتركين مع الأحباش في نفس الدين[(٣)].

كما أن الرواة والمفسرين والمؤرخين قد اختلفوا في هوية الراهب الذي استقر في نجران قادما إليها من الشام بعد رحلة طويلة وهو الذي دعا أهلها إلى التوحيد بعدما كانوا يعبدون الأصنام ونخلة طويلة لها عيد كل سنة. وقيل اسمه فيميون (فيمون أوقيمئون) وكان رجلا صالحا يبرئ الأكمه والأبرص والأعمى وأصحاب العاهات، بإذن الله تعالى، وكان له كرامات كثيرة[(٤)]. وعن علي أن الرجل الصالح كان نبيا حبشيا[(٥)]. وتذكر الروايات أن اسم الغلام، هو عبد الله بن الثامر[(٦)] وهو غلام ذكي تعلم من الراهب العلم

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢.

(٢) الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٣٢.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٣، ص٤٨٠ ـ ٤٨١.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٣٣؛ السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص١٩١؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٨٢.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص٨٨.

(٦) يعتبر ابن هشام أول من أورد قصة عبد الله بن الثامر ولم يرو قصته سواه ولم يخرجها أحد من أصحاب الصحيح كما أن القصة تخالف حديث صهيب في ألفاظ =

الكثير وكان مثله في شفاء الأمراض والأسقام بإذن الله تعالى. ويرد في القصة أيضا أن رجلا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفر خربة بنجران فرأى عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه، فإذا رفعت عنها يده جرت دما، وإذا أرسلت يده ردها إليها وهو قاعد، فكتب فيه إلى عمر فأمر بتركه على حاله[1]. وقد أورد ابن هشام قصة اكتشاف قبر ابن الثامر من رواية عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الذي حُدّث هو أيضا بها دون إيراد السند إلى الراوي المعاصر للحادثة، نظرا لأن ابن حزم لم يدرك زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأيضا تختلف الروايات في تحديد هوية الموحدين فقيل: إنهم من النبط، وقيل: إنهم أحباش، وقيل: إنهم من بني إسرائيل، وقيل: إنهم نصارى من أهالي نجران[2]. ويناقش عرفان شهيد كيفية دخول النصرانية إلى نجران هل هو عن طريق الحيرة أم الغساسنة أم عن طريق الحبشة، كما يتحدث عن مذهب نصارى نجران هل كانوا نساطرة أم يعاقبة[3]. بينما يؤكد آخرون إسلامية أصحاب الأخدود اعتمادا على الحديث الشريف السابق

= كثيرة. انظر تعليق محقق الروض الأنف، عبد الرحمن الوكيل، ج١، ص٢١١، حاشية: ١، ص٢١٣. وانظر كذلك: أبا القاسم بن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٨٢.

(١) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٣٥.، ٣٧ - ٣٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٤. ويذكر الدينوري أن ابن الثامر هذا كان ملك نجران. (المصدر السابق، ص٦٠).

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص٨٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٢، ٣٣٣؛ شكران خربوطلي، المرجع السابق، ص١٠٧؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٣١ - ١٣٢؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣٠، ص٢٤١.

(٣) Byzantium and the Arabs in the Fifth Century, Washington, D.C, 1989, pp. 360 ff, 373-374.

الذكر. وأنهم بالتأكيد ليسو يهودا أو نصارى، وأن كل من قال بذلك إما ينزع إلى عصبية دينية نصرانية أو جهلا بالدين أو اعتمادا على مصادر غير موثقة[1]. مع أن روايتي الإمام أحمد وعبد الرزاق[2] تصرّحان أن العالم كان راهبا مما يشير إلى كونهم نصارى. وعلى العموم فإن الخوض في مسألة المذهب النصراني الذي كانوا يؤمنون به نراها من قبيل الزيادات والكماليات وليس من أصول الموضوع. وفي رأينا أن أصحاب الأخدود كانوا نصارى، موحدين، مؤمنين. كما أن المفارقة هنا تكون بين كفر وإيمان وهذا يشابه سرور النبي ﷺ والصحابة بانتصار البيزنطيين، النصارى، على الفرس، المجوس، الكفار، حيث يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ (سورة الروم: ١ ـ ٥).

ونتيجة لتعدد الروايات واختلافها، وللخروج من هذا التعارض، ذكر القرطبي والسهيلي أن حادثة الأخدود هي في الحقيقة ثلاث حوادث: تبع صاحب اليمن، وقسطنطين بن هلاني حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب، وبختنصر حين أمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وأصحابه فألقاهم في النار، فكانت بردا وسلاما عليهم وحرق الذين بغوا عليهم[3]. وفي الحقيقة إن ما أورده القرطبي والسهيلي لا يحل المشكلة نظرا لأن الوقائع التاريخية والآثارية والسجلات القديمة لا تؤيد ما ذهب إليه

---

(١) جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ص١٣١ ـ ١٣٤.١٣٩ ـ ١٤٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٦٩.

(٢) الإمام أحمد، المسند، ج٩، ص٢٤٢، رقم: ٢٣٩٨٦؛ عبد الرزاق بن همام، المصنّف، ج٥، ص٢٤٣.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص١٩٤ ـ ١٩٥؛ القرطبي، التفسير، ج١٦، ص٣١٧؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٤٥٣.

من كون قسطنطين قد قام بإحراق الموحدين من النصارى وإن حدثت حوادث اضطهاد ولكنها لا تصل إلى خد الأخاديد وحرق المخالفين بهذه الطريقة البشعة[1]. وكذلك نبوخذنصر (بختنصر) ففي تاريخه ما لا يثبت قول القرطبي والسهيلي، وإن كان قد سبى بني إسرائيل وأمر برمي دانيال وثلاثة من رفاقه في النار لما رفضوا أن يسجدوا للتمثال الذهبي إلا أن الله تعالى نجاهم من النار، مما أذهل الملك، فأعجب بهم وبالذات دانيال، فأكرمه، وهو الذي فسّر الحلم لنبوخذنصر، وقد توفي دانيال في العصر الأخميني. كما أن الملك البابلي توفي مريضا وليس حرقا بالنار[2]. ويبدو أن قصة أصحاب الأخدود الواردة في سورة البروج تقصد أناسا معروفين عند قريش وتتحدث عن قصة مشهورة عند العرب في الجاهلية، فذكر الله تعالى القصة لأصحاب رسول الله ﷺ تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره[3]. وهذا الاستنتاج يؤكد أن الحادثة وقعت في شبه الجزيرة العربية، وفي زمان قريب من البعثة النبوية الشريفة.

وقد أضافت الروايات خبر رجل نجا من الإحراق، وفر مستنجدا إلى ملك الحبشة، كالب، الذي بعثه بدوره إلى ملك الروم. ولم تتفق الروايات على اسم هذا الرجل فقيل هو دوس ذو ثعلبان أو ذو ثعلبان وقيل جبار بن فيض[4]. وقد قام نجاشي الحبشة، بارسال حملة كبيرة إلى اليمن بقيادة

---

(١) حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٧ ـ ٣٠؛ سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، ١٩٧٨، ٤٤٣ ـ ٤٤٥؛

Fox, R. L., Pagans and Christians, London, 1988, pp. 602, 638, 641-643, 654 - 656.

(٢) العهد القديم، سفر دانيال، الإصحاح: ٣، الآية: ١ ـ ٣٠؛ بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٩٧، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨، ٩٥٤ ـ ٩٥٥؛ تفسير الكتاب المقدس، إعداد جماعة من اللاهوتيين، بيروت، ١٩٩٠، ج٤، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣؛ Chohen, S.,"Daniel", UJE, vol. 3, pp. 464 - 466.

(٣) القرطبي، التفسير، ج١٦، ص٣١٧ ـ ٣١٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٨.

أرياط وكان برفقته أبرهه. وقد تمكن الأحباش من هزيمة الجيش الحميري. ولكن الروايات تباينت في كيفية نهاية ذي نواس فقيل إنه دخل بفرسه البحر، فغرق، بعد حكم دام ٩٨ عاما أو ٨٠ عاما[١]، وقيل إنه قُتل في أرض المعركة. وفي رواية أخرى تقول إن ذا نواس مات حرقا بنار الأخدود نفسها التي أوقدها لأهالي نجران حيث ارتفعت فصارت فوق الملك وحاشيته فأحرقتهم[٢]. وعلى هذا فإن هذه الرواية تنفي كون الملك قد واجه الأحباش في معركة مكشوفة، كما أنها ترد حجة الأحباش في غزو اليمن انتقاما من ذي نواس، فمادام قد مات فإن حجة الانتقام قد فقدت قيمتها. وتذكر عدد من المصادر اليونانية والحبشية أن الملك قد سقط أسيرا في أيدي الأحباش فقتلوه. أما نصوص لغة المسند (اللغة السبئية) فلا تشير إلى أي من الأحداث الواردة في المصادر الإسلامية إلا أن هناك نقش مكتشف في موقع حصن غراب يشير إلى قيام الأحباش بغزو أرض اليمن وقتْل ملكها وأقياله[٣] الحميريين في عام ٥٢٥م.، دون إيراد اسم الملك. ويرى البعض أن الملك

---

(١) ابن حبيب، المصدر السابق، ص٣٦٨؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٦٣٧؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٣٩؛ عبد الملك بن حسين العصامي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠؛ القضاعي، عيون المعارف، تحقيق: جميل عبد الله المصري، مكة، ١٩٩٥، ص١٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص٤٦٨؛ اليعقوبي، التاريخ، بيروت، ١٩٦٠، ج١، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١،. ٢٥٠ ـ ٢٥٣؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٩، ص٧٤ ـ ٧٨؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٣٢ ـ ٣٩؛ الخازن، المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٥ ـ ٣٦٧؛ الزمخشري، الكشّاف، بيروت، ب.ت.، ج٤، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٣٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١١، ص١٠٩ ـ ١١٣؛ القضاعي، عيون المعارف، ص١٥٦.

(٣) أقيال جمع قيل وتعني أمير أو ملك صغير. والقيل يندرج تحت النظام الإداري القديم لبلاد اليمن التي كانت مقسمة إدارية إلى إقطاعات ومناطق تسمى محافد (جمع محفد) وهي القصور المحصنة والقلاع المحاطة بالأسوار. ويقيم في المحفد شيخ أو أمير أو وجيه. وعندما تجتمع محافد منطقة معينة تحت إدارة شخص واحد يطلق عليه قيل. =

المعني في هذا النقش هو ذو نواس. وتوجد بعض الوثائق والمصادر النصرانية تشير إلى هذه الحادثة وتذكر أن الإحراق تم في نجران على يد ملك حميري. وقد أسهب جواد علي في تبيان هذه المصادر وأهميتها ومدلولاتها وصحتها وأهميتها التاريخية والدينية[1].

وعلى الرغم من عدم ذكر رقم محدد لأهالي نجران الذين ماتوا محروقين لا في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف إلا أن الروايات تذكر أن عددهم قد جاوز العشرين ألفا، بل أن بعض الروايات ترفع الرقم إلى ٧٠ ألف[2]، وبالتأكيد أن هناك بونا شاسعا بين الرقمين. وواضح أن هذا الرقم وُضع بقصد المبالغة لا غير، خاصة أنه لم ترد رواية صحيحة حول هذا الموضوع، إضافة إلى أن الوثائق النصرانية لم تورد رقما معينا.

وخلاصة الروايات الواردة في قصة أصحاب الأخدود ذكرها العلامة محمد الطاهر بن عاشور، فذكر أنها: «روايات متقاربة تختلف بالإجمال والتفصيل والترتيب والزيادة والتعيين وأصحها ما رواه مسلم والترمذي عن صهيب . وليس فيما روي تصريح بأن النبي ﷺ ساقها تفسيرا لهذه الآية، والترمذي ساق حديثها في تفسير سورة البروج»[3].

= ويكون لهؤلاء الأقيال نوع من الاستقلال الداخلي، ولكنهم يتبعون الحكومة المركزية. وكان الأقيال هم الأعيان الكبار المحنكون الذين يقودون جيوش القبائل وينظمون الأعمال المتعلقة بترميم منشآت الري وتشييد الحصون، ويخضع لهم أصناف من الجند. (انظر: م. ب. بيوترفسكي، اليمن قبل الإسلام، ترجمة: محمد الشعيبي، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٩٣ ـ ٣٠١؛ جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، بيروت، ب.ت.، ص١٤٨؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٢٢؛ هادي عطية مطر الهلالي، دلالة الألفاظ اليمانية، صنعاء، ١٨٨، ص٨٢).

(١) انظر: المفصل، ج٣، ص٤٥٩ ـ ٤٧٢.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٣٧؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص٨٩؛ الثعالبي، عرائس المجالس، ص٣٩٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٨٢.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣٠، ص٢٤٢.

ويبدو أن قيام ذي نواس بقتل نصارى نجران كان ناتجا عن رغبته في التخلّص من نفوذ الأحباش في اليمن، خاصة أنه ربط بين نصارى نجران ونصارى الحبشة وربما شعر بمدى الخطورة التي تمثّلها الصلة بين الجانبين على سياسته في اليمن. كما أن ملك الحبشة ومن خلْفِه إمبراطور بيزنطة انتهزا الفرصة في مد النفوذ إلى اليمن لأسباب اقتصادية وسياسية بحجة الانتقام من الملك الحميري[1]. ومن المرجّح أن ذا نواس كان وثنيا ولم يكن يهوديا خاصة أن القرآن يوضّح أن سبب الإحراق كان الرغبة في تحويلهم عن دينهم الحق إلى الوثنية: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ (سورة البروج: ٨ ـ ٩). كما أنه يفهم من الحديث الشريف السابق الذكر أن الملك لم يكن يهوديا بل كان وثنيا وربما كان يدّعي الألوهية[2].

وقد قامت بعثة آثار سعودية بالمسح الآثاري في منطقة الأخدود ونجران، وعثرت على عدد من اللقى[3] الآثارية والفخاريات والنقوش،

---

(١) محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ج١، ص٥٧٥ ـ ٥٧٦؛ محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧٨ ـ ١٧٩؛ Shahid, I., "The Arabs in the Peace Treaty of A.D. 561", Arabica, iii (1956), pp. 188-189; idem, "Pre-Islamic Arabia", CHI, vol. 1, p. 14.
حول مناقشة تاريخ الإحراق والحملة الحبشية، انظر:
De Blois, F., "The Date of 'Martyrs of Nagrān', AAE, 1 (2) (1990), pp. 110 - 123.

(٢) رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٤٦ ـ ١٥٩؛ شكران خربوطلي، المرجع السابق، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٣٠، ص١٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٠.

(٣) «اللقى» جمع «لقية»، وهي كل ما خلّفه الإنسان من آثار مادية ومعمارية وفخاريات ومبانٍ وأدورات وأحجار وغيرها. (انظر: فتحي عفيفي بدوي، علم الآثار، القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ص٩ ـ ١٠؛ فوزي عبد الرحمن الفخراني، الرائد في فن التنقيب عن الآثار، بنغازي، ١٩٩٣، ص٨٣ ـ ٨٤، ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ٣٩٤؛
Barker, P., Understanding Archaeological Excavation, London, 1986, p. 127.

ولكن لم تورد أية أدلة عن الأخدود. وقد قدّمت البعثة وصفا للموقع وتخطيطا لمكان الآثار من أضرحة ومبانٍ وفخاريات وأنظمة للري وبيّنت البعثة نوعيات الفخار العربية الجنوبية والبيزنطية والإسلامية مما يدل على استمرار الاستيطان السكاني في منطقة الأخدود مما يتفق مع ما أورده عدد من المؤرخين والجغرافيين المسلمين مثل ابن هشام وابن سعد وأبي عبيد البكري والطبري. كما عثرت البعثة على ٣٧ نقشا من النقوش العربية الجنوبية[1]. وقد سُميت مدينة نجران الرئيسة، مدينة الأخدود، وبها بعض الآثار والمباني القديمة[2].

أدنى الأرض:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ (الروم: ٢ ـ ٣):

حيث التقى جيشا البيزنطيين والفرس، وهي المنطقة الواقعة بين أذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب، أو هي أدنى أرض الروم إلى فارس[3]، أو أن أقرب أرض الروم إلى فارس هي طرق أو طرف

---

(١) انظر: يوريس زارينس وآخرون، «تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/الأخدود في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م».، الأطلال، ع. ٧، (١٩٨٣)، ص٢١ ـ ٣٩.

(٢) صالح بن محمد آل مريح، نجران، الرياض، ١٩٩٢، ص٢٤ ـ ٢٥؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة، ١٩٨٢، ص٢٠، ٣١٤.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين، الدوحة، ١٩٨٣، ج١١، ص٤٢٣؛ ابن كثير، التفسير، تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخريْن، القاهرة، طبعة الشعب، ١٩٧١، ج٦، ص٣٠٧، ٣١٠؛ الطبري، التفسير، (بيروت، دار الفكر)، ج٢١، ص١٧، ١٨؛ فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن الكريم، تحقيق: محمد كاظم الطريحي، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٧، ١١٦؛ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، بيروت، (عالم الكتب)، ب.ت.، ص٢٥٩.

الشام[1]، أو أن أقرب أرض الروم من العرب هي أرض الجزيرة[2]، أو الأردن وفلسطين[3]. وأذرعات بلدة تقع في منطقة البلقاء، ليس بعيدا عن عَمان. وتعتبر على أطراف الشام[4]. وتعرف في الوقت الحاضر باسم درعة أو درعا، ضمن الجمهورية السورية، وقد وردت في التوراة بصيغة أذرعي[5]. وقيل أن أدنى الأرض هي أرض الأردن وفلسطين[6]. وقيل كسكر. وحملت الأرض على أرض العرب لأنها المعهودة في ألسنتهم إذا أطلقوا الأرض أرادوا بها شبه الجزيرة العربية. أو أنه تقدير في أدنى أرضهم أي الروم، ويكون المعنى في أقرب أرض الروم من العرب إلى فارس، وربما تعني الجزيرة الفراتية وليس شبه الجزيرة العربية[7]. وقال الشوكاني بعد أن ذكر هذه المواضع: «وهذه المواضع هي أقرب إلى بلاد العرب من

---

(١) ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تحقيق: علي حسن البواب، الرياض، ١٩٨٦، ص٧٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٨٨؛ الطبري، التفسير، (بيروت، دار الفكر)، ج٢١، ص٢١.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٨٨؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص٤؛ فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣) الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سعيد الأهل، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٠.

(٤) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٥٨.

(٥) جواد علي، المفصّل، ج٣، ص٥٩؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٢. وأذرعات هي مدينة حوران، فسرّها اللغويون العرب على أن الاسم جمع الجمع من ذراع، مع أن الاشتقاق ليس عربي الأصل إذ وردت في العبرية بصيغة אֶדְרֶעִי إذرعي وهي أصلا قد اشتقت من الآرامية אֶדְרֶעִי إذرعاي وهي صيغة جمع مؤنث. (انظر: عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، لندن، ١٩٩٩، ص٢٥٤).

(٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٨٨؛ يحيى بن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، قرطاج، ١٩٧٩، ص٢٤٥.

(٧) صديق بن حسن القنوجي البخاري، فتح البيان، بيروت، ١٩٩٩، ج٥، ص٢٥٨.

غيرها، وإنما حملت الأرض على بلاد العرب لأنها المعهود في ألسنتهم إذا أطلقوا الأرض أرادوا بها جزيرة العرب»[1].

ومن المعروف أن الإمبراطور البيزنطي هرقل قد هزم الفرس سنة ٦٢٧م. في معركة طاحنة على مقربة من أطلال بلدة نينوى (قرب الموصل الحالية)، واضطر الفرس على أثرها إلى طلب الصلح، واسترد البيزنطيون جميع أقاليمهم التي فقدوها بعد قيام كسرى أبرويز بغزواته المشهورة على الشام[2]. ومن المرجح أن ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ ربما تعني كل أراضي الشام التي احتلها كسرى أبرويز، فهو من المعروف قد احتل دمشق وأنطاكية وبيت المقدس وغيرها من مدن الشام، بل استطاع الفرس أن يضموا مصر إلى دولتهم في تلك الفترة. بينما كانت بيزنطة تمر بظروف داخلية وخارجية عصيبة[3].

الأرض:

﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (النساء: ٩٧):

أرض مكة[4].

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص٢١٤.

(٢) انظر: أرثر كريستاسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٣٠ ـ ٤٣١؛ حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٦٢ ـ ٦٣؛ السيد الباز العريني، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٨٢، ص١٢٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول غزوات الفرس وأوضاع البيزنطيين وجهود هرقل في إعادة الأمان وطرد الفرس من الشام وغزو العراق، انظر مثلا: السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص١١٣ ـ ١٢٨؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٠٦ ـ ٢٨٢؛ وسام عبد العزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص١٥٠ ـ ١٥٧.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص١٠٤٧؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٣؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٣؛ البروسوي، المصدر =

الأرض:

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ﴾ (النساء: ٩٧):

أرض المدينة المنورة[١]. أو الأرض على الإطلاق أو بمعنى مواضع الأمان[٢]. وهذا في الأصل جواب وتبكيت من الملائكة، للمحتجين بعدم الهجرة وأنهم كانوا مستضعفين في الأرض، وهذا رد عليهم، من حيث أنهم كانت لديهم القدرة على الخروج إلى بعض الأقطار الأخرى كما فعل الذين هاجروا إلى الحبشة ثم لحقوا بالمؤمنين في المدينة. وقيل المعني بها المدينة الواسعة الآمنة من العدو، وهي مقر المؤمنين وهي ملاذ الهجرة. وقيل: إن المراد بالأرض كل بقعة من بقاع الأرض تصلح للهجرة إليها[٣].

الأرض:

﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ (النساء: ١٠٠):

= السابق، ج٢، ص٢٦٩؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٥٠٤؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، بيروت، ب.ت.، ج٢، ص٥٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٥، ص١٧٤.

(١) الدامغاني، المصدر السابق، ص٣١؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٥٠٤؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٥٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٥، ص١٧٦؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، تحقيق: محيي الدين متو، المدينة، ١٩٩٠، ص٤٠.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٣؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٦. وقال الشوكاني: «والأولى العموم، اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق، فيراد بالأرض كل بقعة من بقاع الأرض تصلح للهجرة إليها». (الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٥٠٤).

(٣) أبو حيان، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٤؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٩؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، فتح البيان، بيروت، ١٩٩٩، ج٢، ص١٣٥.

المدينة المنورة، التي يوجد فيها الأمن والقرب والعوض عن الأهل والديار، و﴿مُرَٰغَمًا﴾ أي «متحولا ومذهبا»، وفيها السعة في الرزق والعيش والأمن من الخوف[1].

أرض التيه:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦):

أي المقصود أن بني إسرائيل قد تاهوا في صحراء مقفرة وساروا فيها متحيرين لا يدرون أين مصيرهم ولبثوا فيها أربعين سنة. وهي أرض سيناء[2]. وقيل الأرض الواقعة بين بيت المقدس وقنسرين، وهي ١٢ فرسخا في ٣ فراسخ[3]. وهذا التحديد يجعل أرض التيه في شمال فلسطين بينما المعروف أن بني إسرائيل قد هاجروا من مصر عبر صحراء شبه جزيرة سيناء.

وقال البعض أن أرض التيه قريبة من أيلة، وبينهما عقبة لا يكاد الراكب يصعدها لصعوبتها، إلا أنها مهدت في زمان الأمير الطولوني، خمارويه بن أحمد بن طولون. ويروى أيضا أنه في عام ٦٥٢هـ، لما هرب طائفة من المماليك البحرية من مصر متجهين إلى الشام، تاهوا في أرض التيه خمسة أيام، ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد عظيم على بُعد، فقصدوه، فإذا

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٥٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٥، ص١٨٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١١٠؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دمشق، ١٩٩٤، ج٢، ص٨٦؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص٩٢؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، بيروت،/دمشق، ١٩٩١، ج٦، ص١٤٨. ساق الطبري عددا من الأقوال والآثار والقصص عن السدي وقتادة وغيرهما حول كيفية تيهان بني إسرائيل في الصحراء، ولماذا، وأين أرض التيه، وكيف تعامل موسى عليه السلام معهم. (التفسير، ج١٠، ص١٩٠ ـ ١٩٨).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٢، ص٣٣٠؛ البلنسي، تفسير مبهمات القرآن، تحقيق: حنيف القاسمي، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٣٨٥.

مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها. ووجدوا بها أوانٍ كثيرة وملابس بالية، وعثروا على جرة فيها ٩ دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرية، فلما ترجمت وجد أنها ضربت أيام موسى عليه السلام[1]. ويبدو أن هذه القصة مما قيل حول أرض التيه، ولا نعتقد أن كل من يذهب إليها يتيه كما حصل لبني إسرائيل فالعقوبة كانت لهم وحدهم، وكذلك الآثار التي عُثر عليها، إن صحت الرواية، فهي ربما قرية من القرى المندثرة بين فلسطين ومصر. أما الدنانير الذهبية المسكوكة في أيام موسى فغير صحيح لأن التعامل بالدنانير كعملة أو اختراعها كان متأخرا جدا عن زمان موسى[2]. ومن المحتمل أن التيه هو البرية أو الصحراء الواقعة بين

---

(١) ابن إياس الحنفي، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٠٤؛ المقريزي، الخطط، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص٥٩٦ ـ ٥٩٧. انظر كذلك: ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٢) ينسب البعض اختراع العملات أو المسكوكات إلى الليديين أحد دويلات آسيا الصغرى وقيل: إن الفينيقيين هم أول من اخترع التعامل بالعملات وقيل: هم الآراميون. وكان الناس قبل اختراع العملة يتعاملون بنظام المقايضة. (لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر مثلا: جكونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٦٤؛ روس هولوي، موسوعة العملة، ترجمة: ملاذ الحفار ومأمون عابدين، دمشق، ١٩٨٨، ص٥ فما بعدها؛ سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بغداد، ب.ت.، ص٣٦٥؛ منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، طرابلس، ب.ت.، ص١٨٨). وقد وردت عدد من الروايات تذكر إن أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام. (انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، ١٩٧٩، ج١٤، ص١٤٤؛ أبا نعيم، حلية الأولياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطار، بيروت، ١٩٩٧، ج٦، ص١٢؛ تقي الدين الجراعي، الأوائل، تحقيق: عادل الفريجات، دمشق، ١٩٨٨، ص٨٩؛ الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، بيروت، ب.ت.، ص٣٧٩؛ السيوطي، الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق: عبد القادر أحمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٩٠، ص٧٣). وهذه الروايات =

الشام ومصر، أو ما بين القلزم وأيلة[١]. وهي ما تعرف الآن بصحراء شبه جزيرة سيناء دون تحديد موضع بعينه. ومن المحتمل أن بني إسرائيل سلكوا طريقا جنوبا نحو رأس شبه جزيرة سيناء، وورد في التوراة ذكر حوالي **٣٣** قرية وموضع في هذه المنطقة ولكن يصعب الآن تحديدها ومعرفتها. أو ربما حاولوا الخروج متتبعين الطريق المسلوك بين فلسطين ومصر وهو يقع شمال سيناء وبه واحة تعرف بكاد وتسمى الآن بعين القديرات، وهي على مرتفع صغير وبها بعض الآثار القديمة[٢]. ويوجد في شمال جبل موسى صحراء تعرف ببادية التيه[٣].

ويبدو أن تحريم دخولهم فلسطين يؤكد أن فلسطين للصالحين فقط. ولقد زخرت التوراة بل التراث الديني اليهودي بقصص وأدلة كثيرة تثبت أن بني إسرائيل لم يكونوا أهلا لتحمّل الرسالة والتوحيد، بل أنهم لم يجدوا في دعوة موسى ما يشبع رغباتهم المادية وأطماعهم الدنيوية. وقد أسفوا كثيرا على مغادرتهم مصر ودوا لو عادوا إلى سابق عهدهم فيها. وكانوا يقولون: «ليتنا متنا في مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع»[٤].

= ضعيفة. (يوسف محمد العامري (الشامسي)، كعب الأحبار: مروياته وأقواله في التفسير المأثور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٢، ص١٣٣ ـ ١٣٥).

(١) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٦٨؛ محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٩٣. وصحراء التيه هذه كانت معروفة لدى المارين والمسافرين من مصر إلى الشام. (انظر: أبا نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص١٨٤).

(٢) Negev, A. (ed.), Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, Jerusalem, 1972, pp. 177, 293.

(٣) Palmer, E. H., The Desert of the Exodus: Journys on Foot in the Wilderness, Cambridge, 1871, p. 327.

(٤) سفر الخروج، الإصحاح الـ ١٦، الآيتان: ٢ ـ ٣.

وقد عصى بنو إسرائيل ربهم ونبيهم في مرات عديدة وهم في صحراء سيناء، منها ما حدث عندما توجه موسى نحو أرض كنعان، وحاول تشجيعم على دخولها ومحاربة أهلها، ولكنهم جبنوا عن المواجهة وهابوا القتال، وصاحوا بموسى وأخيه: «ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف، تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة»[1].

ويبيّن الله في كتابه أصدق بيان جبن وخيانة وعصيان بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المائدة: ٢١ ـ ٢٢)، ثم قالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، فكان عقابهم التيه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة: ٢٦)، ويبدو أن هذا التحريم كان أبديا على أولئك الذين عصوا أوامر الله، ولذلك تاهوا في صحراء سيناء حتى هلكوا ولم يروا الأرض المقدسة. وكان التيه لإفناء الجيل الذي خرج من قبضة الذل وتعود الاستعباد، وانشاء جيل آخر عزيز، مؤمن، موحد، منفذ لأوامر الله تعالى، متبع لنبيه. وتذكر التوراة أن في فترة التيه تكرر تمرد بني إسرائيل وعصيانهم وكثرت احتجاجاتهم وإيذائهم لنبيهم موسى عليه السلام، وفي كل تمرد وعصيان كان الله تعالى يعاقبهم ويؤدبهم،

---

(١) سفر العدد، الإصحاح الـ ١٣، الآية: ٣٠. لمزيد من التفاصيل حول عصيان بني إسرائيل، انظر: زنون كوسيدوفسكي، الأسطورة والحقيقة في التوراة، ترجمة: محمد مخلوف، دمشق، ١٩٩٦، ص١٠٠ ـ ١١٦؛ محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، صيدا، ١٩٦٩، ص٧٤ ـ ٧٥، ٨٦ ـ ٨٧، ٨٨ ـ ٩٠؛ محمد علي البار، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دمشق، ١٩٩٠، ص٢٣١ ـ ٢٦٨؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٢٣٥ ـ ٢٣٨.

حتى هلكت جماعات منهم. ولقد توفي موسى وهارون عليهما السلام في فترة التيه.

ويبدو أن الله تعالى قد حرّم على بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة على الجيل المعاصر لموسى عليه السلام حتى يخرج جيل جديد غير هذا الجيل، جيل يعتبر بالدرس وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها، صلب العود، غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان والظلم في مصر[1].

الأرض:

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٧٤):

أرض ثمود، وهي الحِجر[2].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ (الأعراف، ١٢٧):

قام الملأ وكبار رجال الدولة في مصر بتحريض فرعون على بنى إسرائيل وأخبروه أنهم يعملون على الإفساد في أرض مصر وهي دار مملكته وفيها سلطانه. وهم يرون الإفساد في إدخال رعية الفرعون في دين جديد وعبادة الله عز وجل بدلا من عبادة الفرعون والأصنام المصرية الأخرى[3].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، ١٩٨١، ج٢، ص٨٧١؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج١، ص٤٣٦-٤٣٧.

(٢) ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونس وإبراهيم عوض، القاهرة، ١٩٧٣، ج٢، ص٦٨؛ السمرقندي، التفسير، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص٥٥٢؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣؛ النسفي، التفسير، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ١٩٧٣، ج١، ص٥٥١.

(٣) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة، ١٩٦٩، ص٧٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٢٤؛ سعيد =

الأرض:

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (الأعراف: ١٢٨):

أرض مصر، وإن كانت الأرض كلها لله[١]. ولكن من المعروف أن بني إسرائيل استخلفهم الله تعالى في أرض فلسطين أو الأرض هنا بمعنى الأرض عامة.

الأرض:

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف، ١٢٩):

والمقصود على أقوال المفسرين: مصر؛ أو أرض مصر والشام، أو الأرض كلها لله[٢]؛ أو الأرض المقدسة[٣]؛ أو أرض الشام أو بيت المقدس[٤]. وعندما سمع بنو إسرائيل تهديدات فرعون بالقتل والإبادة والاستحياء، خافوا كثيرا وتوجهوا إلى موسى يشكون ضعف حالهم وهوانهم وتغلّب فرعون عليهم، فأجابهم عليه السلام بأن يصبروا ويصدقوا في إيمانهم

= حوى، الأساس في التفسير، بيروت، ١٩٨٥، ج٤، ص١٩٨١؛ السمرقندي، التفسير، ج١، ص٥٦٢؛ الطبري، التفسير، ج٩، ص٢٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٦؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٩، ص٥٣، ٥٥.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٢٥؛ السمرقندي، التفسير، ج١، ص٥٦٢؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٥٦٦.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٢٥؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٠٥؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٢٣٥، ٢٤٩؛ عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، ج٢، ص٦٠٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (التفسير)، بيروت، ١٩٨٨، ج٧، ص١٦٨.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٦٢.

(٤) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص١٩٨٢؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦٢.

ويطلبوا من الله العون والسداد وهذا هو سلاحهم في هذه الحرب المروعة. والنتيجة أن النصر سيكون لهم وأن الأرض والدار سيصبحان لهم[1].

مشارق الأرض ومغاربها:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف، ١٣٧):

اختلف العلماء في المقصود بوراثة بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأي أرض هي، على عدة أقوال:

فقيل: أرض مصر؛ أو مشارق الشام ومغاربها؛ أو مشارق أرض الشام ومصر؛ أو فلسطين من أرض الشام؛ أو قرى الشام؛ أو الأرض الواقعة بين العريش والفرات؛ أو الأرض على الإطلاق. وقد وردت الروايات بذلك عن قتادة وعبد الله بن شوذب وكعب الأحبار والحسن البصري وزيد بن أسلم وغيرهم[2]. وكان نتيجة لصبر بني إسرائيل ولجوئهم إلى الله تعالى وطغيان فرعون وظلمه أن أخذ الله الظالمين، المجرمين وأورث بني إسرائيل أرض الشام التي كانت تحت حكم الفرعون. وقد هاجروا إليها بعد ذلك، مؤمنين، موحدين فاستقروا فيها لصبرهم وإيمانهم. وهذا هو الأرجح[3].

الأرض المباركة:

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء: ٧١):

---

(١) وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٩، ص٥٤، ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٣، ص٢٤٥؛ ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٢؛ السمرقندي، التفسير، ج١، ص٥٦٥؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص١١١؛ القرطبي، التفسير، ج٧، ص١٧٣؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ج٢، ص٥٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٧٦.

(٣) وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٩، ص٧٣ ـ ٧٢.

أرض الشام، أو فلسطين، أو بيت المقدس، وبركاته تكمن في كون أكثر الأنبياء بُعثوا فيها، فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وهي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى عليه السلام وبها يهلك الدجال. وبركتها تكمن في كثرة النعم والخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار[1]. وعن كعب الأحبار أنها حران ويروي العوفي عن ابن عباس أنها مكة[2]. وقيل مصر والأصح أنها أرض الشام[3]. فهي مهبط الوحي فترة طويلة من الزمن، ومبعث الرسل من نسل إبراهيم عليه السلام، وفيها الأرض المقدسة وثاني الحرمين الشريفين وفيها بركة الخصب والرزق إلى جانب بركة الوحي والنبوة جيلا بعد جيل. وعلى أرض الشام حدثت معظم الأحداث مع الأنبياء الكرام الذين بعثهم الله تعالى واصطفاهم، وخصهم بتنزيل الوحي. ودعا النبي ﷺ لأرض الشام وأهلها بالبركة في أكثر من حديث[4]. وبها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وهي الأرض التي هاجر إليها إبراهيم مع لوط عليهما السلام، بأمر الله تعالى، وكما نصت الآية الكريمة. فقد صرّح النبي ﷺ في حديث سمعه عبد الله بن عمرو من رسول الله ﷺ حيث قال: «سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل

---

(١) أبو السعود، التفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، بيروت، (دار إحياء التراث العربي)، ١٩٩٤، ج٥، ص٧٧؛ ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، بيروت، ١٩٨٨، ص٩١؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٣٧٢؛ عبد الغني الدقر، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٣٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١١، ص١٥٦؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج٤، ص٧٤ ـ ٧٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٧، ص١٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣١١، ٣١٢.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٣٤٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٤١؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٣٦٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٧، ص٧٠.

(٤) إبراهيم العلي، الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لندن، ١٩٩٦، ص٧٧، ٦٧ ـ ٦٨، ٩٧ ـ ٩٩؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٣٨٨.

الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير»[1].

ووردت عدد من الروايات عن الصحابة والتابعين وغيرهم تبين بركة أرض الشام وتنوع خيراتها وفضائلها منها ما روي عن أبي بن كعب أن أرض الشام أرض مباركة، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت تلك الصخرة، وروي عن عبد الله بن سلام أن بالشام من قبور الأنبياء ١٧٠٠ قبر، وأن دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم، وروي عن قتادة أن الشام عماد دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وأنها أرض المحشر والمنشر وفيها ينزل عيسى عليه السلام[2].

الأرض المقدسة:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ (المائدة: ٢١):

الأرض المقدسة في اللغة: المكان الذي يتطهر فيه، وقيل: للسَّطْل «القُدُس» لأنه يتطهر منه. والمراد: البيت الذي يتطهر فيه الإنسان من الذنوب. أو إنها مقدسة لأنها طُهّرت من الشرك[3].

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾، (المائدة: ٢١) اختلف في المراد بالأرض المقدسة على أقوال:

---

(١) أخرجه أبو داوود في السنن، كتاب الجهاد، باب: في سكنى الشام، برقم: ٢٤٨٢، ج٣، ص١٠؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٢، ص٢٠٩. انظر كذلك: إبراهيم العلي، الأرض المقدسة، ص٥٠، ٦٨ ـ ٦٩ك ابن تيمية، مناقب الشام وأهله، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٧٧، ٧٩، ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٩١ ـ ٩٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٣.

(٣) السمرقندي، التفسير، ج١، ص٤٢٧؛ النويري، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٥.

(١) أرض بيت المقدس وما حولها[١]؛ أو:

(٢) فلسطين الواقعة بين البحر المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت. وهي أرض فلسطين الحالية، الجسر الواقع بين آسيا وأفريقيا، والمعروفة سابقا بأرض كنعان[٢]؛ أو:

(٣) الشام كلها بين الفرات وعريش مصر؛ أو:

(٤) الغوطة وفلسطين وبعض الأردن؛ وهي مقر الأنبياء ومسكن المؤمنين. والمقدسة أي المطهرة من الشرك، أو المباركة[٣]. أو لأنها قد قُدست بدفن إبراهيم في أول قرية من قراها وهي حبرون[٤].

(٥) ويرى مجاهد أن الأرض المقدسة هي الطور وما حوله[٥]. أو:

(٦) أنها مدينة القدس وما حولها إلى نهر الأردن إلى فلسطين، ومن البحر المتوسط إلى مداين لوط عرضا[٦].

(٧) أنها أرض مصر فقط[٧].

(٨) أو أنها أريحا[٨].

---

(١) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٤؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣١٢؛ NNABD, pp. 933 f.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١١٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٢، ص٣٢٣؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٤، ص٣٩٩؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٦، ص١٠٦؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧؛ الطبري، التفسير، ج١٠، ص١٦٧ ـ ١٦٨؛ عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، ج١، ص٤٣٢؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص١٦٩ ـ ١٧٠؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٦، ص١٤٦.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٦، ص١٦٢.

(٥) التفسير ج١، ص١٩١؛ الطبري، التفسير، ج١٠، ص١٦٧.

(٦) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٦.

(٧) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٨) النويري، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٥.

ويرجح الطبري أنها الأرض التي ما بين الفرات والعريش، لإجماع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك[1]. والأرجح أن الأرض المقدسة هي فلسطين بصورة خاصة وبلاد الشام بصورة عامة. وقد وردت الإشارة للأرض المقدسة في سياق تذكير موسى عليه الصلاة والسلام لقومه بأفضال الله تعالى ونعمه عليهم وكان منها دخول فلسطين للسكنى لا للملك لأنها مقر الأنبياء ومسكن المؤمنين. ولا يعني هذا الأمر هو وعد الله لبني إسرائيل لتملك فلسطين والاستقرار فيها. وعلى الرغم من زعم التوراة أن الله تعالى أعطى فلسطين لإبراهيم عليه السلام حيث يقول الرب «لنسلك أعطي هذه الأرض»، وقال الرب أيضا: «إرفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض». وقال: «انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له: هكذا يكون نسلك». وقال الرب أيضا: «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[2].

ولكن يقابل ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (البقرة: ١٢٤) أي أن الله تعالى وعد إبراهيم عليه السلام الإمامة في الدنيا والدين، فطلب إبراهيم الإمامة لذريته، فرد عليه الله تعالى أن الظالمين من ذريته لا ينالهم عهد الله ولا يحصلون على الإمامة أو النبوة، أما المؤمنون فتشملهم رحمة الله ووعده. وأيضا كم بقي من اليهود من ذرية يعقوب عليه السلام حتى ينالهم الوعد، نجد أنهم قليل جدا وليسوا كتراب الأرض. إضافة إلى أن كثيرا من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن بني إسرائيل، فإنها غالبا ما تذكر بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وقتلهم الأنبياء وكفرهم وارتكابهم المنكرات والفواحش. كما أن الوعد الإلهي الوارد في

---

(١) التفسير، ج١٠، ص١٦٨.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح: ١٢، الآية: ٧، الإصحاح: ١٣، الآيات: ١٤ ـ ١٧، الإصحاح: ١٥، الآية: ١٨.

القرآن بدخول بني إسرائيل الأرض المقدسة موقوف بالظرف الذي مُنحوه وليس على التأبيد، وذلك نتيجة صبرهم واستقامتهم. وإن الله تعالى لم يكرّم بني إسرائيل لأنهم مختارون من الله عز وجل بل كان أساس التكريم هو الإيمان والعمل الصالح والتقوى. وكان بنو إسرائيل في زمانهم مسلمين موحدين وسط أقوام وأمم من المشركين والكافرين[١]. كما أن بني إسرائيل كانوا ومازالوا من الظالمين فلا ينالهم عهد الله.

ومن هذه الآية في التوراة يتخذ اليهود منطلقا لإثبات أحقيتهم في فلسطين[٢] علما بأن تكثير نسل بني إسرائيل وجعلهم كتراب الأرض لم يتم ولن يتم أبدا فاليهود مهما بلغوا من الكثرة إلا أنهم قليلون، وهم بهذا لا يستحقون الوعد التوراتي لأنهم ليسوا كتراب الأرض[٣]. وإن كتابة الله أي قسمه في فلسطين لبني إسرائيل ليس لكونهم أبناء الرب بل لكونهم صالحين موحدين مطيعين لأوامر ربهم، ولكن في حالة الظلم والفسق والعصيان ليس لهم بقاء ولا وجود في الأرض المقدسة أبدا.

وإن توحد بني إسرائيل وإيمانهم بالله تعالى وطاعتهم لأوامر أنبيائهم هي التي تفتح لهم باب الإقامة في فلسطين وليس كونهم شعب الله المختار أو أن الرب وعدهم فلسطين في كل أحوالهم من الظلم والإفساد والإجرام. ولكن كلما انحرف بنو إسرائيل عن المنهج الإلهي أرسل الله عليهم من يسومهم سوء العذاب والهوان، تأديبا لهم وعقابا على جرائمهم.

---

(١) إبراهيم العلي، الأرض المقدسة، ص٢٤ ـ ٢٥، ٧٨؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دمشق، ١٩٩٨، ص٩٤ ـ ٩٦؛ عابد توفيق الهاشمي، عقيدة اليهود في تملك فلسطين، بدون بلد، ١٩٩٠، ٩٥ ـ ١٤٣؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص٥٣٧ ـ ٥٣٨، ٥٤٣ ـ ٥٤٦؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج١، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) NNABD, pp. 743, 933 f.

(٣) سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص٢٢ ـ ٢٣.

ولبيت المقدس (وهي القدس) تاريخ عظيم ودور كبير في تاريخ فلسطين.

الأرض:

﴿مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٦):

يراد بالأرض الدنيا، أو هي أرض مكة حيث كان المهاجرون فيها، وقد جفاهم قومهم وعادوهم، فآواهم الله تعالى في المدينة وصار أهلها أنصارا لهم، مؤمنين بالله عز وجل ثم نصرهم سبحانه على المشركين في بدر. والناس المتخطفون هم الأعداء المشركون من أهل مكة وغيرهم كالفرس والروم[١]. ورجّح الطبري أن المراد هم مشركو قريش لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين[٢].

الأرض:

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (يونس: ٧٨):

أرض مصر[٣].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٦١٩؛ الخازن، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٩؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٣١٩ ـ ٣٢٠. وقد عزا السيوطي (الدر المنثور، ج٣، ص١٧٧) والشوكاني (فتح القدير، ج٢، ص٣٠١) لأبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي في مسند الفردوس إخراج حديث يرويه ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾، «قيل يا رسول الله ومن الناس، قال: أهل فارس».

(٢) التفسير، ج١٣، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٣) صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٦.

الأرض:

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ (يوسف: ٥٥):

مصر[١].

الأرض:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (يوسف: ٥٦):

مصر[٢].

الأرض:

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ (يوسف: ٨٠):

المقصود أرض مصر[٣].

الأرض:

﴿ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ (الرعد: ٤١):

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ (الأنبياء: ٤٤):

أرض مكة خاصة، وهذه الآية عقبت قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ (الرعد: ٤٠) لإنذار المكذبين بأن ملامح نصر النبي ﷺ قد لاحت وتباشير ظفره قد بانت، وهي أيضا بشارة للنبي ﷺ بأن الله ناصره. وسبب اعتقاد البعض بأن المقصود بـ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ هو مكة يفسر بأن الله يؤكد أن سلطان

---

(١) ابن إياس، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم محمد عرب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٣؛ ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٣؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص١٦٦؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص١٤٨؛ الكندي، فضائل مصر، تحقيق: إبراهيم العدوي وعلي محمد، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٧.

(٢) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٣؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٨؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص١٦٦؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص١٥٢؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٣) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٣؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص١٧٢؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص٢٠٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٨.

الكافرين في مكة يتناقص في مقابل ازدياد سلطان وأراضي المسلمين في المدينة. أو بمعنى آخر أولم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة أنا نأتي الأرض فنفتحها لمحمد ﷺ أرضا بعد أرض. ورويت عدد من الروايات عن ابن عباس والضحاك والحسن البصري تفيد هذا المعنى[1]. ومن المرجح أن الآية تشير إلى جنس الأرض أي نأتي أية أرض من أراضي الأمم، وأطلقت الأرض هنا على أهلها مجازا[2]. ويجوز أن يراد بالنقصان هذا هو ما يحدث في الأرض من تغيرات بيئية وتضاريسية، فمن المعروف أن سطح الأرض بعضه يابس مرتفع وغير مرتفع، أي بمعنى أن الآية تشير إلى إنقاص سطحها اليابس، وحدوث هبوط في الشواطئ والتعرية وما تحدثه عوامل المناخ المختلفة[3].

الأرض:

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤):

الأرض بصورة عامة[4] أو أرض الشام وبيت المقدس أو الأرض المقدسة أو أرض فلسطين وقيل أرض مصر[5]. والأرض هنا واردة ضمن

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٣٤٠؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص١٧٣؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٣، ص١٧١ ـ ١٧٢؛ مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٠٢.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٣، ص١٧١. ووردت في المسألة عدة أقوال منها أن الأرض هي القرية التي تخرب حتى تبقى البيوت في ناحيتها، وهذا قول عكرمة. والبعض فسّر النقصان بزوال البركة وقلة الآهلين أو هو ذهاب الفقهاء والخيرين. (انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٣٤٠؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص١٧٣ ـ ١٧٤).

(٣) حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، القاهرة، ١٩٨٠، ص٣٩٣، ٣٩٩.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص١٥؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص١٥٦.

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٧؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص٧٩؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢١٣؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٩؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٥، ص٢١.

الحديث عن تاريخ بني إسرائيل وقضاء الله عليهم أي إعلامهم وإخبارهم بما سوف يحدث لهم، وهو قضاء قهري عليهم نتيجة أفعالهم القبيحة وظلمهم وعلوهم وطغيانهم. وقد ذكر الله تعالى إنعامه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم وجعلها هدى لهم. ولكنهم حرّفوا التوراة وسفكوا الدماء وقتلوا الأنبياء وأفسدوا في الأرض[١]. ونتيجة لإيراد القرآن الكريم ذكر الفساد مرتين وتسليط الله على بني إسرائيل من يسومهم العذاب والهوان والانتقام منهم بذل المفسرون والمؤرخون جهودا كبيرة، مختلفة ومتناقضة أحيانا ومتفقة في أحيان أخرى. وخرج البعض عن المعقول وخالف الوقائع التاريخية وأسس التاريخ الإسرائيلي. وبذل المفسرون والمؤرخون والرواة جهودا كبيرة أيضا في تحديد من هم الذين أذاقوا بني إسرائيل العذاب ومنهم المسلَّطون من الله عليهم وكيف ومتى كان ذلك.

وعلى العموم فإن المفسرين قد خلطوا كثيرا من المعلومات بعضها في بعض، فمثلا قالوا: إن بني إسرائيل تعرضوا لهجوم سنحاريب البابلي الذي خرّب بيت المقدس ثم ورثه حفيده بختنصر البابلي المجوسي الذي هاجم هو أيضا بيت المقدس للانتقام من بني إسرائيل الذين قتلوا زكريا ويحيى ابنه عليهما السلام. وأشاروا أيضا إلى قيام الملك أبطنانحوس وططوس بن إسبيانوس الرومي بمهاجمة بيت المقدس وقتل بني إسرائيل، بل أن ملك النبط صحابين وجالوت اشتركا كذلك في تعذيب بني إسرائيل وسبيهم وقتلهم[٢].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٤٩٥، ٥٩٦ ـ ٤٩٧؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص١٤ ـ ١٥؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٩٨؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢١٣؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٥، ص٢١.

(٢) لمزيد من التفاصيل والروايات، انظر مثلا: أبا حيان، المصدر السابق، ج٦، ص٩ ـ ١٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٧ ـ ٩؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص١٧ ـ ١٨؛ ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٤ ـ ٤٥؛ الخازن، المصدر السابق، =

ومما لا شك فيه أن لهذه الأسماء والأحداث واقع تاريخي حقيقي إلا أن الروايات والقصص شوهت كثيرا من الحقائق وغيّرت نطق الأسماء: فسنحريب هو أحد أشهر ملوك الآشوريين الذين وسعوا حدود الدولة، واتصف بالبطش والعنف والجبروت. وبختنصر هو نبوخذنصر الكلداني البابلي الذي تولى حكم بابل بين عامي ٦٠٥ و٥٦٢ ق.م.، وهو ليست له علاقة نسب بسنحاريب، بل العداء بين الكلدانيين والآشورين واضح، وكانت نهاية آشور على يدي نبوبولاصر والد نبوخذنصر؛ وأبطنانحوس هو الملك أنيطوخوس الرابع بن أنطيوخوس الثالث السلوقي الذي حكم الدولة السلوقية بين عامي ١٨٩ و١٩٠ ق.م. وططوس بن إسبيانوس هو الإمبراطور الروماني تيطس بن ڤيزپاسيان الذي هاجم بيت المقدس في عام ٧٠/ ٧١م. أما ملك النبط صحابين فلا يوجد ملك بهذا الاسم عند الأنباط أصحاب البتراء، وإن كان للأنباط علاقات سيئة وعدائية باليهود في فلسطين، أما جالوت فهو ملك الشعب الفلسطيني الذين قهروا بني إسرائيل.

وأورد الطبري في تفسيره حديثا عن النبي ﷺ، رواه عن عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني عن أبيه عن سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان. وهذا الحديث يشمل قصة عصيان بني إسرائيل والشعوب والملوك الذي تسلطوا عليهم، فلما اعتدى بنو إسرائيل على أنبيائهم وقتلوا زكريا عليه السلام، وأفسدوا في الأرض أتاهم ملك فارس بختنصر، وكان ملكه ٧٠٠ سنة وخرّب بيت المقدس وقتل على دم زكريا ٧٠ ألفا من بني إسرائيل ثم سبى أهل بيت المقدس وسلب حلي المدينة، ثم أقام بنو إسرائيل ١٠٠ سنة في بابل يعذبهم المجوس، ثم أوحى الله تعالى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورس بأن ينقذهم ويطلق سراحهم وجعلهم يعودون إلى فلسطين، فأقاموا على طاعة الله ١٠٠ سنة ثم

= ج٣، ص١٥٣ ـ ١٥٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص١٦٣ ـ ١٦٥؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ٢١ ـ ٢٢، ٢٤ ـ ٢٥، ٢٨.

عادوا إلى المعاصي والفساد، فسلط الله عليهم أبطيانحوس فغزاهم ثم غزاهم ملك رومية قاقس بن إسبايوس[1].

بلا شك فإن هذا الحديث معلول سندا ومتنا، ففي سنده رواد بن الجراح العسقلاني، قال عنه البخاري: كان قد اختلط لا يكاد يقوم حديثه، ليس له كبير حديث قائم، وقال عنه: النسائي: ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط؛ وعن ابن أبي حاتم أنه: مضطرب الحديث، تغير حفظه في آخر عمره؛ وقال الدارقطني: متروك؛ وذكر أبو أحمد بن عدي أن لرواد أحاديث صالحة وإفرادات وغرائب ينفرد بها عن سفيان الثوري، وعامة ما يرويه عن مشايخه لا يتابعه الناس، وذكر الإمام أحمد أنه لا بأس به، صاحب سنة إلا أنه حدّث عن سفيان أحاديث مناكير، وقال ابن معين: ليس به بأس، إنما غلط في حديث الثوري. وحتى مع توثيق الإمام أحمد وابن معين إلا أنهما ذكرا بأن أحاديثه عن سفيان الثوري أحاديث منكرة، وهذا الحديث رواه رواد عن الثوري[2]. أما ولده عصام فقد ليّنه أبو أحمد الحاكم، ووثقه ابن حبان[3].

---

(1) التفسير، ج١٥، ص٢١ ـ ٢٢. وانظر تعليق محمد بن محمد أبو شهبة على هذا الحديث. (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير والحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص٢٣٧ ـ ٢٣٩). ويُنسب حديث آخر للنبي ﷺ أن ملكا يدعى طاهر بن أسمايوس قد غزا بني إسرائيل فسباهم وأحرق بيت المقدس، وحمل في البحر ١٩٠٠ سفينة ملأى حتى أوردها الرومية. وهذا لا يصح، فهو منكر، ويتعارض أيضا مع وقائع التاريخ المعروفة. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، إعداد: علي حسن علي الحلبي وآخرين، الرياض، ١٩٩٩، ج٦، ص١٦٠).

(2) أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٣، ص١٧٦ ـ ١٧٩؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٣، ص٢٨٨ ـ ٢٩٠؛ الإمام أحمد، كتاب العلل، تعليق: طلعت قوج وإسماعيل أوغلي، إستانبول، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٣؛ خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج٣، ص٤٩٢ ـ ٤٩٤؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٥٥ ـ ٥٦؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٩، ص٢٢٧ ـ ٢٣٠؛ رجال تفسير الطبري، ص١٩٢.

(3) خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج٧، ص٢٨٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٦٦؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٩٠.

أما متن الحديث فهو لا يدل على أن قائله هو رسول الله ﷺ، ففي نص الحديث أخطاء تاريخية كبيرة، هي أن نبوخذنصر لم تكن سنوات حكمه تزيد عن ثلاث وأربعين سنة فكيف وصلت إلى ٧٠٠ سنة، وقيامه بغزو فلسطين ومهاجمة بيت المقدس ليس له علاقة بقتل زكريا، بل نتيجة لخيانة يهود تحالفهم مع الكلدانيين، كما أن زكريا كان قريب العهد جدا من زمان عيسى بن مريم، وغزو بيت المقدس كان في حوالي عام ٥٨٥ ق.م. ويبدو أن الأمر قد اختلط على المفسرين والرواة في موضوع زكريا، حيث عُرف أكثر من شخص بهذا الاسم، من السابقين على زكريا المعاصر لمريم عليهما السلام، وأشهرهم زكريا بن يهوياداع، كبير كهنة يهوذا، المعاصر لملك يهوذا يوآش (حوالي: ٨٣٦ ـ ٧٩٧ ق.م.)، الذي انحرف عن عبادة الله تعالى وعبد الأصنام وارتكب المنكرات والفواحش، وارتد الشعب عن الدين، فنهاهم زكريا ووعظهم وتوعدهم بالعذاب الإلهي، ولكنهم أصروا على العصيان، ثم أمر الملك برجمه. وقد ابتُلي يوآش بالأمراض ثم قُتل على يد عبيده[١]. وزكريا بن برخيا بن عدو، النبي الحادي عشر بين الأنبياء الصغار حسب ترتيب العهد القديم. وقد ظهر في عصر الملك الفارسي داريوس الأول[٢]. ونبوخذنصر هذا ليس ملك فارس بل هو ملك بابل. أما كورس فهو قورش الملك الفارسي المشهور، مؤسس الدولة الأخمينية الفارسية المشهورة، وهو فعلا الذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد فتحه بابل وإسقاط الدولة الكلدانية في عام ٥٣٩ ق.م. وحتى بقاء بني إسرائيل على الطاعة مدة ١٠٠ سنة ثم عودتهم إلى المعاصي وتسليط الله عليهم الملك أبطيانحوس، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية الخاصة باليهود.

---

(١) العهد القديم، سفر الأخبار الأول، الإصحاح: ٢٤، الآيات: ١٧ـ٢٧؛ إنجيل متى، الإصحاح: ٢٣، الآيتان: ٣٥ـ٣٦؛ إنجيل لوقا، الإصحاح: ١١، الآية: ٥١؛ بطرس عبد الملك، المرجع السابق، ص٤٢٨، ١١٠١؛ تفسير الكتاب المقدس، ج٤، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ NNABD, pp. 682, 1332.

(٢) العهد القديم، سفر زكريا، الإصحاحات: ١١ ـ ١٤؛ بطرس عبد الملك، المرجع السابق، ص٤٢٨؛ NNABD, pp. 1332 - 1335.

فأبطيانحوس هو بلا شك الملك السلوقي المعروف، أنطيوخوس الزابع الذي هاجم اليهود في فلسطين وحاصر بيت المقدس بعدما ثار عليه اليهود في عام ١٦٨ ق.م. فعلى هذا فإن ما بين زمان قورش وأنطيوخوس أكثر من مائتي عام. أما قاقس بن إسبايوس فهو على الأرجح تيطس بن ڤيزپازيان، الإمبراطور الروماني الذي أخمد ثورة اليهود ودمّر بيت المقدس بين عامي ٧٠ و٧١م.

ولهذه العلل، علّق الحافظ ابن كثير على هذه القصة بقوله: «وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب، كيف راج عليه (أي الطبري) مع جلالة قدره وإمامته، وقد صرّح شيخنا أبو الحجاج المزي، رحمه الله، بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب (تفسير الطبري)»[١].

ونتيجة لتعدد الوقائع والتدمير والتخريب الذي تعرض له بنو إسرائيل على مر تاريخهم، وتكرر إفسادهم أكثر عن مرة فبالتالي فإن الآيات الكريمات ربما لا تتحدث عن وقائع حدثت في الزمن القديم لليهود. كما أن مظاهر فساد بني إسرائيل وطغيانهم وعلوهم لم تكن فقط في زمن واحد بل تعددت المظاهر وتنوعت، فمثلا عبد بنو إسرائيل العجل الذهبي بمجرد وفاة سليمان عليه السلام، ثم توالت انحرافاتهم في العصور المختلفة، وفسدت عقيدتهم وضلوا ضلالا بعيدا[٢]. ونتيجة لهذه الانحرافات تعددت أيضا

---

(١) التفسير، ج٥، ص١٤٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر مثلا: العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢، الآية: ١ـ٦؛ سفر دانيال، الإصحاح: ٩، الآية: ١ـ٢٧؛ سفر هوشع، الإصحاح: ٨، الآية: ١ـ١٤؛ سفر عاموس، الإصحاح: ٩، الآية: ٨ـ٩؛ زنون كوسيدوفسكي، المرجع السابق، ص٣٠٤ـ٤٠٤، ٣٠٨ـ٣٠٩، ٣١٩ـ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٨، ٣٥٤؛ القاسمي، التفسير، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، ١٩٩٤، ج٤، ص٥٧٥ـ٥٧٦؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص٢١١ـ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦ـ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣١ـ٢٣٢، ٢٣٥ـ٢٤٠؛ DKIFB, pp. 160 - 161.

الغزوات والمصائب التي تعرض لها بنو إسرائيل، مثل غزو الملك المصري شاشناق الأول لبيت المقدس بعد وفاة سليمان عليه السلام، وغزو ملوك آشور: آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م.) وتجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م.) وشلمنصر الخامس (٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق.م.) وسرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م.) وسنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م.)، وغزو ملك بابل: نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م.)، وهجوم الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع، وتخريب الإمبراطور الروماني تيطس (٧٠/ ٧١م.)، وتخريب الإمبراطور الروماني هادريان (١١٧ ـ ١٣٨م.). كما شارك بعض أباطرة بيزنطة في اضطهاد اليهود وكرهوا فيهم حبهم للإفساد والعصيان وإثارة الفتن، ومن هؤلاء الأباطرة: جوستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٧م.) وهرقل (٦١١ ـ ٦٤١م.) ونتيجة لهذه الحروب فقد قُتل آلاف من اليهود وسُبي آلاف وهُجّر آلاف وحُرّم عليهم دخول فلسطين. وخضعوا لهذه الدول وذلوا لها وفقدوا حريتهم(١).

(١) لمزيد من التفاصيل حول أوضاع اليهود مع هذه الدول وهؤلاء الملوك، انظر مثلا: العهد القديم، سفر الملوك الثاني، الإصحاح: ١٥، الآية: ٢٩؛ الإصحاح: ١٦، الآية: ٧ ـ ٨؛ الإصحاح: ١٨، الآية: ١٤ ـ ٢٦؛ الإصحاح: ١٩، الآية: ٣٥ ـ ٣٧؛ الإصحاح: ٢٤، الآية: ١ ـ ٤، ١٢ ـ ١٦؛ الإصحاح: ٢٥، الآية: ٧ ـ ٣٠؛ سفر الأخبار الأول، الإصحاح: ٥، الآية: ٢٦؛ الأخبار الثاني، الإصحاح: ٣٦، الآيات: ٥ ـ ٢١؛ ملاخي، الإصحاح ١، الآية: ٦، الإصحاح: ٢، الآيات: ١ ـ ٩؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٢١٩ ـ ٢٢٠، ٤٨٧ ـ ٤٨٩، ٩٥٤ ـ ٩٥٥؛ تفسير الكتاب المقدس، ج٢، ص٣٢٣، ج٤، ص١٦٠ ـ ١٦٥، ١٧٢ ـ ١٧٥، ٣٦٤ ـ ٣٦٩، ٤٩٠ ـ ٤٩١؛ زنون كوسيدوفسكي، المرجع السابق، ص٣٢٠، ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ٣٢٦ ـ ٣٣١، ٣٥٥ ـ ٣٥٧؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص٢٠٦ ـ ٢٠٨، ٢٩٦، ٢٩٩ ـ ٣٠٢، ٣١٧ ـ ٣١٨، ٣١٩ ـ ٣٢٧، ٣٧٨ ـ ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٢؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام ١٣٥ م، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج٢، ص٨٨٩ ـ ٩١٤، ٩٩١ ـ ١٠٠٢، ١٠١٧ ـ ١٠٢٤؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٣ ـ ٣٨٩، ٣٩١، =

وقال البعض أن الآيات تتحدث عن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وهم الذين أجلى قبائلهم الثلاث من المدنية، وغزاهم في خيبر ووادي القرى وتيماء، وهذا يراه البعض هو المقصود بتعرض اليهود للعذاب والهوان في المرة الأولى، ثم عودة بني إسرائيل للفساد والإفساد ربما هو دليل لما يحدث في العصر الحديث من قيام دولة الظلم والطغيان اليهودية في فلسطين، حتى تزول على أيدي المسلمين الصالحين في المستقبل القريب إن شاء الله[١].

بهذا التفسير فإن كلمة أرض الواردة في الآية تشير إلى الأرض بصورة عامة أو الديار والبلاد وليس أرض الشام وبيت المقدس[٢].

الأرض:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (الإسراء: ٧٦):

أرض المدينة المنورة. وقد ورد عن ابن عباس أن اليهود حسدت مقام النبي ﷺ في المدينة، فقالوا: إنما الأنبياء بعثوا في الشام، فإن كنت نبيا حقا فالحق بها[٣]. وقال مجاهد وقتادة والحسن هم أهل مكة الذين هموا بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، أو أرض العرب[٤].

= ٣٩٥ ـ ٤٠٠، ٤٠١، ٤١٥ ـ ٤٢٧، ٤٤٠ ـ ٤٤٢، ٤٦٢ ـ ٤٦٣؛

Tadmor, H., "The Period of the First Temple, the Babylonian Exile and the Restoration", in H. H. Ben-Sasson, A History of the Jewish People, London, 1976, pp. 91 - 182.

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا الرأي، انظر: ثابت عبد الحليم الخواجا، حتمية زوال دولة إسرائيل، بيروت، ١٩٩٥، أغلب صفحات الكتاب؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٦، ص٣٠٤٠ ـ ٣٠٤١؛ عبد الستار فتح الله سعيد، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص٨٩. انظر كذلك رد محمد سيد طنطاوي على هذا الرأي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، القاهرة، ج٢، ص٣٧٣. ـ ٣٩٦.

(٢) ثابت عبد الحليم الخواجا، المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص١١٢ ـ ١١٣.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٦٩ ـ ٧٠؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص٦٥ ـ ٦٦؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٦، ص٣١٠٤؛ الشوكاني، =

الأرض:

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ (الإسراء: ٩٠):

أي ببلدنا هذا، مكة، وكانت قليلة الماء[(١)].

الأرض:

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ (الإسراء: ١٠٣):

أرض مصر[(٢)]، وقيل: الأردن وفلسطين ومصر[(٣)].

الأرض:

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الإسراء: ١٠٤):

أرض مصر أو أرض الشام وفلسطين[(٤)].

= المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٧؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص١٣٢ ـ ١٣٣؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٣؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ٣٢٢؛ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص٢١٩ ـ ٢٢٠؛ يحيى بن سلام، المصدر السابق، ص٢٤٦. ينكر محمد الطاهر بن عاشور كون اليهود قد طالبوا الرسول ﷺ بالهجرة إلى الشام. (المرجع السابق، ج١٥، ص١٨٠ ـ ١٨١). انظر كذلك رأي ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص١٥٦ ـ ١٥٨.

(١) الطبري، التفسير، ج١٥، ص١٦٠؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٥، ص٢٠٧؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٧.

(٢) أحمد الصاوي، المصدر السباق، ج٢، ص٣٦٥؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص١٣٥؛ الغرناطي، المصدر السابق، ح. ٢، ص٣٢٩؛ الواحدي، الوسيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت، ١٩٩٤، ج٣، ص١٣١؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٥، ص١٨٣.

(٣) السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٢٧٦.

(٤) أحمد الصاوي، المصدر السباق، ج٢، ص٣٦٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص١٣٥؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٢٨٦؛ صديق بن حسن القنوجي =

الأرض:

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٥):

قيل: هي أرض الشام، وقيل: هي الأرض المقدسة، والعباد الصالحون هم أمة محمد ﷺ، أو هم بنو إسرائيل، إذ يخبر تعالى ما صنعه معهم، أي فافعلوا إنّا كنّا وفّينا لهم بما وعدناهم فكذلك ننجز لكم ما وعدناكم من النصرة والتمكين والوراثة. والأرجح أن العباد الصالحون هم المسلمون[1] الذين يصلون ويعبدون الله تعالى. ومن المحتمل تعني الآية وراثة الأمة المسلمة للأرض المقدسة. وقيل أن ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ هي أرض الجنة كما روي ذلك عن ابن عباس وكثير من المفسرين، وقيل هي الدنيا، وترثها أمة محمد ﷺ بالفتوح. وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله[2]. ويدل على هذا قول رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»[3].

= البخاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٨١؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٥، ص١٨٣.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص٣٥٩؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٣٨٢. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، قال أبو الدرداء: فنحن الصالحون». وقد عزا السيوطي إخراج هذا الحديث إلى البخاري في التاريخ وابن أبي حاتم. (السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٤١). ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٤٧١؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٧، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٤٧٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١٠، ص٢١٥ ـ ٢١٦؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٦، ص٨٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٧، ص١٠٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص٣٥٨؛ السمرقندي، التفسير، ج٥، ص٣٨٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٤١؛ الطبري، التفسير، ج١٧، ص١٠٤. ـ ١٠٥؛ القرطبي، التفسير، مج٦، ص٢٣١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨، ص١٣.

الأرض:

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور: ٥٥):

أي أرض الكفار أو مكة وقيل أرض المدينة، أو بلاد العرب والعجم وأرض المشركين والمعنى يبدو عاما. وهذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد بالاستخلاف كما استخلف بني إسرائيل في الشام[1].

الأرض:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (النمل: ٤٨):

هي أرض الحجر، ديار ثمود[2].

الأرض:

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (النمل: ٨٢):

روي أن الأرض هي مكة[3]، وورد عن النبي ﷺ قوله أن للدابة «ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية (مكة)، ثم تكمن زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٦٢٨؛ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٨٨، ج٣، ص٤١٢؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٦، ص٥٨؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٤٤٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، مج٨، ص٤١٣؛ أحمد المراغي، التفسير، القاهرة، ١٩٧٤، ج١٨، ص١٢٦؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٥١٩.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص١٨١؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٦، ص١٧٠؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٤٩٩.

(٣) ذكر السيوطي أن هذا قول إبراهيم، وعزا إخراجه إلى عبد الرزاق (التفسير، ج٣، ص٨٥) وابن أبي شيبة وعبد بن حميد. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٥).

ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية (مكة)، ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، (حذاء دار بني مخزوم يمين الخارج من المسجد) تنفض عن رأسها الغبار»[1]. وللحديث رواية أخرى بلفظ: «يكون للدابة ثلاث

---

(١) عزا ابن كثير إخراج هذا الحديث إلى الطيالسي عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة، كما رواه ابن جرير عن حذيفة بن أسيد موقوفا، ومن طريق حذيفة بن اليمان مرفوعا وفيه أن ذلك في زمان عيسى عليه السلام وهو يطوف بالبيت، وقال ابن كثير عن هذا الحديث أن إسناده لا يصح. (ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٢٠ ـ ٢٢١). ومع أن الطيالسي روى هذا الحديث بإسنادين إلا أن في الأول طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي وهو ضعيف، متروك الحديث، والثاني فيه مجهول، وهو منقطع. (انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٨٣؛ ابن الملقن، مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد، الرياض، ١٤١١هـ، ج٧، ص٣٣٥٨ ـ ٣٣٦٠؛ رجال تفسير الطبري، ص٢٨٨؛ القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: محمود بن منصور البسطويسي، المدينة، ١٩٩٧، ج٢، ص٥٧٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٨، ص٧). ويورد الحاكم حديث أبي سريحة بألفاظ مختلفة قليلا، ويقول عنه أنه حديث صحيح الإسناد، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه. كما يروي حديث حذيفة بن اليمان ويقول عنه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (انظر: المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج٤، ص٥٣١، رقم: ٨٤٩٠/ ١٩٨، ٨٤٩١/ ١٩٩). وأورد السيوطي هذا الحديث باختلاف بسيط، وعزا إخراجه إلى ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا، كما عزا إخراج حديث حذيفة بن أسيد إلى الطيالسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٦. انظر كذلك: الفخر الرازي، المصدر السابق، مج٨، ص٥٧٢؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص١٥٧؛ الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المجمعين، تحقيق: عبد القدوس نذير، الرياض، ١٩٩٢، ج٧، ص٣٠٣، رقم: ٤٤٩٢). وروى عبد الرزاق حديثا مشابها من رواية هشام بن حسان عن قيس بن سعد عن أبي الطفيل عن حذيفة. (التفسير، ج٢، ص٨٤). وهشام ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين. وقيس ثقة أيضا. (انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٥٧، ٥٧٢؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٥٨، ٥٦٦). وهذا الحديث رواه الحاكم موقوفا على أبي سريحة. وقد أخرجه =

خرجات من الدهر: فتخرج خروجا بأقصى اليمن، فيفشو ذكرها في البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة، فيفشو ذكرها في البادية لا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة. فبينما الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل، يعني المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو»[1]. وفي رواية أخرى أن حذيفة بن أسيد سأل النبي ﷺ «من أين تخرج الدابة قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ذات وبر وريش»[2] وعن بريدة الأسلمي قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال

= أيضا ابن جرير في تفسيره (ج٢٠، ص١٤ ـ ١٥) وابن أبي شيبة في المصنف. ورجال سند الحديث ثقات، رجال الشيخين، إلى طبقة شيوخهما، عدا قيس بن سعد، فإن البخاري إنما روى له تعليقا. ويقول محقق كتاب ابن الملقن: «ومثل هذا الحديث له حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأنه إخبار عن أمر غيبي، لا مجال للرأي فيه». (انظر: ابن الملقن، مختصر استدراك الحافظ الذهبي، ج٧، ص٣٣٦١ ـ ٣٣٦٣). وقيل أن الدابة هي فصيل ناقة صالح، بدليل أنها تخرج ترغو. (انظر: القرطبي، التذكرة، ج٢، ص٥٨٢؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص١٥٦). وورد بسند ضعيف جدا أن الدابة هي الثعبان الذي كان في جوفه الكعبة عند بناء قريش لها، واختطفه العقاب. وفي سند الروايتين أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري وإبراهيم بن إسماعيل الأنصاري وعبد العزير بن عمران، وهم ضعفاء. (انظر: الفاكهي، أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة، ١٩٩٧، ج٤، ص٣٧ ـ ٣٨).

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣١٩. لمزيد من الروايات وتخريجها، انظر: نعيم بن حمّاد، الفتن، تعليق وتصحيح: مجدي منصور سيد، بيروت، ١٩٩٧، ص٤٤٥ ـ ٤٥٠.

(٢) الطبري، التفسير، ج٢٠، ص١٥. وهذا الحديث في سنده عصام بن رواد بن الجراح وأبيه. وفيهما نظر ولقد أشرنا إليهما سابقا.

رسول الله ﷺ: تخرج الدابة من هذا الموضع، فإذا هو فتر (بين الإبهام والسبابة) في شبر[(١)].

وروي عن عبد الله بن عمرو أنها تخرج من صدع من الصفا، وعنه أيضا أنها تخرج من صخرة بجياد (أجياد)[(٢)]. وعن ابن عمر قال: «تخرج

---

(١) روى هذا الحديث ابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب: دابة الأرض، رقم: ٤٠٦٦، ٤٠٦٧؛ والإمام أحمد. انظر: البنا الساعاتي، الفتح الرباني، ج٢٣، ص٩٦؛ مرويات الإمام أحمد في التفسير، ج٣، ص٨٧. وللحديث رواية أخرى أيضا عن بريدة، والحديث بروايتيه ضعيف، ففي سنده أبو عصام خالد بن عبيد العتكي، وهو متروك. (انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٨٩؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة، ج١، ص٥٩١، رقم: ٢١٤١، ج٤، ص٥٨٠، رقم: ١٠٩٣٣). وعزا السيوطي إخراج هذا الحديث إلى البخاري في تاريخه وابن مردويه. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٧). وفي موضوع الدابة ترد أحاديث وآثار تصف شكلها وهيئتها ولونها، وهي لا تصح. (انظر: أبا السعود، المصدر السابق، ج٦، ص٣٠٠ ـ ٣٠٢؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٢٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣١٩ ـ ٣٢٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص١١٥؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص١٥٦ ـ ١٥٧؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٠، ص٣٩؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة، ج٣، ص٥٢٦، رقم: ٨٠٣٤). يقول المراغي: «وما جاء في وصف الدابة والمبالغة في طولها وعرضها وزمان خروجها ومكانه مما لا يركن إليه، فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبت بالدليل القاطع عن الرسول المعصوم ص». (المرجع السابق، ج٢٠، ص٢٢).

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٢٣. والأثر عن ابن عمرو ضعيف. (موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة، ج٣، ص٥٢٦، رقم: ٨٠٣٣). وقد عزا السيوطي إخراج أثر ابن عمرو إلى عبد بن حميد. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٥). وروى مثل هذا الحديث الفاكهي في أخبار مكة، وقال محققه أن رجاله موثقون ما عدا أحمد بن صالح فهو لم يقف على ترجمته. (أخبار مكة، ج٤، ص٣٩ ـ ٤٠). وعند البغوي والطبري هذا الأثر عن ابن عمر (معالم التنزيل، ج٤، ص٣٢٠؛ التفسير، ج٢٠، ص١٥). والأثر عن ابن عمر من رواية فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر. ومرزوق يضعف في روايته عن عطية، مع ضعف عطية. (انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص٤٤٨؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٤٧ ـ ٤٤٨).

الدابة من صدع الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج»[1]. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قوله: «بئس الشعب شعب أجياد، مرتين أو ثلاثا، قيل: ولم ذلك يا رسول الله، قال: تخرج منه الدابة، فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين»[2]. وعن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه، وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه[3].

وورد عن ابن عمر قوله وهو بمكة «لو شئت لأخذت سِبْتِيَّتَيَّ (أي نعلي) هاتين ثم مشيت حتى أدخل الوادي الذي تخرج منه دابة الأرض». وعن

---

(١) عزا السيوطي إخراجه إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.(الدر المنثور، ج٥، ص١١٧). وروى أبو يعلى عن ابن عمر قوله: «ألا أريكم المكان الذي قال رسول الله ﷺ أرى أن الدابة تخرج منه فضرب بعصاه الشق الذي في الصفا، وقال: أنها ذات ريش وزغب، وأنه يخرج ثلثها حضر الفرس الجواد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ». وهو حديث ضعيف ففيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس. (انظر: أبا يعلى، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، بيروت، ١٩٨٥، ج١٠، ص٦٧، رقم: ٥٧٠٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٨، ص٧).

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٢٠. وهذا الحديث ضعيف ففي سنده رباح بن عبيد الله بن عمرو، وهو ضعيف جدا، منكر الحديث. (انظر: القرطبي، التذكرة، ج٢، ص٥٧٨؛ الهيثمي، مجمع البحرين، ج٧، ص٣٠٢، رقم: ٤٤٩١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٨، ص٧ ـ ٨). عزا السيوطي إخراج هذا الحديث إلى ابن مردويه والبيهقي في البعث. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٧). كما يورد السيوطي عن ابن عمر قوله: «تخرج الدابة من جبل جياد أيام التشريق والناس بمنى» ويعزو إخراجه إلى ابن أبي شيبة والخطيب في تالي التلخيص وفي التلخيص وفي رواية عن ابن عمر أيضا: «تخرج الدابة من تحت صخرة بجياد، تستقبل المشرق فتصرخ صرخة ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة منفذة ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان» وعزا السيوطي إخراجها إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٧).

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٢٠. وروى السيوطي عن ابن عمر أنه ضرب بعصاه الصفا، قِبل الشق الذي في الصفا، وقال: إنه من هنا تخرج الدابة. وعزا إخراج هذا الأثر إلى ابن مردويه. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٦).

ابن عباس أن الدابة تخرج من بعض أودية تهامة. وكذا روي عن قتادة[1]. ويقال: إنه سوف تخرج من جبل أبي قبيس أو من الطائف وقيل من مسجد الكوفة حيث فار تنور نوح. ويروي وهب عن العزير أن الدابة سوف تخرج من تحت سدوم[2]. ويبدو أن اضطراب وضعف الروايات والآثار في تحديد مكان ظهور الدابة يدل على عدم صحة تحديد مكان ظهورها في مكة. وربما لفظة ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ الواردة في الآية تعني أي مكان من الأرض. وأما خروجها من غير تحديد المكان فقد دلت عليه أحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «تطلع الشمس من مغربها وتخرج الدابة على الناس ضحى فأيهما خرج قبل صاحبه فالأخرى منها قريب، ولا أحسبه إلا طلوع الشمس من مغربها هي التي أولا»[3].

الأرض:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٤):

أرض مصر التي استكبر فيها فرعون وتجبر وجعل أهلها فرقا وأصنافا، واستضعف بني إسرائيل يقتّل ويستعبد منهم من يشاء[4].

---

(١) عزا السيوطي إخراج أثر ابن عمر إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في البعث. وأثر ابن عباس إلى سعيد بن منصور ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. (الدر المنثور، ج٥، ص١١٦). وروى أثر ابن عمر كذلك الفاكهي في أخبار مكة، وقال عن سنده محقق الكتاب أن رجاله موثقون، وقتادة بن دعامة، مدلس، وقد عنعن. (أخبار مكة، ج٤، ص٣٩). انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٢٠، ص١٥.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٢٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٦، ص١٥١؛ صديق ابن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص١٥٥ ـ ١٥٦؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص١٥٧.

(٣) الإمام أحمد، المسند، ج٢، ص١٦٤.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٠١؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٢٦؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٥٠٨.

الأرض:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٥):

أرض مصر[١].

الأرض:

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٦):

أرض مصر أو أرض مصر والشام[٢]. ومن خلال تاريخ بني إسرائيل يتضح أن المقصود بالأرض هي بلاد الشام وبالذات فلسطين.

الأرض:

﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ١٩)

مصر[٣].

الأرض:

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٣٩):

أي أرض مصر[٤].

أرضنا:

﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ (طه: ٥٧):

أرض مصر[٥].

---

(١) السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٥٠٩.

(٢) أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٩؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٢٦؛ ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٢؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٢٨.

(٣) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٤؛ ابن إياس، نزهة الأمم، ص٢٣؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٨.

(٤) أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٢١٨؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٠.

(٥) المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٧.

أرضنا:

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ (القصص: ٥٧):

الأرض يعنون بها أرض مكة، والتخطف الانتزاع بسرعة، وكان مشركوا قريش يحتجون بأنهم إن هم آمنوا واتبعوا الرسول ﷺ سوف تنازعهم العرب وينتزعونهم من أرضهم. فرد الله تعالى عليهم أنه أسكنهم أرض الحرم الآمن[١].

أرضي:

﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ (العنكبوت: ٥٦):

أرض المدينة المنورة، بمعنى إن كنتم في ضيق من إظهار الإسلام بمكة فإن أرضي يعني المدنية المنورة واسعة بإظهار الإسلام[٢].

الأرض:

﴿أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦﴾ (غافر: ٢٦):

مصر[٣].

الأرض:

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (غافر: ٢٩):

مصر[٤].

---

(١) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٣؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٤، ص٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٦، ص١٤٧؛ السمرقندي، التفسير، ج٣، ص١٦٦؛ فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٢٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٦؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٨.

(٢) النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٣.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٥١؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٩٣ ـ ٩٤.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ج٦، ص٢٥١؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٥٤٢؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٥٤؛ مقاتل بن سليمان، المصدر السابق، ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

الأرض الجرز:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (السجدة: ٢٧):

يروى عن ابن عباس أنها أرض باليمن، وعن مجاهد أنها الأرض التي لا تنبت وهي أرض أبين ونحوها من الأرض، وعن الحسن أنها قرى فيما بين اليمن والشام. وقيل أيضا أن الأرض هي أرض مصر[1].

وعلى الأرجح أن الآية عامة في الماء الذي يسوقه الله تعالى إلى الأراضي القاحلة فتصبح مخضرة يانعة[2].

أرضهم ـ أرضاً:

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ (الأحزاب: ٢٧):

هذا وعد من الله تعالى للمسلمين بفتح أراض لم يكن فتحت من قبل وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، وقيل خيبر وقيل فارس والروم، أو هي كل أرض يفتحها المسلمون إلى يوم القيامة[3]. ويرجح البعض أن المقصود هو أرض بني قريظة لأنه تعالى قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ بالماضي، وهي التي كانوا أخذوها حينئذ وأما غيرها فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٢، ص٤٩؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٣٧٣، ٣٧٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٢٨؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٧، ج١، ص٨؛ نفس المؤلف، الدر المنثور، ج٥، ص١٧٩؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١١٥.

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٨، ص٤٣٧٣؛ السمرقندي، التفسير، ج٣، ص٣٣؛ مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخريج: أحمد أحمد البرزة وآخرين، الرياض، ١٩٩٤، ج٣، ص٣٨٠.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٧٥؛ ابن كثير، التفسير، ج٣، ص٣٩٩؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٢، ص١٦١؛ البقاعي، المصدر السابق، ج١٥.، ص٣٣٥؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٨، ص٤٤٠٤؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١٥٥؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٦.

لقال «يورثكم»، وإنما كررها بالعطف ليصفها بقوله ﴿لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ أي لم تدخلوها قبل ذلك[1].

الأرض:

﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (غافر: ٢٩):

قيل: هي أرض مصر[2].

أرضكم:

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْۖ﴾ (الأعراف: ١١٠):

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ (طه: ٦٣):

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الشعراء: ٣٥):

هي مصر[3]. ففي سورة الأعراف تأتي لفظة ﴿أَرْضِكُمْۖ﴾ من قول فرعون، ولم يقل من أرضي أو أرض فرعون، إغراء لملئه وقومه، وتحريضا على بغض موسى عليه السلام وذمه، بنسبة الأرض إليهم وتألفا لقلوبهم ليوهم أنه يعدل في ملكه كأنه ليس له أرض وإنما الأرض لهم[4].

إرم ذات العماد:

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ (الفجر: ٧):

تنقسم الآراء أيضا في تفسير وتعريف إرم الواردة في الآية إلى رأيين، فرأي يرى أنها أرض أو مدينة ورأي يرى أنها اسم مرادف لعاد.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٨٤٩؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١٥٥؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٦.

(٢) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ٧٢؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج ٦، ص ١٤٧؛ السمرقندي، التفسير، ج٣، ص ١٦٦.

(٣) أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص١٨؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص٧١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٤٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٥٦٢.

(٤) السيوطي، قطف الأزهار، تحقيق: أحمد الحمادي، الدوحة، ١٩٩٤، ج٢، ص١٠٣٩.

وإرم في اللغة حجارة تنصب في البرية على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور، علما يهتدى بها، والجمع آرام وأروم[١].

واختلف المفسرون والمؤرخون والجغرافيون والأخباريون في تحديد هوية واسم مدينة عاد فقيل إنها دمشق[٢]. وأورد ابن عساكر[٣] ست روايات في أن دمشق هي إرم ذات العماد على حسب آراء سعيد بن المسيب وسعيد المقبري ومالك بن أنس وبشر بن الحارث. وأغلب أسانيد هذه الروايات معلولة ومن الأمثلة على ذلك ما رواه عن أبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري عن محمد بن إسحاق عمن يخبره عن سعيد بن المسيب. فأبو حذيفة كذّبه أصحاب الحديث واتهموه بأنه يروي العظائم عن ابن إسحاق وغيره[٤]، كما أن ابن إسحاق نفسه لم يصرح بالتحديث عن ابن المسيب وكون الرواية عمن أخبره ولم تبين من هو الذي رواها عن سعيد. وكذلك ما رواه محمد بن تمام بن صالح البهراني عن المسيب بن واضح عن عيسى بن يونس عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، وعلة هذا الإسناد هو المسيب بن واضح الذي كان

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص١٤ ـ ١٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٩٥ ـ ٣٩٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٧٤.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص١١٧؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٤٠؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٨٢؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٧٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٩٥.؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٧٤؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا، (مكتبة المثنى، بغداد، مصورة من نسخة ليبزج، ١٨٤٦)، ص٢٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دمشق، ١٩٩٥، ج١، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج١، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص١٨٤ ـ ١٨٥؛ مطاع الطرابيشي، رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي)، دمشق، ١٩٩٤، ص٣٥٥.

كثير الخطأ، ضعفه الدارقطني وغيره[١]. وكذلك مارواه أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري عن محمد بن يونس عن أبي علي عبد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي ذئب عن سعيد المقبري، وعلة إسناد هذه الرواية هو محمد بن يونس، وهو أحد المتروكين وقد اتهم بوضع الحديث وسرقته، وهو يدعي الرواية عمن لم يرهم[٢].

وقد قيل: إن الذي بناها هو جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، وسماها ذات العماد، وقيل: إن الذي بناها هو دمشق بن إرم بن سام بن نوح وقيل نسبة إلى دامشق بن النمرود بن كنعان الذي هاجر إليها مع إبراهيم عليه السلام، وقيل: إنها من بناء الآراميين ولد إرم بن سام، وقيل: هي لفظة عربية وقيل معربة، رومية الأصل، وقيل: غير ذلك[٣].

ونتيجة لهذه الصلة بين عاد ودمشق يقال بأن نبي الله هود عليه السلام هو أول من ابتنى الجدار القبلي لمسجد دمشق (المسجد الأموي)[٤]. ودمشق هي المعنية في قول يزيد بن النعمان بن بشير في قوله:

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان، حيدر آباد، ١٩٧١، ج٦، ص٤٠ - ٤١؛ أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٦، ص٣٨٧ - ٣٨٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص١١٦ - ١١٧.

(٢) ابن حبان، كتاب المجروحين، ج٢، ص٣١٢ - ٣١٣؛ أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٤، ص٢٩٢ - ٢٩٤؛ خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دمشق، ١٩٩٦، ج٣، ص٢٨٠ - ٢٨٢؛ الدارقطني، الضعفاء والمتروكون، ص٣٥١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص٧٤ - ٧٦.

(٣) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص١٠١؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٤٠؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٨٢؛ السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٣٩٢؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٦٩٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٥ - ١٨٦؛ المطران يوسف الدبس، من تاريخ سورية الديني والدنيوي، بيروت، ١٨٩٣، ج١، ص٩.

(٤) ابن جبير، المصدر السابق، ص٢٣٦. ويقال: إن قبر هود عليه السلام في جامع دمشق. (محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص١٤٠).

لولا التي عَلِقتني من علائقها لم تمسِ لي إرم دارا ولا وطنا

وكذلك في قول البحتري:

طلبْنَك من أمّ العراق نوازعا بنا قصور الشام منك بمرصد

إلى إرم ذات العماد وإنها لموضعُ قصدي موجِفا وتعَمُّدي

ومن المعروف أن مدينة دمشق[١] من أقدم مدن العالم[٢]، ومن يقول: إن دمشق أقدم مدينة في التاريخ يريد ضمنا القول بأن دمشق مدينة قديمة إلا

---

(١) وردت لفظة «دمشق» بعدة صيغ، فهي: تمسكو (تا - مس - كو) في نصوص الملك المصري تحوتمس الثالث؛ وتمشقي (تي - ما - اش - قي)، ودمشق (دي - ماش - قي)، ودمشقو (دي - ماش - قو) في رسائل تل العمارنة؛ و«دي ماشقا» و«ديمشقو» في النصوص الآشورية. أما الاسم في الكتابات الآرامية فيرد فقط بصيغة واحدة هي دمشق. وهو اسم إلى الآن لم يتفق العلماء على تحديد معناه وتفسيره ومعرفة أصله، هل هو سامي أم غير سامي. وحتى من اعتقد أن الاسم سامي الأصل لم يصل إلى معنى واحد محدد للاسم. ومن هذه التفسيرات والآراء أن حرف الدال هو عبارة عن «ذي» و«مشق» تعني الطين وتعني التسمية المدينة ذات الطين، أو أن مشق تعني جبل ماشو (ماش)، وتعني التسمية مدينة ماش أو مدينة الإله ماش. وفي رأي آخر أن حرف الدال هو في الأصل «دار» ومعناها كما يرد في العهد القديم «مستوطنة أو بيت»، وكلمة مشقي مشتقة في الأصل من الكلمة السامية «شقي»، وهو مصطلح يتعلق بالماء والشرب. وتعني العبارة المدينة أو المستوطنة الغنية بالمياه المحيطة. ومع هذه المحاولات لإعادة أصولها إلى السامية إلا أن كونها ليست سامية الأصل، أيضا رأي معتبر. ويرد في اللغة السريانية كلمة «مشقينا» (**ܡܫܩܝܢܐ**) وتعني قناة للري. (لمزيد من الآراء والنقاش حول اسم دمشق وأصله، ، انظر: عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٢٥٧؛

Albright, W. F.,"Abram and the Caravan Trade", BASOR, 163 (1061), p. 46; Arnolt, M., Assyrian Dictionary, Berlin, 1905, vol. 2, p. 256; Haupt, P.,"Midian und Sinai", ZDMG, 63 (1909), p. 528; Negev, A., op.cit., p. 87; Parpola, S., Neo-Assyira Toponyms, Neukirchen, 1970, pp. 103-104; Pitard, W. T., op.cit., pp. 7, 8-9; Sauvaget, J.,"Esquisse d" une histoire de laville de Damas", Revue des Études Islamiques, 8 (1934), p. 435; Smith, P., A Comendious Syriac Dictionary, Oxford, 1990, p. 87; Speises, E, A., "Damascus" as Sa-imērišu", JAOS, 71 (1951), p. 257.

(٢) NNABD, p. 322.

أن المعلومات التاريخية حولها قليلة ومبعثرة وغامضة ومصدرها الرئيس سجلات وكتابات القوى الكبرى المحيطة بسوريا وهم المصريون والميتانيون والحيثيون ثم الآشوريون الذين دخلوا في صراعات عنيفة وصدامات مسلحة كثيرة. ويرد إقليم أوبي الذي تقع فيه مدينة دمشق، في سياق الصراع المتكرر على مناطق النفوذ بين هذه القوى. أما مدينة دمشق، ذاتها، فالأخبار عنها متفرقة لا ترسم صورة واضحة عن أوضاعها الداخلية. فهي تارة تظهر كإمارة وأحيانا كمشيخة بدون كيان سياسي واضح ولا ملك ولا حاكم، وأحيانا تورد النصوص اسم ملكين فقط كانا يحكمان المدينة أيام الحيثيين والمصريين. مما يدلل على أن دمشق في عصر البرونز لم تكن سوى مدينة صغيرة تعيش على هامش الأحداث. وحتى الآثار العائدة لتلك الفترة الغابرة قليلة جدا بل تكاد تكون مندثرة إلا ما اكتُشف في المناطق المحيطة بدمشق. وارتبط بدمشق في رسائل تل العمارنة، أيام الملك أخناتون، اسم حاكم يدعى بيرياوازا. وفي عهد رمسيس الثاني أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر المصرية، خضعت دمشق لمصر بعد توقيع معاهدة السلام مع الحيثيين[١].

ومع كل هذه الأحداث وقدمها إلا أنها لا تؤكد الصورة التي رسمتها لدمشق بعض المصادر العربية الإسلامية من كونها بناء أحد الأنبياء أو أحد أولادهم وأحفادهم. ولكن ارتبط اسم دمشق دائما بعد ذلك باسم آرام وهذه اللفظة قريبة جدا من لفظة إرم أو أرم. وآرام هو اسم شعب سامي مشهور له مكانة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، وقد اختلف علماء التاريخ والآثار واللغات في تفسير آرام فمنهم من قال أن الكلمة تعني سكان البلاد المرتفعة أو العالية أو على اعتبار كانوا في الأصل يقطنون في شمال بلاد الرافدين

---

(١) لمزيد من المعلومات والتفاصيل في تاريخ دمشق إبان العصر البرونزي، وصراع القوى الكبرى، انظر مثلا: علي القيم، «دمشق أقدم مدينة مأهولة في التاريخ»، في ندوة دمشق أقدم مدينة في التاريخ، دمشق، ١٩٩١، ص١٧ ـ ٢٤؛ فراس سواح، آرام دمشق وإسرائيل، دمشق، ١٩٩٥، ص١٩٢ ـ ١٩٨؛

Negev, A., Archealogical Encyclopedia of the Holy Lnad, Jerusalem, 1972, pp. 87-88;

Pitard, W. T., Ancient Damascus, Winona Lake, 1987, pp. 27 - 80.

فبالتالي هم بالنسبة لسكان الجنوب والوسط يسكنون في الأعلى أو الشمال. أو أن الاسم في الأصل تسمية حيثية غير سامية أطلقها الحيثيون على سكان أعالي الرافدين ثم نقلوها إلى سوريا. كما ارتبط الآراميون بشعب بدوي آخر في سوريا هم الأحلامو أو الأخلامو[1]. وقد أنشأ الآراميون عددا من الدويلات والممالك الصغيرة والكبيرة أشهرها دويلة آرام دمشق. وتعتبر اللغة الآرامية من أشهر اللغات السامية ولها عدد كبير من اللهجات مثل التدمرية والعبرية والنبطية[2]. وقد أصبحت اللغة الآرامية هي لغة التدوين لأهالي الشرق القديم فبها سجلوا أفكارهم وما يجول في خواطرهم وما يمر بهم في حياتهم اليومية مما جعل من الصعب تحديد أصول الشعوب التي دونت بتلك اللغة والتي غالبا ما كانت تعيش في الهلال الخصيب[3]. ويبدو أن ارتباط اسم دمشق بإرم أو آرام أساسه هذه الصلة القديمة.

وورد في التوراة أن آرام أو أرام أحد أولاد نوح، وله ذرية من أولاده وهم عوص وحول وجاثر وماش. ومن نسل آرام بن نوح الآراميون في دمشق الذين خاضوا حروبا متكررة ضد بني إسرائيل. وقد تكررت كثيرا لفظة آرام في التوراة سواء ضمن الحديث عن دويلات الآراميين في سوريا أو في نسبة

---

(١) انظر: محمد بيومي مهران، مصر وبلاد الشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص١٩٦ ـ ١٩٧؛ هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، طرابلس، ١٩٩١، ص١٦ ـ ١٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الآراميين، انظر مثلا: دوبون ـ سومر، الآراميون، ترجمة، ناظم الجندي، طرطوس، ١٩٨٨، ص١٤، ١٩؛ ٣١ وما بعدها؛ علي أبو عساف، «دمشق في العصر الآرامي»، في ندوة دمشق أقدم مدينة في التاريخ، ص٢٦ ـ ٣٤؛ فراس سواح، آرام دمشق وإسرائيل، ص١٨٧. وما بعدها؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص١٩٧ ـ ١٩٩؛ محمد حرب فرزات، موجز تاريخ سورية القديم، دمشق، ٩٢ ـ ١٩٩٣، ص١٥٣ ـ ١٥٤؛
Pitard, W. T., op.cit., pp. 99-189; NNABD, pp. 96 f.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٢، ص٦٢٤؛ هنري س. عبود، المرجع السابق، ص١٨ ـ ٢٠؛ NNABD, p. 744.

بعض الأشخاص إلى الآراميين أو اللغة أو الحديث عن الأنبياء وأولادهم وأحفادهم وزوجاتهم[1]. ومن الواضح أن المصادر العربية الإسلامية استقت معلوماتها من التوراة أو من أي من المصادر اليهودية الأخرى فربطت إرم بآرام ودمشق وسام.

وقيل: «إن إرم ذات العماد هي الإسكندرية[2] ولكن من المعروف أن الإسكندرية قد بنيت بعد هذا الزمان بوقت طويل جدا، بناها الملك الإسكندر الثالث، (الكبير)، المقدوني بعد افتتاحه مصر في عام ٣٣٢ ق.م. وهو الذي حدد مكانها وعيّن شوارعها ومعابدها وأسواقها وأسوارها، دون إشارة المصادر إلى آثار عظيمة وضخمة كانت موجودة من قبل في المكان[3]. وصحيح أن لمدنية الإسكندرية تاريخ عريق وعظيم عبر فترات

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح: ١٠، آية: ٢٢، الأخبار الأول، الإصحاح: ١، آية: ١٧؛ بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص٤٢ ـ ٤٣؛ فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دمشق، ١٩٨٩، ص٢٧٧ ـ ٢٨٧؛ NNABD, p. 96 ويرد أن آرام أحد أولاد سام بن نوح. (القلقشندي، قلائد الجُمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٨٢، ص٢٨).

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٥٤؛ ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٦٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٧٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٩٥؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٧٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٥، ٢١٩.

(٣) لقد كثرت المصادر وتنوعت وتعددت وبشتى اللغات، قديما وحديثا تؤكد أن الإسكندر الكبير هو باني ومؤسس مدينة الإسكندرية في مصر، انظر مثلا: حمد محمد بن صراي، معالم التاريخ اليوناني والروماني، رأس الخيمة/ دبي، ١٩٩٨، ص١٣٢؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٦٣ وما بعدها؛ مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، ب.ت.، ص٢٠؛ نبيل راغب، عصر الإسكندرية: رؤية مصرية علمية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣٣ ـ ٣٤، ٣٧ ـ ٣٨. وفي هذه المصادر العديد من المراجع والمؤلفات =

مختلفة من الزمن، وكانت لها أهمية تاريخية وثقافية واقتصادية على مر تاريخها، في أيام البطالمة والرومان والبيزنطيين والمسلمين، لكنه لا ليس أقدم من عهد بنائها في أيام الإسكندر الكبير المقدوني، حسب ما هو معروف[1]. وللعلم فإن مدينة الإسكندرية استمر نشاطها مدة أكثر من ألفي عام. وهي الأثر الوحيد أو الأكبر وضوحا الدال على عظمة الإسكندر الذي استمر بعد وفاته، بينما كثير مما عمله وبناه زال وفقد أهميته بعد ذلك[2]. والبعض يرى أن الإسكندر بنى الإسكندرية في ٣٠٠ سنة، وخُمّرت نورتها ثلاث سنين، وخربت ٣٠٠ سنة[3]. ويبدو أن لمكانة الإسكندرية التاريخية والثقافية حيكت حول بنائها ودورها الأساطير والقصص التي بعدت كثيرا من الواقع التاريخي والآثاري. بل ونتيجة لذلك أيضا وضعت أحاديث عن النبي ﷺ وروايات عن خلفاء وتابعين وصالحين تبين فضل الإسكندرية وتعلي من قدرها وشأنها[4].

= التي وردت في الهوامش. انظر كذلك:

Arrian, Anabasis, tr. P. A. Brunt, London, III. 1.

(١) انظر مثلا: Jouguet, P. Alexnader the Great and Hellenistic World, London, 1978, pp. 29, 125, 131, 151, 271-272, 278-280; NNABD, pp. 39 f.

(٢) Alexandria has continued to fulfill its beneficent function for two thousand years. It is the only monument of his (Alexander) greatness which remains. Every thing else which he accomplished perished when he died." Abbott, J., Alexander the Great, New York, 1904, p. 188.

انظر كذلك: نبيل راغب، المرجع السابق، ص٣٥ ـ ٣٧، ٤٥ وما بعدها.

(٣) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٦٩.

(٤) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٦٩ ـ ٧١. حول ذكر الإسكندرية في كتب التاريخ والرحلات وما دار حولها من قصص وأساطير وحكايات، انظر: جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، القاهرة، ١٩٩٢، ص١١٨ ـ ١٦٠.

وينكر البعض أن تكون إرم هي الإسكندرية أو دمشق ويعتبر ذلك من خرافات بني إسرائيل، ومن وضع زنادقتهم[١]. بل البعض ينكر وجود بلد باسم إرم[٢]. وقيل هي مدينة في الأحقاف، بناها شداد بن عاد الذي كان جبارا طاغية. وكان عمره إذ ذاك ٩٠٠ سنة، واستغرق بناء هذه المدينة ٣٠٠ سنة. وقد ابتناها مضاهاة للجنة وجمالها وقصورها. وكان كافرا بالله تعالى وعمل على جلب الصناع والحرفيين والعمال إلى أرض الأحقاف لبناء هذه المدينة العظيمة، العجيبة. وتستسرد الرواية في بيان جمال المدينة وضواحيها وقصورها وأعمدتها وكيفية هلاك أهلها بل وتورد أن شخصا قدم إلى معاوية، إبّان خلافته، جالبا معه شيء من مسك وكافور تلك المدينة، ولما سأل معاوية كعب الأحبار أخبره بأنها إرم ذات العماد[٣]. ويعلق ياقوت الحموي على هذه القصة بقوله: «هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها وظننا أنها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة»[٤]. ويؤكد ابن حجر ضعف الرواية بقوله أن «فيها ألفاظ منكرة، وراويها عبد الله بن قلابة لا يعرف، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة»[٥]. ويعلق الشوكاني على رواية ابن قلابة

---

(١) محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص٢٨٣؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج١، ص٢٣١. انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٧٨.

(٢) محمد بكر إسماعيل، المرجع السابق، ص٥٥. يقول ابن خلدون: «والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها إرم، وإنما هذا من خرافات القصاص، وإنما ينقله ضعفاء المفسرين». (العبر في وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)، بيروت، ١٩٧١، ج١، ص١٩).

(٣) أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، تحقيق: محمد فارس، بيروت، ١٩٩٤، ص٣٤٩ ـ ٣٥٤، رقم: ١/ ٩٩٤؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٢٢، ص٢٧ ـ ٢٨؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ب.ت. (دار صادر)، بيروت، ص١٥ ـ ١٨.

(٤) معجم البلدان، ج١، ص١٨٨.

(٥) فتح الباري، ج٨، ص٩٠٩. انظر كذلك: الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص١٢٣؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٢٢، ص٢٩.

بقوله: «وهذا أكذب الكذب وافتراء على افتراء وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب»[١] ويبدو أن شداد بن عاد الوارد ذكره في الرواية السابقة، ربما كانت شخصية واقعية، لكن تم إضافة الكثير من القصص والروايات مما جعلته شخصية أسطورية تقوم بالعديد من العجائب والمعجزات[٢]. ويضع المقدسي إرم ذات العماد في منطقة حضرموت، ولكنه يقول أن موضعها ليس له أثر[٣].

أما المسعودي فيقول: إن الإسكندر عندما أتى لبناء الإسكندرية في مصر وجد في موضعها آثار بنيان عظيم وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند: أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد. وأنا بنيت إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد[٤]. ومن الغريب أن المصادر الكلاسيكية لم تورد هذه القصة على الرغم من اهتمامها الكبير بتسجيل حياة وأحداث وسيرة الإسكندر المقدوني. كما أن العبارات الواردة في النقش هي بلغة عربية سليمة ليست هي لغة المسند التي تختلف نوعا ما عن العربية المعروفة. ومن المحتمل أن تحديد دمشق والإسكندرية على أنهما إرم ذات العماد، كان نتيجة لكثرة وجود المباني ذوات العماد في هاتين المدينتين[٥]. وصحيح أنه كان بالقرب من موقع الإسكندرية قرية صغيرة

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٤٣٥. انظر كذلك: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٤، ص٢٠٥، ج٦، ص٤٤٧.

(٢) محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، تونس، ١٩٩٤، ج٢، ص١١٧. يبني الباحث فاضل الربيعي على قصة ابن قلابة فرضيات جديدة ويثبت حقائق معينة حول إرم ذات العماد، على الرغم من أننا قد نقضنا القصة من أساسها نظرا لتهافت رواتها. انظر كتابه: إرم ذات العماد، لندن، ٢٠٠٠، أغلب صفحات الكتاب.

(٣) المصدر السابق، ص٨٦.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٣٤٧.

(٥) جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣٠٣.

للصيادين تسمى راكوتيس (راقودة)، تقابلها في البحر (الفرع الغربي لنهر النيل) جزيرة صغيرة تدعى فاروس. وكانت قرية راقودة ضمن ست قرى محيطة بها، وهي أكبرها. وقد وجد بعض الآثاريين في موقع هذه القرية بقايا مباني ميناء قديم، ولكن آثاريين آخرين ينكرون هذا الاستنتاج[(١)]. ويُذكر أنه لم تتوفر كميات من الجير لتخطيط الإسكندرية على الأرض، لتحديد الشوارع والأحياء والأسواق، فأمر الإسكندر باستخدام الحبوب المخصصة للجيش. وفجأة ظهرت أسراب كبيرة من الطيور، قادمة من البحيرة، فانقضت على الحبوب والتقطتها، فتضايق الإسكندر من هذا الأمر، ولكن مستشاريه أفهموه بأن هذا فأل حسن، وأن المدينة سوف تصبح مصدر خير وازدهار[(٢)]. ويبدو أن هذه القصة تناقلتها الأجيال وتضخمت بمرور الوقت حتى أصبحت بعيدة عن الحقيقة، خاصة ما قيل: إن دوابا ضخمة من البحر كانت تأتي لتهاجم الإسكندرية، وأنها بُنيت على أنقاض مدينة شداد بن عاد.

وقيل: إن إرم هي مدينة أور، في جنوب العراق وهي مدينة تاريخية، آثارية مشهورة. ويرى الكاتب لؤي عجلان أن أدلة هذا الرأي تكمن فيما يلي[(٣)]:

(١) يقول الله تعالى على لسان هود، عليه السلام، قائلا لقومه: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف: ٦٩)، مما يعني أن عادا جاؤوا بعد قوم نوح، عليه السلام، وأن بلدهم كانت في نفس موقع بلده.

---

(١) سليم حسن، مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٤، ج١٤، ص١٢؛ نبيل راغب، المرجع السابق، ص٣٣.

(٢) Plutarch, The Age of Alexnader, trans. I. Scott-Kilvert, Kent, 1990, Alex. 62, p. 282.

(٣) لؤي عجان، «إرم ذات العماد»، مجلة الأمة القطرية، شعبان ١٤٠٢هـ، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢) تذكر التوراة[١] أن إبراهيم، عليه السلام، قد وُلد في مدينة أسمتها أور التي بات موقعها مجهولا إلى أن اكتشفه العالم الآثاري تايلور في عام ١٨٥٤م. وأظهر التنقيبات الآثارية أن المدينة عاشت زمنين فصل بينهما الطوفان. وكانت في أيامها الأخيرة مزدهرة ازدهارا عظيما، وأضحت إحدى عواصم السومريين الكبرى.

(٣) وبعد أن فك العلماء رموز الكتابة وقراءة نصوص اللغة السومرية، اتضح أن اسم «أور» كان تحريفا لاسم البلد الحقيقي الذي كان ﴿إِرَمَ﴾.

(٤) يؤكد الله تعالى في عدد من الآيات أن هلاك عاد كان بالريح العاتية القوية العنيفة. وبما أن التنقيبات الآثارية لم تظهر الأسباب الأكيدة لخراب مدينة أور، ويذكر عدد من العلماء أن العيلاميين قد اجتاحوها ودمروها، ومع وجاهة هذا الرأي، إلا أن قصيدة سومرية يرثي قائلها خراب تلك المدينة، يقول في أحد أبياتها:

«لقد أصبحت مدينتك خرابا فكيف تستطيعين البقاء؟

لقد أصبح بيتك عاريا فكيف مازال قلبك ينبض

إرم الهيكل فقد تسلَّمته الرياح فكيف تستمرين حية»

ومن المرجح أن الرياح الواردة في هذه الأبيات هي نفسها الريح الواردة في الآيات الذاكرة لكيفية دمار قوم نوح. كما أن آثار أور ظلت قرابة خمسة آلاف عام مدفونة تحت الأرض.

(٥) دلّت الآثار المكتشفة والنصوص السومرية على عظمة أور وطغيان أهلها وعلوهم في الأرض.

ومما لا شك فيه فإن مدنية أور تعد من أعظم المدن التاريخية في بلاد الشرق الأدنى القديم. وأثبتت الآثار إن أور وجدت قبل عصر إبراهيم، عليه السلام، بأكثر من ألف سنة تقريبا. وتقول سجلاتها القديمة، المكتشفة فيها،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح: ١١، الآيات: ٢٨، ٣١، الإصحاح: ١٥، الآية: ٧.

إن بعض ملوكها حكموا آلاف السنين. وتدل طبقة من رواسب الطمي اكتُشفت فيها على أن طوفانا عظيما أصاب أرض الرافدين، ويعتقد البعض أنه هو طوفان نوح عليه السلام. وتحتل أور مركزا عظيما في تاريخ وحضارة الإنسانية. وتقع على بُعد ٣٦٥ كم إلى الجنوب الشرقي من بغداد، وعلى مسافة ١٧ كم إلى الجنوب الغربي لمدينة الناصرية، وتبعد عن البصرة بحوالي ١٦٠ كم، إلى الغرب منها، وتُعرف الآن باسم تل المقير. وتدل الآثار والنصوص والكتابات القديمة المكتشفة على عظمة أور حضاريا وتاريخيا ودينيا ومعماريا، وكانت مهدا للحضارة السومرية الرائدة. ومرت بالمدينة عصور مختلفة تنقلت فيها بها الأحوال بين الازدهار والإهمال وبين القوة والضعف. وقد احتل أور العيلاميون والبابليون والكلدانيون، وتسبب بعضهم في دمارها وخرابها(١).

أما ما استشهد به لؤي عجلان، من الشعر، واعتبره دليلا على هبوب الرياح العاتية وهي نفسها الريح التي سُلطت على عاد، فهو استشهاد في غير محله، إذ أنه من المعروف أن أور قد تعرّضت لدمار كبير على أيدي العيلاميين والعموريين. وحاصر العيلاميون أور مدة عشر سنوات حلت فيها المجاعة وهلك فيها العديدون من أهلها. وهذا الدمار أشعل في نفوس السومريين الحزن والأسى، وتجعلهم يدبجون مثل هذه المراثي الحزينة. وذكر الرياح يأتي من قبيل وصف ما أصاب المدينة من دمار لدرجة أنها كانت خالية من أهلها تضرب فيها الرياح. وكان هجوم العيلاميين على أور

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول مدينة أور وتاريخها وحضارتها وعصورها وآثارها، انظر مثلا: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٢٨ ـ ١٢٩؛ سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: محمد طلب، دمشق، ١٩٩٣، ص١٣٦ ـ ١٤٢؛ شاه محمد علي الصيواني، أور، بغداد، ١٩٧٦، ص٩ فما بعدها؛ طه باقر، المرجع السابق، ص٢٧٥ ـ ٢٨٣، ٣١٠ ـ ٣١٣، ٣٩٢٣٨٢؛ عيد مرعي، تاريخ بلاد الرافدين، دمشق، ١٩٩١، ص٣٥، ٦٦؛ وديع بشور، سومر وأكاد، دمشق، ١٩٨١، ص٦٩ ـ ٧١؛ The Penguin Dictionary of Archaeology, London, 1982, pp. 256-257; Postgate, J. N., Early Mesopotamia, New York, 1994, pp. 41 - 43.

في حوالي عام ٢٠٠٦ ق.م[١]. وأما قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف: ٦٩) فليس بالضروة كون قوم عاد خلفوا قوم نوح، عليه السلام، في نفس الأرض، بل ربما تعني أن ما أصاب قوم نوح، وهو الطوفان العظيم، قد انتشر علمه بين الناس وتناقلته الأجيال جيلا بعد جيل، لذا كان قول هود، عليه السلام، لقومه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة في الدنيا. أو أن هودا، عليه السلام، جعل ذكر قوم نوح للوقت والمراد ما كان فيه من الاستخلاف على الأرض لقصد المبالغة. أو أن الله تعالى قد جعلهم ملوكا بعدهم[٢].

ويذكر المسعودي أن إرم ذات العماد أمة تلي أمة اللان تقع على بحر الروم وقيل بحر نيطس، وهم ذوو خلق عجيب وآراؤهم جاهلية[٣].

ويوجد في شبه الجزيرة العربية أكثر من منطقة باسم إرم منها جبل من جبال حسمى في ديار جذام، وهو يقع بين أيلة وسيناء، وهو من أعلى جبال منطقة حسمى، ومعروف لدى الأهالي[٤]. والمشكل في تحديد ياقوت هو

---

(١) انظر: أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤؛ خزعل الماجدي، إنجيل سومر، عَمان ١٩٩٨، ص٢٤١ ـ ٢٤٧؛ شاه محمد علي الصيواني، المرجع السابق، ص١٩ ـ ٢٠؛ طه باقر، المرجع السابق، ص٣٩٣ ـ ٣٩٦؛ عيد مرعي، المرجع السابق، ص٦٦؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (١٠) تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص١٨٩ ـ ١٩٠؛ Hallo, W. W. and Simpson, W. K., The Ancient Near East: A History, New York, 1971, pp. 86-88.

(٢) صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٥؛ القاسمي، التفسير، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ١٩٩٤، ج٣، ص٥٧٣؛ وهبة الزحيلي، التفسير، ج٨، ص٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٨٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٥؛ نفس المؤلف، المشترك، ص٢٠. انظر كذلك: حمود بن ضاوي القثامي، شمال الحجاز: الآثار، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٤٣ ـ ٤٤. يرى الأستاذ فاضل الربيعي أنه يوجد أكثر من إرم أحاطت بها القصص والأساطير، انظر: إرم ذات العماد، ص١٨٣ ـ ٢٢٦. ويذكر الربيعي أيضا =

كون إرم من أرض حسمى وهي منطقة تمتد غرب تبوك إلى شرق العقبة ثم كونه في نفس الوقت في منطقة تقع بين أيلة وسيناء مما يخرجه هذا التحديد من أرض الحجاز. ورِمّ، مدينة آثارية تقع في شمال الحجاز ضمن حدود الأردن وهي ضمن وادي صخري عميق[1]. وقد جرت بعض الحفريات الآثارية في هذه المنطقة التي أكدت أن المنطقة قد اندثرت قبل الإسلام ولم يبق منها إلا غير عين ماء كان ينزل عليها التجار والقوافل المارة بين الشام ومصر والحجاز. ودلت الكتابات النبطية المكتشفة في خرائب معبد رم، أن اسم الموضع هو إرم، مما يعني أن المكان قد حافظ على اسمه القديم[2] وجبل إرم هذا جبل مشهور، عظيم العلو[3]. ويرى البعض أن هذا الجبل هو الذي ذكره بطليموس باسم Aramaua على أنه لا يبعد عن البحر كثيرا. ولوجود الكتابات النبطية والآثار القديمة في الموضع يرى البعض أنه هو مكان إرم الوارد في القرآن الكريم[4]. وإرم أيضا اسم يطلق على ماء في ديار

= أن مدينة تدمر المشهورة واحدة من المدن التي قيل إنها إرم ذات العماد. (إرم ذات العماد، ص١٧، ١٢٦).

(١) حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٢١٠؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص٨٥ ـ ٨٦. من المحتمل أن حرف «ألف» في لفظة إرم الواردة عند ياقوت حرف مرتجل تحت تأثير اللفظة القرآنية وليست من أصل الاسم، وهو بالأصل يلفظ «رم» مما يعني أن لفظة «رم» ناتجة عن اختصار المد في الكلمة الآرامية رام רָם التي تعني عال ومرتفع. (عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٧١ ـ ٧٢).

(٢) جواد علي، المفصّل، ج١، ص١٦٨، ٣٠٥ ـ ٣٠٦؛ حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٢١١ ـ ٢١٢؛ محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ج١، ص٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) ابن بلهيد النجدي، صحيح الأخبار في بلاد العرب من الآثار، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ص٥٨. ويرى حمد الجاسر أن «إرم (رمّ الآن) ليس معدودا من جبال حسمى، بل هو سلسلة منفصلة». (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ١، ص٧٦).

(٤) جواد علي، المفصّل، ج١، ص١٦٨، ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

حسمى[1]. وإرم أيضا في تيه أبين باليمن وبهذا التيه سكن إرم بن سام بن نوح[2]. وإرم موضع من ديار جذام أقطعه رسول الله ﷺ بني جعال بن ربيعة[3]. وآرام جبل بالقرب من المدينة المنورة، بنواحي الربذة، وآخر بين مكة المكرمة والمدينة المنورة[4]. وجش إرم جبل عند أجأ أحد جبلي طيئ، أملس الأعلى سهل ترعاه الإبل والحمير، كثير الكلأ، وفي ذروته مساكن لعاد وإرم، فيه صور منحوتة من الصخر[5].

أو أن لفظة ﴿إِرَمَ﴾ اسم مرادف لعاد، وذات العماد صفة لإرم والمراد ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة. وكانوا أهل عَمَد وخيام عالية ولم يوجد مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة. يقال للرجل الطويل جدا، رجل معمد. ولم يخلق مثل تلك القبيلة في زمانها أحد في القوة والجبروت[6]. وعن المقدام بن معدي كرب قال: قال: رسول الله ﷺ

---

(١) ابن بلهيد النجدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨.

(٢) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٤٠.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، ١٩٦٣، ج١، ص٤١.

(٤) أحمد بن عبد الحميد العباسي، كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، القاهرة، ط. ٢، ص٢٣٤؛ مجد الدين الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٩، ص٤.

(٥) القزويني، عجائب المخلوقات، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٠٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٦٤. انظر كذلك: عاتق بن عيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٦ ـ ١٧.

(٦) الألوسي، المصدر السابق، ج٣٠، ص١٢٣؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٢٢، ص٢٧؛ رشدي البدراوي، المرجع السابق، ج١، ص١٤٤، ١٤٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٧٦ ـ ١٧٧؛ عبد الله بن يحيى الزيدي، غريب القرآن وتفسيره، تحقيق: محمد سليم الحاج، بيروت، ١٩٨٥، ٤٢٧؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٣٠، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥

في قوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قال: وقد كان الرجل يأتي الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أي حي أراد فيهلكهم»[1]. وقد عزا صديق بن حسن القنوجي إخراج هذا الحديث إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، وعلّق عليه بقوله: «في إسناده رجل مجهول، لأن معاوية بن صالح رواه عمن حدثه عن المقداد»[2]. ومن كثرة ما أشيع من قصص حول ضخامة العاديين وطول قاماتهم قالت العرب في الأمثال: «أحلام عاد» ويدل هذا المثل تبيانا على ما كان يتصوره العرب من عظيم خلق العاديين، ويزعمون أن أحلامهم على مقادير أجسامهم[3].

أو أن إرم قبيلة من عاد وإرم هو بن سام بن نوح، وعاد بن عوص بن إرم[4]. وهذا التفسير كما قدّمنا متأثر بما ورد في التوراة. وقيل أن إرم تعني الهلاك، يقال أرم بنو فلان أي هلكوا، وينكر ابن حجر هذا التفسير[5]. وذكر البعض أن إرم تعني الأرض وهو قول عطاء الخراساني.

ويرى أحدهم أن المقصود بالعماد هو الأبنية المرتفعة ذات الرؤوس المدببة وهو يوازي المسلات المعروفة في الآثار المصرية. وإرم ربما تعني هرم، وهرم المصرية هي هِرم العربية وتعني الشيء الكبير الحجم أو العمر وهي إرم في لغة عاد. وهو في نفس الوقت يؤكد تواجد العاديين واستيطانهم في مصر.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٩٠٩. يبدو أن تصور الرواة لضخامة أجساد العاديين دفعتهم لإيراد الروايات الدالة على هذه الصفة، بل رُوي عن مجاهد قوله إنه: «كان الغلام من قوم عاد لا يحتلم حتى يبلغ مائتي سنة». (أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٣، ص٣٤٢).

(٢) المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٨.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٥، ص٧٩.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٩٠٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص١٩؛ القلقشندي، قلائد الجُمان، ص٢٨.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٩٠٩.

الأعراف:

﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ (الأعراف: ٤٦):

وهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم موحدون، جُعلوا هناك إلى أن يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة برحمته. وقيل هم قوم قتلوا في سبيل الله، ولكنهم كانوا عصاة لآبائهم فأعتقهم الله من النار باستشهادهم في سبيله، ولكنهم حبسوا عن الجنة بمعصيتهم لآبائهم وهم آخر من يدخل الجنة. وقيل هم من الملائكة وليسوا من بني آدم[1]. والعرف لغة هو كل عالٍ مرتفع. أما الأعراف فهو السور الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ (الحديد: ١٣) وقد ورد ذلك عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي. وسُمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس، فيعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم[2]. وقيل الأعراف هو جبل أحد حيث ورد عن النبي ﷺ قوله: «أن أحدا جبل يحبنا ونحبه، وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحتبس عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم، هم إن شاء الله من أهل الجنة»[3]. وقوله ﷺ: «أن أحدا جبل يحبنا ونحبه». مشهور،

---

(١) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٢، ص٥١٧ ـ ٥١٨؛ الطبري، التفسير، ج١٢، ص٤٥٢ ـ ٤٦٠؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٨، ص٢١٥ ـ ٢١٦. ويقول محمود شلتوت أن الأعراف «قد يكون ماديا وقد يكون معنويا، والله أعلم بحقيقته، والمقصود أن بين الجنة والنار ما يحجز بين الفريقين، وله صفة الامتياز والعلو، وربما هم ... عدول الأمم والشهداء على الناس وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل». (تفسير القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠٦؛ السدي، التفسير، ص٢٦٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٧، ص٤٠٦؛ الطبري، التفسير، ج١٢، ص٤٤٩ ـ ٤٥٢.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج٥، ص٥١٢؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٢، ص٥١٧؛ محمود شلتوت، المرجع السابق، ص٤٩٢.

ووارد في الصحيحين ولكن بقية الحديث لم نعثر عليه في كتب الحديث المعروفة[1].

أفاض الناس:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩):

إشارة إلى عرفات أو ربما الإفاضة من مزدلفة إلى منى، أي من المكان الذي يفيض منه سائر الناس وهو مزدلفة[2]. ومن المرجح أن المقصود هو الإفاضة من عرفات، والمراد بالناس إبراهيم عليه السلام[3]، أو آدم، لأنه قرىء (ومن حيث أفاض الناسي) وهو آدم عليه السلام، وهي قراءة شاذة[4]. والخطاب موجّه لقريش ومن تابعها الذين كانوا يقفون بمزدلفة لأنهم أهل الله والمعظمون للحرم[5]. ويدل على هذا الاستنتاج ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها فلذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[6].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٥، ص٥١٢؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٧.

(٢) أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص١٩٦؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) الطبري، التفسير، ج٤، ص١٨٩؛ الماوردي، التفسير، تحقيق: خضر محمد خضر، الكويت، ١٩٨٢، ج٤، ص٢١٨.

(٤) ابن جنّي، المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي وآخرين، إسطنبول، ١٩٨٦، ج١، ص١١٩.

(٥) أبو حيان، المصدر السابق، ج٢، ص٩٨ ـ ٩٩؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٤؛ القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، القاهرة، ١٩٩٨، ج٤، ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٦) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾. حديث رقم: ٤٥٢٠؛ مسلم، الصحيح، كتاب: الحج، باب: في الوقوف بعرفة، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، حديث رقم: ١٢١٩. انظر =

أم القرى:

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾ (الأنعام: ٩٢)؛

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ (الشورى: ٧):

أم القرى هي مكة[١]. سميت بذلك لأنها أعظم المدن، وأقدم القرى، وأعظمها بركة، وأشهرها، وأم كل أرض أعظم بلدانها. وهي قبلة أهل القرى وحجهم، وبها الكعبة المشرفة وأول بيت وضع للناس جميعا ليعبدوا الله فيه وحده لا شريك الله وجعله مثابة أمن للناس وكل الأحياء، ومنه خرجت الدعوة العامة لأهل الأرض، ولم تكن دعوة عامة من قبل، وإليه يحج المؤمنون بهذه الدعوة، ليعودوا إلى البيت الذي خرجت منه الدعوة. وعندما يحج الناس إليها تحصل البركة ويتبادل الناس سائر أنواع التجارات. ومنها دحيت الأرض، وهي قبلة أهل الأرض ولها فضائل كثيرة[٢].

= كذلك: أبا نعيم، حلية الأولياء، ج٧، ص١٥٧ ـ ١٥٨. يقول العلامة القاسمي إن في الآية وجهين للخطاب: أحدهما: أنه لقريش، وذلك لما كانوا عليه من الترفّع على الناس والتعالي عليهم، وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف، وثانيهما: أنه أمر لجميع الناس أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، يعني إبراهيم عليه السلام (التفسير، ج١، ص٥٠٥).

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص١٤٤؛ ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٥٤٣؛ السدي، التفسير، ص٢٤٧؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٧، ص١٨٨. وقد أخرج الطبري بسند حسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن أم القرى مكة، وما حولها من القرى إلى المشرق والمغرب. (حكمت بن بشير بن ياسين، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المدينة، ١٩٩٩، ج٢، ص٢٥٦).

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٢٢؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٥٥؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص١١٤٨؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٧، ص١٨٨، ج١٧، ص٢٤٩؛ الطبري، التفسير، ج١١، ص٥٣١؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص٤٣٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٧، ص٣٧٢، ج٢٥، ص٣٦.

الأوتاد:

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢﴾ (ص: ١٢)؛

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ (الفجر: ١٠):

اختلف المفسرون في تحديد الأوتاد التي وصف بها فرعون، فقال السدي: أنه كان يعذب الناس بالأوتاد، يعذبهم بأربعة أوتاد، ثم يرفع صخرة تُمد بالجبال ثم تلقى عليه فتشدخه[1]. وروي مثل ذلك عن مجاهد وسعيد بن جبير، وروي عن قتادة أن ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ (الفجر: ١٠) أي «ذي البناء»[2]. وقال المبرد: أن فرعونا بنى أبنية طويلة صارت كالأوتاد لبقائها، أو كثرة أوتاد خيام معسكره أو أنه ذو جموع وجنود كثيرة، فبالجموع والجنود يشتد الملك كما يشتد البناء بالأوتاد[3]. وربما أن الأوتاد تعني الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض، المتينة البنيان. وما أجمل التعبير بالأوتاد فإن شكل هياكلها العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة، إذ يبتدئ البناء عريضا وينتهي بأدق مما بدأ. وذكرها مقترنة بفرعون موسى، لا يلزم كونه هو بانيها ولكنه مالكها[4]. والتعريف اللغوي للوتد من أنه هو ضارب في أعماق

---

(١) التفسير، ص٤٠٩، ٤٧٦. انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٢٣، ص١٣١؛ القرطبي، التفسير، ج٢٠، ص٣٣.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١٠، ص٣٤٢٦؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ١٧٩ ـ ١٨٠. عزا السيوطي إخراج قول مجاهد إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقول سعيد بن جبير إلى ابن جرير وقول الحسن إلى ابن أبي حاتم وقول قتادة إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير. (انظر: الدر المنثور، ج٦، ص٣٣٧ ـ ٣٤٨). انظر كذلك: القرطبي، التفسير، مج٩، ص٣٧١.

(٣) البيضاوي، التفسير، القاهرة، ١٩٦٨، ج٢، ص٣٠٦؛ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن، تحقيق: إبراهيم عطوة، القاهرة، ١٩٦٢، ج٢٣، ص٨٠.

(٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩٠٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٣، ص٢٢١؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٣٠، ص١٤٤؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٣٠، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦، ٢٢٨.

الأرض يتوافق نوعا ما مع بناء الأهرامات الثلاثة الكبرى وبالذات الهرم الأكبر الذي بني في الأصل على هضبة الجيزة التي يقدر ارتفاعها بحوالي ١٠ أمتار، وتشكل ٧٠ ٪ من لب قاعدة الهرم. وقام المصريون القدماء بتربيع هذه الهضبة بدقة كبيرة وأضافوا إليها الأحجار الضخمة حتى انتهى شكله بهذه الهيئة المدببة. مما يعني أن للهرم أصل في باطن الأرض[(١)]. وربما تعني الأوتاد ما يعرف في مصر بالمسلات وهي عبارة عن أعمدة حجرية طويلة ذات رؤوس مدببة، عادة ما كانت توضع أمام المعابد، وهي مخصصة للإله الشمس، ويبلغ أحيانا ارتفاعها أكثر من ٢٠ مترا[(٢)].

---

(١) إ. إ. س. إدواردز، أهرام مصر، ترجمة: مصطفى أحمد عثمان، القاهرة، ١٩٥٦، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥؛ أنطوان بطرس، آخر عجائب الدنيا السبع: لغز الهرم الكبير، لندن، ١٩٩٨، ص٦٩؛ جيمس هنري برستد، كتاب تاريخ مصر، ترجمة: حسن كمال، القاهرة، ١٩٢٦، ص٧٦. لمزيد من التفاصيل حول بناء الأهرامات ونظريات بنائها، انظر مثلا: أحمد فخري، الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٩٤؛ أ. أ. س. إدواردز، أهرام مصر، ترجمة: مصطفى أحمد عثمان، القاهرة، ١٩٩٧؛ جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص٧٦ ـ ٧٩؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٢) مصر ج٢: منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص١٣٩ ـ ١٤٠، ١٤٧، ١٥٣، ١٨٧ ـ ٢١٢؛ مختار السويفي، مصر القديمة: دراسات في التاريخ والآثار، القاهرة، ١٩٩٧، ص١١٥ ـ ١٣٢. وقد رويت في عدد من المصادر الجغرافية والتاريخية والأدبية العربية الإسلامية العديد من القصص والحكايات والروايات المحاط أغلبها بالأساطير والمبالغات. وتدور أغلب هذه الروايات حول كيفية بناء الأهرامات الكبرى ومن قام ببنائها وطرق تشييدها. انظر حول هذه القصص، أنطوان بطرس، المرجع السابق، ص٤٣ ـ ٥٧؛ جيلان عباس، المرجع السابق، ص٤٧ ـ ٨٣؛ الشريف جمال الدين أبو جعفر محمد الإدريسي، كتاب أنوار عُلوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، تحقيق: ألريش هارمان ـ سلسلة نصوص ودراسات من إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، ١٩٩١؛ القزويني، المصدر السابق، ص٢٦٦ ـ ٢٧٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول المسلات المصرية، انظر مثلا: أحمد غسان سبانو، «المسلات المصرية الفرعونة»، تاريخ العرب والعالم، س. ٢، ع. ١٩، (مايو =

الأيكة:

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (الحجر: ٧٨)؛

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الشعراء: ١٧٦)؛

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ (ص: ١٣)؛

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ (ق: ١٤):

الأيكة لغة هي جماع من الشجر أو هي الشجر المخضر، الملتف الكثير، وقيل هي الغيضة التي تنبت السدر والأراك والأثل وقيل الأيكة هي جماعة الأراك[1]. وأصحاب الأيكة هم أهل مدين. وتمتد الأيكة من ساحل البحر إلى مدين[2]، ويدعي البعض أن الأيكة كانت معبودة المديانيين المشركين. وكانت هذه الأيكة حول بحيرة من ماء، وهذا هو سر افتتان المديانيين بالأيكة، فالماء والشجر الظليل في صحراء لابد ويستهوي المحرومين ويجذب الظُمّأ[3]، ويقال أن الأيكة هي تبوك أو أن أصحاب

= ١٩٨٠)، ص٦٠ ـ ٦٦؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، المغالطات والافتراءات على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص٣٦ ـ ٥٦.

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٨٧، ج٦، ص٢٦١ ـ ٢٦٢؛ أثير الدين أبي حيان الأندلسي، المصدر السابق، ص٣٣؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٢٩٣.

(٢) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢١٦؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ص١٦١؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج٢، ص١٠ ـ ١١، ٣٧ ـ ٣٩.

(٣) محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج١، ص٢٧٥؛ محمود زهران، قصص من القرآن، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٦. ويرى العلامة بيستون أن عبادة الإله النبطي المشهور، ذو الشرى، قد انحدرت من عبادة المديانيين للأيكة.
(انظر: Buhl, F. [Bosworth, C. E.],"Madyan Shuʿayb", EI^2, vol. 7, p. 1156).

الأيكة كانوا من تبوك[١]. وقيل هي غيضة نحو مدين[٢]. واسم أيكة مازال موجودا في وادي عَفَال[٣] في شمال الحجاز ليس بعيدا عن أرض مدين، كما يقول فيلبي[٤]. ولكن أهالي المنطقة حاليا ينكرون وجود منطقة أو واد بهذا الاسم[٥]. وكانت مدن أصحاب الأيكة سبعا[٦]. أما مدين فهي بلدة تقع في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، إلى الشرق من خليج العقبة[٧]. وأصحاب الأيكة هم طائفة من أهل الوبر يقاربون أهالي مدين وهم بدو[٨]. وقيل هم من العمالقة الذين كانوا مقيمين في مدين ولكنهم غادروها لما ضاقت بهم مدين وزاحمهم المديانيون. وكانت الأيكة في الأصل غيضة

---

(١) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٧١؛ محمد ألتونجي، معجم أعلام القرآن الكريم، الكويت، ١٩٩٩، ص٤٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢٧؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٦.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢٧.

(٣) عُفال، واد من أكبر وديان الحجاز، يأخذ مياهه من جبال الزيتة ومن السفوح الشرقية لجبال اللوز ثم يطيف بها من الشرق والشمال ثم يتجه غربا مارا بقرية المثلث ثم مدين حتى يصب في البحر الأحمر، إلى الشمال الغربي من الخريبة، ويبلغ طول الوادي بين المثلث والبحر الأحمر حوالي ١٣٧ كم. وتلتقي بوادي عفال عدد من الأودية. (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ٣، ص٩٢٠ ـ ٩٢١؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٦، ص١٢٠ ـ ١٢١).

(٤) Philby, J., The Land of Midian, London, 1957, p. 206.

ويؤيد حمد الجاسر رأي فيلبي. (انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ١، ص١٦١).

(٥) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٥٦.

(٦) ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص١٤٥.

(٧) Buhl, F. [Bosworth, C. E.), "Madyan", EI^2, vol. , p. 1155.

(٨) البقاعي، المصدر السابق، ج١١، ص٧٩، ج١٤، ص٨٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٤، ص٧١.

كثيرة الشجر[1]. وأن شعيبا عليه السلام بُعث إليهم وهو في الأصل ليس منهم بل هو من مدين، بدليل أن القرآن الكريم لما ذكر قصة مدين وصف شعيبا بأنه أخوهم ولما ذكر قصة أصحاب الأيكة لم يصفه بأنه أخوهم إذ لم يكن نسيبا ولا صهرا لهم[2]. ويحتج البعض بحديث رواه ابن عساكر في ترجمة شعيب، عليه السلام، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيبا النبي عليه السلام. ويعلّق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: «هذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفا والصحيح أنهم أمة واحدة»[3]. ويروى أيضا عن إسحاق بن بشر الكاهلي قال: حدثني ابن السندي عن أبيه وزكريا بن عمر عن خصيف عن عكرمة، قالا: ما بعث الله نبيا مرتين إلا شعيبا، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة[4]. وعلة الرواية إسحاق بن بشر الذي كذّبه أبو زرعة. وقال

---

(١) ابن إياس الحنفي، المصدر السابق، ص١١٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٣، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٩، ص١١٧، ج٢٦، ص١٧٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٢، ص١٦١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) التفسير، ج٦، ص١٦٨؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج١، ص٢٧٧. ولم نجد هذه الرواية في المطبوع من تاريخ دمشق لابن عساكر، في ترجمة شعيب عليه السلام. وانظر كذلك: السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص١٠٣ ـ ١٠٤. ويقول د. عبد الله بن عبد المحسن التركي عن هذا الحديث: «لعله في الجزء الساقط من تاريخ دمشق». (ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، ١٩٩٧، ج١، ص٤٣٨، ح. ٦).

(٤) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص١٦٨. انظر كذلك: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٧٧. وفي سند الرواية خصيف بن عبد الرحمن الجزري، رأى أنس بن مالك، =

ابن حبان: لا يحل كتْبُ حديثه إلا على جهة التعجب، وقال: الدارقطني: كذّاب متروك[1].

الإيمان:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ﴾ (الحشر: ٩):

المدينة المنورة، ولقد سماها الله تعالى بذلك لأنها مظهره ومصيره[2]. ويقول الواحدي أن عطف الدار على الإيمان في الظاهر لا في المعنى، لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ، والتقدير وآثروا الإيمان أو اعتقدوا الإيمان[3].

= وروى عن عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم. ضعّفه عدد من علماء الحديث، لكثرة خطئه وسوء حفظه وانفراده عن المشاهير بما لا يوافق الثقات. (انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص١٩٣؛ رجال تفسير الطبري، ص١٧١ ـ ١٧٢).

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٢، ص٢١٤؛ ابن حبان، كتاب المجروحين، ج١، ص١٣٥؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص٣٩٢؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص١٦٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ب.ت.، ج٦، ص٣٢٦؛ الدارقطني، الضعفاء والمتروكون، ص١٤٢.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١١؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٤١.

(٣) الوسيط في تفسر القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ج٤، ص٢٧٣.

حرف الباء

بئر معطلة:

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ (الحج: ٤٥):

وكلمة بئر شائعة الاستخدام في اللغات السامية كالعبرية والآرامية والأكادية[١]. وهذه البئر في أرض اليمن[٢]، أو على العموم في شبه الجزيرة العربية[٣]، أو هي الرس[٤]. وقيل أن البئر هي التي نزل عليها صالح عليه السلام مع ٤٠٠٠ من المؤمنين الناجين معه من العذاب. وهي بحضرموت، وتوجد بلدة عند البئر تعرف بحضورا، بناها قوم صالح وأمّروا عليهم رجلا يدعى جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زمانا ثم كفروا بالله تعالى وعبدوا الأصنام، فأرسل الله عز وجل إليهم حنظلة بن صفوان نبيا، فقتلوه، فأهلكهم الله سبحانه وعطّل بئرهم وخرّب قصورهم. وتقع البئر عند سفح جبل عالٍ[٥].

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، ج٢، ص١؛

Kraemer, J., "Biʾr", EI^2, vol. 1, p. 1230; NNABD, pp. 1310 f.

(٢) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج١، ص١٧٣.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٣.

(٤) السهيلي، التعريف والإعلام، ص١١٧، ١٦١؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٨٦.

(٥) أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٠٤؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٤، ص٤٨١.

الباب:

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ (البقرة: ٥٨):

وهو باب قرية أريحا التي كان لها سبعة أبواب، أو باب بيت المقدس المعروف بباب حطة وقيل الباب الثامن ويدعى الآن باب التوبة أو باب مدينة حبرون أو مدينة أذرح أو باب القبة[١] التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل، وقيل هو باب في الجبل الذي كلم عليه موسى[٢]. وقد أمر موسى عليه الصلاة والسلام أو يوشع بني إسرائيل بدخوله ساجدين لله خاضعين مبتهلين إلى الله وحده، شكرا لله تعالى على خلاصهم من العذاب والمهانة والذل، وكان المطلوب منهم أن يدعوا الله ليغفر لهم ذنوبهم ويحط عنهم خطاياهم. ولكن بني إسرائيل خالفوا الأمر ولم يتبعوه، ودخلوا زاحفين على أدبارهم غير خاضعين لله[٣]. ويبدو أن الباب هو باب أريحا وليس بيت المقدس إذا كان من أمرهم

---

(١) تذكر التوراة أن الرب أمر موسى بأن يقيم خيمة كبيرة ليجتمع فيها الرب ويسكن مع بني إسرائيل، وقد عرفت هذه الخيمة بخيمة الاجتماع. سفر الخروج، الإصحاح: ٣٣، الآية: ٧ ـ ١٠، الإصحاح: ٣٥، الآية: ٢١ ـ ٢٩؛ الإصحاح: ٣٨، الآية: ١٠؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٣٥٢ ـ ٣٥٣. ومن المحتمل أن المفسرين عرّفوا الخيمة على أنها القبة. والكلام المنسوب إلى التوراة باطل لأن الله تعالى منزّه عما وصفوه به من اجتماعه ببني إسرائيل، وهذا من بلايا تحريفهم للتوراة.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج١، ص١٠٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٥؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٨٩؛ عبد الغني الدقر، المصدر السابق، ج١، ص٣٤؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص١٩٨؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٥١٤. وباب حطة أحد الأبواب المشهورة للحرم القدسي الشريف، وهو يقع في الجهة الشمالية. ويعرف أيضا بباب العبيد. (انظر: محمد المشايخ، «أضواء على بوابات القدس»، آفاق الثقافة والتراث، س. ٤، ع. ١٦، (مارس ١٩٩٧)، ص٥٥).

(٣) محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ج١، ص٤٧٩ ـ ٤٨١؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١، ص١٦٧، ١٧٠.

بالدخول هو يوشع، لكون موسى عليه السلام توفي في التيه قبل دخول بني إسرائيل فلسطين. أما إذا كان الآمر هو موسى يبدو أن المراد بالباب هو مدخل الأرض المقدسة أي المسالك التي يسلك منها إلى أرض كنعان[1]. إضافة إلى أن لفظة باب قد استخدمت في العهد القديم للدلالة على أمر معنوي أكثر منه أمر مادي أو باب معروف بعينه[2]. وإذا صحت تسمية الباب بباب حطة فاعتماد هذه التسمية أولى اتفاقا مع سياق القرآن الكريم.

بابل:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: ١٠٢):

بسبب ورود بابل في حادثة السحر والملكين وسليمان عليه السلام وبسبب الأخذ من روايات بني إسرائيل والقصص الأولى وبسبب ما يحيكه الناس من أساطير حول السحر والسحرة وأعمالهم المخيفة وبسبب النقل أيضا من مؤلفات اليونانيين والرومان الذين كانوا يجمعون أعاجيب الشرق وقصصه، أصبح لبابل ذكرا كثيرا في كتب التفسير والتاريخ والجغرافيا اختلطت فيه الحقائق بالأباطيل وتغيرت فيه الثوابت وأضيف إلى وصف بابل العديد من الخيالات لدرجة تبعد عن الواقع التاريخي الذي تأكد بمرور الزمن نتيجة للتطور في الاستكشافات الآثارية وظهور العديد من النقوش والكتابات البابلية التي أماطت اللثام عن الواقع التاريخي للمدينة العظيمة. وقبل الخوض في حقيقة بابل وباطلها سوف نفسر الآية حسب الرأي الراجح البعيد عن الأساطير والحكايات[3].

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٦، ص١٦٥.

(٢) NNABD, p. 364.

(٣) حول ما قيل من قصص وأساطير حول هاروت وماروت، انظر مثلا: الثعلبي، عرائس المجالس، ص٤٤ ـ ٤٦؛ الطبري، التفسير، ج٢، ص٤٢٧ ـ ٤٣٥؛ القزويني، المصدر السابق، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

حين نبذ فريق من أحبار وعلماء اليهود التوراة وأعرضوا عنها، خاصة فيما يدل على نبوة محمد ﷺ، اشتغلوا بأعمال بعيدة عن الدين، هي من صنع شياطين الإنس والجن، وهي السحر والشعوذة والطلاسم التي نسبوها إلى سليمان عليه الصلاة والسلام، وزعموا أن ملكه وسلطانه كانا قائمين عليها كما ادعوا أن سليمان هو الذي جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه، ثم استخرجوها هم ونشروها بين الناس. وهذه أباطيل وأكاذيب افتروها على النبي الكريم، وصدقهم في ذلك بعض المسلمين، وهي في الحقيقة كفر رموا به سليمان عليه السلام. ولقد قص القرآن الكريم ذلك للذكرى ولتبيان ما افتراه الظالمون على سليمان من أمر السحر. ورد الله تعالى عليهم أن سليمان ما فعل ذلك وعمل السحر، ولكن الشياطين هم الذين كفروا باتباع السحر وتدوينه وتعليمه للناس على وجه الإغواء والإضرار والإفساد. وهم الذين علموا الناس ما أنزل على الملكين ببابل وهما هاروت وماروت، وقيل: هما رجلان صالحان قانتان، أطلق الناس عليهما ملكين من باب الشبه، وقُرئ أيضا (المَلِكين)[1] تشبيها بالملوك في الخلق وسماع الكلمة. وكانا يعلمان الناس السحر الذي كثرت فنونه في عصرهما، ليتمكنوا من التمييز بينه وبين المعجزة ويبينوا أن الذين يدعون النبوة من السحرة كذبا إنما هم سحره دجالون لا أنبياء، وكان تعلمهما السحر بالإلهام دون معلم، وهو المقصود بالإنزال. وقد اتبع هذان الملكان في تعليم السحر سبيل الإنذار والتحذير، فلا يعلمان أحدا من الناس حتى يقولا له: إنما ذلك ابتلاء واختبار من الله تعالى، فلا تعمل بالسحر ولا تعتقد بتأثيره، وإلا كنت كافرا، أما إذا تعلمته لتعلمه فقط دون اعتقاد بحقيقته ولا إضرار بالناس فهو حسن. وقد أخذ اليهود السحر من الملكين بقصد الإضرار ومعرفة حيل

---

(١) وهي قراءة شاذة. (انظر: ابن جنّي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٠. وكونهما رجلين صالحين ضعيف لعدم وجود ما يدل عليه من النصوص الصحيحة ولا حجة في قراءة «الملِكين» (بكسر اللام) على ذلك لأنها قراءة شاذة لا يثبت بها قرآن.

السحر وخدعه واستبدلوا التوراة بكتب السحر والشعوذة. مع العلم أن التوراة قد حظرت تعلم السحر وجعلت من يتلعمه كعابد الأوثان[1].

وقد تباينت روايات وآراء وأقوال المفسرين والرواة والمؤرخين والجغرافيين في تحديد موقع بابل ودورها السياسي والعسكري والديني ومعناها اللغوي. وسوف نتطرق إلى تلك الأقوال محاولين نقدها وتقويمها ثم سوف نتحدث عن تاريخ بابل ومعنى الاسم اللغوي لبابل كما هو معروف من المصادر والسجلات القديمة سواء كانت في بلاد الرافدين أو خارجها. قد ذكر كثير من المؤرخين أن بابل المعنية في الآية قد تكون في العراق أو هي نهاوند أو هي نصيبين بل وضعها البعض في بلاد المغرب[2]. وبلا شك أن كل التحديدات التي تخرج ببابل خارج بلاد الرافدين هي تحديدات غير صحيحة ولا توجد في بلاد المغرب أو المشرق مدينة مشهورة ببابل سوى بابل بلاد الرافدين. بل اسم بابل يعني منطقة أكبر من مدينة بابل نفسها، تحتوي على عدد من البلدات والقرى[3].

أرجع عدد من الرواة المسلمين تسمية بابل إلى رواية مفادها أنه بعد أن توقفت سفينة نوح على الجودي خرج منها نوح وأتباعه «وابتنوا ثمانين بيتا، فلما كثروا ابتنوا بابل، فكثروا فيها حتى بلغوا مائة ألف، وملكهم نمرود بن

---

(١) محمد علي البار، المرجع السابق، ص٤٢٨ ـ ٤٣٠، ٤٣٢ ـ ٤٣٣. لمزيد من التفصيل في حكم تعلم السحر، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام البيان، (دار الكتب العلمية)، بيروت، ١٩٨٨، ج٣، ص٣٠ ـ ٣٩. وكذلك أبا بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار المعرفة)، بيروت، ب.ت.، ج١، ص٢٦ ـ ٣٢.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٢؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص١٢٠؛ الطبري، التفسير، ج٢، ص٤٣٦؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٣٧. وبعد أن أورد ابن عطية هذه الأقوال في تفسيره (ج١، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨)، قال: «وهذا ضعيف».

(٣) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٩.

كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح، فردهم عن الإسلام، فأمسوا وكلامهم السريانية، وأصبحوا وليس منهم مخلوق يعرف كلام صاحبه، فتبلبلت ألسنتهم »[1]. وهذه الرواية يبدو عليها الانتحال نظرا لأن راويها ابن الكلبي وهو ضعيف، بل متهم بالكذب. وفي رواية مشابهة رواها داوود بن أبي هند عن عِلباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجودي ابتنى قرية سماها ثمانين فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها اللسان العربي[2].

ورجال السند هؤلاء يحتج بهم[3]، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا نرى أن تفسير اسم بابل ليس بهذا المعنى[4]. وقيل: إن سبب التسمية هو تبلبل

---

(١) ابن حبيب، المصدر السابق، ص٢٨٤؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٩؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٢) القرطبي، التفسير، ج٢، ص٣٧. وقد ورد في تفسير القرطبي داوود بن أبي هند، ولكن الصواب، والله أعلم، داوود بن أبي الفرات، واسمه عمرو بن الفرات، الكندي المروزي، لأن في ترجمته ذكر أنه روى عن علباء بن أحمر، ولم يذكر في ترجمة داوود بن أبي هند ذلك، فيترجح أنه ابن أبي الفرات، ولكن القرطبي ذكره ابن أبي هند سهوا، والله أعلم. وابن أبي الفرات هذا ثقة. (انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٩٩؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٨، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨).

(٣) لم نقف على من روى هذا الأثر عن داوود بن أبي هند (أو ابن أبي الفرات)، لذا فلا نجزم بصحة الأثر إلى ابن عباس.

(٤) داوود بن أبي هند دينار بن عذافر القشيري أحد صغار التابعين، رأى أنس بن مالك وروى عن عكرمة مولى ابن عباس. وكان رجلا صالحا، ثقة. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٠٠؛ خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم العمري، الرياض، ١٩٨٢، ص٢١٨؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٨، ص٤٦١ وما بعدها؛ رجال تفسير الطبري، ص١٧٨). والراوي الثاني هو علباء بن أحمر اليشكري البصري، صدوق من القراء، روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة. (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤؛ =

الألسنة بعد سقوط صرح نمرود[١]. ورُوي أيضا من طريق يَغْنَم بن سالم بن قُمْبر، مولى علي، عن أنس بن مالك أنه لما حشر الله تعالى الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحا شرقية وغربية وبحرية فجمعتهم إلى بابل ومنها تبلبلت ألسنتهم وتفرقوا إلى البلدان بلغاتهم المختلفة[٢]. وهذه رواية مكذوبة لأن روايها هو يغنم بن سالم وهو متروك الحديث، وأتى بعجائب عن أنس وكذب عليه ولا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار[٣]. وبالتالي فإن هذه الرواية مما وضعه على أنس.

ونتيجة لما أثير حول بابل من كونها بلادا للسحر والشعوذة، ذُكر حديث عن علي أنه لما دخل أرض بابل وأدركته الصلاة قال: «نهاني حبيبي أن أصلي بأرض بابل فإنها ملعونة». ويعلق الخطابي على هذا الحديث بقوله: «في إسناد هذا الحديث مقال، ولا أعلم أحدا من العلماء حرّم الصلاة بها، ويشبه إن ثبت هذا الحديث أن يكون نهاه عن أن يتخذها وطنا ومقاما»[٤]. وقد ضعّف الألباني هذا الحديث[٥]. كما أحيطت بابل بقصص وحكايات الجن والسحر، ووصف عمرانها وبنيانها وتعدد حدائقها وأسوارها[٦].

= ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ٣٩٧؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٠، ٢٩٣ ـ ٢٩٣؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٩٧). أما عكرمة، فهو مولى ابن عباس الإمام المفسر المشهور.

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٢؛ السدي، التفسير، ص٣٢٧؛ عبد الغني الدقر، المصدر السابق، ج١، ص٥٣.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٢.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٩، ص٣١٤؛ ابن حبان، كتاب المجروحين، ج٣، ص١٤٥؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٦، ص١٦٩، ٣١٥؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص٤٥٩.

(٤) معالم السنن، بيروت، ١٩٨١، ج١، ص١٤٧ ـ ١٤٨.

(٥) ضعيف سنن أبي داوود، بيروت، ١٩٩١، ص٤٥، رقم: ٩٣. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٦٩٧ ـ ٦٩٨.

(٦) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٤٤٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص: بيروت، ب.ت.، ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

ومدينة بابل، مدينة عريقة تقع على نهر الفرات، وتبعد عن بغداد ٩٠ كم جنوبا، وهذه المدينة تقع بالقرب من أضيق منطقة يتقارب فيها نهرا دجلة والفرات. ولموقعها أهمية كبيرة فهي في وسط بلاد الرافدين بصورة عامة، وتقع في مناطق يتركز فيها العمران والسكان والزراعية، ولها مناعة جغرافية وطبيعية.

وكانت بابل قبل وصول الآموريين (الساميين الغربيين) مجرد بلدة صغيرة تدعى بالسومرية كدنجيرا. وعندما استوطنها الآموريون حوّلوها إلى حاضرة عظيمة. أما أصل التسمية، فلا يوجد رأي قاطع يفسر كلمة بابل، وربما هي مكونة من كلمتين: باب وإيل (إيلو) وتعني باب الإله، وهي تتقارب في المعنى من الكلمة السومرية كدنجيرا. وقد أطلق على المدينة أكثر من اسم منها شنعار وتندير أي مركز الحياة وإيريدوكي أي المدينة الطيبة أو الفردوس. وقد ورد ذكرها في العهد القديم أكثر من ٢٠٠ مرة[١]. وتقدّم التوراة تفسيرا آخر وهو أن سلالة الناجين من الطوفان بدأوا يبنون برجا عظيما بهدف الوصول إلى السماء لرؤية الله تعالى، فخشي شرهم ووصولهم إليه، فنزل إلى الأرض وبلبل ألسنتهم فتفرقوا وتوزعوا في الأرض[٢]. ويبدو أن الراويات الإسلامية حول تبلبل الألسنة وبناء برج بابل قد اعتمدت في الأصل على القصة التوراتية. وما أطلق عليه برج بابل يبدو أنه هو الزاقورة المخصصة للعبادة في بلاد الرافدين[٣]. ويرى بعض مفسري التوراة أن

---

(١) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٥٢؛

Negev, A., op.cit., p. 42; NNABD, pp. 148 f; Safanor, A.,"Babel Tower", UJE, vol. 2, p. 8.

(٢) وهذا لا يليق بمقام الرب سبحانه وتعالى، فتنزه تعالى أن يخشى شر أحد من خلقه. انظر: التوراة، سفر التكوين، الإصحاح، ١١، الآيات: ٤ ـ ٩؛ مخطوطات قمران ـ البحر الميت: التوراة، كتابات ما بين العهدين: التوراة المنحول، ترجمة: موسى ديب الخوري، دمشق، ١٩٩٨، ج٢، ص١٩٥، ج٣، ص٢٠١.

(٣) زنون كوسيدوفسكي، المرجع السابق، ص٩، ١٨ ـ ١٩؛ المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ج١، ص١٣٠ ـ ١٣٣؛

Negev, A., op.cit., pp. 42, 44; NNABD, p. 147 f; Safanor, A., op.cit., vol. 2, p. 8.

البنائين المتكبرين أطلقوا على بابل هذه التسمية ويعنون بها «باب الله»، ولكن الله أخذ كلمتهم وسخر منهم إذ نسبهم إلى لفظ آخر مشابه في النطق مختلف في المعنى وهو البلبلة واختلاط الألسن واللغات[1]. وقيل: إن أول من بنى بابل هو مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. وهو أول من بنى المدن واستخرج المعادن[2].

ونشأت في المدينة أسرة عرفت بالأسرة البابلية الأولى، أسسها الملك سمو ـ أبوم (١٨٩٤ ـ ١٨٨١ ق.م.). ويعتبر حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ أو ١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م.) أشهر ملوك الدولة البابلية الأولى، وهو كذلك من أشهر الحكام في التاريخ القديم. ونالت مدينة بابل حظا وافرا من الاهتمام حتى فاقت كل عواصم بلاد الشرق المعاصرة لها، وأصبحت محط إعجاب الجميع ومرتعا خصبا للأساطير والقصص والحكايات. وقد سقطت الدولة البابلية الأولى على على يد مورسيليس الأول (١٦٢٠ ـ ١٥٩٠ ق.م.) أحد أشهر ملوك الحثيين. ثم نشأت في بابل الدولة الكاشية أو أسرة بابل الثالثة (١٥٩٥ ـ ١١٥٧ ق.م.)، والكاشيون في الأصل من قبائل هندو ـ أوروبية، جبلية، سكنت شرق بلاد الرافدين. تمكنوا من فرض نفوذهم على بلاد الرافدين مدة حوالي ٥٧٦ سنة.

وبعدما دب الضعف في الدولة الكاشية تعرضت بابل لغزوات الآشوريين والعيلاميين، وهاجم بابل الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول، واحتلها ودمرها. وبعد وفاته، ثار البابليون ضد الآشوريين واستطاعوا طردهم من المدينة، ولكن الآشوريين عاودوا الكرة فهاجموا بابل عام ١١٦٠ ق.م. وفي نفس العام، هاجم الملك شترك ناخنته ملك عيلام بابل ونقل قانون حمورابي إلى سوسة واحتل المدينة. ولكن البابليين تمكنوا أيضا من طرد العيلاميين عام ١١٥٩ ق.م. واستقلت بابل حتى عام ١١٥٧ حيث عاود العيلاميون أحتلالها في عهد الملك العيلامي شيلاك ـ أنشوشناك،

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٦٧.

(٢) السيوطي، الوسائل، ١٩٠.

وتعرضت المدينة للتخريب والتدمير. واستغل الوضع حكام جدد في مدينة إيسين مؤسسين بذلك سلالة إيسين الثانية حوالي عام ١١٥٦ ق.م. وهم سلالة بابل الرابعة. وأشهر ملوك هذه الأسرة ملكها الرابع نبوخذنصر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق.م.) الذي احتل عيلام ودخل العاصمة سوسة. وأعاد إلى بابل تمثال الإله مردوخ. وأصبح انتصاره هذا حدثا عظيما عند البابليين، تغنّت به الأجيال.

ثم خضعت بلاد الرافدين لعدد من الأسر والممالك بدءا من الأسر البابلية الخامسة إلى العاشرة بين عامي ١٠٢٤ و٦٢٦ ق.م. وفي هذه الفترة لم تكن الأحوال مستقرة وتعرضت بابل لغزوات العيلاميين والآشوريين وأصيبت البلاد باضطرابات شديدة على الرغم من محاولات الآشوريين من فرض نفودهم على بابل.

ولقد أعلن الأمير الكلداني مردوخ بلادان الثاني الثورة ضد الملك سنحريب الآشوري. فقام سنحريب بمهاجمة بابل وحاصرها ٩ شهور حتى انتشرت بين الأهالي والأوبئة والمجاعة، ثم تمكن الآشوريون من تحويل المياه نحو المدينة فأغرقوها ثم دخلوها عنوة وسمح سنحريب لجنوده بتدمير المباني وقتل الأهالي وسلب الأموال. وفي عهد أسرحدون بن سنحريب نعمت بابل بالهدوء والأمان، وولّى عليها أسرحدون ابنه الأكبر شمشي شوموكين. وبعد وفاته حدث خلاف بين ولديه شمشي شوموكين وآشور بانيبال وأدى الصراع بينهما إلى تدمير بابل وتخريبها وقتل شمشي شوموكين.

ثم نشأت في بابل سلالة جديدة حاكمة هي أسرة بابل الحادية عشر أو العصر البابلي الحديث أو العهد البابلي الأخير، ودام حكمها حوالي قرن، امتد من عام ٦٢٦ ق.م وحتى عام ٥٣٩ ق.م. وهي من العهود المجيدة، وخلفت آثاراً ووثائق مهمة. وقد أسسها نبوبولاصر (٦٢٦ ـ ٦٠٥ ق.م.) في عام ٦٢٦ق.م. وقد خلفه ولده نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م.) أشهر ملوك الكلدانيين، المعروف في المصادر الإسلامية ببختنصر. وهو

الذي احتل فلسطين وحاصر مدينة القدس عام ٥٨٦ ق.م. لمدة سنة وشهر، حتى نفدت الأقوات وانتشرت المجاعات والأمراض بين اليهود. ثم اقتحم الكلدانيون القدس وقتلوا ودمروا ثم سبى نبوخذنصر من اليهود أربعين ألفا، وعُرف هذا السبي بالسبي البابلي وبقي اليهود في بابل حتى عام ٥٣٩ ق.م. وبعد وفاة نبوخذنصر خلفه ملك ضعيف لم يستطع إدارة الدولة، فتولى الحكم بعده نابونئيد بتأييد من الجيش، وحكم بين عامي ٥٦٢ و٥٣٩ ق.م. حيث احتل قورش الفارسي بابل وتعاون معه اليهود، وبقيت بلاد الرافدين تحت حكم الفرس حتى مجيء الإسلام. وسمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين. وقد تولى بابل عدد من أفراد البيت المالك أشهرهم الملك أحشويرش الأول الذي حكمها ١٢ عاما في أيام والده داريوس الأول(١).

إضافة إلى هذه الشهرة التاريخية السياسية، فإن لمدينة بابل عراقة كبيرة في جوانب العلوم المختلفة كالرياضيات والفلك والطب والزراعة والتعليم والجغرافيا، وقد برع البابليون في مختلف العصور في هذه العلوم وغيرها، وخلّفوا عددا كبيرا من الرقم الطينية والكتابات الدالة على ذلك. وكان لبابل عظمة دينية أيضا. ويروى أن بابل كانت مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء، تقع على مساحة تبلغ حوالي ٨٥٠ هكتار، وفيها كما قيل ١١٧٩ معبدا، وبها ما لا يقل عن المليون نسمة. وآثار بابل التي مازالت موجودة إلى الآن تدل على عظمة هذه المدينة(٢).

هذه هي خلاصة تاريخ مدينة بابل العريقة ومما لا شك فيه أن مدينة بهذه الأصالة والشهرة والعظمة لابد وأن تحاك حولها الأساطير والقصص

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تاريخ بابل عبر العصور، انظر مثلا: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص١٩٣ ـ ٢٠٢؛

Frame, G., Babylonia 689-627 B.C: A Political History, London, 1992, passim; Negev, A., op.cit., p. 42-44; Oates, J., Babylon, Slovenia, 1996, passim.

(٢) انظر: Oates, J., op.cit., 163-198; Roux, G., Ancient Iraq, pp. 27 f., 30 f., 203 ff., 214-224, 359 ff., 390-396.

والحكايات الصحيحة والباطلة خاصة أنها نشأت في بلاد تولي مثل هذه القصص أهمية دينية ونفسية كبيرة. ولهذا فقد قال أبو عبيد البكري: «كانت بابل من استعظامها واستشناع أمرها لا تكاد تجعل من عمل الآدميين»[1]. ومن المحتمل أن وقائع القصة المذكورة في القرآن عن قصة هاروت وماروت في بابل وقعت إبان التواجد اليهودي في بابل.

وقد أخذ اليهود تعاليم السحر والشعوذة من بابل التي اشتهرت بهذا في عصورها المختلفة، ووضع البابليون قوانين لعلم السحر والشعوذة الذي كانت له مكانة عالية في النفسية والعقلية البابلية والشرقية في العصور القديمة. وقد عرف البابليون السحر الأبيض النافع والسحر الأسود الضار، وعبدوا آلهة مخصصة للسحر لدفع الضرر وجلب الخير ومقاومة الأرواح الشريرة مثل الربة أيا وابنها الإله مردوخ. وكان السحر يتمتع في المجتمع البابلي باحترام لم يكن يخلو من الخوف والحذر. وكان رجال الكهنوت من المرتبة الأولى لرجال الدين يقيمون طقوسا خاصة بذلك وتؤدى كذلك صلوات وتراتيل. ويلعب الشياطين دورا بارزا في السحر، وكان الساحر يقارع الشياطين الشريرة الضارة، بدعم من الإله مردوخ. كما استخدم البابليون السحر في الطب وشفاء الأمراض[2].

---

(١) كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٤٤٠. انظر كذلك: ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٧٣. وعرّفها أبو عبيد البكري بقوله أنها: «مدينة السحر». (معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج١، ص٢٠٢).

(٢) حول السحر البابلي، انظر: إبراهيم كمال أدهم، السحر والسحرة من منظور القرآن والسنة، بيروت، ١٩٩١، ص٢٣٠ ـ ٢٣٢؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٥٥؛ ل. ديلا پورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٥١ ـ ١٥٣، ٢٣٨؛ سبتينو موساكي، المرجع السابق، ص٧٨ ـ ٧٩؛ مرغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٠، ص٦٢ ـ ٦٧، ٧٠ ـ ٧٥؛ =

إضافة إلى تأثر اليهود بالسحر البابلي، فإنهم أيضا تأثروا بالسحر المصري القديم الذي اشتهرت به مصر. وبلغت فيه شأوا عظيما وتميزا كبيرا وأصبحت مقصدا لتعلمه من الأمم والشعوب الأخرى. وارتبط السحر المصري بالديانة والأساطير والتمائم والآلهة والملوك. وقد كانت لبني إسرائيل علاقات قوية بمصر لفترات طويلة من الزمن واستقروا فيها مدة قرون، حتى أصبح السحر ضمن العقيدة الإسرائيلية والسلوك اليهودي. وأخذ بنو إسرائيل عددا من تراتيل وطقوس الأعمال السحرية من المصريين. وربطوا بين سليمان عليه السلام وبين السحر، ونسبوا إليه العديد من الخوارق السحرية. كما تأثروا أيضا بالسحر الكنعاني نظرا لمعيشتهم القريبة مع الكنعانيين في أرض فلسطين[١]. والسحر له ذكر في العهد القديم. وهو محرم أشد التحريم، وحُكم على الساحر بالقتل رجما، ولكن بني إسرائيل خالفوا هذه التعاليم الصارمة[٢].

البحر:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ (البقرة: ٥٠)؛

= Guge, E. A. W., Babylonian Life and History, New York, n.d., p. 144; Gaster, Th. H.,"Magic", UJE, vol. 7, pp. 273-275; Nemet-Nejat, K. R., Dailly Life in Ancient Mesopotamia, Westport, 1998, pp. 196 ff.; Moscati, S., The Fas of the Ancient Orient, Chicago, 1960, pp. 71 ff.; Thompson, R. C., The Devils and Evil Spirits of Babylonia, London, 1903, passim.

(١) انظر: إبراهيم كمال أدهم، المرجع السابق، ص٢٢٨ ـ ٢٣٠؛ دائرة المعرف الكتابية، القاهرة، ١٩٩٠، ج٤، ص٣٥٩ ـ ٣٦١؛ شفيق مقار، السحر في التوراة والعهد القديم، لندن، ١٩٩٠، ص١١٧ ـ ١١٨، ١٢٥ ـ ١٢٦، ١٥٩، ٢١٠ ـ ٢٣٣٢١٢ ـ ٣٣٧، ٣١٣ وما بعدها، ٤٥٤ ـ ٤٥٥، ٤٧٨، ٥٢٨؛

Trachtenberg, J., Jewish Magic and the Supertition, Philadelphia, 1961, p. 11.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح: ١٨، الآيات: ٩ ـ ١٤؛ سفر اللاويين، الإصحاح: ١٩، الآية: ٢٦؛ دائرة المعارف الكتابية، ج٤، ص٣٦٠ ـ ٣٦١؛ سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، بيروت، ١٩٩٨، ص٣٩ ـ ٤٠؛

Trachtenberg, J., op.cit., pp. 104-113; NNABD, pp. 787 ff.

هو بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر[١]. وقيل هو نهر النيل وهذا خطأ على رأي أغلب المفسرين والمؤرخين[٢]. وقيل بحري فارس والروم[٣]، وطبعا هذا التحديد يبعد كثيرا عن مكان الأحداث وكونها في شبه جزيرة سيناء. وفي هذه الآية وما قبلها وما بعدها يذكّر الله تعالى بني إسرائيل بأفضاله وإنعاماته عليهم التي كانت سببا في بقائهم، منها إنجائه تعالى لهم من كيد فرعون وظلمه وإجرامه حيث عبروا البحر وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده وهم ينظرون. وقد أسند تعالى فرق البحر إلى ذاته الكريمة ليدل على أن بني إسرائيل عبروه وقطعوه بفضله وتحت عنايته بيانا للمنة العظمى التي امتن بها سبحانه عليهم[٤]. ووردت في العهد القديم الإشارة إلى البحر الأحمر كترجمة للفظة العبرية: «يم سوف» التي فسّرها البعض أنها تعني خليج العقبة أو خليج السويس أو البحيرات المرة وبالتحديد بحيرة المنزلة القريبة من قناة السويس. وهذه البحيرة تقع مباشرة على طريق العبور من مصر إلى صحراء سيناء الذي عبره موسى مع بني إسرائيل[٥].
ولكن الدكتور مراد محمد الدَّش يقرر أن البحر المقصود في الآية هو بحيرة الفيوم وفيها حدث غرق فرعون وهلاكه، اعتمادا على عدد من الفرضيات الآثارية والجيولوجية[٦]. ويبقى هذا التحديد فرضية لا يمكن تأكيدها.

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩؛ إسحاق بن حسين المنجم، آكام المرجان، بدون بلد أو دار النشر، ب.ت، ص٢٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥؛ زنون كوسيدوفسكي، المرجع السابق، ص٩٩؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص١٦؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٤٩٤.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج٦، ص٥٩؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦٩.

(٣) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٢٢٥.

(٤) محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ج١، ص٤٥٨ ـ ٤٥٩؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج١، ص١٦٠، ١٦١.

(٥) عادل طه يونس، حياة الأنبياء بين حقائق التاريخ والمكتشفات الأثرية الجديدة، القاهرة، ب.ت.، ص٨٧؛ دائرة المعارف الكتابية، ج٢، ص٧٦؛ NNABD, pp. 1072-1073.

(٦) الكشف عن مكان عبور موسى يغيّر حقائق التاريخ المصري والعبري القديم، الكويت، ١٩٩٧، ص١٤ وما بعدها. ولقد فنّد أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد =

وقد انفرد القرآن الكريم دون التوراة بتبيين أن بني إسرائيل بعد نجاتهم مباشرة رأوا أناسا يعبدون أصناما لهم، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها أسوة بهم. فقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ (الأعراف: ١٣٨ ـ ١٣٩). وطلبوا هذا الطلب وأرجلهم لم تجف بعد من ماء البحر. وهذا الإصرار منهم على عبادة الأصنام يدل على تشبّعهم واتّباعهم وإيمانهم بالأصنام في مصر، بل وتمكن الديانة المصرية من نفوسهم وعقولهم وقلوبهم قبل أن يأتيهم موسى عليه السلام. ومن المحتمل أن العبور تم في الطرف الشمالي من خليج السويس، عند بحيرة المنزلة(١).

بدر:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ (آل عمران: ١٢٣):

اسم بئر حفرها بدر الغفاري، المعروف ببدر النار أو أنه من بني النار، وهم بطن من غفار بن مليل بن ضمرة. وقيل: هو نسبة إلى بدر بن قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة، وكان دليل بني كنانة في تجاراتهم(٢). وقيل: أنما سميت بدرا لاستدارتها أو لصفاء مائها أو إنما هو اسم موضع لا

= نظرية الدكتور الدش واعتبر آراءه خاطئة وغير صحيحة وهي عبارة عن خيالات ومعلومات غريبة. وقدّم أ.د. عبد المنعم عرضا قيّما يؤكد أن البحر الذي عبره بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون ليس بحيرة الفيوم. انظر كتابه: المغالطات والافتراءات، ص١٣٩ ـ ١٤٦.

(١) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٦٣ ـ ١٦٤؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ، ج١، ص٤٠٣ ـ ٤٠٦؛ نفس المؤلف، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (٢) مصر، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٢٤٥ ـ ٢٥٠.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٤٥٠؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج١، ص٢١٥؛ البلنسي، المصدر السابق، ص٣٠٧؛ جواد علي، المفصّل، ج٧، ص٣٥٥؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٣٦.

ينسب إلى أحد[1]. وهي عبارة عن بلدة أو مدينة صغيرة ليست بعيدة عن ساحل البحر الأحمر[2]. وتبعد ١٥٥ كم عن المدينة المنورة، إلى الجنوب الغربي منها، ويبعد عنها ساحل البحر بحوالي ٣٠ كم، وهي على بُعد ٣٠٠ كم من مكة المكرمة[3]. وهي بلدة ذات نخيل ومزارع ومياه، وهي اليوم عامرة بسكانها. وأرضها رملية بشكل عام، ويقع في شرقها جبل أو مغطاة وفي شمالها جبل الدف، ويقع مجرى وادي الصفراء إلى الجنوب من بدر. وتكثر مزارع النخيل في الجانب الغربي من بدر. كما يوجد في المكان كثيبان كبيران يعرفان بالحنّان والعقنقل[4].

البدو:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ﴾ (يوسف: ١٠٠):

أي البادية حيث كان يعقوب عليه السلام وأولاده بأرض كنعان، وكانوا أهل عمد وأصحاب مواشٍ وبرية، كما هو مروي عن علي بن أبي طلحة ومجاهد وغيرهما[5]. وعن ابن عباس أن يعقوب قد سكن قرية بدا، ومنها قدم على يوسف، وله بها مسجد تحت جبلها. وعلى هذا القول كان يعقوب

(١) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج١، ص٢١٤؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٤٠.

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٨٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٢.

(٣) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٨٩محمد صالح البلهيشي، بدر، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١٥.

(٤) ابن جبير، المصدر السابق، ص١٦٥؛ عاتق بن عيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٤١؛ محمد صالح البلهيشي، المزجع السابق، ص٢٣ ـ ٢٥، ٢٦.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٨؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص٢٧٥.

وولده أهل حضر، والبدو الوارد في الآية تعني قرية بدا. وتعرف هذه القرية ببيت الأحزان، لأن يعقوب كان بها حزينا مدة طويلة[1].

وبدا اسم موضع على الطريق بين مصر والشام، وقيل واد قرب أيلة من ساحل البحر الأحمر، وقيل بوادي عذرة قرب الشام، وقيل بالقرب من وادي القرى كان ينزله علي بن عبد الله بن عباس وأولاده، وقيل موضع أو قرية على ساحل البحر. وهو الوارد في شعر لكثير يقول فيه:

ألا قد أرى إلا بثينة ترتجى ... بوادي بدا ولا بحسمى ولا شغب
وأنت التي حببت شغبا إلى بدا ... إلى أوطاني بلاد سواهما[2]

ومن الأرجح أن المقصود بالبدو في الآية هو البادية خاصة أن يوسف عليه السلام أراد التذكير بنعمة الله تعالى عليه وعلى أهله بأن جمع شملهم ونقلهم من حياة الشقاوة والبداوة إلى النعمة بسكون الحاضرة. والعيش في نعم الاجتماع ونشر الدين الحق، والتعاون على ترقي العلوم والصناعات[3]. والبدو ضد الحضر سمي بدوا لأن سكانه بادون أي ظاهرون لكل وارد. ويقال أين الناس، فتقول: قد بَدَوا أي خرجوا إلى البدو. والبادية اسم للأرض التي حضر فيها، وبدا الرجل يبدو أي نزل البادية. والبادية في الأصل البسيط من الأرض، لأن ما فيه يبدو للناظر لعدم وجود ما يواريه ثم

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٤٤؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص٥٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٨، ص٥١٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٥٤.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص١١٠؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٣٠؛ الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، ١٩٩٤، ج٩، ص٣٧٣؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٨٨.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٨٣؛ الشوكاني المصدر السابق، ج٣، ص٥٦؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٣، ص٥٨؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١٣، ص٤٤.

أطلق على البرية مطلقا[1]. والبادية التي سكنها يعقوب وولده بأطراف الشام، ببادية فلسطين أو بأطراف فلسطين، أو في العربات من أرض فلسطين من غور الشام، ويقال: إن العربات طريق في جبل بطريق مصر، أو أن البادية هي بالأولاج من ناحية شغب أسفل من حسمى[2]. ومن المرجح أن يعقوب وولده قد سكنوا البادية القريبة من بئر السبع حيث توجد مراعي الأغنام والماشية[3]. ويؤكد العهد القديم أن يعقوب قد استقر في منطقة البادية لرعي أغنامه[4].

بطن مكة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ (الفتح: ٢٤):

تعني أرض الحديبية أو بعض الأماكن القريبة من مكة، والحديبية بعضها في الحل وبعضها في الحرم. مع العلم أن النبي ﷺ قد عقد الصلح مع قريش في الحديبية. وقد نزلت الآية تسجل ما حدث بعد عقد الصلح إذ حاول سبعون من المشركين استفزاز المسلمين، فأسرهم الصحابة رضي الله عنهم، كما قبض سلمة بن الأكوع على أربعة من المشركين أساءوا إلى النبي ﷺ بعد إبرام الصلح، فعفا عنهم ﷺ جميعا[5]. أو تعني تحديدا

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١٤، ص٦٧؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٣، ص٦٠؛ الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، ١٩٧٩، ص١٨؛ السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد ألتونجي، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص١٩٣ ـ ١٩٤؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٩، ص٣٧٣.

(٢) الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٢٠٣؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٣٣٦؛ البقاعي، المصدر السابق، ج١٠، ص٢١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٨.

(٣) رشدي البدراوي، المرجع السابق، ج٣، ص٤٤٣، ٥١٩.

(٤) هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص٩١٥ ـ ٩١٦؛ NNABD, pp. 628f.

(٥) ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، تحقيق: عبد العزيز العمري، الرياض، ١٩٩٩، ص٢٩١؛ ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤؛ أكرم ضياء العمري، السيرة =

التنعيم، القريبة من مكة أو ربما تعني داخل مكة[1]. ويقال: إن مكة تقع في واد يعرف ببطن مكة[2].

بكـة:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ (آل عمران: ٩٦):

بكّهُ أي خرقه وفرّقه وفسخه وزاحمه وكما قال الراجز:

إذا الشريب أخذته أكّه — فخله حتى يبك بكّه

و«الشريب» الذي يورد إبله مع الإبل، و«الأكه» الحر الشديد، والمعنى خله حتى يورد إبله حتى يتباك على الحوض أي يزدحم[3]. وبكة اسم البيت، ومكة اسم المدينة، وقيل مكة هي بكة، وقيل بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله. وسميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا، أي تزدحم، كما هو

= النبوية الصحيحة، المدينة، ١٩٩٣، ج٢، ٢. ٤٤٦؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٤، ص٩٧؛ محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، القاهرة، ١٩٧٨، ج٢٦، ص٤٩؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢٦، ص١٠٤، ١٠٦؛ مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الرياض، ١٩٩٢، ص٤٩٢.

(١) البيضاوي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٣. والتنعيم واد خارج الحرم من الشمال، يتجه شمالي مكة محاذيا الطريق العام المتجه نحو المدينة، فيصب في وادي يأجج الذي يذهب سيله إلى مر الظهران شمال غربي مكة على قرابة ٢٠ كم. وهو عبارة عن وادي محاط بجبلين صغيرين هما نعيم وناعم والوادي يعرف بنعمان، ولهذا عرفت المنطقة باسم التنعيم. (انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٦٥؛ نفس المؤلف، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) أحمد أبو الفضل عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، الرياض، ١٩٨٠، ص٣٧.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٧٥؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص٤٠٢؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٣؛ مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٢٩٥. يدعي أحمد داوود أن بكة في اللغة البابلية/الكلدانية تعني العظمة والكبرياء والمجد والخصب. (العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دمشق، ١٩٩١، ص٢٤٨).

مروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومحمد الباقر، وغيرهم(١). وروي عن ابن الزبير أنها سميت بكة لأن الناس يجيئون إليها من كل جانب حجاجا. وقيل: لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها، فلم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى(٢). وقيل: إن بكة موضع الطواف أو ما بين الجبلين وقيل: إن مكة اسم للبلد وبكة اسم لبطنها(٣). وفي هذه الآية يرد الله تعالى على اليهود الذين قالوا إن بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لكونه مهاجر الأنبياء ولأنه في الأرض المقدسة، وعندما بلغت النبي ﷺ هذه المقولة أنزل الله تعالى هذه الآية. وهذه الرواية أوردها الأزرقي بسنده عن جده عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن جريج(٤). وسند الرواية فيه أبو عثمان سعيد بن سالم القداح المكي، قال عنه ابن معين: ليس به بأس وفي رواية: ثقة، وقال عنه أبو حاتم: محله الصدق، وعن أبي داوود أنه صدوق وقال عنه النسائي: ليس به بأس. وقال عنه الدارمي: ليس بذلك(٥). وفي سند

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧٠٩؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٤٢٥؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٤، ص٤؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧؛ سعيد بن منصور، السنن، تحقيق: سعيد بن عبد الله آل حميد، الرياض، ١٩٩٣، ج٣، ص١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧٣، رقم: ٥٠٩، ٥١١، ٥١٤؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص٥٢؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦٢ ـ ٥٦٣، ج٥، ص٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧٠٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٤، ص٤؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص٥٢؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٤.

(٣) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧٠٩؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٣؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٦، ص١٥١.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٧٥؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٢؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٠ ـ ٢٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٣١٩ ـ ٣٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٣٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٢٢٣؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٠، ص٤٥٤ ـ ٤٥٧.

الروايه أبو ساج عثمان بن عمرو بن ساج القرشي الجزري مولى بني أمية، قال عنه أبو حاتم: عثمان والوليد ابنا عمرو يكتب حديثهما ولا يحتج به[1]. كما أن الرواية مرسلة عن ابن جريج.

وترد العديد من الروايات حول بدايات بناء الكعبة وكيفية كونها أول بيت وضع للناس، فقيل: إن الكعبة كانت غثاء على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بأربعين سنة، ومنها دحيت الأرض وقيل: إن البيت مخلوق قبل الأرض بألفي سنة، وقيل أنه من بناء الملائكة. وقيل هو من بناء آدم وقد بناه من أكثر من أرض، وقيل: إنه بناه من خمسة جبال[2].

بلد ـ البلد:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (البقرة: ١٢٦)؛

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥):

يقال لكركرة البعير بَلْدَة، لأنها تؤثر في الأرض، والبلادة التأثير، وبذلك سُميت البلدة لأنها موضع تأثير الناس[3]. والبلد والبلدة مكة سميت بذلك تفخيما لها وهي البلدة الجامعة للخير المستحقة أن تسمى بهذا البلد

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٨٦؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٩؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٩، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) الأزرقي، المصدر السابق، ج٢، ص٣١ ـ ٣٤، ٣٦ ـ ٣٩. رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، مرفوعا، أن الله بعث جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة، فبناه آدم ثم أُمر بالطواف به، وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وُضع للناس. ويعلّق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: «فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة، وهو ضعيف. والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب». (التفسير، ج٢، ص٦٤).

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٧٠.

دون غيرها على سائر مسميات أجناسها، وكونها البلد لأنها صدر القرى[1]. ولفظة ﴿بَلْدَةً﴾ و﴿بَلَدٍ﴾ تعني كل موضع أو قطعة أرض عامرة أو غامرة، خالية أو مسكونة. وقيل: سمي بلد لتأثره بسكانه واجتماعهم وإقامتهم فيه أو هو المكان المختط المحدود المستأنس وجمعه «بلاد وبلدان»[2].

والبلد الحرام مكة[3]. وتعددت الروايات والأحاديث الدالة على تحريم الله لمكة يوم خلق السماوات والأرض كما ثبتت أحاديث تدل على أن إبراهيم عليه السلام هو الذي حرّم مكة، وللجمع بين هذه الأحاديث فإن إبراهيم بلّغ عن الله تعالى حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلدا حراما عند الله قبل بناء إبراهيم لها. ويمكن أيضا الجمع بين الرأيين هو أن أحاديث تحريم مكة يوم خلق الله السماوات والأرض إخبار بسابق علم الله فيها وقضائه وكون الحرمة مدة آدم وأوقات عمارة القطر بإيمان، وأحاديث تحريم إبراهيم عليه السلام لمكة إخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعد الدثور[4].

ويقول الطبري: «إن الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها، كما أخبر النبي ﷺ أنه حرمها يوم خلق السماوات والأرض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله، ولكن بمنعه من أرادها بسوء، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات، وعن ساكنيها ما أحل بغيرها

---

(١) الزبيدي، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٣؛ عبد القادر بن محمد الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة، القاهرة، ب.ت.، ج٢، ص١٤٧٠.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٧٠، ص٧٧؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٣؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٨؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٩، ص٣١٣؛ الواحدي، الوسيط، ج١، ص٢٠٩.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٧٠.

(٤) ابن كثير، التفسير، ج١، ص٢٤٩ ـ ٢٥٣؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٨ ـ ٤٩؛ القرطبي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠ ـ ٨١. انظر كذلك ما رواه السيوطي من أحاديث وآثار حول تحريم مكة. (الدر المنثور، ج١، ص١٢٢ ـ ١٢٣).

وغير ساكينها من النقمات فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله، وأسكن بها أهله هاجر وولده إسماعيل، فسأل حينئذ إبراهيم ربه إيجاد فرض تحريمها على عباده على لسانه، ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه، يستنون بها فيها، إذ كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلا، وأخبره أنه جاعله للناس إماما يقتدى به، فأجابه ربه إلى ما سأله، وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه على عباده، ومحرمة بدفع الله عنها بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله فرض تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام، وواجب على عباده الامتناع من ذلك ببلاغ إبراهيم رسالة الله إليك بذلك إليه فلذلك أضيف تحريمها إلى إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرّم مكة» لأن فرض تحريمها الذي ألزم الله عباده على وجه العبادة له به، دون التحريم الذي لم يزل متعبدا لها به على وجه الكِلاء والحفظ لها قبل ذلك كان مسألة إبراهيم ربه إيجاب فرض ذلك على لسانه وهو الذي ألزم العباد فرضه دون غيره»[1].

البلد الآمن:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (البقرة: ١٢٦)؛

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (إبراهيم: ٣٥):

هو مكة، ولقد كان دعاء إبراهيم عليه السلام للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة في الرزق والأمن من الخوف والخسف والقحط والقتل. والآمن أيضا أن يكون ذا أمن أو آمنا من فيه. أو بمعنى آخر أنه عليه السلام دعا الله تعالى أن يجعل مكة بلدا ذا أمن، صالحا للسكنى وإزالة الخوف من نفوس أهله، متوفر المعاش، بعدما كان غير صالح للسكنى بوجه عام. وقد قدّم طلب الأمن على سائر المطالب لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا[2]. وقد وردت لفظة ﴿بَلَدٍ﴾ في سورة

---

(١) التفسير، ج٣، ص٥٠ ـ ٥١.

(٢) أبو حيان، المصدر السابق، ج١، ص١٥٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٣٣؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٣٠؛ الشوكاني، المصدر السابق، =

البقرة ووردت في سورة إبراهيم ﴿ٱلْبَلَدَ﴾، ففي البقرة إشارة إلى قوله ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾، أو قبل بناء الكعبة، وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد البناء، فيكون بلدا في البقرة لمفعول ثان وآمنا صفة، و﴿ٱلْبَلَدَ﴾ في إبراهيم مفعول أول وآمنا مفعول ثان[1]. ويذكر الله تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة، إنما أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه آهلة تبرأ ممن عبد غير الله[2]. وفي دعوة إبراهيم عليه السلام أنه قدّم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده، لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدنيا. والفرق بين آية سورة إبراهيم وآية سورة البقرة، أن المطلوب في آية سورة إبراهيم مجرد الأمن للبلد، والمطلوب في آية سورة البقرة البلدية والأمن[3].

بلد:

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ (النحل: ٧):

تحمل أثقالكم وهي الأحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة. المعني جنس البلد الذي يرتحلون إليه كالشام واليمن بالنسبة لأهالي مكة والحجاز والرحلة إلى الحج[4]. وورد

= ج٣، ص١١٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٨ ـ ٤٩، ج١٩، ص١٠٠ ـ ١٠١؛ القرطبي، التفسير، ج٩، ص٢٤١.

(١) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج١، ص١٤٧ ـ ١٤٩؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٧١٣ ـ ٧١٥.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٤٣١.

(٣) الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص١١٢.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٤٣؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٤٧٥؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص٤٧٦؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٤، ص١٠٦.

عن ابن عباس أن المراد هو النقل من مكة إلى اليمن والشام. وقيل: المدينة المنورة وقيل: مصر. ويبدو أن قول ابن عباس هذا لأنه خطاب لأهل مكة حيث أكثر تجارتهم وأسفارهم إلى الشام واليمن، أو كأنه نظر إلى أنها متاجر أهالي مكة. وحمل المعنى على العموم أولى لأنه خطاب عام، فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين. وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد[1].

بلدة:

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ (النمل: ٩١):

هو اسم لمكة، وقد اختصها الله بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه، وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالا على أنها موطن نبيه ﷺ ومهبط وحيه. كما عظّم الله تعالى حرمتها وجعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر. وقد صارت حراما قدرا وشرعا[2].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٣؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص٤٧٦؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٩٧؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٤، ص١٠٠؛ الخازن، التفسير، ج٣، ص١٠٧؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٦١؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٨. وقد أورد السيوطي قول ابن عباس وعزا إخراجه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر. (الدر المنثور، ج٤، ص١١١).

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٩، ص٢٩٣٦؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٢٧ - ٢٢٨؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٦٧؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٢٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٥٧٦؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار، القاهرة، ١٩٧٨، ج١، ص١١٤؛ القرطبي، التفسير، ج١٣، ص١٦٣.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال عن مكة: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ»[1].

البلد:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ (البلد: ١):

لقد أجمع الغالبية العظمى من المفسرين والمؤرخين على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة[2]، وقيل: إن المقصود بالبلد هو المدينة المنورة التي شرّفها الله تعالى مكان رسوله ﷺ فيها حيا وببركته ميتا[3]، ولكن القول الأول أرجح. وقد أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد، والقسم بمكة تشريف لها، وقوله ﴿حِلٌّ﴾ يعني أنه من المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل هذا البلد الحرام أو بمعنى أن أهالي مكة يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة بينما يستحلون إخراجك وقتلك وإلحاق الأذى بك أو بمعنى أنك سوف تحل فيه في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وكان ذلك يوم الفتح[4]. أو أن الله تعالى قد أقسم بالبلد مكة الذي أنت فيه لكرامتك

---

(١) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، حيدر آباد، ١٩٨٦، ج٧، ص٥٦٧. وقال عنه المحقق أن إسناده رجاله ثقات، وعزا المحقق إخراجه كذلك إلى الحاكم في المستدرك، والترمذي في سننه، كتاب المناقب (ج٥، ص٧٢٣) وابن حبان في صحيحه. الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد، ط. ١، ج١٠، ص٣٢٥، ٣٢٩.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٨، ص٤٢٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص١٩٣؛ الواحدي، الوسيط، ج٤، ص٤٨٨.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١٢؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٤٣.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١٠، ص٣٤٣٢؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٨، ص٤٧٤؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٥٥. وقد ذكر السيوطي عن ابن عباس أن النبي ﷺ أحل الله له يوم دخل مكة، يقتل من شاء ويستحيي من شاء، وعزا =

علي وحبي لك أو أننا نقسم لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك وإقامتك فيه. أو بمعنى لا أقسم بهذا البلد وهو حرام وأنت حل بهذا البلد وهو حلال[1].

البلد الأمين:

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ (التين: ٣):

مكة، والأمين أي الآمن أو من «أمن الرجل أمانة فهو أمين»، وقيل أمان، وأمانته أنه يحفظ كل من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه أو لأنه مأمون الغوائل أو بمعنى أنه ذو أمن. وقال ابن زيد أن المقصود هو المسجد الحرام[2].

بلدة طيبة:

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ: ١٥):

أرض مأرب، ففيها بركة كثيرة أو سبأ[3]. وروي عن مجاهد أنها صنعاء أو هي بلدة على ثلاثة فراسخ من صنعاء[4]. وطيبة أي طاهرة من

= إخراجه إلى ابن جرير (التفسير، ج٣٠، ص١٩٤) وابن مردويه. (الدر المنثور، ج٦، ص٣٥١).

(١) البقاعي، المصدر السابق، ج٢٢، ص٤٦ ـ ٤٧؛ القرطبي، التفسير، ج٢٠، ص٤٠ ـ ٤١؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج١، ص٥٢٠.

(٢) أبو حيان، المصدر السابق، ج٨، ص٤٩٠؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٢٤١ ـ ٢٤٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٣٢، ص٢١٢؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج١، ص٥٢٠.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥٠٢؛ الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص٤٨٦؛ الدامغاني، المصدر السابق، ص٧٧؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٨٥؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٢٧٢؛ النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣؛ Beeston, A. F. L.,"Sabá", EI^2, vol. 7, p. 665.

(٤) الشوكاني، المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٠؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣١؛ القرطبي، التفسير، ج١٣، ص١٨٢.

المؤذيات ليس فيها عقرب ولا وباء ولا ذباب ولا برغوث، وكان الرجل يمر في ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء[1]. وهذا من المبالغات.

البنيان:

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٢٦):

روى عدد من الرواة والمفسرين والمؤرخين أن النمرود بن كنعان أخذ في بنيان صرح ضخم، حتى إذا شيّده إلى السماء ارتقى إليه ينظر، يزعم إلى إبراهيم، فأحدث ولم يكن يحدث، وأخذ الله بنيانه من القواعد فخر عليه السقف من فوقه، وأتاه العذاب من حيث لا يشعر، فسقط الصرح العظيم فتبلبلت ألسن الناس[2]. وقد اختلف المفسرون في نسب النمرود بن كنعان (أو بن ماش) هذا وكيفية قيامه ببناء الصرح ومدة حكمه[3]. وقد ساق الطبري عددا من الروايات حول قيام النمرود بن كنعان ببناء الصرح العظيم. وبعض هذه الروايات منسوب إلى ابن عباس وزيد بن أسلم[4]. وقيل: إن

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٠؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥٠٢؛ الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص٤٨٦؛ السدي، التفسير، ص٣٩٠؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص٢٠٠؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٩٣.

(٢) قال ابن الجوزي: «وهذا قول مردود لأن التبلبل يوجب الاختلاط والتكلم بشيئ غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى». (زاد المسير، ج٤، ص٤٤٠).

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٦٩٨؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٢، ٢٨٦؛ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٨٧؛ السدي، التفسير، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص١٣٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٨. ويذكر ابن حبيب أن نمرود إبراهيم عليه السلام هو النمرود بن كنعان بن حام بن نوح. ويؤكد ابن حبيب أنه وجد أكثر من ملك باسم النمرود أحدهم كان يعرف النمرود صاحب النسور. (المحبّر، ص٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٤) التفسير، ج١٤، ص٩٦ ـ ٩٧؛ الطبري، التاريخ، ج١، ص٢٨٧ ـ ٢٩٠. وقد أورد ابن الجوزي والألوسي وغيرهما بعضا من هذه القصص، وزادوا عليها. (انظر: زاد المسير، ج٤، ص٤٣٩ ـ ٤٤٠؛ روح المعاني، ج١٤، ص١٢٥ ـ ١٢٦).

صرح بابل يبلغ طوله ٥٠٠ ذراعا وقيل: فرسخان، وأراد منه النمرود الصعود عليه لمقاتلة أهل السماء[١]. وقيل: إن النمرود قد ابتنى هذا الصرح العظيم بأرض فارس لأنه بعد بلبلة الألسن استقل عن بابل إلى أرض فارس وفرض على الناس عبادة النار. وجعل في البنيان محاريب كثيرة من الرخام، مزينة بالذهب والجواهر. ويسمى هذا البناء أيضا بالمجدل[٢]. ويبدو أن هذه القصص وما شابهها من الإسرائيليات التي لا سند لها ولا شاهد لصحتها. وقد تحدثنا عن الصرح في موضوع بابل.

وعلى كل حال فإن تاريخ بلاد الرافدين المعروف لا يعرف ملكا باسم النمرود بن كنعان[٣]. ولكن توجد مدينة مشهورة باسم النمرود، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، قرب التقاء نهر الزاب الأعلى بدجلة، على بُعد ٢٧ كم، جنوبي شرقي الموصل، وضع أساساتها الملك الآشوري شلمنصر الأول (١٢٨٠ ـ ١٢٦٠ ق.م.)، وازدهرت كثيرا في عهد الملك آشور بانيبال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م.) وفي عهد ولده الملك شلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م.) أعيد بناء ما تهدّم من المدينة وجددت أسوارها ومعابدها. وورد اسمها في الكتابات المسمارية والحوليات الآشورية باسم كالح أو كالحو. ودلت الآثار على عظمة هذه المدينة وتنوع معالمها وكثرة حصونها

---

(١) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج١٤، ص٦٣. ويعلّق نظام الدين على هذه الروايات بقوله: «والأصح أن الآية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر بالمحقين». انظر كذلك: أبا عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج١، ص٢٠٣.

(٢) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٨٧.

(٣) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: (٤) العراق، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٥١ ـ ١٥٢. ويحتمل أن الملك الذي حاج إبراهيم، عليه السلام، في ربه هو الملك البابلي المشهور، حمورابي، أعظم ملوك بابل، وواضع القانون المعروف بقانون حمورابي، وليس هو النمرود بن كنعان. (انظر: الحاج محمد وصيفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، بيروت، ١٩٩٧، ص١١٧؛ رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، ج٢، ص٢٥٢ ـ ٢٥٦).

وقلاعها ومعابدها وساحاتها ومتنزهاتها وتماثيلها كالأسود والثيران المجنحة الضخمة. ولنمرود سور ضخم يحيط بها يبلغ سمكه حوالي ٣٧م وارتفاعه ١٧م[١]. ومن المرجح أن قصة النمرود قد أخذها الرواة المسلمون من التوراة حيث يرد فيها: «وكوش ولدَ نمرود الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض». ومدينة نمرود هي نفسها كالح الواردة في التوراة. وهي قد اشتهرت بكالح أو كالحو في الحوليات الآشورية[٢]. ومن الواضح أن من كَتَبَ التوراةَ قد خلط بين اسم المدينة واسم الملك ونقل هذا الخطأ الرواة من المسلمين.

ويحتمل أن الاسم «نمرود» المسماة به المدينة قد أُطلق من قِبل القبائل العربية المجاورة الذين يعزون كل عمل هائل عظيم إلى الملك الأسطوري النمرود. ويحتمل أن خرائب المدينة وآثارها أوحت إلى الآخرين كونها قد تم تدميرها بسبب غضب الله عليها، إذ أن صفة نمرود تدل على الجبروت والظلم والكفر والعتو. أو ربما أن الاسم تحوير للفظة «ننورتا» الإله الآشوري المشهور أو هي تحريف للفظة «نيمورتا»[٣].

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول مدينة كالح/نمرود، وآثارها وقصورها ومعابدها ومشاريع الآشوريين فيها، انظر مثلا: أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢٢؛ سلطان محيسن، آثار الوطن العربي القديم، دمشق، ١٩٨٨/ ١٩٨٩، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨؛ طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٨٦، ص٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٣ ـ ٥٠٤؛ عبد الله أمين آغا وميسر سعيد العراقي، نمرود، بغداد، ١٩٧٦، ص١٢ فما بعدها؛ قحطان رشيد صالح، الكشّاف الأثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٢، ٣٤ ـ ٣٥؛ صحيفة الخليج، ع. ٧٥٧٩، الجمعة، ١٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ = ١٨/ ٢/ ٢٠٠٠، ص٢٨؛

Charpin, D.,"The History of Ancient Mesopotamia", CANE, vol. 2, p. 822; Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia, Oxford, 1990, pp. 160-161, 162.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٠، الآيتان: ١١ و١٢؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٩٧٨؛

(٣) عبد الله أمين آغا وميسر سعيد العراقي، المرجع السابق، ص٧ ـ ٨.

بيت:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ (آل عمران: ٩٦):

لفظة (بيت) شائعة الاستخدام في اللغات السامية وتعني مكان السكنى والاستيطان سواء كان ذلك خيمة أو مبنى مشيد من الخشب أو الطين أو اللبن أو الحجارة، وأيضا في بعض الأحيان تعني المكان المقدس[١].

و﴿بَيْتٍ﴾ الوارد في الآية فهو الكعبة بإجماع المفسرين والمؤرخين وهو اسم علم للكعبة[٢]. ولكن اختلفوا بعد في أول من بناه، فتعددت الروايات والقصص، فقيل الملائكة وقيل آدم الذي أُمر ببنائه فبناه ثم دثر ودرس حتى دُل عليه إبراهيم عليه السلام، فرفع قواعده، وقيل إن آدم هبط به من الجنة، ورُوي أن مكان البيت كان ربوة حمراء وقيل بيضاء ومن تحته دُحيت الأرض وقيل كان البيت ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة نزلت به الملائكة مع آدم. وترد روايات تبين مكانة البيت عند الله وأنه رفع في زمن طوفان نوح إلى السماء الرابعة. والراجح أن الله تعالى أمر إبراهيم برفع قواعد البيت، وجائز قدمه وجائز أن يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك إلا بسند صحيح[٣]. وأغلب هذه الروايات والقصص

---

(١) Lecerf, J.,"Bayt", EI^2, vol. 1, p. 1139.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧٠٧ فما بعدها؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج١، ص١٣٨؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص١٩ فما بعدها؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة، ١٩٨٢، ص٥١؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، ب.ت.، ج٤، ص٣.

(٣) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، بيروت، ١٩٨٨، ص٣٠ ـ ٣٣؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٤٨٧ ـ ٤٨٨؛ ابن كثير، التفسير، ج١، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج١، ص١٦٠؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٤، ص٥؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص١٢٧، ج٢، ص٥٢؛ السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور سيد، بيروت، ط. ١، ج١، ص٣٤٠ ـ ٣٤١؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص٥٧ فما بعدها؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٣٣٧ ـ =

ضعيفة أو موضوعة[1]. ويدَّعي أحد الكتّاب أن قدماء المصريين هم الذين بنوا البيت قبل إبراهيم عليه السلام، بعد لجوئهم إلى أرض الحجاز وأقاموا في مكان البيت بيتا لأنفسهم على غرار المعبد الذي بناه أخناتون في منف بمصر. وهذا القول لا يصح ولا توجد له أدلة تدعمه[2]. وورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي»[3].

= ٣٣٩. وينقل محمد بن أحمد كنعان عن ابن كثير قوله: «ولم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله (مكان البيت)، فليس بناهض، ولا ظاهر، لأن المراد: مكانه المقدر في علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم». (المرجع السابق، ص١٧٤). وقال الطبري: «ولا علم عندنا بأي ذلك، كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ بالنقل المستفيض. ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو إذ لم يكن خبر مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد فلا قول بذلك أولى بالصواب مما قلنا، والله أعلم». (التفسير، ج٣، ص٦٤).

(١) البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج٧، ص٥٤٢ ـ ٥٤٣، رقم: ٣٦٩٧، ٣٦٩٨، ص٥٤٤ ـ ٥٤٦، رقم: ٣٦٩٩، ص٥٤٦ ـ ٥٤٧، رقم: ٣٧٠٠، ٣٧٠١، ص٥٤٨ ـ ٥٥٠، رقم: ٣٧٠٣؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، ٣٤٢ ـ ٣٤٣؛ الزيلعي، المصدر السابق، ج١، ص٨١، رقم: ٦٤؛ محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات، ص١٦٨ ـ ١٦٩. انظر كذلك تعليقات مجدي منصور على روايات السهيلي في الروض الأنف حول موضوع بناء البيت. (ج١، ص٣٤٠ ـ ٣٤٢).

(٢) هذا رأي الكاتب سيد كريم الذي أورده في كتابه قدماء المصريين وبناء الكعبة، نقله عبد العزيز غنيم عبد القادر وبيّن خطأه ورد عليه في كتابه قصة البيت الحرام، القاهرة، ١٩٩٣، ص٦٨ ـ ٧٤.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب وضعفه. (المتقي الهندي، كنز العمال، ج٧، ص٣٣٨ ـ ٣٣٩، رقم: ١٩١٦٤).

البيت:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: ١٢٥):

البيت هو الكعبة، وهي مثابة، ويحتمل أن يكون من ثاب إذا رجع، لأن الناس يثوبون إليها أي ينصرفون أو يحجون، ويحتمل أن تكون من الثواب أي يثابون هناك، وهو مأمن يأمن فيه الناس[١].

وهو أول بيت وضعه الله متعبدا للناس، أول بيت وضعت فيه البركة، مقام إبراهيم، من دخله كان آمنا، كما روي ذلك عن علي[٢]. وقد وضع هذا البيت لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده. وهو مثابة الأمان في الأرض وفيه هدى للناس[٣].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٥٠؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص٢٦.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧٠٨؛ ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٦٣؛ الألوسي، روح المعاني، ج٤، ص٥؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٥؛ عبد الملك بكر عبد الله قاضي، موسوعة الحديث النبوي: أحاديث الحرمين الشريفين والأقصى المبارك، الرياض، ١٩٨٩، ج٢، ص٨٥، رقم: ٩٣٠٧. وذكر السيوطي القول عن علي من طريق الشعبي، وعزا إخراجه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ومن طريق مطر عزا إخراجه إلى ابن جرير، ومن طريق خالد بن عرعرة. (الدر المنثور، ج١، ص١٢٦، ج٢، ص٥٢). وأورد الطبري عددا من الآثار حول بدء وزمن بناء البيت ومن هو أول من بناه وكيف، وساق عددا من الروايات عن عبد الله بن عمرو وقتادة والسدي ومجاهد والحسن البصري وسعيد بن جبير ومطر بن محمد الضبي. وختم هذه الروايات بقوله: «والصواب من القول في ذلك: ما قال جل ثناؤه فيه: أن أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذي ببكة. ومعنى ذلك: أن أول بيت وضع للناس: أي لعبادة الله فيه مباركا وهدى، ومآبا لنسك الناسكين وطواف الطائفين، تعظيما لله وإجلالا له». (التفسير، ج٣، ص٦٤، ج٧، ص٢٢).

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٦٣؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٣٥.

البيت:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (الحج: ٢٦):

البيت هو الكعبة، و﴿بَوَّأْنَا﴾ أي قدرنا وجعلنا له مكان البيت وأرشدناه إليه وسلّمناه له وأريناه أصله وأذنا في بنائه، وجعلناه له مباءة ومنزلا، يبوء ويرجع إليه الناس. وقد أرى الله إبراهيم أصل البيت بعدما درس[1]. وهذه الآية بمعنى اذكر لهؤلاء الكفرة الذين يصدون عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وقت جعلنا مكان البيت مباءة لجدهم إبراهيم عليه السلام أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة. وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم يقال من غير اعتبار الليل[2]. وعن عائشة أنها قالت: «قال: رسول الله ﷺ، دثر مكان البيت، فلم يحجه هود ولا صالح حتى بوأه الله لإبراهيم»، وحكم السيوطي على هذا الحديث بأن سنده ضعيف[3]. وهو مع ضعفه يتعارض مع ما رُوي من قيام هود وصالح عليهما السلام بالحج إلى بيت الله الحرام.

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٠٩؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص١٠؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٧ ـ ٤٤٨؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٢١٩؛ القرطبي، التفسير، ج٩، ص١٢، ج١٢، ص٢٥؛ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٧، ص١٤١، ١٤٢؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص١٥١.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٥٢. وقد عزا إخراجه إلى أبي الشيخ وابن عدي وابن مردويه. والحديث لا يصح. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٢، ص١٨٠). وأخرج هذا الحديث أبو أحمد بن عدي من طريق إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز، قال فيه ابن عدي، «وإبراهيم بن محمد هذا ليس بكثير الحديث وعامة ما يرويه مناكير، كما قاله البخاري ولا يشبه حديثه حديث أهل الصدق». (الكامل في الضعفاء، ج١، ص٢٥٠). وقد أورد السهيلي أن يعرب قال لهود عليه السلام: ألا نبنيه (البيت)، قال: إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلا. (الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور، ج١، ص٣٤١). وهذه القصة تبدو من انتحال القصاص، خاصة أن السهيلي لم يسند الرواية كما أنه ابتدأها =

البيت:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الأنفال: ٣٥):

أي المسجد الحرام الذي صد المشركون المسلمين عنه، والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الإشارة إلى أنه بيت الله فينبغي أن يعظم بالعبادة، وقريش لم تفعل ذلك[(١)].

بيتك:

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧):

يعني الكعبة، فإما يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما يكون إبراهيم قد علم أنه سيبني هناك بيتا. أو أن مكانه كان محرما التعرض له والتهاون به أو أنه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه الجبابرة في كل عصر. وسماه تعالى بيتا باعتبار ما كان فإنه كان مبنيا قبل ذلك وقيل باعتبار ما سيكون بعد[(٢)].

البيت الحرام:

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ (المائدة: ٢):

هذه الآية نزلت في رجل يدعى الحطم البكري، أحد بني قيس بن ثعلبة، واسمه شريح بن ضبيعة (أو ضبيع) الذي أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو في عمرته. وقد قال فيه ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر»[(٣)]. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي ولا تستحلوا قتال

= بلفظة «يُذكَر». وهذه الصيغة صيغة التمريض، وهي تفيد التضعيف أو مما يتناقله الناس من قصص وحكايات.

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج٩، ص٢٠٣.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٣٦٦؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٣٧؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٩.

(٣) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٩؛ السدي، التفسير، ص٢٢١؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٤٦ ـ ٤٧؛ السيوطي، أسباب النزول، تحقيق: بديع السيد =

القاصدين إلى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا، ولا يجوز صدهم عنه بأي وجه كان[1]. وقد أخرج الطبري قصة الحطم البكري بروايتين مختلفتين عن السدي وعكرمة[2]، والروايتان مرسلتان. ورواها الواحدي بدون إسناد[3].

البيت:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ (البقرة: ١٢٧):

القواعد أساسه أو الجدر، واختلف المفسرون في أول من بناه، والذي يصح من هذا كله أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام برفع قواعد البيت، وجائز قدمه وجائز أن يكون ذلك ابتداء[4].

البيت العتيق:

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ (الحج: ٢٩)؛

﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ (الحج: ٣٣):

= اللحام، بيروت، ١٩٩٠، ص١٣٦؛ الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: السيد محمد صقر، جدة، ١٩٨٧، ص٢١٩. قيل: هو الحصم أو الحطم شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد البكري. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٢٠).

(١) ابن كثير، التفسير، ج٣، ص٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٦، ص٥٣؛ القرطبي، التفسير، ج٦، ص٣٠ ـ ٣١.

(٢) التفسير، ج٩، ص٤٧٢ وما بعدها. كما ساق روايات وآثارا أخرى عن ابن عباس والضحاك وابن زيد ومطرف بن الشخير، حول قوله تعالى: ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ﴾.

(٣) أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني، بيروت، ١٩٩١، ص١٩١.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٤٨٧ ـ ٤٨٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٥٥؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٨٢ ـ ٨٣. ساق الطبري عددا من الآثار والروايات حول ماهية هذه القواعد ومن أول من وضعها وكيفية ذلك، وفي كثير من هذه الآثار غرائب ومبالغات. (انظر: التفسير، ج٣، ص٥٧ ـ ٦٣). انظر كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج١، ص٢٣٢.

والعتيق الرائع والكريم والشريف والجميل والقديم، سُمي البيت بالعتيق لأنه أعتق من الجبابرة أو من الحبشة أو لأنه حر لم يملكه أحد[1]. أو القديم لأنه أول بيت وضع للناس، أو المعتق من الطوفان، أو الجيد والكريم أو الذي فيه يعتق رقاب المذنبين أو لأنه من طاف به صار عتيقا من النار[2]. وروى ابن الزبير عن النبي ﷺ: «إنما سمي البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة ولم يظهر عليه جبار قط»[3]. وروى جابر عن النبي ﷺ: «إن خير ما

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٤٩٠؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٢٠؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج١، ص١٥٤ ـ ١٥٥؛ الطبري، التفسير، ج١٧، ١٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٢٦١؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٣٤٠.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٤٩٠؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٥؛ عبد القادر بن محمد الجزيري الحنبلي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٢٢؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٣٤٠.

(٣) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان، ج٧، ص٥٦٥، رقم: ٣٧٢١، وقال عنه المحقق: إن إسناده حسن، وأنه قد أخرجه أيضا الحاكم في المستدرك (وقال الحاكم عن هذا الحديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي، ج٢، ص٤٢١ ـ ٤٢٢، رقم: ٣٤٦٥/٦٠٢) والبخاري في التاريخ الكبير برقم: ١/٢٠١، ٦١٩؛ والبزار في مسنده. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، برقم: ٣١٧٠، وقال هذا حديث حسن غريب. انظر كذلك: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٩، ص١١. وعزا الألوسي والسيوطي أيضا إخراجه إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل. (روح المعاني، ج١٧، ص١٤٧؛ الدر المنثور، ج٤، ص٣٥٧). وذكر السيوطي أيضا عن ابن عباس أنه سمي بالعتيق لأنه أعتق من الجبابرة، وعزا إخراجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم (التفسير، ج٨، ص٤٢٩٠)، وروى كذلك عن مجاهد نفس التفسير، وعزا إخراجه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. (السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣٥٧). انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج١٧، ص١٥١.

ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق»[1]. وقيل: إن العتيق اسم من أسماء مكة[2].

البيت المعمور:

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ (الطور: ٤):

هو بيت في السماء العليا عند العرش، ووصف بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة، أو هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به[3]. وعن أنس عن النبي ﷺ «أن البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة»[4]. وورد أيضا أن

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، رقم: ٥٠٢ (٢٢٥٥)، وقال المحقق: إن رجال الحديث ثقات، وعزا إخراجه أيضا إلى البزار والإمام أحمد في المسند (ج٣، ص٣٣٦، ٣٥٠) ورواه أيضا النسائي في التفسير، وهو صحيح، وإسناده على شرط مسلم، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب، وقال المحقق صحيح. تحقيق: مصطفى بن العدوي ثلباية مكة، ١٩٨٨، ج٣، ص٢٦، برقم: ١٠٤٧. (انظر: النسائي، التفسير، تحقيق: سيد الجليلي وصبري الشافعي، القاهرة، ١٩٩٠، ج٢، ص٩١، رقم: ٣٦٧).

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٦٤؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج١، ص١١٤.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٨، ص٤٦ ـ ٤٨؛ خليل ياسين، أضواء على متشابهات القرآن، بيروت، ب.ت.، ج٢، ص٢٢٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٩٨. يقول العلامة القاسمي: إن البيت المعمور هو الكعبة لأنه يناسب ما جاء في سورة التين ممن عطف «البلد الأمين» على «طور سينين» والقرآن يفسّر بعضه بعضا، لتشابه آياته، وتماثلها كثيرا، وإن تنوعت بلاغة الأسلوب. (التفسير، ج٦، ص٣٥٢).

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في الشعب، والإمام أحمد في المسند (ج٣، ص١٤٨، ١٥٣، ج٤، ص٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠) وعبد بن حميد في المنتخب (ج٣، ص١٠٦، برقم: ١٢٠٨، وفيه السماء الرابعة بدلا من السماء السابعة، وهو وهم) والنسائي في التفسير والطبري في تفسيره (ج٢٧، ص١٦) والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين وسكت عليه الذهبي. وإنما هو على شرط مسلم فقط، فحماد بن سلمة لم يخرج له البخاري إلا تعليقا. والحديث أيضا عند البخاري (ابن حجر =

البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل الكعبة بحيالها لو سقط لسقط عليها، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط وإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة[1]. وبرواية خالد بن عرعرة عن علي أن البيت المعمور في السماء يدعى بالضراح (أو الضريح). وعن ابن عمرو في رواية مشابهة لرواية ابن عباس السابقة، وكذلك في رواية أخرى عن ابن عباس أن البيت المعمور هو الضراح فوق البيت العتيق من حياله[2].

= العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٣٢، رقم: ٣٢٠٧) ومسلم (النووي، شرح صحيح مسلم، ج١، ص٢١٤، ٢٢٥). من حديث أنس الطويل في الإسراء. (انظر: الدوسري، الروض البسام، ج٤، ص١٦٨ ـ ١٦٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال، بيروت، ١٩٧٩، ج١٢، ص٢٢٨، رقم: ٣٤٧٩٤؛ النسائي، التفسير، ج٢، ص٣٣٧، رقم: ٥٥٠) ويقال: إن البيت في السماء السادسة. (محمد ألتونجي، معجم أعلام الحديث، ص٧٦).

(١) رواه الطبراني (المعجم الكبير، ج١١، ص٤١٧، بلفظ «الصراح»، وفي سنده أبو حذيفة إسحاق بن بشر، كذّبه ابن المديني، وقال: ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجُّب، وقال الدراقطني: كذّاب متروك. (ابن حبان، كتاب المجروحين، ج١، ص١٣٥؛ الدراقطني، الضعفاء والمتروكون، ص١٤٢) وابن مردويه عن ابن عباس، وضعف. (المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩، رقم: ٣٤٧٩٥). انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٢٧، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) حديث خالد عن علي، إسناده لا بأس به، وحديث ابن عمر، رجاله ثقات غير شيخ الحاكم، والرواية الثانية لابن عباس سندها لا بأس به. (البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج٧، ص٥٥٠ ـ ٥٥٣، رقم: ٣٧٠٤، ص٥٥٤، رقم: ٣٧٠٦، ص٥٥٥، رقم: ٣٧٠٩). وأخرج إسحاق بن راهويه برواية خالد بن عرعرة عن علي أنه سأل عددا من جلسائه ما تقولون في البيت المعمور، فقال رجل: هذا البيت (أي الكعبة)، فقال علي: لا، ولكنه بيت في السماء بحيال البيت يقال له الضراح، ورواة إسحاق ثقات. وذكره ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية برقم: ٣٧٥٤، وعزاه إلى إسحاق، وبنحوه الهيثمي في الزوائد، وقال: رواه الطبراني وفيه أبو حذيقة إسحاق بن بشر وهو متروك. (البوصيري، مختصر السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٦، ج٨، ص٤٢٥). انظر =

بيتك:

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ (الأنفال: ٥):

أي مسكن رسول الله ﷺ بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مثواه ﷺ، وزعم البعض أنها مكة وليس بذاك. وإضافة الله تعالى الإخراج إليه إشارة إلى أنه كان بوحي منه(١).

بيوت النبي:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ (الأحزاب: ٥٣):

المراد هنا بيت زينب بنت جحش، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك، قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقتُ فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبتُ أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾(٢).

= كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج١٠، ص٣٣١٤؛ الطبري، التفسير، ج٢٧، ص١٦.

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٤، ص٤٦٣؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٩، ص١٦٩؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٩٨؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص٢١٢٦؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص٣٩٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول سبب نزول الآية وروايات ذلك، وآداب دخول بيوت النبي ﷺ، انظر مثلا: البخاري، الصحيح، كتاب: التفسير، باب: (٨) «لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم»، برقم: ٤٧٩١؛ مسلم، الصحيح، كتاب: النكاح، باب: فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، برقم: ١٤٢٨؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٦٧٨ ـ ٦٨١؛ الحاكم، المستدرك، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة =

بيوتاً ـ بيوتكم:

﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس: ٨٧):

عن قتادة أن ذلك حين منعهم فرعون الصلاة، فأمرهم الله تعالى بأن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم. وعن مجاهد أنها مصر أو الإسكندرية[١]. وقيل: إن المراد بالبيوت المساجد، وقيل: التي يسكنون فيها، والمراد بالقبلة هي جهة بيت المقدس وقيل الكعبة، وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها[٢].

أو أن القبلة هي بيت المقدس أو الشام حيث أمروا أن يستقبلوها حيثما كانوا أو المعنى هو استقبال القبلة وهي الكعبة أو مكة وهذا مروي عن ابن عباس والضحاك ومجاهد ومقاتل وغيرهم. وقيل: المقصود صلوا في بيوتكم دون بيعكم إذا كنتم خائفين[٣].

وقد أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة أن ذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمِروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يتوجهوا نحو القبلة[٤].

= الأحزاب، ج٢، ص٤٥٣؛ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج٤، ص٥٩٨ ـ ٦٠٢؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ٢٢، ص٨٢ ـ ٨٤.

(١) عزا السيوطي إخراج أثر قتادة إلى أبي الشيخ، وأثر مجاهد إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج٣، ص٣١٤). انظر كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٩٧٦؛ السيوطي، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ١٩٩٢، ص٥٧؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص١٧٥.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٩٧٦؛ صديق بن حسن القنوجي البخاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧١.

(٣) أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج٣، ص١٣؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٥٤ ـ ٥٥؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص١٧٢ ـ ١٧٥.

(٤) حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٣١.

بيوتكن:

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٣)؛

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٤):

هي حجرات أمهات المؤمنين[١].

بيتي:

﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦):

الكعبة، والمراد بالطهارة ما يشمل الحسية والمعنوية، أي وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي عنده، وأضافه إليه تخصيصا وتفضيلا[٢].

---

(١) صفوان داوودي، الحجرات الشريفة، المدينة، ١٤١١هـ، ص٢٣ ـ ٢٥. وسوف نتناول موضوع بيوت النبي ﷺ تحت عنوان «الحجرات».

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٧، ص١٤٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٥٣.

حرف التاء

التنور:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ (هود: ٤٠)؛

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ (المؤمنون: ٢٧):

روي عن مجاهد والشعبي أن التنور كان بالكوفة، مع العلم أن الكوفة لم تبن إلا في القرن الأول الهجري، ولم تكن موجودة في زمن نوح عليه السلام[١]. وقيل: هو التنور الذي يوقد فيه، كما روي عن ابن عباس،

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١٠٥؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص٥٢؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص٢٠٩، ٢١٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٤٩٨؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣٢٠ ـ ٣٢١. يقال: إن لفظة «تنور» فارسية الأصل. (السيوطي، المتوكلي، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، سبها، ١٩٨٦، ص٧٦؛ السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: التهامي الراجحي الهاشمي، الرباط، ب.ت، ص٨٠). بينما يقول أحمد داوود: إن هذه اللفظة عربية الأصل، مكونة من «تن» أي الدخان الكثيف الملتوي المتصاعد، و«نور» وتعني في العربية القديمة «النار». ويظن أن التنور هو رمز لفوهة تقذف نارا، وهي الفوهة البركانية التي توجد في أحد جبال عسير. (المرجع السابق، ص٢٤٠ ـ ٢٤١). بينما يرى محقق كتاب المهذب أن «تنور» آرامية الأصل مركبة من كلمتين هما: «بيت» ܒܝܬܐ وكلمة «نار» ܢܘܪܐ، وهذا المزج أعطى كلمة بيت النور ܒܝܬ ܢܘܪܐ ومنها اشتقت لفظة «تنور». (انظر: المهذب، ص٨، ح. ١، ٣، ٤). ولا يمنع أن يكون أصلها غير عربي ثم عرّبتها العرب، وأجروا عليها قوانين العربية فصارت بذلك عربية لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

وقيل: هو تنور آدم خلص إلى نوح، وروي عن الحسن البصري أنه تنور كان من الحجارة لحواء، وروي أنه تنور من حجر أسود ورثه نوح عليه السلام، من أبيه، وورثه أبوه من جده من لدن آدم عليه السلام. وقيل: إن التنور هو وجه الأرض، كما هو مروي عن ابن عباس وعكرمة[1]. وروي عن ابن عباس أن التنور عين بالهند، وعن ابن عباس وقتادة عين بالجزيرة، يقال لها عين الوردة، أو في أرض الشام، وهذه أقوال غريبة[2]. والأرجح أن التنور هو

---

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص٥٢؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٧٦؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٨؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣١٨ ـ ٣٢١؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دمشق، ١٩٩٠، ص١١٦؛ عبد الملك بن حسين العصامي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٤؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٧. عزا السيوطي إخراج قول الحسن إلى ابن جرير. (الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٨). كما أورد السيوطي قولا لعلي أن مكان التنور في مسجد الكوفة، من قبل باب كندة، وقولا آخر، برواية الشعبي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أن مسجدكم هذا لرابع أربعة من مساجد المسلمين. وأن من جانبه الأيمن، مستقبل القبلة فار التنور»، وعزا إخراجه إلى أبي الشيخ. ومن الغريب أن السيوطي يذكر عن علي قولا آخر بأن التنور هو مطلع الفجر. ويعزو إخراجه إلى ابن جرير وابن المنذر. وذكر أيضا عن السدي بن إسماعيل الهمداني أنه قد نجر نوح سفينته وسط هذا المسجد (الكوفة)، وفار التنور من جانبه الأيمن، وعزا إخراجه إلى أبي الشيخ. وعزا إخراج أثرَيْ ابن عباس وعكرمة إلى أبي الشيخ وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٩).

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٢؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٢٥٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص٥٢؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٨؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣٢١. وقد أورد السيوطي قول ابن عباس أنه كان بين دعوة نوح وبين هلاك قومه ٣٠٠ سنة، وأن التنور قد فار بالهند، وطافت السفينة بالبيت أسبوعا. وعزا إخراج هذا الأثر إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم، وأنه صححه. وعزا إخراج قول ابن عباس إلى ابن أبي حاتم. وروى السيوطي أيضا عن ابن عباس قوله أن التنور هو أعلى الأرض وأشرفها. =

تنور الخبز أو الفرن، وهو علامة لنوح عليه السلام بحلول وقت الطوفان وقرب ظهوره[1]. ولا نرى أن التنور كان بالكوفة أو في مسجدها لأن الكوفة لم تبن بعد، ويحتمل أن من وضع هذه الرواية أراد أن يرفع شأن الكوفة، ومن المرجح أن مكان التنور في العراق. ويقول محمد الطاهر بن عاشور إن قوله ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمله مثله، كما يقال: بلغ السيل الزبى. والتنور: محفل الوادي، أي ضفته، فيكون مثل طمى الوادي من قبيل بلغ السيل الزبى. والمعنى: بأن نفاذ أمرنا فيهم وبلغوا من طول مدة الكفر مبلغا لا يغتفر لهم بعد، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[2] (الزخرف: ٥٥).

التين والزيتون:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ (التين: ١):

عن ابن عباس أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي بعد الطوفان. والزيتون يطلق على الجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى

= وعزا إخراجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. (الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٨، ٣٢٩).

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١٠٥؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٢؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٩، ص٢٨٥؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص١٨٧٧؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٥، ص٢٥٥٧؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج١، ص١٩١. وهذا ما رجحه الطبري، وعلل ذلك بقوله: «لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يُوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيئ منه بخلاف ذلك، فيسلم لها». (التفسير، ج١٥، ص٣٢١). يقول النسفي «أخرج الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار». (المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٧).

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٢، ص٧١. انظر كذلك النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦. يقول سيد قطب: «وتتفرق الأقوال حول فوران التنور، ويذهب الخيال ببعضها بعيدا، وتبدو رائحة الإسرائيليات فيها». (في ظلال القرآن، ج٤، ص١٨٧٧).

وروي هذا عن ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب. وقيل: إن التين إيماء إلى رسالة نوح والزيتون إيماء لرسالة إبراهيم وطور سينين إيماء إلى شريعة التوراة[١]. وروي عن قتادة أيضا أن التين هو الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس. وعن محمد بن كعب أن التين مسجد أصحاب الكهف. وقيل أن التين والزيتون جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا وطور تينا بالسريانية، وسميا بذلك لأنهما ينبتانهما، وكذا روي عن عكرمة[٢]. ويعرف أحد جبال بيت المقدس بطور زيتا وهو يقع شرق وادي سلوان. ويقال: إن على قمة هذا الجبل زيتونة هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور: ٣٥)[٣] وعن كعب الأحبار أن التين هي دمشق والزيتون بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله موسى، وعن خالد بن معدان أن التين والزيتون هي دمشق، وورد عن الحسن البصري أن التين والزيتون تعني جبال ومساجد الشام[٤]. وفي اللغة السريانية تطلق كلمة زيتا ܙܝܬܐ على شجرة الزيتون، وكلمة طور ܛܘܪܐ على الجبل[٥].

وجبل زيتا (الزيتون) يعرف أيضا بجبل الطور وبجبل النور، وبجبل الحَمَر. وهو واقع في شرقي القدس، يفصل بينهما وادي مريم، ويبلغ ارتفاعه ٨٢٦م. وهو مشرف أيضا على المسجد الأقصى وقبة الصخرة. والطور جبل كثير الشجر والظلال، وهو من المزارات المهمة التي يرتادها

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٦٦؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣٠، ص٤٢١، ٤٢٢؛ القرطبي، التفسير، ج٢٠، ص٧٥.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١٠، ٣٤٤٧؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٢٣٨ - ٢٣٩؛ القرطبي، التفسير، ج٢٠، ص٧٥ - ٧٦.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٢؛ ياقوت الحموي، ما اتفق اسما وافترق صقعا، ص٣٩٧.

(٤) الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٢٣٨ - ٢٣٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٢١٥ - ٢١٦.

(٥) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٣٧٣؛ Smith, P., op.cit., pp. 115, 170.

النصارى بالحج والزيارة وممارسة الطقوس، وفوقه عدة كنائس ومشاهد نصرانية ومسجد. ويقال: إن المسيح عليه السلام كان يتعبد فيه لله تعالى، ومنه صعد إلى السماء. وتوجد قرية تسمى الطور على رأس الجبل[١]. وهذا الجبل يعد من الأماكن الفاضلة الدالة على كرامة وقداسة أرض الشام وفلسطين[٢]. ووردت الإشارة إلى جبل الزيتون في العهد القديم والأناجيل أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة[٣].

وقد أخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر عن الزهري عن أنس، قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله ﷺ فرح بها فرحا شديدا حتى تبين لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال: التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين وطور سينين الذي كلم الله موسى عليه وهذا البيت الأمين مكة[٤]. وهذا الحديث موضوع، وعلته محمد بن بيان بن مسلم الثقفي، المتهم بوضع الحديث، وقد علّق الحافظ الذهبي على هذا الحديث بقوله: «روى بقلة حياء من الله هذا الحديث»[٥]. وقال ابن الجوزي: «هذا حديث

---

(١) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٩٧؛ كامل جميل العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عَمان، ١٩٩٢، ص١٢٢، ٢٤٧، ٢٤٨ ـ ٢٤٩، ٢٦٩، ٣١٤، ٣١٦، ٤٠٤؛ محمد محمد شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، دمشق، ١٩٩٤، ص٤٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٧؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٣٣، ١٦٠، ١٦٢.

(٣) انظر مثلا: سفر صموئيل الثاني، الإصحاح: ١٥، الآية: ٣٠؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح: ١١، الآية: ٧. وإنجيل متى، الإصحاح: ٥، الآية: ١، الإصحاح: ٢١، الآية: ١؛ إنجيل مرقس، الإصحاح: ١١، الآية: ١، الإصحاح: ١٣، الآية: ٣؛ إنجيل لوقا، الإصحاح: ١٩، الآية: ٣٠.

(٤) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٦٥.

(٥) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٥، ص٩٦ ـ ٩٧؛ خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج١، ص٥٢٤ ـ ٥٢٦؛ الذهبي، ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، ١٩٩٤؛ ص٦٤ ـ ٦٥، رقم: ١٤٩؛ نفس المؤلف، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٩٣ ـ ٤٩٤.

موضوع بعيد عن الصواب فالحمل فيه على ابن بيان الثقفي، فكأنه تلاعب بالقرآن»[١].

ويستنتج من الآيات أن الله تعالى قد أقسم بمنابت الأنبياء، فالجبل المختص بالتين يدل على دعوة عيسى عليه السلام، والزيتون يدل على أرض الشام مبعث أكثر أنبياء بني إسرائيل، والطور يدل على مبعث موسى عليه السلام، والبلد الأمين يدل على مبعث محمد ﷺ[٢]. وأورد الطبري أقوالا وآثارا عن الحسن البصري وعكرمة ومجاهد وابن الكلبي أن المعني بالتين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر. ويختم هذه الأقوال بقوله: «والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو الذي يؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يسمى زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول لا يجوّز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون»[٣]. ولكن من المعروف أن جبل الزيتون مطل على بيت المقدس. وقال شهر بن حوشب: إن التين الكوفة، والزيتون الشام، وعن الربيع أنهما جبلان بين همذان وحلوان[٤]. وهذه الأقوال تبعد

---

(١) كتاب الموضوعات، تحقيق: توفيق حمدان، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص١٨١.

(٢) شرف الدين بن ريان، الروض الريان في أسئلة القرآن، تحقيق: عبد الحليم محمد السلفي، المدينة، ١٩٩٤، ج٢، ص٦٠٤؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٣٠، ص٣٠٥.

(٣) التفسير، ج٣٠، ص٢٤٠. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج١٠، ص٣٤٤٨. انظر كذلك التعليقات الجميلة للعلامة صديق بن حسن القنوجي البخاري على هذه الأقوال: المصدر السابق، ج٧، ص٤٩٧ ـ ٤٩٨.

(٤) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج٣٠، ص١٢٨. وشهر بن حوشب هو الأشعري، الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن. قال ابن حجر: صدوق، كثير الإرسال والأوهام. وقيل هو تابعي ثقة، ليس به بأس. (انظر: ابن حجر =

تعريف التين والزيتون عن الأرض المقدسة. مع الأرض المقدسة هي الأولى بالإشارة من غيرها من المواضع.

= العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٦٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٢٧٠ ـ ٢٧١؛ من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، دمشق، ١٤٠٠هـ، ص٥٤، رقم الترجمة: ١٠٢). والربيع بن أنس هو البكري الخراساني، تابعي ثقة، وقال ابن حجر عنه: أنه صدوق، له أوهام، رمي بالتشيع. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٠٥؛ رجال تفسير الطبري، ص١٨٤).

حرف الجيم

جانب الطور الأيمن:

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: (مريم: ٥٢):

أي الجبل الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام، ومن جانبه الأيمن أو اليمين من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة[١].

الجانب الغربي:

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ﴾ (القصص: ٤٤):

موصوف، والغربي صفة، أو بجانب الجبل الغربي أو المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات وأعطى الله فيه الألواح لموسى عليه السلام أو الغربي من الوادي وقيل من البحر[٢].

الجب:

﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ (يوسف: ١٠):

والجب هو البئر لم تطو أو هو البئر كثيرة الماء، بعيدة الغور أو غير البعيدة. وقيل هي البئر الجيدة الموضع من الكلأ. ويقال للبئر قبل الطي ركية، فإذا طويت قيل لها بئر، وسميت جبا لأنها قطعت من الأرض قطعا، وجمع

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٠، ص٦٦؛ ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٢٣٢؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٣٣.

(٢) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٢؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢٠، ص٨٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٣٣؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٨٠؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٦٠٢.

الجب جبب وجباب وأجباب[1]. عن ابن عباس أن الجب بئر بالشام، وعن قتادة: إنه بئر ببيت المقدس، وعن وهب: إنه بأرض الأردن. وعن مقاتل: إن البئر يبعد ٣ فراسخ من منزل يعقوب، وكانت بئرا معروفة موروودة[2]. وروي عن ابن زيد أن الجب بحذاء طبرية، بينه وبينها أميال[3]. وقيل: إن الجب قريب من منزل يعقوب بين سنجيل ونابلس عن يمين الطريق[4]. ويقال: إن الجب قد حفره سام بن نوح وسماه بيت الأحزان. وكان من أسفله واسعا ومن أعلاه ضيقا، وكان مظلما، كثير الهوام[5].

وعلى حسب ما ترويه التوراة فإن يعقوب عليه السلام وبنوه كانوا يقيمون في حبرون وهي مدينة الخليل[6]، وتذكر أيضا أن إخوة يوسف لما

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص٨؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢١٠٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١٨٥؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٣٠٠؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص١٩٦؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص٨؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٥٦٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص٤٢٥. عزا السيوطي إخراج قول ابن عباس إلى ابن المنذر وأبي الشيخ، وعزا إخراج قول قتادة إلى عبد الرزاق وأبي الشيخ. (الدر المنثور، ج٤، ص٨). وروى عبد الرزاق قول قتادة بسند صحيح. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٨٠).

(٣) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢١٠٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٨ - ٩؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٤٠. يذكر الرحالة البريطاني روبنسون خلال زيارته لفلسطين عامي ١٨٣٨ و١٨٥٢ منطقة باسم خربة خان جب يوسف بين مدينة صفد وبحيرة طبرية. (عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص١٧٦).

(٤) محمد ألتونجي، معجم أعلام القرآن الكريم، ص٩٨.

(٥) ابن إياس الحنفي، بدائع الدهور، ص٩٤.

(٦) اسم عبراني الأصل، يعني: «عصبة أو صحبة أو رباط أو اتحاد». استقر فيها إبراهيم عليه السلام في بداية هجرته إلى فلسطين. ولها ذكر في العهد القديم. وقد عُثر على أطلالها في تل بلاطة ما بين جبلي جرزيم وعيبال، شرقي نابلس. ومن بين هذه الآثار بوابات البلدة القديمة وأحد المعابد الكنعانية المخصص للإله بعل يعود إلى القرن =

قرروا اصطحاب أخيهم وإلقائه في البئر، أخذوه معهم صوب شكيم[1] ومنها اتجهوا إلى بلدة دوثان[2]، وهناك ألقوه في أحد آبارها. ولكن ما يقرب إلى المنطق هو أن يعقوب عليه السلام ما كان ليسمح لأولاده باصطحاب يوسف مسافة بعيدة تبلغ حوالي ١١٢ كم، ومن غير المعقول أن يطلب من ابنه ذي السبع أو العشر سنوات أن يمشي هذه المسافة، كما أنه من غير المنطقي أن يذهب أولاد يعقوب لرعي أغنامهم في هذه المنطقة البعيدة عن مدينة إقامتهم وهي حبرون. والأرجح أن إخوة يوسف كانوا يرعون الأغنام على مقربة من حبرون ثم يعودون آخر النهار للمبيت في مدينتهم. وهذا ما يسهّل لهم لدى أبيهم من إقناعه بضرورة اصطحاب أخيهم معهم، إذ أنه لن يغيب عنه مدة طويلة، سوى ساعات النهار. ولهذا عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف: ١٢) ثم قوله: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ (يوسف: ١٦) فهم إذن لم يغيبوا إلا ساعات النهار. ويبدو أنهم ساروا مسافة ساعة من الزمان بحيث أن أنهم قطعوا مسافة ١٠ كم على الطريق الممتد بين حبرون وبئر السبع. واختاروا بئرا بها ماء ليلقوا فيها يوسف حتى لا يموت أو لعل قافلة تمر به وتأخذه. ومن أشهر شعوب الشرق الأدنى القديم قياما بالتجارة في تلك الفترة هم: المديانيون والإسماعيليون، فالمديانيون يسيرون برحلاتهم من مدين إلى حلب وشمال سوريا عبر بئر السبع فحبرون فبيت أيل ثم شكيم ثم دمشق فحماة وأخيرا حلب،

= ١٨ ق.م. (انظر: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧؛ هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص٥٣٣ ـ ٥٣٤؛ NNABD, pp. 1159-116.).

(١) اسم عبراني الأصل يعني: «كتف أو منكب». بلدة قديمة في الضفة الغربية لنهر الأردن، وتعرف حاليا بدوثه. ولها ذكر أيضا في العهد القديم. (انظر: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٥١٤ ـ ٥١٥؛ NNABD, p. 356).

(٢) كلمة عبرانية تعني: «آبار»، وهي لا تبعد كثيرا عن شكيم. ومكانها اليوم تل غير مسكون يعرف بتل دوثان. (انظر: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩).

وبالعكس. أما الإسماعيليون فيبدأون رحلتهم من الحجاز، ربما من دومة الجندل أو تيماء ولعلهم يتجهون بعد ذلك إلى صوغر عند الطرف الجنوبي للبحر الأسود ثم بئر السبع فسيناء ثم مصر. ومن الأرجح أن هذين الشعبين يلتقيان في بئر السبع ويتبادلان البضائع فيها. ومن المحتمل أن المديانيين هم الذين التقطوه في البداية من البئر ثم أخذوه معهم صوب بئر السبع وهناك التقوا بالإسماعيليين فباعوه لهم ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ (يوسف: ٢٠). وربما زهدهم عائد إلى خوفهم من أن يجيئ أحد من أهله للبحث عنه، وهم في مدين وهي قريبة من فلسطين. أما الإسماعيليون فهم متجهون إلى مصر وهم بعيدون عن فلسطين وطريق تجارتهم لا يمر بحبرون أو مدن فلسطين الأخرى. وهذا هو الراجح للجمع بين روايات التوراة وآيات القرآن الكريم والواقع التاريخي والجغرافي لحياة يعقوب وأولاده[١].

الجبال:

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (الحجر ٨٢):

هي جبال ثمود[٢]. وكانوا فريقين، فريق اتخذ الجبال بيوتا وبنى عليها القلاع ونحتها إلى أن صارت مستوية الأطراف يتمكن عليها من وضع البيوت، وفريق اتخذ منها البيوت كالكهوف[٣].

جبل:

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ (البقرة: ٢٦٠):

---

(١) انظر: رشدي البدراوي، المرجع السابق، ج٣، ص٤٤٠ ـ ٤٥١. انظر كذلك: الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص١٩٦؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني، ج٢، ص٩٩.

(٢) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٢٥٨.

(٣) السيوطي، قطف الأزهار، ج٢، ص١٠٢٢.

والجبال التي وضع عليها إبراهيم عليه السلام أجزاء الطيور، قيل هي جبل ثور وجبل الثنية وحراء وكدي، وهذه الجبال كلها في مكة[1]. بينما يفهم من الآية أن إبراهيم قد سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى وهو بعد لم يهاجر إلى الأرض المباركة، وجاء سياق الحادثة بعد حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك.

الجبل:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧١):

هو جبل الطور. أو هو جبل بني إسرائيل الذي رفع عليهم لقبول الأمر والشريعة[2]. وهو الجبل الذي تجلى أمامه الله تعالى لموسى، فجعله دكا[3]. وقيل هو جبل من جبال فلسطين أو من جبال بيت المقدس وقيل اسمه زبير، والأرجح أنه الطور المعروف[4]. ويروى عن أنس، أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، أنه لما تجلى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة، وقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى، ووقع بمكة حراء وثبير وثور. وهذا الحديث موضوع، ففي سنده عبد العزيز بن عمران، ليس بثقة، متروك، لا يكتب حديثه[5].

---

(١) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٥.

(٢) صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني، ج٣، ص١٣٣ ـ ١٣٤، ١٣٦ ـ ١٣٨، ١٤١ ـ ١٤٣؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٧؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٣٦٢.

(٣) عبد الملك بكر عبد الله قاضي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٧، رقم: ١٠٠١١.

(٤) أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٦، ١٠٥.

(٥) روى هذا الحديث البغوي في معالم التنزيل، ج٢، ص٥٣٩ والشوكاني في فتح القدير، ج٢، ص٢٤٦ وذكره أيضا في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، بيروت، ١٩٨٦، ص٤٦٣، ثم ذكر قول ابن حبان بأنه موضوع، وأن عبد العزيز بن عمران متروك يروي المناكير. ورواه أيضا عمر بن شبة في كتابه تاريخ المدينة، (تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد =

وفي رواية عن علي أن تجلي الله تعالى للجبل كان عشية عرفة، وكان الجبل بالموقف، فانقطع سبع قطع: قطعة سقطت بين يديه وهو الذي يقوم الإمام عنده في الموقف، وبالمدينة ثلاثة: طيبة وأحد ورضوى، وطور سيناء بالشام، وإنما سمي الطور لأنه طار في الهواء إلى الشام. وهذا الأثر وغيره لا يصح، وهو موضوع[1].

جُدر:

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ (الحشر: ١٤): راجع قرى محصنة.

جنّات:

﴿مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧﴾ (الشعراء: ٥٧):

يعني أرض مصر لما فيها من خيرات وبساتين على جانبي نهر النيل من أسوان إلى رشيد، والكنوز والدفائن والأموال الظاهرة من الفضة والذهب[2].

= الدين) ج١، ص٥٧. انظر كذلك تعليق عبد الله الدويش على كتاب عمر بن شبة، بريدة، ١٩٩٠، مج٦، ج١، ص٨١). كما رواه أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج٦، ص٣٤٣)، من طريق محمد بن صالح الضميري عن النضر بن سلمة عن محمد بن الحسن بن زبالة عن معاوية بن عبد الكريم عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي ﷺ، وعلّق عليه بقوله: غريب من حديث معاوية بن قرة، والجلد ومعاوية الضال، تفرد به عنه محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي). انظر كذلك: السيوطي، اللآلئ المصنوعة، تخريج: صلاح محمد عويضة، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٢٩.

(١) انظر: السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ج١، ص٢٩؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٨، ص٢٤٠، ج١٢، ص٢٤٥).ويروى أيضا أنه لما تجلى الله تعالى للجبل تطايرت سبعة أجبل، ففي الحجاز خمسة منها، وفي اليمن إثنان، في الحجاز: أحد وثبير وحراء وثور وورقان، وفي اليمن حضور وصبر. (الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٦).

(٢) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص١٠١؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٥، ص٧٦؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص٧٨؛ القرطبي، التفسير، ج١٣، ص٧٠ ـ ٧١.

جنّتين:

﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ (الكهف: ٣٢):

اختلف المفسرون والرواة[١] في تحديد هوية واسم الأخوين وكيفية حصولهما على الثروة ونوعيتها ومكان الجنتين. فقد روي أنهما كانتا لأخوين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن ويدعى تمليخا أو يمليخا أو يهوذا، والآخر كافر ويدعى قرطوس أو براطوس أو قطفير. وقيل: هما أخوان مخزوميان هما عبد الله بن عبد الأسد، الصحابي المعروف، وأخوه الأسود.

أما ثروتهما فقيل: إنهما ورثا أربعة آلاف دينار، الأول اشترى عبيدا وتزوج وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعة الله. وقيل: إن الجنتين كانتا للأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وأنفق في طاعة الله حتى عيّره الآخر. وقيل: إنهما ابنا ملك من بني إسرائيل أنفق أحدهما ماله في سبيل الله وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله.

أما مكان الجنتين فقد ذكر إبراهيم بن القاسم في كتابه «في عجائب البلاد» أن بحيرة تنّيس كانت ما بين الجنتين وقيل: إنهما في فلسطين وأن نهر أبي فطرس هو النهر الوارد في القصة. ويقال: إن تنيس كانت جناتها مقسومة بين ملكين من ولد أبرويت بن مصريم وقيل: من ولد أتريب بن مضر. وقد أهلك الله تعالى جنات العبد الكافر وتحولت إلى بحيرة تعذب إذا غلب عليها ماء النيل وتملح إذا غلب عليها ماء البحر[٢]. وقيل: إن الجنتين في

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص٣٠٥؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٧٤؛ البغوي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٦٦؛ البقاعي، المصدر السابق، ج١٥، ص٥٧؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٢٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٢٨٥؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٢٤٤.

(٢) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، القاهرة (مكتبة الثقافة الدينية)، ب.ت.، ج١، ص٣٣٨.

الطائف على اعتبار أن الأخوين هما عبد الله والأسود ابني عبد الأسد المخزوميان.

وتنيس هي من المدن المصرية القديمة التي اندثرت، ويكون ماؤها أكثر أيام السنة ملحا لدخول ماء البحر الأحمر إليه عند هبوب الريح الشمال، فإذا انصرف النيل في دخول الشتاء، وكثر هبوب الريح الغربية خلت البحيرة وخلا سيف البحر المالح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما. والجزيرة التي كانت بها مدينة تنيس لا تزال موجودة إلى اليوم ببحيرة المنزلة ومعروفة بجزيرة تنيس وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة. وهذه الجزيرة واقعة في الجنوب الغربي لمدينة بورسعيد وعلى بعد ٩ كم منها[(١)].

أما نهر أبي فطرس فهو يعرف اليوم بنهر العوجاء ويعرف بنهر يافا، وقد كان يعرف في عهد التوراة والعهد الكنعاني باسم «اليركون» ومعناها المياه الصفراء، ولعلها تعود إلى التربة الصفراء التي كانت تجرفها مياهه أثناء جريانه. وفي العهد الروماني سمي باسم مدينة أنتيپاترس المنشأة عليه، التي بناها هيرودوس الآرامي، وقد حرّف العرب المسلمون هذه الكلمة فسموه بنهر أبي فطرس. وخرائبها تعرف اليوم باسم قلعة رأس العين. وهذا النهر ينبع من مساقط المياه المحيطة بنابلس، وتتجمع مياهه في رأس العين على بعد ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من يافا، ويصب في البحر المتوسط على بعد ٦ كم شمالي يافا. وهو ثاني أطول أنهار فلسطين إذ يبلغ طوله ٢٦ كم، وهو نهر صالح للملاحة. ويزود مدن يافا والقدس واللد والرملة بمياه الشرب[(٢)].

---

(١) محمد عثمان رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القاهرة، ٥٣/١٩٥٤، ق. ١، ص١٩٨.

(٢) قسطنطين خمار، موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت، ١٩٦٩، ص٣٣؛ محمد محمد شراب، معجم بلدات فلسطين، دمشق، ١٩٨٧، ص٩٨، ٥٥٠؛ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، كفر قارع، ١٩٩١، ج١، ص٣٠ ـ ٣١؛ ياقوت الحموي، معجم، ج٥، ص٣٦٤.

الجنّة:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ (القلم: ١٧):

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه بستان باليمن يقال له: الضروان دون صنعاء بفرسخين، (أو فراسخ)، وكان أصحاب الجنة بعد رفع عيسى بسنين، وهم قوم من أهل الصلاة[١]. وهذه الرواية عن ابن عباس في سندها ابن الكلبي المتهم عند رجال الحديث إلا أن كثيرا من المفسرين قال: بأن الجنة في اليمن. وقد قيل: هم من الحبشة، وقيل: إنهم قوم من أهل اليمن، وكانوا من أهل الكتاب، وقيل: إن الجنة كانت لشيخ من بني إسرائيل. وقيل: لقوم من ثقيف[٢]. وتصريح القرآن الكريم بقوله أصحاب الجنة يعني أنها كانت شهيرة عندهم وأن قريشا كانت على علم بها، وأن القرآن يعلن أن قريشا ابتليت كما ابتلي أصحاب الجنة[٣]. وذكر الإمام أحمد أنه مر بقرية ضروان، وأنها سوداء حمراء وأثر النار بيّن فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة[٤]. وفي موضع ضروان كانت فيه نار اليمن التي كانوا يعبدونها ويتحاكمون إليها، فإذا اختصم الخصمان خرج

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٨، ص٣٠٦؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٩، ص١٤؛ البغوي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٢؛ الخازن، المصدر السابق، ج٤، ص١٨٦؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٢٧١؛ القرطبي، التفسير، ج١٨، ص١٥٦؛ المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، ج٣، ص١٣١. يورد السهيلي الاسم بصيغة «صوران»، وأن أهلها كانوا بخلاء. (التعريف والإعلام، ص١٧٤ ـ ١٧٥).

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٢٥٣؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٧، ص١٦٩؛ الطبري، التفسير، ج٢٩، ص٢٩؛ الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٩٧٢، ح. ٣، ص١٧٤؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٤٧٨.

(٣) الألوسي، المصدر السابق، ج٢٩، ص٢٩؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٢٩، ص٢٠؛ الفراء، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٤؛ محمد بكر إسماعيل، المرجع السابق، ص٤٣٤.

(٤) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، ج٤، ص٢٧٧.

إليهما لسان فإذا ثبت أكلت الظالم[1]. ويبدو أن آثار النار التي رآها الإمام أحمد في موضع ضروان كان نتيجة لوجود النار التي كان يتعبد لها بعض أهالي اليمن فيما قبل الإسلام، والتي كانوا يقدّمون لها القرابين، خوفا منها. وسبب خروج هذه النار كون ضروان حرة بركانية[2]. وضروان الآن تطلق على القرية والوادي اللذان يقعان شمال صنعاء على مسافة ٣٥ كم تقريبا[3].

الجودي:

﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ (هود: ٤٤)

ذكر القصاص والرواة والأخباريون حكايات وقصصا عديدة حول طوفان نوح ومدته وطول بقائه في الأرض وقيام السفينة بالطواف حول البيت الحرام[4].

ويورد المفسرون والمؤرخون والجغرافيون المسلمون روايات عديدة حول الطوفان، فيها كثير من المبالغات التي ليس لها سند صحيح. وتحدثوا عن مدى اتساع الطوفان وضخامته وهيئة سفينة نوح وطولها وأخشابها وكيفية بنائها وكيفية سيرها في الطوفان ومن أدخل نوح فيها من الخلائق. وقيل: إن

---

(١) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٥٩.

(٢) جواد علي، المفصّل، ج١، ص١٤٨. انظر كذلك: كمال صليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، بيروت، ١٩٩٤، ص١٥٢.

(٣) محمد بن أحمد الحجري اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل الأكوع، صنعاء، ١٩٩٦، ج٣، ص٥٥٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤١؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١١٢؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٣٢٩. وروي أثر عن أسلم مولى ابن عمر أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين. وهذا الأثر غير صحيح. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٢، ص١٢٥). ويروى أيضا عن ابن عباس أن سفينة نوح دارت بالبيت ٤٠ يوما. وهو خبر لا يصح ففي سنده بشر بن داوود بن أبي فرات، فهو لا يحل أن يكتب عنه. (ابن الجوزي، مثير العزم الساكن، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الرياض، ١٩٩٥، ج٢، ص١١٣).

نوحا لما خرج من السفينة بنى قرية في أسفل جبل الجودي سماها قرية ثمانين على عدد الناجين، وهي أول قرية بنيت على وجه الأرض بعد الطوفان[1]. ويورد الطبري حديثا عن النبي ﷺ يقول فيه: «في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة فصام هو وجميع من معه، وجرت بهم السفينة ستة أشهر، فانتهى ذلك إلى المحرم، فأرست السفينة على الجودي يوم عاشوراء، فصام نوح وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكرا لله». وهذا الحديث في سنده عثمان بن مطر الشيباني، وهو ضعيف، منكر الحديث، متروك. وفي سنده أيضا عبد العزيز بن عبد الغفور وهو عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري، أبو الصباح، وهو ضعيف، منكر الحديث[2].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١٠١ ـ ١٠٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨، ص٢٢٩؛ الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، (مؤسسة شعبان)، ب.ت.، ج١، ص٦٨ ـ ٦٩؛ السيوطي، الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق: عبد القادر أحمد، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٩؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٤٢ ـ ٤٨، ٤٩. ويورد السيوطي رواية عن ابن عباس أن الجبال تشامخت وقت الطوفان، ولم يخضع سوى جبل الجودي، ولذا أمر الله السفينة أن ترسو عليه. وعزا إخراج هذا القول إلى إسحاق بن بشر وابن عساكر، من طريق جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. وهذا سند لا يصح لأن فيه إسحاق بن بشر، وهو متروك. (الدر المنثور، ج٤، ص٣٢٩). انظر كذلك: أبا حيان، المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٩؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص١١٢. وروى الطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قال: «الجودي جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق، وتواضع هو لله فلم يغرق، وأرسيت سفينة نوح عليه». وروي قول مشابه عن سفيان الثوري. (انظر: ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص٢٠٣٧؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨). وروي أيضا أن الجودي من جبال الجنة. (عبد الملك بن حسين العصامي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٦).

(٢) الطبري، التفسير، ج١٥، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦. حول عثمان بن مطر وعبد الغفار بن عبد العزيز، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٨٦؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٤، ص٤٣ ـ ٤٤؛ رجال تفسير الطبري، ٣٦١، ٣٨٧.

والطوفان هو الفيضان الذي ينتج عن زيادة في كمية الأمطار والمياه. وقد شاعت قصة الطوفان الكبير في بلاد الشرق الأدنى القديم[(١)]، قد امتزجت بالأساطير والخيال. وكان بين قصص الطوفان اختلاف كبير جدا في المضمون والهدف والأحداث والشخصيات. وتوجد ثلاث قصص قديمة للطوفان هي السومرية والبابلية واليهودية. فالقصة السومرية تعود إلى عهد حمورابي، وتتحدث عن خلق الإنسان والنبات والحيوان كما تتحدث عن خمس مدن كانت موجودة في جنوب بلاد الرافدين قبل الطوفان. وتذكر هذه القصة أن الآلهة أصرت على تدمير البشر، وكان بطل القصة رجل يدعى زيوسودرا، التقي الصالح. وذكرت القصة السومرية بناء زيوسودار للسفينة الضخمة، ووصفت العاصفة والأمطار التي هطلت على الأرض مدة سبعة أيام وسبع ليالٍ، وذكرت أيضا أنه لجأ إلى السفينة وفر من الطوفان إلى أرض دلمون الطاهرة المطهرة[(٢)]. وذهابه إلى دلمون في شمال شرق شبه الجزيرة العربية، إلى الجنوب من بلاد الرافدين يبعد، وقوف السفينة على جبل الجودي الذي جعله العلماء في شمال العراق. ولهذه القصة بعض الدلائل الآثارية.

أما قصة الطوفان البابلية فهي في الواقع ثلاث قصص: ملحمة جلجامش وقصة بيروسوس وقصة أتراخاسيس. وأشهر هذه القصص هي ملحمة جلجاميش التي عُثر عليها في مكتبة آشوربانيبال في نينوى. وجلجامش

---

(١) حول قصص الطوفان، انظر: Bailey, L. R., Noah: The Person and the Story in History and Tradition, Columbia, 1989, pp. 11 - 27.

(٢) خزعل الماجدي، إنجيل سومر، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٢ ـ ٤٣، ١٦٤ ـ ١٧٠؛ فاضل عبد الواحد علي، «ثم جاء الطوفان»، سومر، مج١/٢، (١٩٧٥)، ٤ ـ ٧؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (١٠) تاريخ العراق القديم، ص٥٩ ـ ٦٨.

في القصة هو ملك صالح تقي، خرج للبحث عن ماء الخلود وعن صديق له، ولجأ إلى أرض ديلمون[1].

أما قصة الطوفان اليهودية فهي الواردة في التوراة التي تزعم أن أعداد البشر قد زادت وكثرت شرورهم وفسادهم، فحزن الرب وندم على أنه خلق الإنسان، وعزم على أن يمحو الجنس البشري والبهائم والطيور، واستثنى نوحا لأنه رجل صالح بار. وأمره الرب بأن يصنع سفينة ضخمة ويدخل فيها من كل زوج اثنين أهله وزوجاته وأبنائه، ثم حرك الرب الأرض والسماء لتمطر وأتى بالفيضان وظل المطر يسقط لمدة ٤٠ يوما، وبدأ ذلك الطوفان في اليوم ١٧ من الشهر الثاني من عام ٦٠٠ من حياة نوح. وبعدما هدأت العواصف والأمطار خرج نوح في السفينة مع قومه، بعد وقوفها على قمة جبل أرارط. ويوجد تشابه بين القصتين البابلية والتوراتية، مثل كون أن الطوفان كان بأمر إلهي، وأن البطل تلقى تحذيرا من الهلاك، وأُمر ببناء السفينة حتى ينقذ نفسه وصنوف الكائنات الحية الأخرى، وأن سبب الطوفان هو فساد القوم وانتشار الشر بينهم[2].

---

(١) خزعل الماجدي، إنجيل بابل، ١٩٩٨، بيروت، ١٧٤ ـ ١٧٨، ٢٤٢ ـ ٢٥١؛ فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص٧ ـ ١٠؛ سهيل قاشا، المرجع السابق، ص١٧٣ ـ ١٧٧؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (١٠) تاريخ العراق القديم، ص٦٨ ـ ٨١.

(٢) انظر حيثيات القصة اليهودية في سفر التكوين، الإصحاحات ٦ ـ ٩. وللمقارنة بين قصة الطوفان التوراتية وبين القصتين السومرية والبابلية، انظر: سهيل قاشا، المرجع السابق، ص١٨٣ ـ ١٩٣؛ هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص٥٦٨ ـ ٥٧٠؛ NNADB, pp. 454-456

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات إلا أنه لا يمنع من كون المصدر واحد للقصص الثلاث، وهذه الاختلافات حدثت نتيجة لتغييرات وتدخلات بشرية، اعتمادا على ما يعتقده كتّاب هذه القصص ولا يليق ما جاء في التوراة بالله سبحانه، حيث نسبوا إليه الندم على خلقه الإنسان، وكأنه لا يعلم بما سيفعلون وهو القائل سبحانه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

وعلى أية حال فإن الآراء قد تعددت في مكان الجودي[1] فقيل في سلسلة جبال أرارات في شمال العراق. ولفظة «أرارات» وردت في النصوص الآشورية بصيغة «أوراتو». وتم تحديد عدة أماكن لرسو السفينة[2]:

١ ـ جبل الجودي في شمال شبه الجزيرة العربية، في جبل أجأ التي ترتفع حوالي ٥٦٠٠ قدم، وهي تقع على حدود صحراء النفوذ. وربما مصدر هذا التحديد ما أشار إليه أسقف أنطاكية، ثيوفيلوس من أن جبل الجودي في الصحراء العربية.

٢ ـ جبل باريس في أرمينيا، وهذا الجبل لم يذكر في النصوص القديمة، وموقع ميناس غير معروف بالتحديد، وربما هو جبل البرز.

٣ ـ أحد جبال كردستان.

٤ ـ في منطقة أديابيني بين الزاب الأعلى والأسفل، وقد ذكر المؤرخ اليهودي، يوسيفوس أن مكان الجبل في هذه المنطقة.

---

(١) تذكر قصة الطوفان البابلية أن سفينة جلجاميش أو أوتنابشتيم رست على جبل نصير أي جبل الخلاص وقد ورد اسم هذا الجبل في حوليات الملك الآشوري آشوربانيبال التي حددت مكانه في جنوب نهر الزاب الأسفل، أحد روافد دجلة. (سهيل قاشا، المرجع السابق، ص١٨٩). وعلى العموم فإن وجوده في شمال العراق يتفق مع العديد من المصادر الأخرى التي حددت موقع الجودي إلى الشمال من العراق أو منطقة أرمينيا. مع العلم أن تحديدات المواقع الجغرافية عند القدماء تنقصها أحيانا الدقة. ويحدد أحمد داوود مكان الجودي في جبال السراة في جنوب الحجاز، وأن اسمه جبل نزيري. (المرجع السابق، ص٢٤٨).

(٢) ابن بلهيد النجدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ١، ص٣٥٤؛

Bailey, L. R., op.cit., pp. 57, 60, 61, 63-68, 69-88

يدعي أحمد داوود أن لفظة «جودي» في اللغة البابلية/الكلدانية، هي من جدا ـ جوديا أي شب وعلا وارتفع وقذف. (المرجع السابق، ص٢٤٠). والمؤلف دائما يكرر قوله «اللغة الكلدانية» ولا ندري ما يعني بها، ولعله يعني اللغة البابلية.

٥ ـ الجودي جبل يقع إلى الشرق من جبل سنجار، ويطل على جزيرة ابن عمر، في منطقة قردى، قرب الموصل، وهو جبل معروف هناك، وهو جبل منخفض على حسب بعض الأقوال[١]. وردد هذا القول عدد من المؤرخين والكتّاب النصارى والمسلمين. ويقال: إن نوحا عليه السلام قد بنى مسجدا على الجودي، وهو محط زيارة الناس[٢]. ويسمي أبو الفداء جبل سنجار بجبل نصيبين وأنه هو الجودي[٣]. وأو هو جبل بآمل أو آمد أو بالشام[٤]. ومن الملاحظ أن كل هذه الأقوال تحدد الجبل في شمال العراق والجزء الشمالي الشرقي من سوريا والجزء الشرقي من تركيا.

٦ ـ بالقرب من فريجيا في آسيا الصغرى.

٧ ـ جبل الطور[٥].

٨ ـ جبل في نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة وهو يتصل بجبال أرمينيا. أو هو أحد سلسلة جبال أراراط في شمال العراق أو جنوب شرق تركيا[٦]. ويذكر ماركو بولو أن هذا الجبل شاهق بالغ الضخامة[٧].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٥٠٠؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج١، ص٢٠١؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص٣٥٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٨. سمى ابن خرداذبة جبل الجودي بجبل قَردَى. (المسالك والممالك، بيروت، ١٩٨٨، ص٧٤). وقَردى في الأصل اسم قرية قريبة من جبل الجودي بالجزيرة الفراتية لا تبعد كثيرا عن جزيرة ابن عمر. وهي تقع إلى الشرق من نهر دجلة وتتبعها مجموعة من القرى. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٦).

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠٤.

(٣) تقويم البلدان، ليدن، ١٨٤٠، ص٣٨٣.

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص٦١؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٨.

(٥) ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٢٥٧.

(٦) رشدي البدراوي، المرجع السابق، ج١، ص١٠٦؛ عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص٥٣.

(٧) رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، القاهرة، ١٩٩٥، ج١، ص٥٢، ١٨٩.

وفي فترة الخمسينيات ذكرت وكالات الأنباء العالمية أن طائرة التجسس الأمريكية (يو ـ ٢) اكتشفت بقايا سفينة قديمة فوق جبل أرارات في تركيا، على ارتفاع ١٤ ألف قدم، وفي منطقة يصعب الوصول إليها عن طريق البر، قيل وقتها أنها سفينة نوح. ويرى البعض أن سفينة نوح ربما لا تزال باقية إلى الآن، نظرا لطلاء أخشابها بالقار الذي حافظ عليها وعزلها من تقلبات الجو[١]. وفي عام ١٩٨٨ قام الباحث ديڤيد فاسولد بطبعة كتاب عن سفينة نوح ضمّنه رأيه حول هذه المسألة شارحا فيه اكتشافاته في هذا المجال. وهو يرى أن بقايا سفينة نوح توجد على إحدى مرتفعات جبال أرارات[٢] في تركيا، وأن هيكل السفينة لاتزال آثاره موجودة ومتحجرة. وقد بذل الكاتب جهدا طيبا في إثبات وجهة نظره[٣]. وعلى الرغم من هذا الاكتشاف إلا أنه لا يمكن القطع بهذا التحديد لا يمكن حتى تقوم بعثات استكشاف عالمية متخصصة بالبحث والتقصي عن بقايا سفينة نوح ومكان وجودها.

٨ ـ وورد في بعض المصادر الشيعية أن الجودي جبل في النجف[٤]، مع العلم أن منطقة جنوب العراق خالية من المرتفعات الجبلية.

---

(١) صحيفة الخليج، ع. ٧٢٢٠، الأربعاء: ٨ ذو القعدة ١٤١٩هـ ـ ٢٤/٢/١٩٩٩.

(٢) من المحتمل أن اسم «أرارات» أو «أراراط» اسم يطلق قديما على إقليم أرمينيا. وقد وردت في العهد القديم الإشارة إلى كون أراراط اسم منطقة وبلاد لا اسم جبل بعينه. (سهيل قاشا، المرجع السابق، ص١٨٩).

(٣) انظر: Fasold, D., The Discovery of Noahs Ark, London, 1990, passim
توصّل الباحثان العراقيان: د. عبد صالح الديلمي ود. ثامر خزعل علي العامري، إلى أدلة حول التقدم البحري الذي حدث في زمن نوح عليه السلام، تفيد أن هذا التقدم غطى منطقة وادي الرافدين ووصل إلى مناطق أعالي الفرات. كما تدل الترسبات التي أثبتت أن تقدما بحريا غطى المنطقة وجاء بسبب غزارة الأمطار وذوبان الجليد. (صحيفة الخليج، ع. ٧٦٧٦، الخميس، ٢٥ مايو ٢٠٠٠).

(٤) جعفر الدجيلي، المرجع السابق، ج١، ص٣١٢.

أما القرآن الكريم فقد تناول القصة بما يتفق وأغراض القصص القرآني دونما الحاجة إلى تفصيلات لا يقتضيها السياق. وبيّن الله تعالى أنه أرسل نوحا لهداية قومه ودعوتهم إلى التوحيد والإيمان ونبذ عبادة الأصنام. ولبث يدعوهم ٩٥٠ عاما. وسلك في دعوته مع قومه طرقا عدة واتبع معهم أساليب مختلفة، ولكنهم أصروا ورفضوا الإيمان بالله تعالى وتصديق نبيه عليه السلام. حتى أتى وعد الله وأهلك الظالمين بطوفان عظيم، خلف وراءه الدمار والخراب، ونجّى الله تعالى نبيه عليه السلام ومن آمن معه في السفينة العظيمة التي أمره الله ببنائها. وأما ماذكره المفسرون والمؤرخون من أمور كثيرة فلا علاقة لها بكثير مما ذكروه بالقصة، بل بعض الروايات أخرجت القصة القرآنية عن أهدافها الحقيقية، مثل عمر نوح وهيئة قومه وكيفية بدء الطوفان وضخامة السفينة وطولها، وأنواع وأعداد من أدخلهم نوح فيها، وارتفاع الماء وعلو الجبل الذي رست عليه السفينة.

واختُلف أيضا في شمول الطوفان الأرض كلها؟ وفي اختصاصه بقوم نوح دون سواهم من الناس. ومع احترامنا وتقديرنا لآراء كل المؤرخين والمفسرين، إلا أن المرجح أن الطوفان كان خاصا بقوم نوح ولم يكن عاما، لعدة أسباب ليس هذا مجال عرضها والتطرق لها[(١)].

---

(١) حول مناقشة هذا الموضوع، انظر مثلا: محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: العراق، ص٨٤ ـ ٩٧؛ نفس المؤلف، مصر والشرق الأدنى القديم: العراق القديم، ص٧٦ ـ ٦٨؛ الحاج محمد وصفي، المرجع السابق، ص٦٧ ـ ٧١.

حرف الحاء

الحِجر:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ (الحجر: ٨٠):

وادٍ ما زال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم، وهو يأخذ مياهه من جبال مدائن صالح ثم يصب في وادي القرى المعروف الآن بوادي العلا. والحجر أيضا رأس وادي القرى، وتسكنه اليوم قبيلة عَنَزة، وهو منطقة زراعية. وتوجد آثار مدينة صالح في منطقة الحجر[١]. وعن الزهري أن الحجر هو اسم مدينة ثمود[٢]. وفي مدائن صالح آبار تُعرف ببئار ثمود، منها بئر الناقة[٣]. وتبعد الحجر عن المدينة المنورة بأكثر من ٣٤٥ ميلا شمالا، وتبعد عن مدينة العلا ٢٤ ميلا، وتقع على بُعد ١١٠ ميلا غرب تيماء، وقد عرفت مدائن صالح في التاريخ القديم باسم «حجرا»[٤]. والحجر هو المكان

---

(١) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧١؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٩٣؛ نفس المؤلف، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٢٨٨ ـ ٢٢٩. وقد ذكر السيوطي قول قتادة بأن الحجر موطن قوم ثمود، وعزا إخراجه إلى عبد الرزاق (والذي عند عبد الرزاق أن الحجر الوادي، التفسير، ج٢، ص٣٤٩) وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (التفسير، ج٧، ص٢٧٧١). (الدر المنثور، ج٤، ص١٠٤).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٤١١؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج٣، ص٤٥٢؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٨٩.

(٣) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٥٩.

(٤) حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص١٤٧؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٩٣.؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، =

المحجور أي الممنوع من الناس بسبب اختصاص به، أو اشتق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال[1]. وتقع مدائن صالح[2] في سهل رملي تحوطه الجبال، وهي عند نقطة التقاء وادي الحمضة الذي ينحدر من الجبال الواقعة غرب الموقع مع وادي المزز الذي يبدأ من الشمال. وهو عبارة عن ترسّبات رباعية مؤلفة من الحصى والرمل والطمي وغرين الوادي، كما توجد أيضاً أراض طينية مالحة منبسطة. أما الجبال الموجودة حول الحِجر فهي من الحَجر الرملي من نوع القويرة الأصفر أو البرتقالي، اللون المترسب في طبقات رقيقة.

ويعتبر اسم ﴿ٱلْحِجْرِ﴾ اسم عربي قديم، عرفت به المنطقة لدى المؤرخين والجغرافيين المسلمين القدامى، ومازال هذا الاسم معروفا ومتداولا إلى الآن. وأما اسم مدائن صالح الذي يشير إلى مدن صالح (كان عددها أصلاً سبع) ظهر في الفترة الإسلامية المتأخرة، لاقتران المكان فيما يبدو بقوم صالح عليه السلام. وقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ لما مر بالحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجِنّا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء». وعن جابر بن عبد الله قال: «لما مر

= «الأسماء والمسميات القديمة الواردة في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الأثرية الحديثة»، في عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، مجموعة بحوث نشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٥٣٤؛ محمد سلامة جبر، تاريخ الأنبياء والرسل، الكويت، ج١، ص٤٨ ـ ٤٩؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج١، ص١٢٣.

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٤، ص٧٢ ـ ٧٣.

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٣٢؛ جون هيلي، نقوش المقابر النبطية في مدائن صالح (Healey, J. F., The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih, Journal of Semeitic Studies Suppl. 1, Oxford, 1993
ترجمة: أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب، الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، ص٨ ـ ١٥.

رسول ﷺ بالحجر، قال: لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما فعقروها، فأخذتهم الصيحة، أهمد الله عز وجل من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحد كان في حرم الله عز وجل، قيل: من هو يارسول الله؟ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه»[١].

والحجر هي مواطن قبيلة ثمود المشهورة التي نسبها الأخباريون إلى ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: نسبة إلى ثمود بن عاد بن عوص بن إرم. أما نبيهم فهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود[٢]. ولقد ذكرت ثمود في سور عديدة من القرآن الكريم[٣].

---

(١) في هذين الحديثين وأمثالهما، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٤٦٦ ـ ٤٦٩؛ ابن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٩٩١، ج١٤، ص٧٧ ـ ٨٣؛ الإمام أحمد، المسند، ج٣، ص٢٩٦؛ بدر الدين العيني، المصدر السابق، ج٣، ص٤٥٢؛ الحاكم، المستدرك، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الأعراف، ج٢، ص٣٥١؛ سعيد حوّى، الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية، بيروت، ١٩٨٩، ج٢، ص٩٧٥ ـ ٩٧٧؛ عبد القادر حبيب الله السندي، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، الكويت، ١٩٨٦، ص٤٣٠ ـ ٤٣٣.

(٢) السويدي، سبائك الذهب، بيروت، ١٩٨٩، ص٣٨؛ فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، دمشق، ١٩٩٣، ص٧٤ ـ ٧٥؛ محمود محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، الرياض، ١٩٨٧، ص٣ ـ ١٧. انظر كذلك رأي د. رشدي البدراوي في تحديد نسب صالح عليه الصلاة والسلام وقومه، وأدلته في هذا الموضوع، في كتابه: قصص الأنبياء والتاريخ، ج١، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٣) مثل سور: الأعراف: الآيات: ٧٣ ـ ٩٧؛ وهود: الآيات: ٦١ ـ ٦٨؛ والحجر: الآيات: ٨٠ ـ ٨٤؛ والشعراء: الآيات: ١٤١ ـ ١٥٩؛ والنمل: الآيات: ٤٦ ـ ٥٣.

وبيّن القرآن الكريم أن ثمود كانت في رغد من العيش، لكنها كافرة بالله تعالى، فأرسل إليها نبيه صالحا عليه السلام واعظا ومذكّرا بنعم الله، ولكنهم أنكروا دعوته وتمسكوا بعبادة الأصنام. وطلبوا منه معجزة على أن يؤمنوا به، فأخرج الله لهم الناقة التي كان لها يوم تشرب فيه لايشاركها أحد في الماء وتعطيهم الحليب ولهم يوم يشربون ويملؤون أوعيتهم بالماء، ولا تشرب الناقة فيه. ولكنهم قابلوا كل هذا بالاستهزاء والجحود، ولم يؤمنوا كما ادعوا من قبل وعقروا الناقة، فأنذر صالح عليه السلام قومه ثم أصابتهم الصيحة والرجفة والصاعقة والطاغية، ونجّا الله صالحا عليه السلام والمؤمنين من قومه[1].

وأقدم ذكر لثمود في المصادر القديمة هو في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني، كما ورد ذكرها في النقوش السبئية والمعينية والصفوية والنبطية بصيغ «ث م د» و«ث م و د ي». وقد ورد اسم ثمود في المصادر الكلاسيكية، حيث حدد بليني موقع ثمود بين دومة الجندل (الجوف) والحجر، وحدد بطليموس موقعها بالقرب من منازل عاد[2].

ولكن لا يوجد هناك دليل قاطع على أن ثمود المذكورة في القرآن الكريم هي نفسها المعنية في الكتابات القديمة والحوليات الآشورية، فالحوليات تشير إلى أن ثمود قبيلة تعيش في الصحراء، في شظف من العيش، ويشنون غارات مفاجئة بهدف السلب والنهب. أما في القرآن فهم كانوا يعيشون في رغد من العيش، تحيط بهم جنات وحدائق ونخيل. كما أن العذاب الذي أصاب قوم صالح من الزلزلة (الرجفة) والصيحة قد أهلك ودمر قوم ثمود، لا يتفق مع ما تبقّى من آثار في مدائن صالح. ويبدو أن ما ورد حولهم من إشارات في غزوة تبوك تعني منطقة أخرى قريبة من مدائن صالح (الحجر)، تبعد عنها حوالي عشرة أميال تعرف بالخريبة، وربما كانت هي

---

(١) انظر: رشدي البدراوي، المرجع السابق، ج١، ص١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش الحجر النبطية، الرياض، ١٩٩٨، ص٣، ١٦١، ٢٢٢، ٣٠٣؛ محمود محمد الروسان، المرجع السابق، ص٣ ـ ١٧.

الحجر[١]. ويبدو أن الاختلاف بين وصف القرآن لثمود من أنها قبيلة قوية ذات حضارة واستقرار، وبين وصفها في الحوليات الآشورية من أنها قبيلة بدوية، بسبب أن ثمود قد ارتدت من حياة الاستقرار إلى حياة البداوة والتنقّل خاصة أن الهلاك الذي أصاب الكافرين قد قضى على مظاهر الحضارة، إضافة إلى أن البعد الزمني بين ثمود المذكورة في القرآن وبين ثمود المذكورة في الحوليات الآشورية زاد في بداوة المعاصرين للآشوريين. كذلك فإن الأحاديث الذاكرة لثمود في غزوة تبوك تصرح بأن اسم المنطقة هو «الحجر»، وقد أجمع كتّاب السيرة ورواتها أنها قرى صالح عليه السلام. أما بخصوص آثار ومباني مدائن صالح الموجودة الآن فإنها خاصة بالأنباط الذين سكنوها وبنوا فيها مبانٍ وقبور جديدة ليست لها علاقة بثمود. ومع ذلك فهذا لا يعني أن ثمود لم تستقر في هذه المنطقة ولكن يبدو أن عمائرهم دمرت معهم. وكذلك فإن أحاديث غزوة تبوك ومرور النبي ﷺ والمسلمين بالحجر لم تشر بصورة واضحة إلى المباني والقبور وإنما تحدثت عن الناقة وابنها وخروجها من الفج ودخولها فيه دون وصف العمائر.

وينقسم الموقع إلى ثلاثة أقسام وهي: المقابر وجبل إثلب ومنطقة الاستيطان[٢]. وفي واقع الأمر أن الآثار الشاخصة في مدائن صالح (فيما

---

(١) انظر تعليقات أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب حول هذا الموضوع في بحثه القيّم: «نقوش عربية شمالية من تَبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية»، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج٢٤، ع. ٢، (آب ١٩٩٧)، ٣٥٧ وما بعدها؛ سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٩٩، ص٣ ـ ٤. انظر كذلك: جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣٢٣ ـ ٣٢٥؛ حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص١٥٥؛ عبد الله بن آدم صالح نصيف، «هل الحجر للأنباط أم للثموديين؟»، العصور، مج١٠، ج١، (١٩٩٥)، ص٨ ـ ١١. انظر كذلك رأي الأستاذ نجيب محمد البهبيتي في كون وادي القرى من ضمن ديار ثمود. (المرجع السابق، ص٥٠١).

(٢) انظر: جون هيلي، نقوش المقابر النبطية في مدائن صالح

(The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih, Journal of Semeitic Studies
= Suppl. 1, Oxford, 1993

عدا بقايا مبنى سكة حديد الحجاز التي تخترق وسط المدينة والقلعة العثمانية التي تحرس طريق الحج) كلها نبطية ويرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي،- وليس ثمودية. ولا تتوافر دلائل عن الاستيطان المبكر في الحجر، وإن وجدت فهي قليلة ومحدودة. وتوجد في الموقع نقوش معينية تدل على استقرار أو مرور المعينيين بالحجر، وتوجد كذلك خربشات لحيانية على منحدرات صخور جبل إثلب. وعُثر أيضا على عدد من النقوش النبطية التي يرجع تاريخها إلى ما بعد ذلك حتى القرن الثالث الميلادي. كما توجد نقوش باللغة العربية يرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثاني الهجريين، ومن الواضح أنّ المدينة قد ازدهرت في القرن الأول الميلادي، عندما كانت المنطقة جزءاً من المملكة النبطية التي عاصمتها البتراء. ويبدو أن الأنباط جزء من الشعب الثمودي، أو أنهم فرع قبلي انحدر من القبيلة الثمودية المعروفة. ومن خلال الآثار المتبقية في الحجر توجد عدد من البيوت المنحوتة ليس فيها ما ينسبها إلى الأنباط، فهي من المحتمل أن تكون للثموديين[1].

ويرى البعض أن اللحيانيين وليس الأنباط هم فرع متحدّر من الثموديين[2].

= ص٨ ـ ١٥؛ عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخريْن، مواقع أثرية، الرياض، ١٩٨٤، ص١٧، ٢٠ ـ ٢١؛ محمد البراهيم وضيف الله الطلحي، «تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر: الموسم الأول: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦»، الأطلال، ع. ١١ (١٩٨٨)، ص٥٧ ـ ٦٨؛ حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص١٤٩ ـ ١٥٤.

(١) جون هيلي، «الأنباط ومدائن صالح»، الأطلال، ع. ١٠ (١٩٨٦)، ص١٤٢؛ عبد الله بن آدم صالح نصيف، المرجع السابق، ص١٣، ١٤؛ عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخريْن، المرجع السابق، ص١٧ ـ ١٨؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، «الأسماء والمسميات القديمة»، ص٥٢٨ ـ ٥٤٠. حول الثموديين ولغتهم وانتشارهم في العصور المتأخرة، انظر: إبراهيم يوسف الشتلة، «الثموديون»، الدارة، س. ٥، ع. ٤ (١٩٨٠)، ص١٨٥ ـ ١٩٨.

(٢) هتون أجواد الفاسي، الحياة الإجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة من القرن الـ٦ ق.م. إلى القرن الـ ٢ م.، الرياض، ١٩٩٣، ص٧٤؛ «إطلالة على المعالم =

ويبلغ عدد المقابر الآثارية[1] في مدائن صالح ثمانين مقبرة أغلبها موجود في مجموعات بارزة فوق سطح الأرض على طبقات صخرية من الحجر الجيري. وهي حمراء اللون نتيجة التكوينات الصخرية. وتعطي نقوش المقابر معلومات مهمة عن ملكيتها وعن حقوق الدفن والحدود القانونية للتصرّف في المقبرة أو الحيّز الموجود فيها، كما تتضمن في كثير من الأحيان لعنات لمن ينتهك حرمة المقبرة، والغرامات التي يدفعها كل من يقوم بتغيير نصوص النقش. كذلك فإن مكانة الأشخاص المعنيين بالمقبرة تذكر في كثير من الأحيان. أما جبل إثلب فهو يقع إلى الشمال الشرقي لمدائن صالح، وهو عبارة عن سلسلة من القمم الصخرية الشديدة الانحدار تحيط بغور في الوسط يدنو عبر ممر ضيق يطلق عليه اسم «السيق»، تشبيهاً له بالممر الضيق الطويل في البتراء.

وعند مدخل الممر الضيق يوجد أشهر صرح في مدائن صالح، وهو المعروف «بالديوان»، وهو عبارة عن مدرج واسع ثلاثي الانحدار (عرضه ١٠ أمتار وعمقه ١٢ متر)، وقاعة مفتوحة بها دكّات حجرية طويلة على الجوانب الثلاثة. ويطلق عليه الأهالي المحليون «مجلس السلطان»، حيث يحتمل أنه كان يستخدم للمآدب المقدسة. وثمة أخدود رئيسي يكاد يكون في وسط سلسلة الجبال. أما المدينة ومكان السكنى والاستيطان، فأغلبها لا زال تحت الرمال في وسط الموقع.

وكان نتيجة للمسح الآثاري السطحي العثور على كسر أواني خزفية نبطية يرجع تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد وما بعده. وقد وجدت

= والآثار في مدائن صالح»، المنهل، ع. ٤٥٤، س. ٥٣. مج٤٨ (١٣٥٥هـ)، ص٢١٨؛ محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ج٢، ص٣٤٧.

(١) يرى محمد الطاهر بن عاشور أن هذه المباني المنحوتة ليست مقابر، وأن من قال ذلك فقد توهم، وهي تخلو من العظام والأجساد، وإذا كانت تلك قبور فأين كانت منازل الأحياء؟ ويرى أيضا أن ثمودا لما أخذتهم الصيحة كانوا منتشرين في خارج البيوت لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾. (المرجع السابق، ج١٤، ص٧٣).

أنواع منها في البتراء وفي مواقع نبطية أخرى، وذلك إلى جانب أشغال يدوية فنية أخرى، هذا في حين أنّ الحفريات الحديثة العهد التي أجريت في اثنتين من الروابي الصغيرة في منطقة الاستيطان قد كشفت عن مبانٍ حجرية وأنواع مختلفة من الأشغال اليدوية الفنية النبطية بالإضافة إلى الأواني الفخارية والعملات ومن بين تلك العملات التي عثر عليها في حفريات ١٩٨٦م. ، عملات يظهر عليها رأس ملك وملكة من النوع الشائع في فترة الحارثة الرابع، ويرجع تاريخها تقريباً إلى ٢٥ ـ ٤٠م. وأمكن أيضاً تحديد موضع أسوار المدينة. وعثر في هذه المنطقة على عدد من العملات النبطية وعلى ساعة شمسية نبطية جميلة موجودة الآن في متحف الشرق القديم بإستانبول.

الحُجُرات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ (الحجرات: ٤):

الحجرات جمع حجرة وقيل هي جمع الحُجر، والحُجر جمع حجرة فهو جمع الجمع. والحجرة حظيرة الإبل، والرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها[(١)]. وقد نزلت هذه الآية في وفد بني تميم، وفيهم الأقرع بن حابس، الذين أخذوا ينادون النبي ﷺ بأصوات عالية يريدونه الخروج إليهم. ورويت في هذه القصة عدد من الروايات. وحجرات النبي ﷺ المذكورة في الآية هي بيوت أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن[(٢)]. ويعلّق الطبري على هذه الحادثة والآية بقوله: «ولو أن هؤلاء الذين ينادونك

---

(١) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٤٣٦؛ القرطبي، التفسير، مج٨، ص٢٠٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول قصة الوفد والأقرع بن حابس، وما قيل حولها، انظر مثلا: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٧٦١ ـ ٧٦٢؛ ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ البوصيري، إتحاف السادة المهرة، كتاب التفسير، باب: سورة الحجرات، ج٧ ـ ٨، ص٤٢٢، رقم: ٦٥٣٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٨٦ ـ ٨٧؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص١٢١ ـ ١٢٢؛ القرطبي، التفسير، مج٨، ص٢٠٤؛ الواحدي، أسباب النزول، ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت، لكان خيرا لهم عند الله، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك، فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب، إن هو تاب من معصية الله بندائك، وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره، رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه»[١]. ولقد كانت لكل زوجة من زوجات النبي ﷺ حجرة، ومناداة القوم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين للنبي ﷺ أو أنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان ﷺ فيها، ولكنها جُمعت إجلالا لرسول الله ﷺ[٢]. والحجرات ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ، ما بينه وبين القبلة والمشرق، أول الحجرات قربا من المسجد هي حجرة عائشة، وكانت جنوبيها حجرة حفصة يفصلها عنها طريق ضيق، وكانت بقية الحجرات جنوبي المسجد. وعلى الأرجح أن هذه الحجرات كانت ملكا لنساء النبي ﷺ يتصرفن فيها كيفما شئن[٣].

---

(١) التفسير، ج٢٦، ص١٢٣.

(٢) النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٢؛ نظام الدين الحسين بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج٢٦، ص٥٨ ـ ٥٩. وقد وردت لفظة «الحجرات» في أحاديث للرسول ﷺ، منها ما روته أم سلمة، رضي الله عنها، «أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتن، ماذا أُنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات؟ يارُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة». (البخاري، الصحيح، كتاب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل، حديث رقم: ١١٢٦، كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده أشر منه، حديث رقم: ٧٠٦٩. وفي رواية وردت لفظة «صواحبات الحُجر» (البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب: العلم والعظة بالليل، حديث رقم: ١١٥، عن أم سلمة. انظر كذلك: أبا يعلى الموصلي، المسند، ج١٢، ص٤٢١ ـ ٤٢٢، حديث رقم: ٦٩٨٨.

(٣) إبراهيم رفعت باشا، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٢؛ ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: عادل عبد الحميد، مكة، ١٩٩٦، ص١٦٦؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول ﷺ، تحقيق: صالح محمد جمال، مكة، ١٩٨١، ص٧٤؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص٤٦٤ ـ ٤٦٥؛ صفوان داوودي، المرجع السابق، ص١٩ ـ ٢٢.

وقد قال الحسن البصري: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه، فأتناول سقفها بيدي»[1]. وعن داوود بن قيس قال: «رأيت الحجرات من جريد النخل، مغشى من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوا من ستة أو سبعة أذرع»[2]؛ وعن عطاء الخراساني قال: «أدركت حجر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمر بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم، فسمعت سعيد بن المسيب رضي الله عنه يقول يومئذ، والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناس من أهل المدينة، ويقدم القادم من أهل الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها». وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: «ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٥٠٠ ـ ٥٠١؛ البخاري، الأدب المفرد، تصحيح: محمد هشام البرهاني، أبوظبي، ١٩٨١، ص١٩٦، رقم: ٤٥٠. رواه ابن سعد عن محمد بن مقاتل المروزي (صدوق، روى له البخاري، انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٨، ص١٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٠٨). عن عبد الله بن المبارك (الإمام المعروف، المشهور) عن حريث بن السائب (صدوق يخطئ، ضعّفه البعض. انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٣، ص٢٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٥٦). عن الحسن البصري. وروى أبو داوود في كتاب المراسيل (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٩٨٨، ص٣٤١، رقم: ٤٩٦) هذا الحديث عن غسان بن الفضل (مقبول. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٤٢) عن حريث عن ابن المبارك عن داوود. وقال الأرناؤوط عن غسان أنه روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، ومن فوقه من رجال الصحيح.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، ص١٩٦، رقم: ٤٥١. وروى أبوداوود في كتاب المراسيل (ص٣٤١، رقم: ٤٩٧) هذا الحديث عن غسان بن الفضل عن ابن المبارك عن حريث عن داوود. وقال عنه الأرناؤوط باقي رجاله رجال الشيخين غير حريث فهو من رجال البخاري في الأدب والترمذي.

البناء، يرون ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده»[1]. وروي عن يزيد بن أمامة قوله: «ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان ويروا ما رضي الله عز وجل لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنيا عنده». وقد بكى أبو سلمج بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد، وغيرهم، حتى اخضلت لحاهم من الدمع، عندما كانوا يهدمون بيوت أزواج رسول الله ﷺ بغية إدخالها في المسجد النبوي[2]. وعن داوود بن شيبان قال: رأيت حجر أزواج النبي ﷺ، وعليها المسوح، يعني متاع الأعراب[3].

---

(١) سرد السيوطي هذه الأقوال في الدر المنثور (ج٦، ص٨٧)، وعزا إخراج قول الحسن إلى ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان؛ وقول داوود بن قيس إلى البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي؛ وقول عطاء إلى ابن سعد. وداوود بن قيس الفراء الدباغ، أبو سليمان القرشي مولاهم، المدني، ثقة حافظ فاضل، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٩٩؛ رجال تفسير الطبري، ص١٧٧). وأبو أمامة، هو أسعد (وقيل سعد) بن سهل بن حنيف، الأنصاري، معدود في الصحابة، له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ، وتوفي سنة ١٠٠هـ. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٠٤؛ رجال تفسير الطبري، ص٥٤). ولقد روى ابن سعد (الطبقات، ج١، ص٤٩٩ ـ ٥٠٠) عن محمد بن عمر الواقدي (وهو متروك مع سعة علمه. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٩٨). عن معاذ بن محمد الأنصاري (مقبول، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٣٦؛ الذهبي، الكاشف، ج٣، ص١٥٤؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٨، ص١٣٠ ـ ١٣١). عن عطاء الخراساني (مولى المهلب بن أبي صفرة، وثّقه يحيى بن معين وروى عنه مالك، صدوق، ضعّفه البعض، ولكن يحتج بحديثه. وهو كثير الرواية عن التابعين. (انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٩٢؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٩٢).

(٢) ابن الضياء المكي، المصدر السابق، ص١٦٦ ـ ١٦٧؛ ابن النجار، المصدر السابق، ص٧٥.

(٣) رواه ابن سعد (الطبقات، ج١، ص٥٠٠) عن خالد بن مخلد (القطواني، أبو الهيثم، ثقة من شيوخ البخاري، أخرج له هو ومسلم، تُكلم فيه من جهة إفراطه في التشيع. انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٣، ص٣٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٩٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢١٧ ـ ٢١٩؛ =

حسنة:

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (النحل: ٤١):

قيل المراد نزول المهاجرين المدينة المنورة، وهذا مروي عن مجاهد والشعبي والحسن وقتادة. وقيل النصر على الأعداء أو ما استولوا عليه من فتوح. ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه التفسيرات[١].

حُنين:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ (التوبة: ٢٥):

واد عميق، كثير المياه والنخيل، يقع على أحد الطرق المؤدية من مكة إلى الطائف، وهو قرب ذي المجاز[٢]. وهذا الوادي يبعد عن مكة ٢٦ كم، إلى الشرق منها، ويسمى رأسه الصدر وأسفله الشرائع. وهو الذي وقعت فيه موقعة حنين المشهورة[٣]. ويروى أن حنينا نسبة إلى حنين بن قانية بن مهلائيل من العمالقة[٤].

= رجال تفسير الطبري، ص١٦٩). عن داوود بن شبيب (شيبان) الباهلي (صدوق، توفي سنة ١٢١/ ١٢٢هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٩٨).

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٢٨٤؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٤٤٨؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١٤؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٤٦ ـ ٤٧؛ الواحدي، الوسيط، ج٣، ص٦٣. عزا السيوطي إخراج هذا الأثر إلى ابن جرير وابن المنذر. (الدر المنثور، ج٤، ص١١٨).

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٠، ص١٥٦؛
Lammens, H.-[Abd al-Hafez],"Ḥunayn", EI², vol. 3, p. 578.

(٣) الألوسي، المصدر السابق، ج١٠، ص٧٣؛ ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٧٧٢ ـ ١٧٧٣؛ الطبري، التفسير، ج١٤، ص١٧٨ ـ ١٧٩؛ محمد محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دمشق، ١٩٩١، ص١٠٤؛ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة، ١٩٩٣، ج٢، ص٤٨٩ ـ ٥٠٦؛ مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، الرياض، ١٩٩٢، ص٥٨١ ـ ٥٩٣.

(٤) السهيلي، التعريف والإعلام، ص٦٩.

حرف الدال

دار الفاسقين:

﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٥):

قيل: هي جهنم، أو المصير في الآخرة، وقيل: هي الشام أو الأرض المقدسة وما كان فيها من منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى ليعتبروا بها، وهي ديار الكافرين التي خلت منهم، وقيل: هي مصر، وهي دار فرعون أو هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا، فكانوا يمرون عليها إذا سافروا[(١)]. والأرجح هي الأرض المقدسة وفلسطين نظرا لكون بني إسرائيل قد دخلوا فلسطين بأمر الله تعالى ولم يعودوا إلى مصر وفي نفس الوقت لم يتجهوا إلى منازل ثمود وعاد.

دارهم ـ ديارهم:

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ (الأعراف: ٧٨)؛

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٣٧﴾ (العنكبوت: ٣٧)؛

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ (هود: ٩٤):

---

(١) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٠؛ الخازن، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٢؛ السمرقندي، التفسير، ج١، ص٥٦٩؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٣٧١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص١٠٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٥٧٤.

هي منازل ثمود، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم ذكر لفظة ﴿دَارِهِمۡ﴾ في سورة الأعراف ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾، (الأعراف: ٧٨). وفي سورة هود ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ (هود: ٩٤). فلفظة ﴿دَارِهِمۡ﴾ اتصلت بالرجفة وهي الزلزلة التي تختص بجزء من الأرض، وأما ﴿دِيَٰرِهِمۡ﴾ فاتصلت بالصيحة وكانت من السماء وهي أعم للسامعين[١]. أو بمعنى آخر الزلزلة تناسب الدار لأن المراد بها البلد المزلزل، والصيحة تناسب الديار لأن المراد بها المنازل[٢].

دارهم:

﴿أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾ (الرعد: ٣١):

تدل الآية بصورة عامة على الإخبار بوقوع بعض الحوادث المؤلمة بقريش، وهي تنبيه لهم بأن ذلك عقاب من الله تعالى ووعيد بأن ذلك دائم فيهم حتى يأتي وعد الله، أو لعل الآية نزلت في مدة إصابتهم بالسنين والجوع. أو لعلها تشير بما حل من قريش من الخوف نتيجة للسرايا والكتائب الإسلامية التي تنال منهم حتى يأتي وعد الله بيوم بدر أو فتح مكة، أو هو خطاب للرسول ﷺ مرادا به حلوله بجيشه أرض الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة[٣]. وقيل: إنه خطاب للرسول ﷺ بمعنى أو تحل مكانا قريبا من دارهم محاصرا لهم آخذا بمخانقهم كما وقع منه ﷺ لأهل الطائف، والأول (أي أهالي مكة) أبين وأظهر[٤].

---

(١) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج١، ص٢٥٢.

(٢) السيوطي، قطف الأزهار، ج٢، ص١٠٢٤.

(٣) أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٢٣؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص١٥٥ ـ ١٥٧؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٣، ص٦٤٥ ـ ١٤٦؛ نظام الدين الحسين بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج١٣، ص٩١.

(٤) صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٣، ص٥١١.

الدار:

﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ (الحشر: ٩):

الأنصار، والدار اسم لمدينة الرسول ﷺ[١].

دياركم ـ ديارهم:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (البقرة: ٨٤ ـ ٨٥):

لعل هذه الآية تشير إلى ما حدث بين يهود يثرب: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وبالذات ما كان بينهم في حرب بعاث المشهورة التي نشبت بين الأوس والخزرج. وقد حاول الأوس التحالف مع بني قريظة والنضير، فلما علم الخزرج بذلك تهددوا اليهود إن هم فعلوا ذلك، فقالوا لهم: إنا لن نحالف الأوس ولا نحالفكم، فطلب الخزرج منهم أربعين غلاما كرهائن، فسلموهم لهم. بعدها طمع الخزرج في أراضي بني قريظة والنضير لأنها أكثر خصبا وأحسن نخلا، وهددوهم إن لم يخلوا لهم الأرض فإنهم سيقتلون الرهائن الأربعين، فلما رفضوا تسليم ديارهم، قتل الخزرج الرهائن، حينها تحالف بنو قريظة والنضير مع الأوس، وسعى الخزرج إلى التحالف مع بني قينقاع. فحدث قتال بين فِرق يهود يثرب، فكانوا يتقاتلون ويجلي بعضهم بعضا من ديارهم ويتآسرون فيما بينهم. وعندما تتوقف الحرب يفادون أسراهم الواقعين في أسر الأوس والخزرج، فعيّرتهم العرب بذلك، كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم بأموالكم[٢]. أو ربما تشير الآية إلى ما حدث بين

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٨، ص٢١٢؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٧٧؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٨٣؛ السمرقندي، التفسير، ج٣، ص٣٤٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٠، ص٥٠٨؛ محمد محمد شراب، المعالم الأثيرة، ص١١٥؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٠٣.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٥٨٨ ـ ٥٨٩.

اليهود بعد وفاة سليمان عليه السلام من تناحر وتقاتل بين اليهود في فلسطين حينما انقسمت المملكة إلى مملكتين[1].

ديارهم:

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ (البقرة: ٢٤٣):

هم من بني إسرائيل، كانوا على عهد النبي حزقيل (حزقيال)، خرجوا فارين من الطاعون، وكانوا ٤٠٠٠ وقيل ٣٠ ألفا، فأماتهم الله ثم أحياهم بعد ثمانية أيام، وقيل: كان إحياؤهم عن طريق أولادهم الذين خلفوهم[2].

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٥٨٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٨؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص١٨١؛ السدي، التفسير، ص١٥٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٢٩؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦. يقول أبو بكر بن العربي: «الأصح والأشهر أن خروجهم إنما كان فرارا من الطاعون، وهذا حكم باق في ملتنا لم يتغير». (أحكام القرآن، ج١، ص٣٠٤). وقد ذكر السيوطي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله إنهم كانوا ٤٠٠٠ خرجوا فارين من الطاعون. وعزا إخراجه إلى وكيع والفريابي وابن جرير وابن المنذر والحاكم. (الدر المنثور، ج١، ص٣١٠). وسند وكيع بن الجراح حسن. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج١، ص٣٦٣). وفي سند ابن أبي حاتم عن ابن عباس عبد الحميد الحماني، وهو صدوق يخطئ، ولكن الأثر يتقوى بما رواه الحاكم من طريق ميسرة النهدي عن المنهال بن عمرو عن جبير عن ابن عباس، كذا أخرجه ابن جرير من طريقين عن ميسرة وابن أبي حاتم من طريق عبد الحميد الحماني عن أبي النضر عن عكرمة عنه، والأثر حسن. (ابن الملقن، المصدر السابق، ج٢، ص٧٦٥ ـ ٧٦٦؛ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، تحقيق: أحمد مجتنبي بن نذير عالم السلفي، الرياض، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٢٩٩). وقد روى أبو الشيخ عن وهب أن ناسا من بني إسرائيل قد أصابهم بلاء وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم، وقالوا: يا ليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه، فأوحى الله إلى حزقيل: =

وقيل: هم قوم دعاهم نبيهم أو ملكهم إلى الجهاد ففروا من ذلك فأماتهم الله تعالى[1]. وكانت ديارهم قرية تقع إلى الشرق من واسط تدعى داوردان، وهي على بُعد فرسخ منها[2]. ويبدو أن الذين قالوا بأن هؤلاء القوم من بني إسرائيل على أيام النبي حزقيل، قد اعتمدوا على ما ورد في سفر حزقيل، الإصحاح ٣٧، عن رؤيا رآها النبي والتي تتحدث عن مروره على قوم موتى قد بليت عظامهم ويبست، فأراد الرب أن يريه قدرته على إحياء الموتى، فأمره بندائهم بكلمة الرب، حينها بدأت العظام تتجمع وتكتسي باللحم فالجلد ثم تدخل فيهم الروح. وهذا مثل قد ضربه النبي لقومه لاستماتتهم واستكانتهم وخضوعهم لأعدائهم. وشبّه فيه العظام ببيوت بني إسرائيل

= إن قومك صاحوا من البلاء، فأمرهم الله بالذهاب إلى مقبرة بها حوالي ٤٠٠٠ ميت، فأحياهم الله وكساهم بالعظام. وقد أخرج ابن جرير هذه القصة في تفسيره عن محمد بن سهل بن عسكر عن إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد عن وهب، كما أخرجها عن غيره أيضا بنحوها. (أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٢، ص٦٠٩ ـ ٦١٠، رقم: ٢٣٣).

(١) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص١٥٤؛ الزمخشري، التفسير، ج١، ص٣٧٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٦؛ محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، الكويت، ١٩٨٨، ص١٨٠. يقول ابن عطية: إن هذا القصص كله ليّن الإسناد. (المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٥).

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٢، ص٤٥٥؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣ ـ ٤؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٨؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٧٧؛ السدي، التفسير، ص١٥٦؛ الطبري، التفسير، ج٥، ص٢٦٦ وما بعدها؛ محمد الفقي، قصص الأنبياء، أحداثها وعبرها، القاهرة، ١٩٧٩، ص٣٥٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٥. وروى السيوطي من طريق عكرمة عن ابن عباس أن بلدتهم هي داوردان، وعزا إخراجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم، ومن طريق أسباط عن السدي (التفسير، جمع وتوثيق: محمد عطا يوسف، ص١٥٦) عن أبي مالك إنه داوردان، وعزا إخراجه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج١، ص٣١٠).

الخالية من الساكنين. وقد كانت رؤيا النبي بالقرب من نهر الخابور. ومن المحتمل أن هذه الرؤيا والمثل ومكان الرؤيا هي التي شكلت عند الرواة والمفسرين والمؤرخين كون القصة تتعلق ببني إسرائيل وأنهم كانوا في داوردان التي كانت قريبة من الخابور(١).

ويعلّق العلامة القاسمي على هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ (البقرة: ٢٤٦) تعليقا جميلا يقول فيه: «﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ معلوم أن سورة البقرة مما نزل في المدينة إثر الهجرة قبل فتح مكة، وكان العدو في مكة وما حولها في كثرة وقوة منعة، فأمِر المسلمون المهاجرون ومن آواهم أن يقاتلوا في سبيل الله، وقصّ لهم من الأنباء ما فيه بعث لهم على الجهاد وتبشير لهم بالفوز والعاقبة، وإن يكونوا في قلة وضعف، ما داموا مستمسكين بحبل الوفاق والصبر المصابرة. وينقل عن قتادة أن هذه الآية (مثل) ويعلّق على ذلك: «ما داموا مستمسكين بحبل الوفاق والصبر المصابرة مَثَل لعل مراده أنها مثل في تكوينه تعالى أمة قوية تقهر وتغلب وتسوس غيرها بعد بلوغها غاية الضعف والخمول، فكان حياتها وموتها تمثيلا قبل وبعد، فيكون إشعارا بما ستصير إليه أمة العرب من القوة العظيمة والمدنية الضخمة، وتنبيها على أن الوصول إلى ذلك إنما يكون بجهاد الظالمين واتفاق المتقين على دحر المتغلبين الباغين»(٢).

ديارهم:

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩٥):

أي هاجروا من مكة(٣).

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٤٧٩. لمزيد من التفاصيل حول النبي حزقيل ونبوءاته ورؤاه وسفره، انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص٣٥١ ـ ٣٥٢؛ .NNABD, pp. 429 - 433

(٢) التفسير، ج١، ص٥٨٦ ـ ٥٨٧.

(٣) أبو السعود، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٦٠٧؛ الطبري، التفسير، ج٤، ص٢١٦.

ديارهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ (الأنفال: ٤٧):

المراد أهل مكة، وهم كفار قريش، أبو جهل وأصحابه، حين خرجوا لحماية العير بطرا وفخرا وأشرا، وإظهارا للفخر والاستعلاء والرياء وخرجوا بالمعازف والقينات. إذ لما أرسل أبو سفيان للقرشيين يعلمهم بنجاة عيرهم، قرر جمع منهم العودة إلى مكة، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلا: «والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا». فأطاعه القوم[1].

ديارهم:

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ (الحج: ٤٠):

مكة التي اضطهد فيها المسلمون فاضطروا إلى الهجرة وترك أموالهم وديارهم فيها[2].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٢؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٤، ص٥٠٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٤؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص٥٧٨ ـ ٥٨١؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٠، ص٣٣؛ مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص٣٤٠؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٠، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٢) أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج٣، ص٣٠١؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص١٢١؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٣٩٧؛ الطبري، التفسير، ج١٧، ص١٧٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٢٩؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١٧، ص١١٨.

ديارهم:

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ (الأحزاب: ٢٧):

أرض وحصون وبيوت بني قريظة[١].

ديارهم:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ (الحشر: ٢):

ديار ومنازل ومساكن وحصون بني النضير التي أخرجهم الله تعالى منها بإلقاء الرعب في نفوسهم، وجاء بأس الله عز وجل الذي لا يرد من حيث لم يخطر ببالهم. وهذا الرعب والخوف جعلهم يتخبطون في تصرفاتهم ويحتارون في أمرهم لدرجة أنهم خرّبوا بيوتهم وأفسدوا ما أصلحوه من قبل[٢].

ديارهم:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ (الحشر: ٨):

مكة[٣].

دياركم:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

---

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج٢١، ص١٧٩؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص١٦١؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١٥٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص١٦٤.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٦٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٧٩؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٦٥؛ الطبري، التفسير، ج٢٨، ص٢٧ - ٢٨؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٠، ص٥٠١؛ محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ج١، ص٣٦٤ - ٤٦٥؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٢٨، ص٦٧.، ٧٠ - ٧١، ٧٣.

(٣) الغرناطي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٠؛ الطبري، التفسير، ج٢٨، ص٤٠؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٠، ص٥٠٧.

وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الممتحنة: ٨ ـ ٩):

مكة[١].

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص٤٠٧؛ الطبري، التفسير، ج٢٨، ص٦٥، ٦٧؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٢٨، ص١٣٦.

حرف الراء

ربوة:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ (المؤمنون: ٥٠):

اختلف أهل التفسير والتاريخ في تفسير الربوة، وتحديد مكانها والمقصود منها، على عدة أقوال:

١ ـ هي المكان المرتفع من الأرض: مروي عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة[١].

٢ ـ هي مصر: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ووهب[٢]. أو عين شمس بمصر[٣]. أو هي بهنسا[٤].

٣ ـ هي دمشق: عن عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب والحسن البصري وزيد بن أسلم وخالد بن معدان. وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٦٩؛ الطبري، التفسير، ج١٨، ص٢٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٨، ص٦٧.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٧٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٩؛ الطبري، التفسير، ج١٨، ص٢٦.

(٣) البقاعي، المصدر السابق، ج١٣، ص١٤٩.

(٤) الكندي، المصدر السابق، ص٢٤. وبهنسا، مدينة في صعيد مصر، وبها مشهد، يزُعم أن المسيح وأمه عليهما السلام، أقاما فيه سبع سنين. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٦١٢).

تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠): أنها أنهار دمشق. وعن مجاهد أنها غوطة دمشق وما حولها[1]. ويروى أنه بالقرب من دمشق يوجد جبل عال يدعى جبل الربوة، فيه كهف صغير يُزعَم أن عيسى عليه السلام قد ولد فيه. ويوجد على قمته مسجد صغير[2].

وقد أورد ابن عساكر[3] أحاديث نبوية وعددا من الروايات عن الصحابة والتابعين تبين أن الربوة الواردة في الآية هي دمشق أو غوطة دمشق. وهذه الروايات تتباين صحة وضعفا حسب الرواة، ومن أمثلة هذه الروايات:

أ ـ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ «أنه تلا ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، قال: هل تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام». وهذا الحديث لا يصح ففي سنده أبو سعيد مسلمة بن علي الخشني الشامي، وهو متروك الحديث، منكر، واه، ليس بشيء، وكل أحاديثه أو عامتها غير محفوظة. وكان يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس عندهم ولا من حديثهم[4]. وفي السند أيضا

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٧٠؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٣؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١١٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٩. الربوة الآن إحدى ضواحي دمشق المعروفة في أول وادي بردى. وفي اللغة الآرمية/ السريانية توجد لفظة ربوتا רְבוּתָא ܪܒܘܬܐ بمعنى الروعة والعظمة، ويبدو ذلك نتيجة أن المنطقة معروفة بجمالها ونضارتها وخضارها. (عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٢٨٧).

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٢٠٣ ـ ٢٠٩.

(٤) انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٨، ص٢٦٨؛ أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج٦، ص٣١٣ ـ ٣١٨؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص١٠٩ ـ ١١٢، محمد ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٣٧ ـ ٣٨؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٧، ص٥٦٧ ـ ٥٧١.

أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي الحافظ، كان من أوعية العلم، صدوق، إلا أنه من أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين، عنده مناكير عن الضعفاء[1]. ولبعض هذا الحديث شاهد أخرجه الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وأبو داوود والطبراني في مسند الشاميين والربعي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء مرفوعا: أن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام. وإسناد الحديث صحيح، وتابع ابن جابر خالد بن دهقان عند الطبراني والحاكم وصححه وسكت عليه الذهبي، وابن عساكر، وخالد ثقه، كما قال أبو مسهر ونعيم وأبو زرعة[2].

ب - عن ابن عباس أن الربوة هي دمشق. وفي سند هذه الرواية أبو عبد الله محمد بن عيسى بن إسحاق التميمي البغدادي العلاف، يروي عن الكديمي والحارث بن أبي أسامة وطبقتهما، له أحاديث منكرة[3]. وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي، ضعفه الإمام أحمد والثوري وأبو زرعة، وقد حدّث عنه الثقات، ويحدّث عن سعيد بن جبير وابن الحنفية وأبي عبد الرحمن السلمي بأشياء لا يتابع عليها. وهذه الرواية رواها عبد الأعلى عن عكرمة مع أن الحافظ المزي لم يذكر عبد الأعلى ضمن الرواة عن عكرمة[4]. ويذكر ابن عساكر هذه الرواية عن ابن عباس بأسانيد أخرى.

---

(١) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٤، ص١٢٩؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٢١٢ - ٢١٤؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٢، ص٢٦ - ٣٢؛ رجال تفسير الطبري، ص٢٤٩.

(٢) جاسم بن سليمان الفهد الدوسري، الروض البسام بترتيب فوائد تمام، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص٣٨٦.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان، ج٥، ص٣٣٦ - ٣٣٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٦٨٠.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٩٥؛ أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٥، ص٣١٦؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٦، ص٣٥٢ - ٣٥٥؛ رجال تفسير =

ج ـ عن عبد الله بن سلام أن الربوة هي دمشق، بسند صحيح. وعن سعيد بن المسيب وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير كذلك. ويعلق ابن عساكر على هذه الروايات بقوله: «وهذا التفسير موجود في صفة ربوة دمشق فلا يمتنع أن يكون هو الحق». وكذلك أشار ابن فضل الله العمري بقوله: والراجح عند الأكثرين أن الربوة دمشق، وهذه الأقوال واهية وإنما ذكرناها للتعجب اقتداء بالحافظ ابن عساكر[١].

٤ ـ الرملة: روى عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة سمعت أبا هريرة يقول في قوله . هي الرملة من فلسطين. وهذه الرواية في سندها أبو الأسباط بشر بن رافع الحارثي، الذي ضعفه أغلب علماء الحديث، وقال عنه البخاري: لا يتابع في حديثه ويأتي بالمناكير[٢]. ويذكر ابن عساكر[٣] أحاديث وروايات تبين أن الربوة هي الرملة، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ عن مرة البهزي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرملة: الربوة». وعلة هذا الحديث في عدد من رجال السند، مثل: محمد بن المتوكل العسقلاني، حافظ رحال، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: لين الحديث، وقال ابن عدي: كثير الغلط، وله أحاديث تستنكر[٤].

= الطبري، ص٣٠٠. ويروى عن ابن عباس قوله: من أراد أن ينظر إلى الموضع الذي قال الله عز وجل فيه ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ فليأت النَّيْرب الأعلى بدمشق بين النهرين، وليصعد الغار في جبل قاسيون، فلْيُصَلِّ فيه فإنه بيت عيسى وأمه. (النويري، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٣).

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٥٥. وبعض ما روي عن سعيد بن المسيب في سنده ضعف. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٢، ص٢٠٨).

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٣١٧، الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٤، ص١١٨ ـ ١٢١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٢٠٩ ـ ٢١٢.

(٤) أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج١، ص٢٣ ـ ٢٤؛ رجال تفسير الطبري، ص٥٠٨.

أبو عصام رواد بن الجراح العسقلاني، قال عنه الإمام أحمد لا بأس به، صاحب سنة إلا أنه حدّث عن سفيان بمناكير، وقال عنه النسائي: روى غير حديث منكر، وقال الدارقطني: متروك، وقال عنه ابن معين: لا بأس به، وقال البخاري: كان قد اختلط لا يكاد يقوم حديثه ليس له كبير حديث قائم، وقال عنه ابن حبان: يخطئ ويخالف، وقال عنه يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث[1]. وأبو عتبة عباد بن عباد الرملي الأرسوفي الخواص، كان من فضلاء أهالي الشام وعبّادهم، وثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان. وكان ممن يغلب عليه التقشف والعبادة حتى غفل عن الحفظ والاتقان، وكان يأتي بالشيء على حسب التوهم حتى كثرت المناكير في روايته على قلتها فاستحق الترك[2].

ب ـ عن أبي وعلة، شيخ من عك، قال: قدم علينا كريب من مصر يريد معاوية فزرناه، فقال: ما أدري عدد ما حدثني مرة البهزي في خلاء وجماعة: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم كالأناس الآكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك. قال: فقلنا: يا رسول الله من هم؟ وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس». قال: وحدثني أن الرملة هي الربوة، وذلك أنها تسيل مغربة ومشرقة. وأورد ابن عساكر نفس الرواية بإسناد آخر ولكنها من نفس طريق كريب. ويرد في سند الروايتين عباد بن عباد المذكور سابقا، وفي سند الرواية

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢١١؛ أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٣، ص١٧٦ ـ ١٧٨؛ الدارقطني، الضعفاء والمتروكون، ص٢١٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٥٥ ـ ٥٦؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٩، ص٢٢٧ ـ ٢٣٠؛ رجال تفسير الطبري، ص١٩٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٩٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٦٨؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٤، ص١٣٤ ـ ١٣٦. وعلى العموم فالحديث ضعيف. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٥، ص١٠٥).

الثانية محمد بن عبد العزيز الرملي، قال عنه الفسوي: حافظ، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: لم يكن عندهم بالمحمود[1]. وعلى الرغم من أن الحديث بهذا اللفظ ورد بروايات وأسانيد صحيحة أخرى، ولكن شاهدنا من الرواية هو التصريح بأن الربوة هي الرملة. وهذا الحديث أخرجه يعقوب بن سفيان البسوي (الفسوي)[2] في تاريخه والطبراني في الكبير[3] وابن عساكر من طريق أبي وعلة شيخ من عك وكريب السحولي وهو ابن أبرهة عنه مرفوعا. وكريب والراوي عنه بيّض لهما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وذكر الأول ابن حبان في الثقات، ففيهما جهالة، وقال الهيثمي: وفيه جماعة لم أعرفهم[4].

ج - عن يحيى بن عمرو قال: «مرض رجل من عك يقال له الأقرع على عهد رسول الله ﷺ، فأتاه يعوده قال: لا أحسبني إلا مقبوضا. قال: كلا إنك لا تموت ولا تدفن إلا بالربوة». فمات ودفن بالرملة. فكانت عك إذا مات الرجل منهم بالأردن له صدق حمل فدفن بالرملة، لمكان الأقرع. هذا حديث منقطع وقد روي مسندا بإسناد غريب. وعن المفضل بن أبي كريم عن أبيه عن جده لفاف، عن الأقرع بن شفي العكي، قال: دخل علي النبي ﷺ في مرض فقلت: لا أحسب إلا أني ميت من مرضي، قال النبي ﷺ: كلا لتبقين ولتهاجرن إلى أرض الشام وتموت وتدفن بالربوة من أرض فلسطين. قال ابن مندة: رواه إسماعيل بن رشيد المؤملي، عن ضمرة بن ربيعة، عن قادم بن ميسور القرشي، عن رجال من عك، عن الأقرع العكي، قال: مرضت فذكر الحديث نحوه. وقد

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٩٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٦٢٨؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٦، ص١١ ـ ١٣.

(٢) كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، المدينة، ١٤١٠هـ، ج٢، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) المعجم الكبير، ج٢٠، ص٣١٨.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٧، ص١٦٨؛ جاسم بن سليمان الفهد الدوسري، المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٤ ـ ٣٨٥.

روى ابن عساكر هذا الحديث بألفاظ متقاربة ومن ثلاثة طرق لا تخلو كلها من مقال. فالطريق الأول فيه المغيرة بن المغيرة قال عنه الذهبي: لا أعرفه. والطريق الثالث فيه جهالة رجال من عك. ورغم هذا الضعف فإن الأقرع بن شفي عاش وتوفي في الرملة في خلافة عمر، وقد جزم ابن عبد البر أنه لم يرو عنه إلا لفاف بن كرز وحده. وقال ابن السكن عن سند المفضل: إنه لا نعرف من رجال هذا الإسناد أحدا. وإن كان ابن حجر تتبع طرق روايات الحديث وتوصل إلى أنها ثلاثة ولكنها أيضا لا تخلو من مقال. فلفاف بن الفضل (المفضل) بن أبي كريم بن لفاف بن كدن بن عبيد العتكي، قال عنه ابن حجر: نزل البلقاء من أرض فلسطين. وعزا ابن حجر إلى الطبراني أنه روى من طريق محمد بن فهد من أهل البلقاء، قال حدثني أمية ولفاف ابنا المفضل بن لفاف.، وينقل ابن حجر عن الغلابي في الوشي عن هذه الرواية: لا يعرف أو لا يكون في شيء من الكتب، ويعلق ابن حجر أيضا: والراوي عن أبيه لا يعرف حاله أيضا[1]. والأقرع هذا ليس له رواية في الكتب الستة، وعلى هذا فهذا الحديث ضعيف لجهالة رواته[2].

٥ ـ بيت المقدس: رواه العوفي عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك وقتادة وكعب. وقد اختار هذا القول ابن كثير[3].

---

(١) حول هذه الأقوال، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، ابن حجر، الإصابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج١، ص١٠٣ ـ ١٠٤؛ نفس المؤلف، لسان الميزان، ج٤، ص٤٩١ ـ ٤٩٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٨٠، ج١، ص١٠٣ ـ ١٠٤؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٤٠٤، رقم: ٣٥٤٣٥.

(٢) ابن قانع، معجم الصحابة، تحقيق: خليل إبراهيم قوتلاي، الرياض، ١٩٩٨، ج٢، ص٥٩١ ـ ٥٩٢.

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٧٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٨٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٨؛ الطبري، التفسير، ج١٨، ص٢٧ ـ ٢٨؛ =

٦ ـ فلسطين في قول لأبي هريرة[١].

٧ ـ الإسكندرية عن زيد بن أسلم[٢]. وقد أورد ابن عساكر هذه الرواية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، وهي أيضا لا تخلو من مقال ففيها عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري، ضعفه البعض، وقال عنه الدارقطني: متروك الحديث، واتهم بتركيب الأسانيد[٣]. وحتى عبد الرحمن بن زيد فقد ضعفه الإمام أحمد وابن المديني والنسائي وأبو زرعة[٤].

٨ ـ بيت لحم لأن ولادة عيسى كانت هنالك[٥].

٩ ـ الكوفة وقد أورد ابن عساكر أربع روايات واحدة عن وهب بن منبه ووردت بصيغة التمريض، وثلاث روايات بأسانيد متقاربة وألفاظ متشابهة عن الإمام جعفر الصادق. فالرواية الأولى عن جعفر الصادق في سندها: أبو سعيد عبيد بن كثير العامري الكوفي التمار، يروي عن يحيى بن الحسن بن الفرات، قال عنه الأزدي والدارقطني: متروك الحديث، وقال عنه ابن حبان: استحق ترك الاحتجاج به[٦]. وعباد بن يعقوب الأسدي

= القرطبي، التفسير، ج١٢، ص٨٥. وأخرج عبد الرزاق قول قتادة بسند صحيح. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٤٣٢).

(١) القرطبي، التفسير، ج١٢، ص٨٥.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٩.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت، (دار إحياء التراث العربي)، ب.ت.، ج٢، ص٧٥٤ ـ ٧٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٤٠؛ أبو الشيخ الأصفهاني، أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، الرياض، ١٩٩٨، ج٢، ص٣٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٧٣، الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٧، ص١١٤ ـ ١١٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٤٤؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص٨٦.

(٥) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٣.

(٦) ابن حبان، كتاب المجروحين، ج١، ص١٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٤، ص١٢٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٢٢ ـ ٢٣.

الراوجني الكوفي، من غلاة الشيعة، ورؤوس البدع، لكنه صادق في الحديث عن شريك والوليد، ومع ذلك يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك[1]. وموسى بن عثمان، يروي عن الحكم وغيره، غال في التشيع كوفي، ضعيف، وحديثه ليس بالمحفوظ[2]. وجابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث بن كعب الجعفي الكوفي، ضعيف رافضي مع علمه، قال عنه النسائي: متروك الحديث، وقال عنه ابن معين: كان جابر كذابا، وقال في موضع آخر: لا يكتب حديثه، كما ضعفه ابن سعد والعجلي والعقيلي[3]. والرواية الثانية في سندها أبو محمد عبد الرحمن بن صالح الأزدي الكوفي، كان محترقا لما فيه من التشيع[4]. وإبراهيم بن محمد بن ميمون قال عنه الذهبي: لا أعرفه، روى حديثا موضوعا فأسمعه[5]. وموسى بن عثمان المذكور سابقا.

إن اعتبار الكوفة أو النجف[6] هي الربوة ورواية ذلك عن رواة من الشيعة تدل على مدى الأهداف المذهبية لذلك. مع العلم أن مدينة الكوفة لم تبن إلا في خلافة عمر ولم تكن موجودة في أيام المسيح عليه السلام.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٩١؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٢، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٤، ص١٧٥ ـ ١٧٩؛ نبيل بن منصور البصارة، الذين تكلم فيهم ابن حجر في فتح الباري مقارنة بما قاله فيهم في تقريب التهذيب، الكويت، ١٩٨٦، ص٧٧.

(٢) أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٦، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص٢١٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٣٧؛ أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٢، ص١١٣؛ خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج١، ص٤١٨ ـ ٤٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٧٩ ـ ٤٨٤؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٤، ص٤٦٥ ـ ٤٧٢؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص٤١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٤٣؛ أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٤، ص٣٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٥٦٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٤٦.

(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٦٤.

(٦) جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص٣١٧ ـ ٣١٨.

الرس

﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا﴾ (الفرقان: ٣٨)؛

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫﴾ (ق: ١٢):

الرس لغة: البئر المطوية بالحجارة، القديمة أو المعدن والجمع رساس، ووردت الإشارة إليها في بيت لزهير بن أبي سلمى:

بكرن بكورا واستمرن بسحرة فهي ووادي الرس كاليد والفم

ورُس الميت أي قُبر[١]. والرس الأثر القليل في الشيء. ويقال: سمعت رسّا من خبر[٢]. وقيل: إن الكلمة أعجمية الأصل، تعني البئر[٣]، أو قرية[٤]. وقيل: إن الرس تعني أصحاب البنات، وأزد شنوءة يسمون البنين الرس[٥]. وقد اختلف المفسرون في موضعه الجغرافي، واتفقوا على أن الرس بئر عظيمة أو حفير كبير، أو هو البئر لم تطو

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ٦، ص٩٨؛ الجوهري، المصدر السابق، ج٣، ص٩٣٤؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٥٢؛ عبد الله بن يحيى الزيدي، المصدر السابق، ص٢٧٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٥٢؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٣، ص٦٨.

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧، ج٢، ص١١٢؛ السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: محمد التونجي، بيروت، ١٩٩٥، ص٥٦؛ المهذب بتحقيق: التهامي الراجحي الهاشمي، ص٩٢.

(٤) الطبري، التفسير، ج١٩؛ ص١٤؛ محمد طاهر الصديقي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٤.

(٥) كتاب اللغات في القرآن رواية ابن حسنون المقري بإسناده إلى ابن عباس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٧. يرى عبد الحميد السيد محقق كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام أن الرس تعني في لغة أزد شنوءة «البئر» وليس البنات، وأن هذا خطأ نتيجة التصحيف والغلط في النقل. (انظر: المصدر السابق، ص٢١١ ـ ٢١٢).

بالحجارة والآجر، وكان أصحاب الرس يعبدون شجرة، وقيل: إن هذه الشجرة هي شجرة الصنوبر، فدعا عليها نبيهم، وكان من أولاد يهوذا، فيبست، فقتلوه ودسوه في البئر، فأظلتهم سحابة سوداء فأحرقتهم. وقيل: كانوا يعبدون الأصنام، وكانوا أصحاب ماشية وآبار[1]. وسُموا بأصحاب الرس لكونهم نازلين على الرس أو لكونهم أصابهم الخسف في الرس أو لأنهم احتفروا رسا[2]. وقيل: إن أصحاب الرس كانوا في حضرموت، وكانت مدينتهم تسمى الرس، وكانت ذات أشجار وأثمار وقرى عامرة، وعبد جزء من سكانها الأصنام وجزء منهم عبدوا النار. وكان بالمدينة جبل عال يقال له الفلج[3].

ويقال: إنه بعدن لأمة من بقايا ثمود، وكان لهم ملك صالح، حسن السيرة، يدعى العليس، وكانت البئر تسقي المدينة باديتها وحاضرتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر، وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس، ولم يكن لهم ماء غيرها، فطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا تتغير، وشق ذلك عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء، واغتنمها الشيطان، فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم وقال إني لم أمت ولكني تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي. ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا حجابا بينه وبينهم، ويكلمهم من ورائه، كيلا يعرف الموت في صورته، فنصبوه صنما من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب، وأخبرهم أنه لا يموت أبدا، وأنه إله لهم وذلك كله يتكلم

---

(١) ابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص٣٣؛ شهاب الدين أحمد ألخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ب.ت.، ج٤، ص٥٥٢؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٢؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٤٧؛ محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٢٠.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧.

(٣) ابن إياس الحنفي، بدائع الدهور، ص٧٦.

به الشيطان على لسانه فصدّق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق. فكلما تكلم ناصح منهم زُجر وقُهر، فاتفقوا على عبادته، فبعث الله لهم نبيا، كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة، وكان اسمه حنظلة بن صفوان، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له، وأن الشيطان فيه وقد أضلهم وأن الله لا يتمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز شريكا لله. فآذوه وعادوه وهو يتعاهدهم بالموعظة حتى قتلوه وطرحوه في بئر. وعند ذلك حلت عليهم النقمة والعذاب[1]. ويقال: إن نبيهم هذا هو الذي دعا على الطائر العظيم العنقاء فأهلكها الله تعالى بالصواعق[2]. ويروى أن في اليمن وجد في قبر، لوح مكتوب فيه: «أنا حنظلة بن صفوان أنا رسول الله قد بعثني الله إلى حمير وهمدان والعريب من اليمن فكذبوني

(١) البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٢، ج٩، ص١٠٩ ـ ١١٠؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٨٦ ـ ٨٧. انظر قصة مشابهة أوردها الثعلبي في عرائس المجالس، ص١٣٢ والسهيلي في التعريف والإعلام، ص١١٧ ـ ١١٨. يروى أن خالد بن صفوان أو حنظلة بن صفوان، كان نبيا بعث بعد خالد بن سنان بمائة سنة، وهو من ولد إسماعيل عليه السلام. أرسل إلى قبيلتين يقال لأحدهما قدمان أو أدمان وللأخرى رعويل أو يامن. (الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٦٧).

(٢) الثعالبي، عرائس المجالس، ص١٣١ ـ ١٣٢، الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٤٧؛ نور الدين القاري، شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء ﷺ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، القاهرة، ب.ت.، ج٥، ص٥٠٠. وينسب حديث إلى النبي ﷺ يذكر فيه العنقاء وصفتها وعظم خلقها، وأن الله تعالى خلقها في زمن موسى عليه السلام، وجعل رزقه في بيت المقدس. وتكاثر هذا الطائر، وتسلط على الصبيان وأخذ يخطفهم ويهاجم الناس حتى ظهر خالد بن سنان، ودعا عليها بأن يقطع الله تعالى نسلها. (المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩). وفي سنده أسد بن سعيد بن كثير بن عفير (عن أبيه عن جده)، وهو مجهول. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٤٠). والحديث يغلب عليه الصنعة وليس به جلال النبوة.

وقتلوني»[1]. ويروى أيضا أن حنظلة هذا، كان من أهل بهراء اليمن وقيل: بُعث إلى قبائل من ولد قحطان بعد عاد وثمود، فقتلوه وطرحوه في البئر[2]. ويقال: إن هذا النبي يدعى خالد بن سنان[3].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٢٧٢. ويعد ابن حبيب حنظلة بن صفوان في الأنبياء الذين وُلدوا مختونين. (المحبّر، ص١٣١).

(٢) أبو زيد البلخي، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٦.

(٣) جواد علي، المفصّل، ج١، ص٣٤٨؛ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرين، دمشق، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص٦٤٤ ـ ٦٤٥. روى الطبراني عن ابن عباس قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي ﷺ فبسط لها ثوبه، وقال: «بنت نبي ضيّعه قومه». وروى أيضا البزار عن ابن عباس، قال: ذكر خالد بن سنان عند رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك نبي ضيعه قومه». ثم قال: ولا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. (انظر: محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٥٣٥). وحديث «ذاك نبي ضيعه قومه» ضعيف، وحديث مجيئ ابنة خالد بن سنان إلى النبي ﷺ، أيضا حديث ضعيف، وحديث «إنه كان أربعة أنبياء بعد عيسى منهم خالد بن سنان» حديث ضعيف كذلك. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٥، ص١٧١، رقم: ١١٨٦٠، ج٤، ص١٣٠، رقم: ٨٩٦٧، ج٣، ص١٩٨، رقم: ٦٦٤٩). والحديث الذي أورده الطبراني والبزار في سنده قيس بن الربيع وهو ثقة في نفسه، إلا أنه كان رديء الحفظ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس فيها، وله أحاديث منكرة. وعموما فإن الأحاديث المرسلة التي فيها أنه نبي، لا يحتج بها. (انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٣٦٩ وما بعدها؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٩٣ ـ ٣٩٦؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٥٨؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٥٣٥). وقال البزار: إن الحديث قد رواه سالم الأفطس عن سعيد بن جبير مرسلا، وأسنده قيس ولم نسمع أحدا يحدّث به عن محمد بن الصلت إلا يحيى بن المعلى بن منصور. وإنما يحفظ هذا الحديث من حديث ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وابن الكلبي كذّاب. (انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، ب.ت.، ج١، ص١٠٥؛ عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: علي محمد وندل وياسين سعد الدين، ج١، ص٢٣٦، ٢٣٧). ويذكر أبو زيد البلخي أن ابنة خالد بن سنان تدعى محيا. (المصدر السابق، ج١، ص٢٧٧). وفي رواية =

. . . .

= ابن الكلبي أن اسمها المحياة. (عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: علي محمد وندل وياسين سعد الدين، ج١، ص٢٣٧). كما يورد ابن سعد حديثا عن أبي هريرة فيه أن ثلاثة نفر من بني عبس قدموا على النبي ﷺ فسألهم عن خالد بن سنان، فقالوا: لا عقب له، فقال ﷺ: نبي ضيّعه قومه. (الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٩٦). وهذا الحديث في سنده محمد بن عمر الواقدي، وهو ضعيف، متروك مع سعة علمه. (انظر: أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج٦، ص٢٤١ ـ ٢٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٩٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٥٤ ـ ٤٦٩؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٦، ص١٨٠ ـ ١٩٤). ويروى أنه خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة العبسي، كان في زمان كسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩ م).، وكان يدعو إلى دين عيسى، وكان بأرض بني عبس. وقيل كان نبيا من ولد إسماعيل عليه السلام، وهو الذي أطفأ النار التي ظهرت بأرض العرب، وقيل هي المعروفة بنار الحدثان في الحجاز، في حرة بأرض بني عبس، وكادت العرب تتمجس، فأخذ خالد هراوة، وشد عليها حتى أطفأها. ورويت في هذا القبيل عدد من القصص والحكايات الدالة على كرامات خالد بن سنان. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص١٢٦؛ نفس المؤلف، الكامل، ج١، ص٢١٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٣٦٩ ـ ٣٧٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٦٢؛ الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص١٩٩ ـ ٢٠٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٦٩ ـ ٧٠، ج٢، ص٢٢٩). ويروي الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس قصة إطفاء خالد بن سنان لنار الحدثان، وكراماته. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ويورد الحاكم عن سماك بن حرب أن الذي قدم إلى النبي ﷺ هو ابن خالد بن سنان وليس ابنته، وقال له ﷺ: «مرحبا بابن أخي». (المستدرك، ج٢، ص٦٥٤ ـ ٦٥٥، رقم: ٤١٧٣/ ١٨٣). وفي سنده معلى بن مهدي الموصلي وهو ضعيف يحدث أحيانا بالحديث المنكر، مع أنه صدوق في نفسه. (انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٨، ص٣٣٥، ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٦، ص٦٥). ويروي أبو يعلى هذه القصة بنفس سند الحاكم، ويعلّق عليها محقق سيرة ابن كثير بقوله: «هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل». (انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص١٠٥ ـ ١٠٦، ح. ١). ويسرد عمر بن شبة في تاريخ المدينة المنورة عددا من الروايات والأحاديث عن خالد بن سنان أغلبها موضوع وضعيف. (انظر الكتاب بتحقيق: علي =

وقيل: إن الرس بئر أو واد بأذربيجان في أرّان يخرج من قالقيليا ويصب في بحيرة جرجان أو في بحر طبرستان، وفي هذا الوادي ٤٠٠٠ نهر جار، وأصناف كثيرة من الناس والحيوانات والنباتات. وبأرض الرس ألف مدينة عامرة، فبعث الله إليهم نبيا اسمه موسى، فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه فحول الله جبلي الحارث والحويرث من الطائف فأرسلهما عليهم، وأن أهل الرس تحت هذين الجبلين[1]. وهذا التحديد غير صحيح والقصة يغلب عليها المبالغة والخرافة.

= محمد دندل وياسين سعد الدين، ج١، ص٢٣٥ ـ ٢٤٢). ويرى جواد علي أن خالدا هذا هو مصلح اجتماعي أو هو من المتحنفين العبّاد الذين ظهروا في زمن الجاهلية، وأن قصة نار الحدثان قد تكون لها صلة بعبادة النار في شبه الجزيرة العربية، وذكر أن نار الحرة ربما كانت في تلك المنطقة ثم خمدت فنسب الناس خمودها إلى خالد بن سنان. (المفصّل، ج٦، ص٦٩٨. انظر كذلك: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٢٩٦؛ Pellat, Ch.,"Khālid Bin Sinān", EI^2, vol. 4, p. 928

أما الجاحظ فيعلق على نبوة خالد بقوله: «أن خالدا هذا كان أعرابيا وبريا، من أهل شرْج وناظرة (ماءان لعبس). ولم يبعث الله نبيا قط من الأعراب ولا من الفدّادين (أهل الوبر، الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل، وهم أهل البادية)، وإنما يبعثهم من أهل القرى، وسكان المدن». (الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ١٩٦٩، ج٤، ص٤٧٨). وقد اختلف الرواة في تحديد المكان الذي خرجت منه النار فقيل بأرض عبس أو بين مكة والمدينة أو كانت في ناحية خيبر، وقيل هي حرة أشجع، وقيل: إنها كانت تخرج من بئر. (أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٥؛ شهاب الدين أحمد الخفاجي، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥٢؛ خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج١، ص٢٩٦). ويبدو أن خالد بن سنان كان رجلا صالحا. وقد روى البخاري حديث النبي ﷺ الذي يؤكد أنه لا نبي بينه وبين عيسى بن مريم، مما يدل على أن خالد بن سنان ليس نبيا. أو أن حديث البخاري يدل على أنه لا نبي صاحب شريعة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. (شهاب الدين أحمد الخفاجي، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥٢؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٥٣٥).

(١) ابن بلهيد النجدي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٨؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج١، =

وقيل: إن أصحاب الرس هم قوم شعيب كان لهم أصنام يعبدونها، أو هم قوم كانوا مع قوم شعيب[1]. وقيل: إن أصحاب الرس قوم نساؤهم سحاقات، حيث يذكر أن الدلهاث ابنة إبليس شهت إلى النساء ذلك الفعل وعلمتهن، فسلط الله عليهم صاعقة من أول الليل، وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس، فلم يبق منهم أحد. وقيل: هم قوم كذّبوا نبيهم وحبسوه في بئر ضيقة القعر ووضعوا على رأس البئر صخرة عظيمة، ولم يؤمن به سوى عبد أسود[2]. وقد عزا السيوطي إخراج قصة إيمان العبد الأسود إلى الطبري وابن إسحاق عن محمد بن كعب عن رسول الله ﷺ[3]. وهذه الرواية مرسلة. ويعلّق عليها صديق بن حسن القنوجي بقوله: إن فيها: «نكارة وغرابة ولعل فيها إدراجا»[4].

وقيل: إن أهل الرس، على نهر بهذا الاسم في بلاد المشرق، وكانوا يعبدون شجرة صنوبر تدعى «شات درخت»، في زمن قبل سليمان بن داود، وكان لهم ١٢ قرية. وأعظم قراهم تسمى إسفنديار التي كان بها ملكهم

= ص٢٠٥؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٩، ص١١٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥.، ص٧١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧ ـ ٢٨؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص٦٨.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٢؛ الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٧١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٨، ص٤٣٢؛ محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٢١.

(٢) البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٣؛ الثعالبي، عرائس المجالس، ص١٣١؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٧١؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص١٤ ـ ١٥.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٧١؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص١٤ ـ ١٥.

(٤) المصدر السابق، ج٥، ص٢٦. وقال ابن كثير عن هذ الحديث: «إنه مرسل، ومثله فيه نظر». (البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٢، ص٨).

تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان، فرعون إبراهيم. ولهؤلاء القوم عادات وطقوس جاهلية، وثنية يقومون بها تعبدا لشجرة الصنوبر، مصدر الحياة لآلهتهم. فبعث الله تعالى إليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه، فدعا عليهم بإيباس شجرهم، فأجمعوا على قتله، فحفروا بئرا ضيقة، ورسوه فيها. حينها سلط الله عليهم العذاب والهلاك، فأذاب الله أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار[1]. ويبدو أن هذه القصة غير عربية الأصل، وربما وافدة من ثقافات الشعوب المجاورة، لاسيما منها الفارسية. وحتى كون قصة أصحاب الرس حدثت في أرمينيا هي أيضا غير عربية الأصل[2].

وقيل: هم أصحاب ياسين، أهل أنطاكية، قتلوا فيها حبيبا[3]. وقيل: هم أصحاب الأخدود قرب نجران[4]. وقيل: إن الرس بئر قرب اليمامة يسمى فلجا، وهم بقية ثمود[5]. والفلج والأفلاج منطقة عامرة بالسكان والعمران والنخيل والزروع في الجزء الجنوبي من اليمامة، مشهورة بعيونها الجارية وخصوبة أرضها وكثرة وديانها. وتبلغ مساحتها حوالي ٥٤١٢٠ كم². ويحد منطقة الأفلاج من الشمال الخرج والحوطة ومن الغرب جبل

---

(١) شهاب الدين أحمد الخفاجي، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥٢؛ الثعالبي، عرائس المجالس، ص١٣٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٤٧.

(٢) محمد عجينة، المرجع السابق، ج٢، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ السدي، التفسير، ص٣٦٤؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٤٦١؛ محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٢١؛ محمد عجينة، المرجع السابق، ج٢، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٢١؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٢.

(٥) الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٧١؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص١٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٤٧.

العارض ومن الجنوب والشرق رمال الربع الخالي والدهناء. وقاعدة الأفلاج الآن بلدة ليلى الواقعة على بُعد ٣٠٠ كم إلى الجنوب من الرياض[١]. أو هو بحجر بناحية اليمامة على آبار[٢].

ويخلص الإمام الفخر الرازي إلى قوله حول هذه الروايات: «إن شيئا من هذه الروايات غير معلوم بالقرآن ولا بخبر قوي الإسناد ولكنهم كيف كانوا فقد أخبر الله عنهم أنهم أهلكوا بسبب كفرهم»[٣].

والرس والرسيس واديان بنجد أو موضعان، وقيل: هما ماءان في بلاد العرب معروفان. الرس لبني منقذ بن أعيا بن طريف من بني أسد، والرسيس لبني كاهل[٤]. وبئر الرساس ماء لبني سلامان، والرس بناحية صيهد من أرض اليمن، ويرى أبو عبيد البكري أنه هو المِعني بالرس في القرآن الكريم[٥].

ويرى فيلبي أن بئر الرس كان موجودا في منطقة تعرف اليوم ببلدة الرس في إقليم يدعى القسم أو القاسم في شمال الحجاز[٦]. وهذه قرية تقع في

---

(١) إبراهيم بن صالح الدوسري، الأفلاج، الرياض، ١٩٩٠، ص١٣، ١٩؛ الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، الرياض، ١٩٦٨، ص٢٢١ ـ ٢٢٢؛ عبد الله بن عبد العزيز آل مفلح، تأريخ الأفلاج وحضارتها، الرياض، ١٩٩٢، ص٢٩ ـ ٨١؛ عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، الرياض، ١٩٨٠، ج١، ص٩٥، ١٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٧.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ عبد الرزاق، بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، ١٩٨٩، ج٢، ص٢٣٧.

(٣) الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٤٨.

(٤) ابن منظور، المصدر السابق، ٦، ص٩٨؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١٦، ص١٢٥؛ ياقوت الحموي، ما اتفق اسما وافترق صقعا، ص٢٠٥.

(٥) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٥١ ـ ٦٥٢، ج٣، ص٨٤٩. انظر كذلك: ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٢٧٢.

(٦) Philby, J., The Land of Midian, pp. 161, 206. =

جنوب الطريق الرئيس المؤدي من تبوك إلى حقل والبدع ومدن وقرى الساحل. ويوجد إلى الجنوب من الرس واد كبير يعرف بالوادي الأبيض، ويوجد في هذه القرية آثار قديمة. ويرى البعض أنها هي بلدة أصحاب الرس[1]. والرس هي أيضا إحدى مدن القصيم، وتعد المدينة الثالثة بعد بريدة وعنيزة. وتقع على الطريق العام بين عنيزة والحجاز، وتبعد عن الرياض حوالي ٥٠٠ كم، وعن بريدة ٩٠ كم، وعن عنيزة ٦٠ كم. تقع على بعد ٢٠ كم من الرس بلدة صغيرة تسمى الرسيس، توجد في الجهة الجنوبية الغربية منها مزارع وآبار قديمة. وهذان الاسمان يحتمل أنهما تخلّفا من الاسمين القديمين في نجد على أنهما ماءان لبني منقذ وبني كاهل، وليس كونهما أن أصحاب الرس كانوا نازلين في هذين المكانين. وللرس والرسيس ذكر في الأدب والشعر والأحداث التاريخية قديما وحديثا[2].

الرقيم:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ (الكهف: ٩):

أصله المرقوم وهو الكتاب أو اللوح، وكان أصحاب الكهف لما دخلوه واطلع عليهم، كتب رجلان من المؤمنين أسماء الفتية في لوح ووضعاه في البناء لما سد عليهم[3]. وقيل: هو كتاب مع أصحاب الكهف، كتبوا فيه ما كانوا يدينون به من التوحيد، وقيل: هو كتاب دينهم قبل عيسى عليه السلام،

= انظر كذلك: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٤، ص٤٩، ٥٠.

(١) حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٢٠٤ ـ ٢٠٩.

(٢) انظر: عبد الله بن محمد الرشيد، الرس، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص١٣ فما بعدها، ١٠٢؛ محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: بلاد القصيم، الرياض، ١٩٨٠، ق. ٣، ص١٠٢٣ ـ ١٠٥٠؛ محمود شاكر، شبه الجزيرة العربية: نجد، دمشق، ١٩٧٦، ص٧٣.

(٣) ابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص٣٣٥؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٢٩٠؛ عبد الله بن يحيى الزيدي، المصدر السابق، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

وقيل: هو دين عيسى. وقيل: إن الكتاب كتبوا فيه الباعث الذي بعثهم على الالتجاء إلى الكهف فرارا من الكفر[1]. وقيل: هو الصخرة التي كانت على الكهف، وقيل: هو اسم الوادي وهو دون فلسطين، قرب أيلة، فيه الكهف[2]. وقيل: هو القرية التي خرج منها أصحاب الكهف، وقيل: هو لوح من حجارة، وقيل: من رصاص[3]. وقيل: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف وأمرهم ثم وضع على باب الكهف، وقيل: الرقيم حين رقمت أسماؤهم في الصخرة، وكتب الملك فيها أسماءهم وأسماء آبائهم، وكتب أنهم هلكوا في زمان كذا في ملك ريبوس ثم ضربها في سور المدينة على الباب[4]. ويذكر أيضا أن الرقيم هي الدراهم التي كانت مع الفتية. وقيل: هو الدواة بلسان الروم، أو الكتاب أو الكلب بلغة الروم، والرقمة في الوادي حيث يكون الماء والرقمة جانب الوادي[5]. ويظن البعض أن الرقيم في منطقة البلقاء في الأردن، أو هو واد دون فلسطين، قريب من أيلة أو هو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت أو أن الرقيم يقع على بُعد

---

(١) السدي، التفسير، ٣٣٣؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢١٣؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٢، ص١٦٩. وقد أخرج الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، بسند حسن، أن الرقيم هو الكتاب. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٨).

(٢) السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٠٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢١٢؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٥، ص٤١٤؛ القرطبي، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٣٢.

(٣) الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٥، ص٤١٥؛ عبد الرزاق، بن همام، تفسير القرآن، ج٣، ص٣٩٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٩، ص٢٤٥.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٤٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢١٢؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٥، ص٤١٥.

(٥) أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٤؛ الجوهري، المصدر السابق، ج٥، ص١٩٣٦؛ السيوطي، المهذب، تحقيق: ألتونجي، ص٥٧؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٥، ص٤١٤ ـ ٤١٥؛ كتاب اللغات، ص٣٣. انظر تعليق التهامي الراجحي الهاشمي على لفظة «الرقيم»، المهذب، ص٩٣.

فرسخ من عَمان[1]. ويحتمل أن المقصود بالرقيم الموجود في البلقاء هو البتراء العاصمة النبطية المشهورة. والكتابات الموجودة على مدخل وصخور البتراء هي في الأغلب كتابات نبطية ليس لها علاقة بقصة أصحاب الكهف[2]. واسم الرقيم هو اسم ثان للبتراء، ومن المحتمل أنه اسم يوناني الأصل، فحرّفه العرب إلى الرقيم. وهذه اللفظة موجودة في العبرية רֶקֶם والسريانية ܪܩܡ وتعني بشكل عام المدينة الصخرية أو المدينة المنحوتة في الصخر ولهذا فإن ترجمته في اليونانية بلفظة «بترا» Πετρα أي الصخرة[3]. وينقل ابن فضل الله العمري عن الهروي أن الكهف والرقيم في بلاد الروم عند مدينة خربة يقال لها إبسس[4]. ويروي القزويني أن عبادة بن الصامت لما كان في طريقه للقاء قيصر الروم، بأمر الخليفة أبي بكر الصديق، مر بجبل أحمر في بلاد الروم، قيل له إنه جبل أصحاب الكهف، وهو الرقيم، فاتجه إليه ووصل إلى دير فيه ثم دلّه الأهالي على سرب في الجبل له باب من حديد، فدخله فوجد ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود. وينقل القزويني عن عبادة صفات هؤلاء الموتى وأشكالهم وزيهم[5].

وعن النعمان بن بشير أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن أصحاب الرقيم أن ثلاثة نفر دخلوا إلى الكهف فوقعت صخرة من الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم، ولم يخرجوا إلا بالتوسل إلى الله عن طريق أعمالهم

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ٢٣٤٦؛ جواد علي، المفصّل، ج١، ص٧٢؛ عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٦٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٩. كون الرقيم قريب من أيلة، مروي عن ابن عباس بسند ضعيف. (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ٦٢٤).

(٢) جواد علي، المفصّل، ج١، ص٧٢؛ عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٢٩٢.

(٣) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٢٩٢؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٢١٩.

(٤) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج١، ص١٦١.

(٥) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠٨.

الصالحة[1]. وابن المنذر عن أنس عن النبي ﷺ قصة الثلاثة. وكذلك أخرج القصة البخاري ومسلم، وغيرهما، من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ، ولكن من غير ذكر الرقيم[2].

رواسي:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (الرعد: ٣)؛

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ (الحجر: ١٩)؛

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ (النحل: ١٥)؛

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ (الأنبياء: ٣١)؛

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (النمل: ٦١)؛

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (لقمان: ١٠)؛

---

(١) أورده الهيثمي وقال رواه الإمام أحمد والبزار بنحوه من طرق، ورجال أحمد ثقات، وقد روي عن النعمان من ثلاثة أوجه حسان أحدها عند أحمد والبزار، وكلها عند الطبراني. (انظر: البنا الساعاتي، الفتح الرباني، ج٢٠، ص١٥٢ ـ ١٥٤). وقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد في المسند (ج٤، ص٢٧٤)، وابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٤٧؛ والسيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٣٦٣، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٢٦٢، رقم: ٢٢١٥؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٦، ص٥٠ ـ ٥٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢١٢ ـ ٢١٣؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ج٩، ص٦٦، رقم: ٢٧٤٣. وهذا الحديث جعل البعض يفرّقون بين أصحاب الرقيم وأصحاب الكهف. (البيضاوي، التفسير، ج٢، ص٥).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ (فصلت: ١٠)؛

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ (ق: ٧)؛

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ (المرسلات: ٢٧):

عن ابن عباس أنها الجبال الشامخات، وهي ١٧ جبلا منها قاف وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين وثبير وطور سيناء[1]. والرواسي هي ثوابت الجبال جعلها الله تعالى حتى لا تضطرب الأرض ولا تتحرك، ولكن تستقر بمن عليها. وهي صفة عامة في كل الجبال، لا تختص بجبل دون غيره، فهي تثبت القشرة الأرضية[2].

ريع:

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (الشعراء: ١٢٨):

الرِّيع، لغة تعني المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد[3]، أو هو الجبل الصغير أو الطريق أو الوادي. وقد اختلف المفسرون في ما هية الريع المقصود، فروي عن ابن عباس وقتادة أنه الطريق، وعن مجاهد أنه الفج وعنه أيضا أنه بين جبلين. وروي عن عكرمة أن الريع هو الفج والوادي. أما الآية فقيل: إنها البناء الضخم العالي، وقيل هي العلامة والدلالة. وأما المصانع فقيل: هي القصور المشيدة والمباني والحصون وقيل: هي أبراج

---

(١) السيوطي، مفحمات الأقران، ص٨٦؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢) ابن الجوزي، تحفة الأريب، ص١١٨؛ حنفي أحمد، المرجع السابق، ص٣٩٤؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٤، ص٢٣٥؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص٦٥ ـ ٦٦. ويقول صديق بن حسن القنوجي: «لا وجه للتخصيص، والأولى العموم، والجبال على الأرض أكثر من ذلك، والكل يصلح للرسو». (المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٥).

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٧٢.

الحمام (أو هي برزخ الحمام كما رُوي عن مجاهد) أو مآخذ الماء[1]. وقال البعض أن هذه الأوصاف تنطبق على أهرام مصر وأن المصانع هي ما يعرف الآن بالمعابد فارتفاع الأعمدة يوازي قوم عاد. وهذا الرأي قال به بعض الرحالة والمؤرخين المسلمين من حيث كون قوم عاد هم بناة هذه الأهرامات أو أنها علامات على قبور ملوك[2]. ولكن كون عاد بناة الأهرامات لا يؤيده الواقع التاريخي والآثاري الذي يثبت أن المصريين القدماء هم بناة هذه الصروح العظيمة. وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الأوتاد.

---

(١) حول هذه الأقوال وغيرها، انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص١٣٥ ـ ١٣٦؛ أبا نعيم، حلية الأولياء، ج٣، ص٣٤١؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص٩٣ ـ ٩٤؛ عبد الرزاق، التفسير، ج٢، ص٧٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٥٢٢ ـ ٥٢٣؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص٨٣. يقول محمد الطاهر بن عاشور أن عادا «بنوا في طرق أسفارهم أعلاما ومنارات تدل على الطريق كيلا يضل السائرون في تلك الرمال المتنقلة التي لا تبقى فيها آثار السائرين واحتفروا وشيدوا مصانع للمياه وهي الصهاريج تجمع ماء المطر في الشتاء ليشرب منها المسافرون وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار، وبنوا حصونا وقصورا على أشراف الأرض». (المرجع السابق، ج١٩، ص١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) انظر: ابن جبير، المصدر السابق، ص٢٨؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٧؛ محمد سمير عطا، المرجع السابق، ص٣٦، ٣٩. انظر تفسيرات وتحليلات فاضل الربيعي حول لفظة «ريع» التي ربطها بثمود وأرض الدنس والأساطير وغيرها. (إرم ذات العماد، ص١٠٩ فما بعدها، ١٩١، ١٩٨ ـ ١٩٩، ٢٠٨).

حرف السين

الساحل:

﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ (طه: ٣٩):

السَّحل لغة: القشر، وهو من سحل الحديد أي برده وقشره، وهو ما يسحله الماء من شاطئ البحر، والساحل هو شاطئ البحر والساحل ريف البحر[١]. وفي الآية هو شط النيل، وكان يشرع منه نهر في دار فرعون[٢].

ساحتهم:

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٧﴾ (الصافات: ١٧٧):

الساحة لغة هي المكان الواسع، ومنه ساحة الدار والفناء بين دور الحي[٣]. والآية تتحدث عن العذاب الذي يسلطه الله تعالى على الكافرين ويحل بدارهم حينها يسوء صباح الذين أنذروا بالعذاب[٤]. وقيل: إن الساحة هي ساحة موقعة بدر التي عُذّب فيها كفار قريش بالقتل والأسر، وقيل: هي

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١١، ص٣٢٨؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠٢؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٥؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٣، ص٢٠٢.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٢٨٤؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص١٦١؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١٦، ص١١٠.

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٤٠؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٠؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٨.

(٤) ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٤٠؛ القرطبي، التفسير، ج١٥، ص٩١؛ وهبة الزحيلي، التفسير، ج٢٣، ص١٥٨.

نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة[1]. ويروى أيضا أن النبي ﷺ لما غزا خيبر صبّحها بكرة، وقال ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»[2]. والأرجح أن الآية عامة في كل عذاب يصيب الكافرين.

الساهرة:

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ (النازعات: ١٤):

عن الثوري أنها أرض الشام، وعن وهب أنها جبل بيت المقدس[3]. أو هو موضع على جبل زيتا (الزيتون) المطل على بيت المقدس. أو هي البقيع الذي إلى جانب طور زيتا. والساهرة أيضا أحد أبواب الحرم القدسي الشريف. وهو المدخل الشمالي لبيت المقدس، بني في العصر الفاطمي[4]. أو تعني أن الناس أصبحوا على وجه الأرض بعدما كانوا في بطنها، وتسمي

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٣، ص١٩٨؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٩.

(٢) الحديث من رواية أنس بن مالك. انظر: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، حديث رقم: ٦١٠، كتاب الصلاة، باب: ما يذكر في الفخذ، حديث رقم: ٣٧١، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم: ٢٩٤٥، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر، حديث رقم: ٤١٩٧، ٤١٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٦٣٤، ج٨، ص٥٩٥؛ الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد، ج٢٠، ص١٠٦، رقم الحديث: ١٢٦٧٠، ١٢٦٧١. وعزا السيوطي إخراجه كذلك إلى مسلم وابن المنذر وابن أبي حاتم (التفسير، ج١٠، ص٣٢٣٣) وابن مردويه. (الدر المنثور، ج٥، ص٢٩٤). وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (ج٢، ص١٥٩)؛ والبغوي في التفسير (ج٧، ص٦٥) عن أنس من طريق مالك بن أنس.

(٣) البروسوي، المصدر السابق، ج١٠.، ص٣١٨؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص١١٤؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٣٧؛ القرطبي، المصدر السابق، ج١٩، ص١٢٩؛ مجاهد، التفسير، ص٧٢٦.

(٤) الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٣٨؛ محمد المشايخ، المرجع السابق، ص٥٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٧.

العرب الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر، وسُميت بذلك لأن في وجه الأرض نوم الحيوان وسهرها[1]. وقيل: هي اسم الأرض السابعة. أو هي اسم مكان بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسان يمده الله تعالى كيف يشاء[2]. وقيل: هي أرض الشام، وقيل: جبل بيت المقدس أو هي أرض إلى جنب بيت المقدس[3]. أو هي الأرض المستوية البيضاء التي لا نبات فيها، وأريد بها أرض يجعلها الله لجمع الناس للحشر[4].

سبأ:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ (سبأ: ١٥):

سبأ: هو رجل له عشرة من الولد هم أصل العرب ومنهم تناسل العرب[5]. ونص الحديث عن ابن عباس قال: إن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم إمرأة أم أرض، فقال: «بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير عربا كلها، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان»[6]. وهذا الحديث بشواهده ومجموع طرقه يرتقي إلى درجة الصحيح.

---

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٨، ص٣٢٩؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٣٥ ـ ٣٧.

(٢) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، ١٩٨٩، ص٦٥؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص١١٤؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٣٧؛ عبد الله بن يحيى الزيدي، المصدر السابق، ص٤١٢؛ القرطبي، المصدر السابق، ج١٩، ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٣٨؛ محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٨٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٦٤٧.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣٠، ص٧٣.

(٥) ابن كثير، التفسير، ج٣، ص٤٥١، ج٦، ص٤٩١ ـ ٤٩٣، ٤٩٤؛ أحمد جمال العمري، المرجع السابق، ص١٨٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٣١.

(٦) في سند هذا الحديث ابن لهيعة وفيه ضعف إذا عنعن وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات. والحديث رواه الحاكم (المستدرك، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة سبأ، ج٢، =

ويبدو أن اسم ﴿سَبَإٍ﴾ أطلق في البداية على شخص ثم أصبحت البلاد تعرف باسمه، وهي أرض سبأ المعروفة في جنوب شبه الجزيرة العربية أو أرض اليمن. وقال البعض: إن ﴿سَبَإٍ﴾ لقب لعبد شمس المعروف بيشجب ابن يعرب بن قحطان الذي أكثر الغزو والسبي، وهو أول ملك عربي يسبي النساء، ويأتي بهن إلى اليمن[1]. مع العلم أن لفظة ﴿سَبَإٍ﴾ تعني في لغة المسند (اللغة السبئية) «غزا» أو بمعنى «الغازي»[2]. وقد نالت دولة سبأ وأرض سبأ حيزا كبيرا من الدراسة والتأليف والمناقشة، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية نظرا لما تتمتع به سبأ من ذكر كبير في التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى. كما أن ذكر القرآن الكريم لسبأ في قصتي ملكة سبأ والجنتين جعل المفسرين والمؤرخين يبحثون في حكايات وقصص التاريخ حول كل ما يمت إلى سبأ

= ص٤٥٩ ـ ٥٦٠) وليس في إسناده ابن لهيعة وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وأورده ابن كثير في تفسيره، وقال رواه عبد بن حميد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة. وخلاصة القول أن الحديث له طرق كثيرة شواهد تنهضه إلى درجة الصحيح. (انظر: الإمام أحمد، المسند، ج١، ص٣١٦؛ البخاري، التاريخ الكبير، (دار الفكر)، ج٧، ص١٢٦ ـ ١٢٧؛ البنا الساعاتي، الفتح الرباني، ج١٨، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠، ج٢٠، ص١٥٥ ـ ١٥٦؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص٧٦ ـ ٧٧؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٢، ص٥١١). وقد أورده عمر بن شبة في تاريخ المدينة المنورة بأسانيد أخرى لا بأس بها. (انظر الكتاب بتحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين، ج١، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(١) انظر: أبا عبيد البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٣٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص١٤٧؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠؛ القلقشندي، قلائد الجُمان، ص٣٩؛ محمد طاهر الصديقي، المصدر السابق، ج٣، ص٩.

(٢) بيستون وآخرون، المعجم السبئي، بيروت، ١٩٨٢، ص١٢٢. يعلّق السهيلي على الرأي القائل بأن سبأ مشتق من السبي: «ولست في هذا الاشتقاق على يقين، لأن سبأ مهموز والسبي غير مهموز» (الروض الأنف، ج١، ص١٠٣).

بصلة، فجمعوا الغث والسمين، مع أن كثيرا مما رووه وارد في كتب أهل الكتاب[1].

السدان ـ سد:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ (الكهف: ٩٣)؛

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: ٩٤):

الجبلان، وهما معلومان ويحتمل أنهما في جهة الشمال أو الجنوب، وموضعهما هو الشمال الغربي لصحراء قوبي الفاصلة بين الصين وبلاد المغول، شمال الصين وجنوب منغوليا. وقد وجد السد هناك ولم تزل آثاره إلى اليوم شاهدها الجغرافيون والسائحون، وصورت صورا شمسية في كتب الجغرافية والتاريخ العصرية. وهو سور الصين العظيم[2]. أو أنهما جبلان من قِبل أرمينيا وأذربيجان، كما روي عن ابن عباس[3]. أو منقطع في بلاد الترك[4]. وقيل: إن معاوية بن أبي سفيان أرسل وفدا لاستكشاف مكان السد ومعرفة أرض الجبلين، وهي من ناحية بحر قزوين. وقد وصل الوفد إلى المكان وهلك واحد منهم لما صعد على قمة السد، وعاد الباقون وأخبروا الخليفة بما رأوا. ويروى أيضا أن الخليفة العباسي الواثق بالله أرسل بعثة استكشافية إلى منطقة أرمينيا والبلاد القريبة من بحر قزوين. ووصفت هذه

---

(١) لمزيد من التفاصيل والدراسة حول هذه الموضوعات، انظر: حمد محمد بن صراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، رأس الخيمة/دبي، ١٩٩٨، ص١٦١ ـ ١٨٨؛ رابح لطفي جمعة، «سبأ بين التاريخ والنص القرآني»، الدراة، س. ١٧، ع٢، (١٩٩١)، ص٧٧ ـ ١٠٧.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ص٢٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٨٩؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢٠، ص٣٨٠؛ (وقد عزا السيوطي إخراجه إلى ابن المنذر)، الدر المنثور، ج٥، ص٢٤٩؛ القرطبي، المصدر السابق، ج١١، ص٣٧.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٨٩؛ أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٤٥٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٩، ص٣٨٠.

البعثة تلك المناطق وجبالها الوعرة وألوانها وقراها وسكانها. وتذكر أنها وصلت إلى مكان السد ووصفت عظمته وضخامته[1]. ويشكك الأستاذ محمد خير رمضان يوسف في حقيقة هذه البعثة نظرا لما تحتويه من غرائب وقصص وحكايات. وأيضا هو لا يصدق ما رواه الطبري من قيام بعثة في ولاية عبد الرحمن بن ربيعة على أذربيجان وأرمينيا، لاكتشاف السد. ويرجح أن السد في جمهورية جورجيا[2]. أو في منطقة جبال القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود. وجبال القوقاز شاهقة عالية تمتد من البحر الأسود غربا حتى بحر قزوين شرقا، وبارتفاع يصل أحيانا إلى ١٢٠٠ كم، وتشكل جدارا جبليا منيعا، وعرا. وفي وسط هذه السلسلة الجبلية وبميل بسيط نحو الشرق، يوجد مضيق يشق سلسلة الجبال شقا طوليا، وهما السدان[3].

ويروى أن رجلا أخبر رسول الله ﷺ أنه رأى السد، فقال له ﷺ: كيف رأيته؟ قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء، قال: قد رأيته. وهذا الحديث من مرسلات قتادة وفي نفس الوقت، يقول قتادة: «ذُكر لنا»، وفي رواية عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة رضي الله عنه[4]، وفي هذه الرواية جهالة هذا الرجل. فبالتالي لا نعول على هذه الرواية في تحديد مكان السد، على الرغم من أن سند الرواية إلى قتادة صحيح[5]. كما أنها لم تخبر أين يقع، بل ذكرت صفته وهيئته دون ذكر مكانه الجغرافي.

---

(١) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، ج١، ص٤٥٥ ـ ٤٥٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٩٧ ـ ٥٩٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(٢) ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح، دمشق، ١٩٨٥، ص٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) الشفيع الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج، بيروت، ١٩٩٦، ص٦٥ ـ ٦٦، ٣٠٧؛ مولانا أبو الكلام آزاد، ويسألونك عن ذي القرنين، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٤) الزيلعي، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٢ ـ ٣١٣، رقم: ٧٥١.

(٥) ابن حجر العسقلاني، تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، عَمان، ١٩٨٥، ج٤، ص١٢ ـ ١٣.

سور:

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ (الحديد: ١٣):

قيل: إن السور هو باب بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قِبله العذاب وادي جهنم[١].

سيل العرم:

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ: ١٦):

العرم: المياه وقيل الوادي وقيل: الجرذ، وقيل: الماء الغزير. وقيل: العرم من العرامة وهي الشدة والصعوبة[٢]. وعن مجاهد أن العرم بالحبشية هي المسناة التي تجمع فيها الماء ثم ينبثق، وقيل: إن العرم اسم للسد، والعرم كل شيء حاجز بين شيئين[٣]. ولكن أقرب المعاني إلى الصواب هي أن لفظة ﴿الْعَرِمِ﴾ تعني السد إذ أنها بهذا المعنى نفسه في لغة المسند[٤].

---

(١) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ص٦٢؛ النويري، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٥.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٤٤٥؛ ابن كثير، التفسير، ج، ٦، ص٤٩٥؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٠؛ الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٦٨، ٤١١ ـ ٤١٢؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٤٣؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٣٣. ويقال: إن العرم والبر من أسماء الفأر، ونُسب هذا القول لابن الأعرابي. (انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٥٦٢؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٢؛ محمد طاهر الصديقي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٧٨).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٤٤٥؛ السدي، التفسير، ص٣٩٠؛ السيوطي، الإتقان، ج٢، ص١١٥؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٢؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص٧٩؛ محمد طاهر الصديقي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٧٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٨٦.

(٤) بيستون وآخرون، المرجع السابق، ص١٩.

وعلى الأغلب أن السد المعني هو سد مأرب المشهور[1]. وقد أوردت عدد من كتب التفسير والتاريخ قصصا وحكايات حول كيفية انهيار السد وبداية السيل، ومن هو أول من تنبأ به وكيف بدأت هجرة القبائل من اليمن بعد أن عاشوا في رغد من العيش. ويروى أن الله تعالى أرسل إليهم عددا من الرسل والأنبياء، أوصلهم البعض إلى ١٢ ألف نبي يدعونهم إلى الإسلام. وتورد هذه المصادر قصة الفأر ذي المخالب الحديدية الذي حفر صخور السد وتمكن من قلب حجارته الضخمة، إلى غير ذلك من القصص الخرافية التي تبعد عن الحقيقة والواقع التاريخي والآثاري[2].

(١) لمزيد من التفاصيل والمناقشة والدراسة حول سد مأرب، انظر: حمد محمد بن صراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص١٧٩ ـ ١٨١. انظر كذلك: السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٤٢.

(٢) حول مناقشة مستفيضة حول هذه الروايات والرد عليها وتفنيدها ومقارنة ذلك بالواقع التاريخي والآثاري، انظر: حمد محمد بن صراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، ص١٨١ ـ ١٨٨. وكأمثلة على ما ورد من قصص وروايات، انظر: ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٤٩٤ ـ ٤٩٥؛ أبا نعيم، حلية الأولياء، ج٣، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥٠٢ ـ ٥٠٣؛ السدي الكبير، التفسير، ص٤٩٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٨٩ ـ ١٩٤.

حرف الشين

شاطئ الوادِ الأيمن:

﴿شَـٰطِيِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ (القصص: ٣٠):

أي جانب الوادي مما يلي الجبل الذي عن يمين موسى عليه السلام، من ناحية الغرب[١].

شطر المسجد الحرام:

﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤)؛

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٩)؛

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٥٠):

الشطر: الجهة والناحية، وهو وسط الشيء لأن الشطر يطلق على نصف الشيء، وشطر المسجد الحرام يراد به الكعبة، لأنها واقعة من المسجد الحرام في نصف مساحته، فاختار هذه العبارة ليعرف أن الواجب هو التوجه إلى بقعة الكعبة[٢].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢١٨؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٤٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٤٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص١٢٨.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٢٨؛ نظام الدين الحسين بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧. يقال: إن لفظة «شطر» تعني تلقاء في لغة الحبشة. (السيوطي، المهذب، بتحقيق التهامي، ص١٠٤). وقيل: إن لفظة «شطر» تعني تلقاء بلهجة كنانة. (انظر: أبا عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق، ص٥٤).

حرف الصاد

الصخرة:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ (الكهف: ٦٣):

صخرة سبتة، وهي مشهورة هناك بأنها الصخرة التي أوى إليها موسى وفتاه[١]. وقيل: هي صخرة تعرف بصخرة شَروان في أرمينيا[٢]. وقيل: هي بالشام عند نهر يعرف بنهر الذيب، على الطريق[٣].

الصدفين:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ (الكهف: ٩٦):

الصدف لغة هو كل بناء عظيم مرتفع، والصدف الصلابة، والصدف هو الجبل، وسُمي صدفا لصلابته، والصدف في الجبل جانبه أو ناحية وجهه. ويقال: لجانبي الوادي إذا تحاذيا صُدفان وصَدَفان، لتصادفهما أي لتلاقيهما وتقابلهما[٤]. والصدفان في الآية هما الجبلان اللذان بنى بينهما ذو القرنين السد العظيم[٥]، وقد مر بنا ذلك في لفظة «السد».

---

(١) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج١، ص١٧٨.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٢.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص٣٥٤؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٢٧٥.

(٤) ابن فارس، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٤؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٧ ـ ١٨٨؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٧.

(٥) الطبري، التفسير، ج١٩، ص٢٤ ـ ٢٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، مج٧، ص٥٠٠؛ القرطبي، التفسير، ج١١، ص٤١ ـ ٤٢؛ وهبة الزحيلي، التفسير، ج١٦، ص٢٢، ٢٨.

الصفا:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨):

علم لجبل بمكة، وسمي بالصفا لأن آدم صفي الله جلس عليه. وكان على الصفا صنم على صورة رجل يدعى إساف، وصنم على صورة إمرأة تدعى نائلة[١]. وهو رأس نهاية جبل أبي قبيس جنوبي المسجد، ولأن حجارة الصفا من الحجارة الملساء الصلبة سُمي الجبل بالصفا، وهو قريب من باب يسمى الصفا من أبواب المسجد الحرام[٢].

صياصيهم:

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ (الأحزاب: ٢٦):

الحصون، والصيصة ما تُحُصِّن به، أو ما كان حصنا لكل شيء، وهي حصون وقلاع بني قريظة[٣].

---

(١) البروسوي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٢؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص١٢١.

(٢) إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، بيروت، ب.ت.، ج١، ص٣٢؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٦٠ ـ ٦١؛ Joel, B.,"Al-Ṣafā", EI², vol. , p. 756.

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٣٩٩؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢١، ص١٧٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٥٧؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٨، ص٢١٥؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١٥٠ فما بعدها. وقد أخرج آدم بن أبي إياس بسند صحيح عن مجاهد أن الصياصي هي القصور. وأخرج الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة أنها الحصون والآطام. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٤، ص١٢٣).

حرف الطاء

طُوى:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾ (طه: ١٢)؛
﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ (النازعات: ١٦):

عن ابن عباس أنه اسم الوادي[1]، وهو واد في الشام[2]. أو هو الأرض المقدسة[3]. وقيل: هو اسم مصدر مثل هدى، أي طواه موسى عليه

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٤١٧؛ ابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص٣٣٥؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٢٧٤؛ ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٢٧١؛ البروسوي، المصدر السابق، ج١٠، ص٣١٩؛ القرطبي، التفسير، ج١١، ص١١٨.

(٢) البروسوي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٧١؛ القرطبي، التفسير، ج١١، ص١١٨.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٩٣. يظن كمال صليبي أن طوى هي قرية الطَّوا الواقعة بالقرب من سفح جبل هادي في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٧٠). ويرى زياد منى أن طوى هو الوادي المعروف بالقرب من مكة. (جغرافية التوراة، لندن، ١٩٩٤، ص٥٨ ـ ٥٩). ووادي طوى واد مشهور قريب من مكة، وهو الآن في وسط عمران المدينة المقدسة. وروي عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ كان ينزل بذي طوى ويبيت حتى يصبح. وهو الوادي الذي مر عليه النبي ﷺ إبان مسيره لفتح مكة، ويوجد في هذا المكان مسجد يقال: إنه مكان مصلى رسول الله ص(انظر: البخاري، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: المساجد التي على طرق المدينة، حديث رقم: ٤٩٢؛ مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة، حديث رقم: ١٢٥٩؛ ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٤١٨؛ ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٣٩٧؛ أحمد جمال العمري، المرجع السابق، ص١٢٨، ١٦٩؛ عاتق بن غيث البلادي، المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٨٨ ـ =

السلام بالسير في تلك الليلة كأنه قيل له إنك بالوادي المقدس الذي طويته سيرا. أو أنه أمر لموسى عليه السلام بأن يطوي الوادي ويصعد إلى أعلاه لتلقي الوحي. أو لأنه طوي فيع الشر عن بني إسرائيل وقيل: هو بمعنى المقدس تقديسين لأن الطي هو جعل الثوب على شقتين. وعلى الأرجح أن طوى اسم صنف من الأودية، يكون ضيقا بمنزلة الثوب المطوي، أو غائرا كالبئر المطوية والبئر تسمى طويا. وهذا الوادي في جانب جبل الطور في برية سيناء، في جانبه الغربي. ويسمى واد بظاهر مكة ذا طوى وهو مكان يسن للحاج أو المعتمر القادم أن يغتسل عنده[1].

ويقال أن لفظة «طوى»، عبرية الأصل تعني «رجل» أو «يا رجل»[2].

الطور الأيمن:

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ (مريم: ٥٢)؛

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠﴾ (طه: ٨٠):

= ١٨٩؛ نفس المؤلف، معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧؛ القاضي، عياض، إكمال المعلم، ج٤، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٦٦٥؛ محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، ١٩٨٨، ج٢، ص٤٤٣، ٥٧٠).

(١) صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ص١٩٧، ١٩٨، ج٣٠، ص٧٥. يقول أحمد داوود: إن طوى تعني في العربية القديمة والحديثة وادي الصيام أو الصائمين. (العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دمشق، ١٩٩١، ص١٦٢). ويوجد واد بالقرب من مكة يعرف بطوى. (عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٨٨ ـ ١٨٩).

(٢) السيوطي، المتوكلي، ص١٢٩؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٤. انظر التعليقات الجميلة التي أوردها التهامي الراجحي الهاشمي على أقوال العلماء في لفظة «طوى»، في تحقيقه للمهذب، ص١١٤ ـ ١١٥. انظر كذلك: القرطبي، التفسير، ج١١، ص١١٨.

هو المكان الذي كلم الله تعالى موسى عليه، وسأل فيه الرؤية، وأعطاه التوراة، وهو الجبل الذي دك عند التجلي وهو الجبل الذي نزلت فيه الألواح على موسى عليه السلام[(١)]. وقيل: إن الجبل الذي خاطب الله فيه موسى غير ذلك، وهو يدعى جبل حوريب، واسمه في العربية الزبير[(٢)]. وقيل: هو جبل محيط بالأرض، والأشهر أنه هو جبل سيناء، وهو بين الشام ومدين وقيل: هو بالقرب من أيلة[(٣)]. وجعله البعض بين المدينة ومصر. وقيل: هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر إلى أيلة[(٤)]. وقيل: إن الطور في أرض مدين[(٥)]. ومنهم جعل الطور ضمن شبه الجزيرة العربية أو ضمن حدود مصر[(٦)]. ويبدو أن هذا يعود لكون بعض الجغرافيين قد مد حدود شبه الجزيرة العربية ومصر لتشمل أراض كبيرة من ضمنها شبه جزيرة سيناء وجنوب بلاد الشام. وقيل: إنه قريب من بحيرة طبرية[(٧)]. وذكر أبو عبيد البكري أن الطور نسبة إلى طور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[(٨)].

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٣٠١؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٧٥؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٩٣؛ القرطبي، التفسير، ج١، ص٢٩٦.

(٢) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٤٩٨؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٧، ص٣٧.

(٣) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٦٨؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٦، ص٧٥، ج٩، ص١٨٤؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢١٤؛ مجد الدين الفيروزآبادي، لطائف ذوي التمييز، ج٣، ص٥١٨.

(٤) القرطبي، التفسير، ج١٢، ص٧٧، ج١٩، ص١٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٣.

(٥) ابن عبد الحق الخزرجي، المصدر السابق، ج١، ص١٨٠.

(٦) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٧٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٣، ١٦٥، ١٧٨.

(٧) ابن جبير، المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٨) معجم ما استعجم، ج٢، ص٨٩٧. يقول عبد الحميد السيد محقق كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (لغات القبائل) تعليقا على كون سيناء تعني الحسن: «ولم أجد في =

جانب الطور الأيمن:

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ (مريم: ٢٥):

أي سفح الجبل من جانبه الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة[١].

طور سينين:

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ (التين: ٢):

هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه، وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه، ومعنى سينين بالسريانية ذو شجر، أو حسن مبارك بلغة الحبشة[٢]. أو أن الطور هو الجبل بلغة النبط وهم الكنعانيون وعرف بهذا الاسم لوقوعه في صحراء سينين، وهي صحراء بين مصر وفلسطين[٣]. وكلمة طور ܛܘܪܐ والجمع: ܛܘܪ̈ܐ تطلق فعلا على الجبل في اللغة السريانية[٤]. أما كلمة حسن في اللغة الحبشية أو الأثيوبية فهي طورو ጥሩ، وكلمة تارارا ተራራ تعني جبل صغير[٥]. والبعض أرجع المعنى إلى اشتقاق الاسم من لفظة الإله الرافدي المعروف «سين»، أو أنها تعود إلى شجيرة

= كتب اللغة التي رجعت إليها ولا في كتب التفسير التي اتخذتها مراجعي ما يعطيني أن (سيناء) معناها: الحسن». المصدر السابق، ص٢٠٣.

(١) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٢٣٢؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٦، ص٢٧٤.

(٢) البروسوي، المصدر السابق، ج١٠، ص٤٦٧؛ السيوطي، المتوكلي، ص٦٢؛ السيوطي، المهذب، ص٦٤، ٧١؛ الطبري، التفسير، ج٣٠، ص٢٤٠، ٢٤١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٨، ص٣٤ ـ ٣٥.

(٣) السيوطي، المهذب، ص٧١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣٠، ص٤٢١.

(٤) Smith, P., op.cit., p. 170.

(٥) Armbruster, C. H., English-Amharic Vocabulary, Cambridge, 1910, p. 122; Leslau, W., English-Amharic Dictionary, Wesbaden, 1973, p. 526.

شوكية كثيفة تسمى «سِنِه»[1]. وأغلب الظن أن لفظة سيناء مشتقة عن الكلمة العربية سنا، أي الضوء الشديد، وهذا حاصل في سيناء نتيجة انعكاس الضوء على الحجر الجيري الأبيض في أرض سيناء[2]. وقد ورد في النص التوراتي المنقول عن النص السبعيني اليوناني كلمة «طورو سيني»، وهي في اللغة البابلية/الكلدانية اسم جمع للمذكر والمؤنث وتعني شجرة العليق (العوسج)[3]. ويختم الطبري الآراء المختلفة حول تفسير الطور بقوله: «سينسِنِهطورو سينيو أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال طور سينين جبل معروف لأن الطور هو الجبل ذو النبات فإضافته إلى سينين تعريف له ولو كان نعتا للطور كما قال من قال معناه حسن أو مبارك لكان الطور منونا وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك»[4].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: الطور من جبال الجنة، وأخرج أيضا عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطور من جبال الجنة»[5].

---

(١) Levias, C.,"Sinai", UJE, vol. 9, p. 553

(٢) دائرة المعارف الكتابية، ج٢، ص٤٨٤.

(٣) أحمد داوود، المرجع السابق، ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) التفسير، ج٣٠، ص٢٤١.

(٥) ذكره السيوطي وعزاه إلى ابن مردويه، الدر المنثور، ج٦، ص١١٧. كذلك أخرج الطبراني في الأوسط أن الطور من جبال الجنة ضمن حديث يذكر فضائل بعض الجبال والأنهار (الطبراني، المعجم الكبير، ج١٧، ص١٨). وقد علّق الهيثمي على الحديث بقوله: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم». (مجمع الزوائد، ج١٠، ص٧١). وقال أيضا: «رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف». (مجمع الزوائد، ج٤، ص١٤). انظر كذلك: السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ج١، ص٨٦؛ الهيثمي، مجمع البحرين، ج٧، ص٤٤. وفي سند الحديث كثير بن عبد الله وهو ضعيف. (انظر: عبد الملك بكر عبد الله قاضي، موسوعة الحديث النبوي: أحاديث الحرمين الشريفين والأقصى المبارك، الرياض، ١٩٨٩، ج٣، ص٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، رقم: ١٠٠١١، ١٠٠٠٦، ١٠٠١٦؛ عمر بن شبة، تاريخ المدنية المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة، ١٩٧٩، ج١، =

وفي بلاد الشرق الأدنى أكثر من منطقة تحمل اسم الطور، وهي جبل الطور المطل على طبرية، وجبل الطور عند كورة تشتمل عدة قرى بأرض مصر من جهة القبلة، وطور عبدين اسم بليدة من نواحي نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بالجودي، وطور هارون جبل عال مشرف في قبلي البيت المقدس، في رأسه كما قيل قبر هارون[١]. وفي بعض المصادر الشيعية أن الطور هو النجف[٢].

أما سيناء فهي شبه جزيرة كبيرة بين مصر وفلسطين، مثلثة الشكل، يحدها خليج العقبة من الشرق وخليج السويس من الغرب، وسيناء أرض صحراوية قليلة المياه، وتبلغ مساحتها حوالي ٦١٠٠٠ كم^{٢}. ويوجد في جنوب سيناء جبل يعرف باسم حوريب وجبل الرب ويعرف أيضا باسم الجبل وجبل موسى وجبل سيناء، وهذه المسميات وردت في عدد من أسفار التوراة[٣]. وتوجد على قمة الجبل كنيسة ومسجد صغير، وهي محل يحج إليه العديد من النصارى. ويتواجد في الكنيسة عدد من الرهبان، وكذلك يوجد على القمة ضريح يعرف بضريح النبي هارون[٤]. وجبل الطور (جبل سيناء) جبل شامخ يرى من ساحل الحجاز الشمالي المقابل لخليج العقبة[٥].

= ص٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٤، ص١٤؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص١١٣). وعلى العموم فالحديث ضعيف. (انظر: عمر ابن شبة، أخبار المدينة المنورة، تحقيق: عبد الله الدويش، مج٦، ج١، ص٨٣، ٨٥؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١، ص٥٩٨ ـ ٥٩٩).

(١) ياقوت الحموي، ما اتفق اسما وافترق صقعا، ص٣٩٧.

(٢) جعفر الدجيلي، المرجع السابق، ج١، ص٣١٨ ـ ٣٢٠.

(٣) Hobbs, op.cit., pp. 5-13; Levias, C., op.cit., vol. 9, p. 553; Negev, A. (ed.), op.cit., pp. 292 - 293; Palmer, E. H., op.cit., vol. 1, pp. 16 - 27.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٨؛

Hobbs, op.cit., pp. 73-86, 101, 172-173; Palmer, E. H., op.cit., vol. 1, pp. 101-121.

(٥) الإدريسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٩؛ عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٨٩.

حرف العين

العدوة الدنيا ـ العدوة القصوى:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٢):

العدوة أي جانب أو شفير الوادي، والدنيا كانت مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة أو الأبعد من المدينة، من الدنو والقصو وهو البعد، فوادي بدر آخذ بين الشرق والقبلة منحرف إلى البحر، والمدينة من موضع الوقعة منه في الشرق. والركب العير التي اتجهت بقيادة أبي سفيان نحو ساحل البحر الأحمر(١).

العراء:

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِالْعَرَاءِ﴾ (الصافات: ١٤٥):

العراء لغة هو الفضاء ووجه الأرض، أو الأرض التي ليس فيها شيء ولا نبات، أو هي الأرض الواسعة المستوية المصحرة، ليس بها شجر ولا جبال ولا آكام ولا رمال. ويقال: إن العراء المعني في الآية هو الساحل(٢).

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج٦، ص٣١٧، ٣١٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٦٣٥. ـ ٦٣٦؛ السدي، التفسير، ٢٨٣؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٥٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ٣١١؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٩١.

(٢) ابن الجوزي، تحفة الأريب، ص١٩٤؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج١٥، ص٤٩؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥٨١؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٩؛ الطبري، التفسير، ج٢٣، ص١٠١.

وهو شاطئ دجلة قرب نينوى والالتقام كان من دجلة أيضا، وقيل: باليمن[1]. وقيل: إن الحوت قد لفظه بأرض نصيبين[2]. ويقول الألوسي: إن الحوت كان من حيتان دجلة، وأنه قد شاهدها بنفسه وهي حيتان عظيمة[3]. وجائز أن يونس عليه السلام قد غادر نينوى متجها غربا نحو ساحل البحر المتوسط على اعتبار أنه أقرب البحار من شمال بلاد الرافدين، ومن هناك ركب السفينة، وجائز أيضا أن يكون الحوت قد ألقاه على ساحل البحر المتوسط.

عرفات:

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ (البقرة: ١٩٨):

اسم واد، وهو مسيل متسع تنحدر إليه مياه جبال تحيط به تعرف بجبال عرفة. وقد جعلت عرفات علما على ذلك الوادي، وإفراده عرفة. وفي وسط وادي عرفة جبيل يقف عليه الناس. ولا يدرى وجه الاشتقاق: هل هو علم مرتجل ويبدو أن أحد الاسمين أصل والآخر طارئ عليه وأن الأصل عرفات من العربية القديمة، وأن عرفة تخفيف جرى على الألسنة، ويحتمل أن يكون الأصل عرفة، وأن عرفات إشباع من لغة بعض القبائل. وإيراد القرآن الكريم عرفات باسمها دليل للتنويه بها وأن الوقوف عليها ركن، وكذلك الرد على قريش التي كانت تقف بمزدلفة لأنهم حمس[4]. وسمي بعرفات لأن الناس يتعارفون بها، أو لاجتماع آدم بحواء، أو لأن جبريل علّم آدم مناسك الحج

---

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج٢٣، ص١٤٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٥٣؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٨٩، ٢٩٠؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٩٤.

(٢) نظام الدين الحسين بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج٢٣، ص٦٨.

(٣) الألوسي، المصدر السابق، ج٢٣، ص١٤٥.

(٤) القرطبي، التفسير، ج٢، ص٢٧٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٢٤٣، ٢٤٤.

أو لأن إبراهيم عليه السلام عرفها حين رآها أو لأن جبريل كان قد علّم إبراهيم عليه السلام مناسك الحج أو لأن فيها التقى إبراهيم بولده إسماعيل يوم عرفة بعد أن تركه وأمه سنين، أو أن الناس يتعارفون فيها بذنوبهم أو لأن الله تعالى يتعرف فيها إلى الحاج بالمغفرة والرحمة[(١)]. ومن المحتمل أنها اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع[(٢)].

عين القِطر:

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ (سبأ: ١٢):

أي أذبنا له عين النحاس، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم. ويقال: إنه قد أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام كجري الماء، وهي باليمن، كما يقول قتادة وفي رواية عنه أنها سالت من صنعاء، ويروى ذلك أيضا عن مجاهد[(٣)]. أو المراد بعين القطر هو أن الله تعالى قد أسال لسليمان عليه السلام النحاس كما ألان لداوود، عليه السلام، الحديد فنبع كما ينبع الماء من العين، فلذلك سماه عين القطر، باسم ما آل إليه[(٤)].

---

(١) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣؛ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت، ب.ت.، ج١، ص٣٠٦؛ الطبري، التفسير، ج٤، ص١٧٢ ـ ١٧٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٥، ص١٩٦ ـ ١٩٧؛ القرطبي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٥.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٤٨٧؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص١٥٣؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٢٧٥.

(٣) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٢٦٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢٢، ص١١٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٩٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٩١؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص٦٩. يقال: إن لفظة «القطر» تعني النحاس في لهجة جرهم. (ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٤٣٨؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق، ص٢٢٧).

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٨٢؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢٢، ص٦٦.

ويدّعي أحد علماء الآثار اليهود أنه عثر على مناجم نحاس النبي/ الملك سليمان عليه السلام بالقرب من ميناء إيلات. وهذا ادعاء تنقصه الدلائل الثابتة[1]. وقد تحدث العهد القديم عن استخدام سليمان عليه السلام للنحاس في بناء وتشييد المعبد، ولكن لم تشر صراحة إلى مكان إنتاج النحاس[2].

(١) كمال صليبي، المرجع السابق، ص١٠٦. انظر كذلك: NNABD, pp. 840 - 841.

(٢) العهد القديم، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٧، الآيات: ١٣ ـ ٤٦؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٩٦٠.

حرف الغين

الغار:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (التوبة: ٤٠):

الغار لغة، مغارة أو ثقب في الجبل وقيل: كالكهف. وهو غار يقع في أعلى جبل ثور، في الجهة إلى الشمالية من الجبل، وهو جبل مشهور ضخم بالمفجر في جنوب مكة من طريق اليمن، وهو معروف بثور أطحل. وقد وصل عمران مكة إلى سفوح جبل ثور الشمالية[(١)]. وهو الغار الذي اختبأ فيه النبي ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه إبان هجرتهما[(٢)]. ويروى أن ثورا اسم رجل عُرف الغار باسمه، وهو ثور بن عبد مناة[(٣)]. والطريق من مكة إلى جبل ثور تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع إليها الإنسان وينحدر منها، والجبل عظيم ومتسع ومتشعب، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٥٠٠ متر، ومن

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج٥، ص٣٥؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٥، ص١٩٥؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٧٢ ـ ٧٣؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٩٦؛ محمد محمد شراب، المعالم الأثيرة، ص٨٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٣١٩، رقم: ٢٢٦٣؛ البخاري، الصحيح، كتاب الإجارة، باب: استئجار المشركين عند الضرورة، من حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٢٢٦٣، ٢٢٦٤؛ الطبري، التفسير، ج١٤، ص٢٦٠.

(٣) السهيلي، التعريف والإعلام، ص٧٠؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢، ص٩٧.

يقف على أعلاه يشرف على كل ما حواليه من الجبال ويرى مكة وما حولها. والطريق إلى الغار وعر وحلزوني. والغار عبارة صخرة مجوفة في قنة الجبل، وله فتحتان واحدة في مقدمة الغار والثانية في الخلف، ومن يدخل إلى الغار عليه أن يزحف على بطنه[1].

(١) إبراهيم رفعت باشا، المصدر السابق، ج١، ص٦١ ـ ٦٣؛ القاسم بن يوسف التجيبي، المصدر السابق، ص٣٥٥ ـ ٣٥٦؛ الويرثلاني، المصدر السابق، ص٤٠٦ ـ ٤٠٧.

حرف الفاء

فصل:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ (البقرة: ٢٤٩):

أي خرج بهم، وأصل الفصل القطع، يعني قطع مستقره، شاخصا إلى غيره، وقد خرج طالوت من بيت المقدس بالجنود[١]. ولكن من المعروف أن بيت المقدس في عهد طالوت لم تكن تحت حكم بني إسرائيل.

فوقكم ـ أسفل منكم:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ (الأحزاب: ١٠):

من فوقكم أي من أعلى الوادي من جهة الشرق، وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ومعهم اليهود. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي من أسفل الوادي من قِبل المغرب، وهم قريش وسائر تهامة ومن تابعهم، الذين كانوا محاصرين للمدينة في غزوة الأحزاب[٢].

---

(١) أبو السعود، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٢؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣٤٦؛ الطبري، التفسير، ج٥، ص٣٣٩؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٢، ص٤٢٦.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٥٨؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٢؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص١٤٧؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٤٥؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٨٧؛ الطبري، التفسير، ج٢١، ص١٢٩. حول غزوة الأحزاب، انظر مثلا: أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ج٢، ص٤١٨ ـ ٤٣٢؛ مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص٤٤٣ ـ ٤٥٧.

حرف القاف

قاف:

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ (ق: ١):

ذكر البعض أنه جبل محيط بالأرض أو بالدنيا، من زمردة خضراء، منها خضرة السماء وخضرة البحر، وهذا من غرائب القصص[١]. وقد نُسب إلى رسول الله ﷺ قوله أن قاف جبل من زبرجدة خضراء محيط بالأرض. كما روي عن عكرمة عن ابن عباس أنه جبل أنبته الله من ياقوتة، فأحاط بالأرضين السبع، ومنه خرجت الجبال. وعن وهب أنه جبل مليئ بالثلوج، كان يبحث عنه ذو القرنين حتى عثر عليه وتحدث معه. وعن عبد الله بن بريدة أنه من زمردة عليها كنفا السماء[٢].

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٥٢٤؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٤، ص١١٥؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص٣٠٥.

(٢) الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ لا يصح بل هو موضوع (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٢، ص٥٩٠). وفي سند الأثر المروي عن ابن عباس، عمر بن صبيح، وهو متروك وقد كذّبه إسحاق بن راهوية، وأثر وهب في سنده عبد العزيز بن حوران وهو ضعيف، والأثر المروي عن ابن بريدة أخرجه الحاكم من طريق أبي أسامة به نحوه، وسكت عليه الذهبي، وهو أثر ضعيف لأجل صالح بن حيان وهو ضعيف. والأثران عموما لا تصح نسبتهما لابن عباس وعبد الله بن بريدة. (أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٣، ص١٤٨٤ ـ ١٤٨٨، ١٤٨٩، رقم: ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨١؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٢، ص١٧٩، ٢٤٦).

قِبلة:

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ (البقرة: ١٤٤):

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ هي الكعبة كما روي عن عبد الله بن عمرو[١]. وقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فوُجه إليها بعد ١٦ أو ١٧ شهرا من توجهه إلى بيت المقدس[٢]. وعن ابن عباس أن: «﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ البيت كله قبلة، وهذه قبلة البيت» يعني التي فيها الباب. وعن أسامة بن زيد أنه رأى «وهذه قبلة البيت النبي حين خرج من البيت أقبل بوجهه إلى الباب فقال هذه القبلة هذه القبلة». وعن ابن عباس أنه «هذه القبلة لما دخل النبي البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبل الكعبة وقال: هذه القبلة»[٣].

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١، ص٢٥٣؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٩؛ البوصيري، المصدر السابق، كتاب: القبلة، باب: الإئتمام بالكعبة والصلاة فيها وفضلها وأنها أشرف المجالس وأكرمها، ج١ ـ ٢، ص٣٩١، رقم: ١٢٦٧؛ سعيد بن منصور، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٧، رقم: ٢٢٦؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص١٥٥ ـ ١٥٦. وقول ابن عمرو رواه عنه يحيى بن قطمة، وهو تابعي ثقة. (انظر: رجال تفسير الطبري، ص٥٨٩ ـ ٥٩٠).

(٢) لمزيد من التفاصيل والمناقشة حول تحويل القبلة ورواياتها، انظر مثلا: البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها، حديث رقم: ٣٩٩؛ مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب فرض القبلة؛ الترمذي، السنن، كتاب الصلاة، باب ما جاء في ابتداء القبلة، حديث رقم: ٣٤٠. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص١٢٨ ـ ١٣٢، ٦٦١ ـ ٦٦٣، ٦٦٦ ـ ٦٦٨؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص١٣٢ ـ ١٣٧.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾، حديث رقم: ١٣٣٠؛ مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، حديث رقم: ٣٩٨. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٦٦٠؛ شرف الدين الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكة/الرياض، ١٩٩٧، ج٣، ص٩٢٦ ـ ٩٢٧؛ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج.ص٤٢٤. وقد أورد الطبري =

القبلة:

﴿ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ (البقرة: ١٤٣):

يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة، أو ما جعلنا القبلة التي يجب أن تستقبلها التي كنت عليها أولا بمكة. أو المقصود بيت

= هذا الحديث بأكثر من طريق كلها مروية عن أسامة بن زيد. تفسيره، ج٣، ص١٨٠ ـ ١٨٢. الطريق الأول عن يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصباح البغدادي، (شيخ الطبري، ثقة، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٤٦، الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٣، ص٢٢٧ ـ ٢٢٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٤٦، عن هشيم بن بشير (إمام، حافظ، ثقة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٧٤؛ رجال تفسير الطبري، ص٥٦٨). عن عبد الملك بن أبي سليمان (تابعي، ثقة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٦٣؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٦٥) عن عطاء بن أبي رباح التابعي المشهور. ومن طريق محمد بن حميد الرازي (وثّقه البعض وضعّفه آخرون، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٧٥؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٥، ص٩٧ ـ ١٠٨؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٨٤ ـ ٤٨٥). وسفيان بن وكيع (ضعيف. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٤٥؛ خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج٣، ص١٠٤ ـ ١٠٥؛ رجال تفسير الطبري، ص٢٣٥) عن جرير بن عبد الحميد (ثقة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٣٩؛ رجال تفسير الطبري، ص١٠١) عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء؛ والطريق الثالث عن أبي كريب أحمد بن عبد الجبار العطاردي (ضعيف، ومال البعض إلى توثيقه. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٨١؛ رجال تفسير الطبري، ص٢١ ـ ٢٢) عن عبد الرحيم بن سليمان الكناني، (ثقة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٥٤؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٥٦) عن عبد الملك عن عطاء؛ والطريق الرابع عن سعيد بن يحيى الأموي (ثقة. انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٤٢، رجال تفسير الطبري، ص٢٣٢) عن أبيه يحيى بن سعيد (صدوق. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٩٠) عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ثقة، فقيه. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٦٣؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١١، ص١٠٤ ـ ١٠٦؛ رجال تفسير الطبري، ص٩٩). عن عطاء عن ابن عباس عن أسامة. وهو حديث صحيح. (انظر تعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري، ج٣، ص١٨٠، ١٨١؛ الإمام أحمد، المسند، ج٥، ص٢٠٩، ٢١٠).

المقدس، وهذا مع ظاهر قوله كنت عليها لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس[1].

قبلتك:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ (البقرة: ١٤٥): الكعبة أو مكة[2].

قبلتهم:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٥):

بيت المقدس بالنسبة لليهود، ومطلع الشمس بالنسبة للنصارى. أو أن اليهود يستقبلون المغرب والنصارى المشرق[3]. ويقول الطبري «أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة، مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم، فقال تعالى ذكره لنبيه: يا محمد لا تشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم سبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده»[4].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣١٨؛ السدي الكبير، التفسير، ص١٣٤؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص١٥٥ ـ ١٥٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٢١؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص١٨٤.

(٣) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص١١٠؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣١٧، ٣٢١؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص١٨٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠، ١٠٨.

(٤) الطبري، التفسير، ج٣، ص١٨٦. انظر كذلك: السدي، التفسير، ص١٣٥.

القرية ــ القُرى:

لفظة «قرية» شائعة الاستعمال في اللغات السامية بصيغ متعددة ولكنها كلها تشير إلى السكنى والاستيطان أو مكان التجمع، ففي الفينيقية مثلا «قرت»، وفي العبرية «قيرت» و«قرتا» وفي السبئية «قرية»[١]. القرية من قريت، أي جمعت، والمقرأ: الحوض يجمع فيه الماء، والقرية لغة اسم الموضع الذي يجتمع فيه الناس، والقرية المأوى والسكن، ويقال لبيت النمل: قرية لأنه يجمع النمل، والقرية كذلك تجمع أهلها[٢].

القرى:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ (الأعراف: ٩٧):

قيل: إن المراد بالقرى مكة وما حولها لتكذيبهم للنبي ﷺ، والعموم أولى[٣].

القرى:

﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ (القصص: ٥٩):

إذا كانت الإبادة للقرى بالإطلاق في كل زمن فأمها في هذا الموضع عظيمها وأفضلها التي هي بمثابة مكة في عصر النبي ﷺ، وإن كانت مكة أم القرى كلها أيضا من حيث إن فيها البيت[٤].

---

(١) Al-Wohaibi, A. N.,"Ḳarya", EI^2, vol. 4, p. 680.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٨٨؛ الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٠٧؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٦، ص٨؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص٢٦٦؛ الواحدي، الوسيط، ج١، ص١٤٣.

(٣) صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥١.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٣٤؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص٣١٦؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٩٥.

القرى المباركة ـ القرى الظاهرة:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ (سبأ: ١٨):

القرى المباركة هي الشام، وقيل: هي اليمن والشام والأردن وفلسطين أو قرى بيت المقدس وأريحا. والبركة قيل: إنها كانت ٤٧٠٠ قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء، والعدد. والقرى الظاهرة، قرى متصلة من سبأ إلى الشام، وتعني أنها يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام. والقرى الظاهرة عن ابن عباس أنها بين المدينة والشام، وعن قتادة أنها متصلة على طريق، يغدون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية. وقيل: كان على كل ميل قرية بسوق. وظاهرة أي مرتفعة أو كلما خرجت من قرية ظهرت لك الأخرى أو بمعنى معروفة(١). وروي عن وهب أن القرى المباركة هي صنعاء، وعن سعيد بن جبير أنها مأرب والرأي الأول أرجح(٢).

القرى:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ (الحشر: ٧):

أهل الصفراء وينبع ووادي القرى وفدك وخيبر وعرينة، وما هنالك من قرى العرب أو هي قرى بني قريظة(٣). أو أن هذه الآية نزلت في غنائم كل

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٢؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٥؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٥؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٨، ص٤٥٢١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٣٢١؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص٨٣ ـ ٨٤؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٣، ص٧٤؛ القرطبي، التفسير، ج١٣، ص١٨٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٢، ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٢؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢٢، ص١٢٩.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٧٣؛ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج٤، ص٢١٣؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص١٠٨؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨؛ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٢٨، ص٧٧، ٨١. =

قرية تؤخذ بقوة الغزاة أو بمعنى آخر أنها عامة في جميع القرى المفتتحة على المسلمين[1].

القرى المحصنة:

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ (الحشر: ١٤):

المقصود من القرى في الآية هي حصون وقرى بني النضير وجدر قلاعهم حيث أنها أتت في سياق الحديث عن غزوة بني النضير ودور المنافقين في تحريض اليهود ضد المسلمين وتأميلهم بالنصرة، وهم لا ولن يستطيعوا ذلك. وقد ور في السيرة أن يهود بني النضير لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا على جُدر[2] حصونهم معهم النبل والحجارة[3].

= والصفراء في الأصل اسم قرية أعطت اسمها للوادي الذي تقع عليه، وهذا الوادي من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع. والصفراء واد من أكبر أودية الحجاز الغربية. (عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٧٦ ـ ١٧٧؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٥، ص١٤٨ ـ ١٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩).

(١) السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور، ج٣، ص٣٩٢؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٠١.

(٢) جُدر أي الحاجز بين المشارتين والجدار والحائط، فيقال حائط باعتبار إحاطته، والجدار باعتبار نتوئه وظهوره وارتفاعه، والجدر البنيان. وهي جمع جدار. (انظر: ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: هادي حسن حمودي، الكويت، ١٩٨٥، ج١، ص٤١٠؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص١٨٩؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٨؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٧، ص٣٧؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٣٧٢).

(٣) محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص٣٢٢؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١، ج١، ص٤٦٩. وانظر كذلك إمتاع الأسماع للمقريزي بتحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٩، ج١، ص١٨٩.

وعلى أية حال فإن الآية تتحدث أيضا عن جبن وخوف يهود من قتال المسلمين في أيام النبي ﷺ وفي العصر الحديث. إذ شهدت ساحات فلسطين أن اليهود ما كانوا يقاتلون المجاهدين إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين، أو من خلال الدبابات والمدرعات والمصفحات، وقلوبهم مليئة بالخوف والرعب والهلع[1].

القرية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (البقرة: ٥٨)؛

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (الأعراف: ١٦١):

والقرية هنا، قيل: بيت المقدس كما روي ذلك عن قتادة والسدي والربيع بن أنس، وقيل: هي أريحا في قول ابن زيد، ويميل أغلب المفسرين إلى كونها بيت المقدس[2]. وقد ورد في آية سورة البقرة ﴿ادْخُلُوا﴾ و﴿فَكُلُوا﴾ و﴿رَغَدًا﴾، وفي آية سورة الأعراف ﴿اسْكُنُوا﴾ و﴿وَكُلُوا﴾. وهذا الاختلاف في الألفاظ لا يعد تناقضا، لأنهم إذا سكنوا القرية تسببت

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص٣٨٥؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج١٠، ص٥٨٢٥؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٥٢٩؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية، ص٢٣٢ ـ ٢٣٦؛ الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٧٢، ج٣، ص١٤٦؛ محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، القاهرة، ١٩٧٨، ج٢٨، ص٢٤؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢٨، ص٤٧، ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١، ص١١٦، ج٥، ص١٥٩٤؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٨٤؛ السدي، التفسير، ص١١٤؛ الطبري، التفسير، ج١، ص١٠٢ ـ ١٠٣؛ عبد الرزاق، التفسير، ج١، ص٤٦. وقد أخرج الطبري قول قتادة بسند صحيح. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج١، ص١٦٤).

سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناهم والأكل منها، سواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما. ولابد من دخول القرية أولا ثم سكناها ثانيا، فالدخول مقدم على السكنى، وسورة البقرة مقدمة على الأعراف، فالدخول يناسب البقرة والسكنى يناسب الأعراف. والدخول حالة مخصوصة منقضية زائلة وليس لها استمرار فَحَسُن ذكر «فا» التعقيب بعده، وأما السكنى فحالة مستمرة باقية فيكون الأكل فيها حاصلا معه لا عقيبه[1].

قرية:

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩):

قيل: هي أريحا أو بيت المقدس أو قريب من بيت المقدس[2]. وقيل: المؤتفكة، قرى لوط عليه السلام[3]. وقيل: هي القرية التي كان الله تعالى قد أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت[4].

---

(١) زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٦؛ شرف الدين بن الريان، الروض الرياض، ج١، ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص٨٤؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٦؛ البلنسي، المصدر السابق، ص١٥٧؛ خليل ياسين، المرجع السابق، ج١، ص٦٠؛ الطبري، التفسير، ج٥، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣؛ وبيت المقدس أو المقدّس، وهو بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة وتطهيره إخلاؤه من الآثام وإبعاده منها، أو البيت المقدس والمطهر أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب. (النووي، شرح صحيح مسلم، ج١، ص٢٤٣).

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٢ ـ ٤٠٣؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٥.

(٤) الطبري، التفسير، ج٥، ص٤٤٣ ـ ٤٤٤.

الرجل المعني هو العزير بن شرخيا، على رأي عكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم، والقرية المقصودة هي سابر آباد أو بيت المقدس بعدما دمرها نبوخذنصر، وأجلى اليهود عنها إلى بابل، وأصبحت خرائب وأطلال، وكان قادما من الشام[1]. وقيل: هو العزير، والبلدة هي دير حزقيل (أو هزقل) بأرض السواد في العراق[2]. وقيل: إن الرجل المعني هو إرميا بن حلقيا على رأي وهب بن منبه، وهو الخضر، وهو الذي مر على بيت المقدس بعد تخريبها على أيدي نبوخذنصر، وكان قادما من مصر[3]. ومن المعروف أن النبي إرميا هو أحد أنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا قبل الغزو الكلداني على بيت المقدس، وقد دعا هذا النبي إلى الله ونهى قومه عن الفحشاء والظلم والفساد والإفساد، ولكنهم واجهوه بعنف وقسوة وسجنوه وتآمروا على قتله. وأنذرهم العقاب الرباني إن هم استمروا على المعاصي. وعندما هاجم نبوخذنصر بيت المقدس كان إرميا مسجونا، فأطلقه الملك الكلداني، وبقي مع عدد من قومه في فلسطين ثم أجبروه على الهجرة معهم إلى مصر، ولا يعرف شيئا عن وفاته ولا زمنها. ويمتلئ سفر إرميا بمناجاته

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣٦٩؛ السدي، التفسير، ص١٦٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٢٨٠؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦؛ محمد عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص١٨٥؛ وهبة الزحيلي، القصة القرآنية: هداية وبيان، دمشق، ١٩٩٢، ص١٣٩. وقد قال بهذا القول وهب بن منبه وقتادة والضحاك وغيرهم. (انظر: ابن أبي حاتم، التفسير، ج٢، ص٥٠٠؛ الطبري، التفسير، ٥، ٤٤٢ ـ ٤٤٣).

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٦٧؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٢٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦؛ مجد الدين الفيروزآبادي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥٩.

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٦٣؛ أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٢، ص٦١٩ ـ ٦٢٠، رقم: ٢٣٤؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٦١؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٣١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٢٨٠؛ الطبري، التاريخ، ج١، ص٥٥٣؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦.

مع الرب وتحذيراته المتكررة لقومه وإنذاره لهم من ارتكاب المعاصي والإفساد. وخُتم السفر بمراثي مريرة وأدعية إلى الرب برفع العقاب عن بيت المقدس[١].

وقيل: إن القرية هي الأرض المقدسة أو دير سابراباذ أو قرية العنب القريبة من بيت المقدس، وقيل: هي دير هرقل على شط دجلة أو هي دير سلما باد[٢]. وقيل: إن القرية هي بيت المقدس وأن المار بها كان كافرا بالبعث، لانتظامه مع نمرود في سلك، ولكلمة الاستبعاد ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ﴾. وهذا قول مجاهد وأغلب المفسرين من المعتزلة[٣]. وقيل: إن المار رجل من بني إسرائيل وقيل: هو غلام لوط عليه السلام، وقيل: هو حزقيل بن بوار[٤]. وقال ابن زيد: إن هذه القرية التي نزل بها الطاعون، فخرج أهلها فارين، فماتوا، فمر بالقرية رجل وهي عظام تلوح، فوقف ينظر فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٥].

والعزير هو عزرا في العهد القديم الذي له سفر باسمه، وهو ذو مكانة في الديانة اليهودية. وكان عزرا في بابل فأمره الملك الفارسي أحشويرش الأول بضرورة الذهاب إلى فلسطين لإرشاد قومه وهدايتهم وتعليمهم،

---

(١) انظر: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٥٢ ـ ٥٦. انظر كذلك: البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣٦٧ ـ ٣٦٩.

(٢) أبو السعود، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٢؛ السمرقندي، التفسير، ج١، ص٢٢٦؛ النويري، المصدر السابق، ج١٤، ص١٦٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٨٩؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦. يقول محمد رشيد رضا كون هذا المار كافرا ضعيف لأن الكافر لا يؤيد بآيات الله، واعتبر ما ورد من روايات حول قصة العزير أو غيره رجما بالغيب أو تسليما للإسرائيليات. (انظر: تفسير المنار، بيروت، ١٩٧٠، ج٣، ص٤٨ ـ ٤٩).

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٢؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩١؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٣، ص٣٣.

(٥) الطبري، التفسير، ج٥، ص٤٤٣ ـ ٤٤٤.

فاستجاب لذلك وأخذ معهم عددا من يهود بابل. وتوفي عزرا في فلسطين وعمره حوالي ١٢٠ سنة(١). وقيل: أنه عاد إلى بابل، وتوفي هناك، ودُفن في ما يعرف اليوم بمقام «النبي عزير» بجنوب العراق، ومازال اليهود يقدسون هذا المزار(٢).

وقد أورد الحافظ ابن عساكر عددا من الروايات والقصص حول العزير وقال: إن اسمه هو عزير بن جروة (أو شوريق) بن عرنا بن أيوب بن درتنا بن غرى بن بقي بن إيشوع بن فنحاس بن العازر بن هارون بن عمران، ويقال هو عزير بن سَرْوَحا(٣). ويذكر ابن عساكر روايات، بعضها، مروي عن عبد الله بن سلام بأن عزيرا هو الذي أماته الله مائة عام. ويذكر ابن عساكر عن ابن عباس أن عزيرا كان عبدا صالحا حكيما خرج إلى ضيعة له ثم انتهى إلى خربة وهو على حمار له وكان معه سلّتا تين وعنب ومعه خبز ورأى عظاما بالية وبيوتا مهدّمة فاستغرب كيف يحيي الله هذه الخربة، وعندما نام أماته الله مائة عام ثم أحياه وأراه كيف يحيي العظام وهي رميم. وأرسل الله له ملكا، نادى عظام الحمار البالية التي استجابت وأقبلت من كل ناحية حتى تجمع عليها اللحم، بعدها توجه إلى قريته والتقى بعجوز عمياء عمرها ١٢٠ وكانت عندما غادرهم عزير عمرها ٢٠ سنة. ثم تمضي القصة تشرح كيف تعرّف الناس عليه وكيف تعرّف عليه ابنه. والعزير هو الذي جدّد لليهود التوراة بعدما نزل من السماء شهابان دخلا في جوفه، وكان قد جدّد لهم التوراة في بلدة بأرض السواد تدعى دير حزقيل، ومات في قرية يقال لها

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول عزرا ومكانته في الديانة اليهودية وأثره الديني والإرشادي، انظر: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام ١٣٥ م، ج٢، ص٩٤٢ ـ ٩٥٠؛ Lockyer, H., All the Men of the Bible. All the Women of the Bible, Grand Rapids, 1995, p. 118; Robert, A. F.,"Ezra's Materials in Judaism and Christianity", ANRW, II. 19.1, pp. 119-136.

(٢) كمال الصليبي، البحث عن يسوع، عَمان، ١٩٩٩، ص٣١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٣١٧.

سابرآباد. وفي رواية أخرى عن ابن عباس عن عبد الله بن سلام أن خراب بيت المقدس كان على يدي بخت نصر الذي حرّق التوراة ولم يبق لبني إسرائيل كتاب يتدارسونه. أما عزير فلجأ إلى الجبال مع الوحوش، وهناك التقى بإمرأة فقدت ولدها، فثبّتها، ثم دخل العين المجاورة له وكان كلما وضع رجلا ورفع أخرى زاده الله علما وثبّت الله تعالى التوراة في قلبه ثم عاد إلى قومه وعلّمهم التوراة، فقالوا: لم يستطع موسى أن يأتينا بها إلا في كتاب، وأتانا بها عزير من غير كتاب، فقالت جماعة منهم: إنه ابن الله. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن عزيرا هو أول من تكلم من الأنبياء في القدر، حتى أماته الله تعالى ثم أحياه ليريه كيف يحيي الموتى، وتعرّض لعدد من الاختبارات من الله. ويروى أيضا عن وهب بن منبه أن عزيرا قام راجيا ربه عز وجل أن يرفع عن بني إسرائيل العذاب والبلاء منذ عهد بخت نصر ثم أنطياخوس. وفي أثناء مناجاته عدّد أفضال الله على بني إسرائيل منذ اختيارهم من نسل إسحاق بن إبراهيم[١].

وهذه القصص والروايات، نجد فيها كثيرا من التناقضات والمبالغات لدرجة تبعدها عن الحقيقة التاريخية والواقع الصحيح لحياة العزير عليه السلام. ونحن نعتقد أن سبب هذه التناقضات والأخطاء والأكاذيب هم الرواة الذين رووها عن ابن عباس وابن سلام. وأغلب هذه الروايات مصدرها أبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاري وهو متهم، كذاب، لم يرضه المحدثون، وقال عنه أبو أحمد بن عدي: إنه روى عن ابن جريج والثوري وغيرهما ما لايرويه غيره، وأحاديثه غير محفوظة كلها، وهي منكرة إما إسنادا أو متنا، ولا يتابعه أحد عليها[٢]. وهو أيضا يروي هذه القصص عن أبي القاسم جويبر بن سعيد الأزدي البلخي، الذي قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وقال عنه النسائي والدارقطني: متروك الحديث، وقال عنه الإمام

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٣١٨، ٣٢٠ ـ ٣٣٤.

(٢) أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج١، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨، خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج٧، ص١٥٠؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص٣٤.

أحمد: لا تشتغل بحديثه[1]. وروى إسحاق أيضا عن أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الذي كذّبه المحدثون وهجروه، وصدرت منهم عدد من العبارات الدالة على استهجانهم ورفضهم له، على الرغم من كثرة مروياته في التفسير، ولكنها مملوءة بالإسرائيليات[2]. ومصدره أيضا أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، وهو على الرغم من غزارة علمه في التفسير إلا أن أنه كثير الإرسال ولم يرضه عدد كبير من المحدثين[3]. وفي سند هذه الروايات أبو عبد الرحمن أو أبو سلمة سعيد بن بشير الأزدي الشامي وهو ضعيف، يروي عن قتادة المنكرات[4]. كما أن الحافظ ابن عساكر يورد روايات أخرى في سندها ابن الكلبي وعثمان بن الساج وهما أيضا غير مرضيين مطعون فيهما[5].

---

(١) انظر: أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج٢، ص١٢١ ـ ١٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص١٤٣؛ الإمام أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص١٦٢، ج٢، ص١٨٦؛ الختلي، سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور، المدينة المنورة، ص٩٤؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٢٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ٥٤٥؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص٢١٩ ـ ٢٢٣؛ محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، دمشق، ١٩٨٥، ص١١١ ـ ١١٤؛ مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله محمد شحاته، القاهرة، ١٩٧٥، ص٣٦ ـ ٤٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٨٠؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص١٢٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٣٤؛ خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج٦، ص٢٠٩ ـ ٢١٠؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص٦١.

(٥) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٨٦؛ رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص١٢٥، ١٩٥ ـ ١٩٦؛ محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات، ص١٠٧ ـ ١٠٩؛ محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة، ١٩٨٩، ج١، ص٨٠، ٨١؛ نبيل بن منصور البصارة، المرجع السابق، ص١١٨.

وعلى الرغم من أن هذه الروايات منسوبة إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن سلام على اعتبار أنهما مشهوران بالتفسير، إلا أن كثيرا مما روي عنهما لم يرد بطرق صحيحة، بل إن كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس لا يصح نسبته إليه[1]. ويقول الطبري بخصوص اسم ذلك المار بالقرية: «لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش، ومن كان يكذّب من سائر العرب، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله من يهود بني إسرائيل باطلاعه نبيه محمد على ما يزيل شكهم في نبوته ويقطع عذرهم في رسالته، إذ كانت هذه الأنباء التي أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ في كتابه من الأنباء التي لم يكن يعلمها محمد وقومه، ولم يكن علم ذلك إلا من عند أهل الكتاب، ولم يكن محمد وقومه منهم، بل كان أميا وقومه أميون، فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود والذين كانوا بين ظهراني مهاجره أن محمد لم يعلم بذلك إلا بوحي من الله إليه، ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصباً يقطع العذر ويزيل الشك»[2] ولكن هذا لا يمنع في البحث عن اسم القرية واسم قائل العبارة، وقد فعل الطبري نفسه ذلك بإيراده أقوال وآراء عدد من القائلين والباحثين، بل وأسهب ابن عساكر في نقل بعض الأخبار والروايات عمن نقل عن بني إسرائيل وغيرهم.

---

(١) رمزي نعناعة، المرجع السابق، ص١٢٤، ١٦٠؛ محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات، ص٧٨ ـ ٨٢، ٨٨ ـ ٩٠محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٧٧ ـ ٧٨.

(٢) التفسير، ج٥، ص٤٤٢.

القرية:

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ (النساء: ٧٥):

أجمع المفسرون أنها مكة[١].

القرية حاضرة البحر:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ (الأعراف: ١٦٣):

ومدينة هؤلاء اليهود هي أيلة. ويقال: إن أيلة أول الشام وآخر الحجاز، وقيل: سُمّيت أيلة نسبة إلى أيلة بنت مدين بن إبراهيم. وهي بلدة متوسطة الموقع بين الحجاز والشام ومصر[٢]. تُعرف اليوم بالعقبة، على رأس خليج يُعرف باسم خليج العقبة، وهي الآن مدينة عامرة، كثيرة التجارة[٣].

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص١٠٠٢؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص١٠٨؛ الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٤٨٨؛ الطبري، التفسير، ج٨، ص٥٤٤ ـ ٥٤٦؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٤، ص١٤١.

(٢) بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٥٥؛ السدي الكبير، التفسير، ص١١٨، ٢٧٢؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٣، ص١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٤٧. ساق ابن أبي حاتم في تفسيره (ج٥، ص١٥٩٧ ـ ١٥٩٨) والطبري في تفسيره (ج١٣، ص١٨٠. وقد سقطت ورقة من مطبوعة شاكر، فيها بعض روايات تحديد القرية، وهي مطبوعة في طبعة دار الفكر، ج٩، ص٩١) عددا من الروايات عن ابن عباس وقتادة والسدي. كما أورد السيوطي من طريق عكرمة قول ابن عباس أن القرية هي أيلة، وعزا إخراجه كذلك إلى ابن المنذر وأبي الشيخ. (الدر المنثور، ج٣، ص١٣٦، ١٣٧). وقد أخرج الطبري قول ابن عباس أنها أيلة برواية علي بن أبي طلحة بسند حسن. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٢، ص٣٥٧).

(٣) حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٢٣٩؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٣٥. ويذكر ابن حجر العسقلاني أن أيلة في أيامه كانت خرابا بعد عمارها، وكان يمر بها الحجاج من مصر فتكون في =

ويسمى خليج العقبة والبحر الأحمر أحيانا ببحر أيلة[1]. وقيل: إن القرية حاضرة البحر تدعى أيلات أو طبرية كما روي عن الزهري[2]. وقيل: مدين كما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير[3]. ولارتباط اليهود بهذه المدينة أسموا ميناءهم المقابل لميناء العقبة على خليج العقبة باسم إيلات، وكان المكان يسمى سابقا أم الرشراش[4]. ولفظة «أيلة» هو نسخ حرفي للاسم القديم الوارد في العبرية التوراتية بشكل «إيلت» אֵילַת والذي هو جمع مؤنث من «أيِل» אַיִל بمعنى شجرة كبيرة أو نخلة أو غزال أو وعل أو كبش، ولكن الأرجح أنها تعني واحة نخيل[5]. وقد سيطر على أيلة[6] النبي داوود، عليه السلام، ونشّط فيها التجارة البحرية إبان حكمه. كما يرد في العهد

= شماليهم ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم. ويجلبون إليها الميرة من الكرك والشوبك وغيرهما يتلقون بها الحجاج ذهابا وإيابا، وهي أقرب إلى مصر منها إلى المدينة. (فتح الباري، ج٢، ص٤٨٤؛ ج١١، ص٥٧٤ ـ ٥٧٥).

(١) السيوطي، الوسائل إلى معرفة الأوائل، ص٧١؛ عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: علي محمد وندل وياسين سعد الدين، ج١، ص٣٩٥.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٥، ص١٥٩٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٣، ص٢٧٦؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٩، ص٩٠؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٥٥؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ص١٥٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص١٣٧؛ وهبة الزحيلي، القصة القرآنية، ص١١٠.

(٣) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٥، ص١٥٩٧؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٥٥؛ الطبري، التفسير، (طبعة دار الفكر)، ج٩، ص٩١؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٠؛ فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٥٩. عزا السيوطي إخراج قول ابن جبير إلى عبد بن حميد. (الدر المنثور، ج٣، ص١٣٧).

(٤) حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٢٣٩، ٢٤٤؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص٢٠٣٨.

(٥) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٩٠.

(٦) ويروى أن النبي ﷺ لما كان في غزوة تبوك أتاه يُحَنَّة (يوحنا) بن رُؤبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية. وكتب لهم كتابا، وأعطى رسول الله ﷺ أهل =

القديم أن ميناء عصيون جابر المشهور في عهد النبي سليمان عليه السلام كان قريبا من إيلات (أيلة). وقد عُرفت باسم أيلة وإيلانا في الفترتين الهيللينِستية والرومانية[1]. ويقال: إن بالقرب من بلدة أيلة مدينة قديمة فيها نخيل وماء إلا أنها خالية. ويشيع بين الأهالي في أمان ماضية أنها هي القرية التي كانت حاضرة البحر[2].

وقال ابن زيد: هي منتنا (أو مقنا) بين مدين وعينونا[3]. وقيل: بيت المقدس وهو بعيد لقوله ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾، أو هي قرية بالشام لم تسمَ بعينها، وقيل: أنطاكية أو أذربيجان[4]. وقيل: مقنا (مقناة أو مقنات أو مغنات أو مَغَنّى)، وهي بليدة قرب أيلة أو هي ساحل مدين، وقد صالح النبي ﷺ أهلها وكانوا يهودا على ربع ما يصطادون وربع ثمارهم[5].

= أيلة بردة مع كتابه، فاشتراها منهم الخليفة العباسي أبو العباس السفاح بـ٣٠٠ دينار. (انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٧١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص٦٤٣؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢١).

(١) هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص١٨٣، ٦١٣؛ NNABD, pp. 388, 433.

(٢) الويرثلاني، المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٣) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٥، ص١٥٩٧ ـ ١٥٩٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٩، ص٩٠؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٥٥؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٥؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص١٣٧. وعينونا واد يسيل من جبل زهد، شرقي البدع، ويصب في البحر الأحمر عند قرية الخريبة، في شمال الحجاز. ومَقْنا قرية تقع على ساحل خليج العقبة، جنوب حَقْل وشمال رأس الشيخ حميد، وهي في أسفل واد يدعى وادي الحمض. (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ٣، ص٩٦٥، ١٢٥٤؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٦، ص٢٠٩).

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٤٧١.

(٥) ابن عطية، المصدر السابق، ج٦، ص١١٤؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٤، ص٤١٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، =

وتعني الآية أي واسأل اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله سبحانه. وقد كرر الله تعالى ذكر هؤلاء القوم في أكثر من آية دون التصريح باسم القرية وقد بيّن عز وجل، بإيجاز، ما ارتكبوه من مجاوزات وقيامهم بالصيد في يوم السبت، فعاقبهم الله تعالى بأن حوّلهم إلى قردة خاسئين. وهذه القردة هلكت ولم يتناسلوا. وتبين القصة أيضا أن ما نزل بالمخالفين من العقوبة كان بسبب تغيير فرع من فروع الشريعة، فكيف بتغيير أصل الشريعة[1]. واحتواء الآية سؤال النبي ﷺ لبني إسرائيل المتواجدين عنده عن هذه القصة ربما أنها ليست موجودة في التوراة التي بين أيديهم آنذاك، ولا في العهد القديم، ولكنها مروية ومتناقلة في أجيالهم وبين أحبارهم أو لأنها مذكورة في كتبهم الأخرى. ولهذا أراد الله تعالى أن يُشعر اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بأن الله تعالى قد اطلع نبيه ﷺ على ما يكتمونه من الحوادث والقصص الدالة على ظلمهم ومخالفتهم لأوامر الله عز وجل، واتباعهم للمعاصي. وهذا العقاب الإلهي رد على بني إسرائيل الذين يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله تعالى سيعذبهم ويعاقبهم على ذنوبهم ومعاصيهم. وسؤاله ﷺ لليهود عن هذه القرية هو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام، وأن إصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ وإنكار نبوته ليس شيئا قد حدث في زمانه بل إصرارهم على الكفر كان حاصلا لأسلافهم في قديم الزمان[2].

= ١٩٩١، ص٧١؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١، ص٤٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٦.

(١) ابن كثير، التفسير، ج٣، ص٤٩٢؛ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج٢، ص٣٢٨؛ خليل ياسين، المرجع السابق، ج١، ص٦٢ - ٦٣؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص٢٠٣٨؛ محمد سلامة جبر، تاريخ الأنبياء والرسل، الكويت، ١٩٩٣، ج٢، ص٥٠ - ٥١. وروت بعض كتب التفسير والحديث قصة أصحاب القرية وكيف حل العذاب عليهم ونوعيته، انظر مثلا إضافة إلى كتب التفسير السابقة، الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الأعراف، ج٢، ص٣٤٢ - ٣٥٣.

(٢) الخازن، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٢؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص٢٠٣٩؛ محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج٩، ص٣٧٥؛ محمد الطاهر بن =

القرية:

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ (الأنبياء: ٧٤):

هي قرية سدوم، وخبائثهم التي كانوا يعملونها أنهم كانوا يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم، ومنكرات أخرى(١).

القرية:

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ (الفرقان: ٤٠):

قيل: هي سدوم إحدى قرى قوم لوط. وكانت خمسا، أهلك الله تعالى أربعا وبقيت واحدة. ومطر السوء الحجارة(٢). وأخرج الطبري عن ابن عباس أن قرى لوط خمس قريات، فأهلك الله أربعا، وبقيت الخامسة وهي صعوة، لأن أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث(٣). وقد ورد ذكر سدوم للمرة الأولى في التوراة في الحديث عن حدود أرض كنعان. وقد صارت خطيئة أهلها ومصيرهم مضرب الأمثال، وأخذت خطيئة السدومية أو الشذوذ الجنسي من اسم المدينة «سدوم». ويقال أنها تقع اليوم تحت الماء في جنوب البحر الميت(٤). وعن الحسن البصري أن القرية التي أمطرت مطر السوء هي بين الشام والمدينة(٥). وهذا التحديد لا ينفي كونها قرية قوم لوط، لأنها فعلا تقع بين الشام والمدينة.

= عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص١٤٦ ـ ١٤٧؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٩، ص١٤٢، ١٤٤ ـ ١٤٥.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٣٧٠؛ الطبري، التفسير، ج١٧، ص٤٩.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٣٤٨، ج٦، ص١٢١؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٩، ص٢١؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٧٩؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٤٦١؛ فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٥٩. يرى كمال صليبي أن سدوم وقرى لوط لم تكن على شاطئ البحر الميت. وإنما كانت موجودة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. (المرجع السابق، ص٦٥ ـ ٦٦، ٩٩، ١٤٦).

(٣) التفسير، (طبعة دار الفكر)، ج١٩، ص١٦.

(٤) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٤٦١.

(٥) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٦٩٨.

القرية الآمنة:

﴿قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ (النحل: ١١٢):

قيل: مكة أو الأقرب إلى المعنى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة فكفروا. أو أن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لأهل مكة ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة، إنذارا وتحذيرا من مثل عاقبتهم. أو بمعنى آخر هو مثل أريد به أهل مكة إذ أنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ومن دخلها آمن فيها، يأتيها رزقها هنيئا سهلا، فجحدت بمحمد ﷺ، فأذاقها الله الجوع بعد أن كان يجبى إليها ثمرات كل شيء[1]. وثبت عن النبي ﷺ أنه دعا على أهالي مكة فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[2]. ويروي سليم بن عتر أنه صحب أم المؤمنين حفصة بنت عمر وهي خارجة من مكة إلى المدينة فأخبِرت أن عثمان قد قتل، فرجعت، وقالت: ارجعوا بي

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، حديث رقم: ٨٠٤؛ مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم: ٦٧٥؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٤٩٩؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٥٢٧؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٥٢٧ ـ ٥٢٨؛ الألوسي، روح المعاني، ج١٤، ص٢٤٢؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٣٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٩. أورد السيوطي أقوال ابن عباس وعطية ومجاهد في كونها مكة، وعزا إخراجها إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة وعبد بن حميد. (الدر المنثور، ج٤، ص١٣٣). وقد أخرج آدم بن أبي إياس بسند صحيح عن مجاهد أن القرية المعنية هي مكة. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٢٠٧).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٥٠١؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٩. وحديث دعاء النبي ﷺ على قريش أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأذان، باب: ١٢٨، حديث رقم: ٨٠٤، وفي كتاب الجهاد، باب: ٩٨، حديث رقم: ٢٩٣٢، وكتاب الأنبياء، باب: ١٩، حديث رقم: ٣٣٨٦، وفي مواضع أخرى كذلك من الصحيح. وأخرج الحديث مسلم في الصحيح، كتاب المساجد، حديث رقم: ٦٧٥، ٢٩٤، ٢٩٥. انظر كذلك: صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٤، ص٨٥.

فوالذي نفسي بيده أنها للقرية التي قال الله تعالى فيها، وتلت هذه الآية[1].

ولعل حفصة أرادت أنها مثلها وليس تحديدا للقرية، وهذا هو المعنى الأرجح أنها مثل لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا. والمثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة، سواء كان ذلك موجودا أو لم يكن موجودا، وقد يضرب بشيء موجود معين، فهذه القرية يحتمل أن تكون شيئا مفروضا، ويحتمل أن تكون قرية معينة، وهذه القرية إما مكة أو غيرها[2].

---

(١) تريد المدينة المنورة، وقد جاء عن ابن شهاب أنها المدينة. (ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٠٥).

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٤٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص١٩٩؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٥؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٤، ص٢٥١ ـ ٢٥٢. وقد عزا الألوسي والسيوطي إخراج هذا الأثر إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. كما روى السيوطي قول ابن شهاب أنها يثرب، وعزا إخراجه إلى ابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج٤، ص١٣٤). وسند رواية ابن جرير رواته ثقات وهم: سليم بن عتر، أبو سلمة التجيبي، قاضي مصر وقاصها، كان يدعى الناسك لشدة تألهه وعبادته. حضر خطبة عمر بالجابية، وحدّث عنه وعن علي وأبي الدرداء وحفصة، توفي عام ٧٥هـ، وهو ثقة. وقد ورد عند الطبري باسم سليم بن نمير، وعند السيوطي باسم سليم بن عمر، وكلاهما خطأ. (الإمام أحمد، العلل، ج٢، ص٣٥١؛ البخاري، التاريخ الكبير، ق. ٢، ج٢، ص١٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٣١ ـ ١٣٣).؛ وسعيد بن الحكم بن أبي مريم، أبو عثمان المصري، ثقة، أحد رواة البخاري. (أبو أحمد بن عدي، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه، تحقيق: عامر حسن صبري، بيروت، ١٩٩٤، ص١٣٢، رقم: ١٠٢؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٢٣٤؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٠، ﷺ ٣٩١ ـ ٣٩٥).؛ ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيه بن أبي زرعة المصري، أبو عبد الله المعروف بابن البرقي، ثقة. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٨٨؛ الحافظ المزي، الكمال، ج٢٥، ﷺ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).؛ ومشرح بن هاعان المعافري، أبو مصعب المصري، ثقة، وقال عنه ابن حجر: مقبول. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٣٢؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٨، ص٧ ـ ٨).؛ وعبد الكريم بن الحارث بن =

القرية:

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف: ٨٢):

قيل: مصر أو هي قرية على باب مصر جرت فيها حادثة اختفاء صواع الملك، وقيام يوسف عليه السلام بأخذ شقيقه، وقيل: هي قرية من قرى مصر، نزلوا فيها وامتاروا منها. ومعنى الآية أي إسأل أهل القرية على إضمار ﴿أَهْلِ﴾، أو اسأل القرية نفسها فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء تخاطبهم الأحجار والبهائم، فعلى هذا تسلم الآية من إضمار[1].

قرية:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ (الكهف: ٧٧):

بلدة باجروان، بالقرب من مدينة شروان بأرمينيا أو أبو حوران بناحية أذربيجان أو ناصرة من أرض الروم أو أيلة بصرة[2]. وقيل: أيلة أو أنطاكية

= يزيد الحضرمي، أبو الحارث المصري العابد، ثقة. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٦٠؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١٨، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧؛ رجال تفسير الطبري، ص٣٦٢).؛ ونافع بن يزيد الكلاعي، أبو يزيد المصري، ثقة. (ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٥٩؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٩، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧؛ رجال تفسير الطبري، ص٥٥٤).

(١) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٢٦٨؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٤٦؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٧؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٣، ص٣٨؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٤٦؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص٢١٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٥؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٠٨. وروى قولي ابن عباس وقتادة كل من ابن أبي حاتم في تفسيره (ج٧، ص٢١٨٣) والطبري في تفسيره (ج١٦، ص٢١٣). كما عزا السيوطي إخراج قول قتادة أنها مصر، وعزا إخراجه إلى أبي الشيخ. (الدر المنثور، ج٤، ص٢٩). وأخرج الطبري قول قتادة أنها مصر بسند حسن. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص٩٦).

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٧٩؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٢٦٤.؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص١٥١؛ البيضاوي، المصدر السابق، ج٢، =

أو برقة، وقيل: هي بلدة بالأندلس وهي قرطبة أو هي قرية في الجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس، وقيل: تلمسان أو الأُبُلَّة[1]. ونحن نستبعد كل التحديدات التي أبعدت القرية أو المدينة عن شبه جزيرة سيناء، وهي موطن أغلب الأحداث المتعلقة بتاريخ موسى عليه السلام.

قرية يونس عليه السلام:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ (يونس: ٩٨):

هي نينوى القريبة من الموصل، أو الموصل القديمة[2]. ونينوى مدينة آشورية عظيمة لها شهرة تاريخية وآثارية في بلاد الشرق الأدنى القديم، وتدل آثارها على العظمة والقوة والجبروت والعلو والوثنية التي كان يحياها الآشوريون[3]. واشتهر في نينوى مزار أو ضريح النبي يونس، عليه السلام،

= ٢٠؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٢٠٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٢.

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٧٩؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٢؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٧٥؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٥، ص٢٣٧؛ الزركشي، البرهان، ج١، ص١٥٩؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٠٥؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٧٣، ٧٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٧، ص٤٨٧؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٢٦٧؛ محمد خير رمضان يوسف، الخضر بين الواقع والتهويل، دمشق، ١٩٩٤، ص٨٩. يعلّق أبو حيان على هذه الآراء بقوله: «أقوال مضطربة بحسب اختلافهم في أي ناحية من الأرض كانت قصتهم». (المصدر السابق، ج٦، ص١٥١).

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٩٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٨؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول آثار وتاريخ نينوى، انظر مثلا:

Hutchinson, R. W., and Thompson, R. C., A Century of Exploration at Neneveh, London, 1929, passim; Russell, J. M., Sennacherib's Palace, Chicago, 1991, passim; The Final Sack of Nineveh, New York, 1998, passim.

الذي يقصده الزائرون، وقد بني عليه مسجد[1]. والآشوريون، سكان نينوى، هم الأعداء التقليديون لليهود، وهم الذين غزوا فلسطين وأخضعوا مملكة إسرائيل، وهم أقوى شعوب الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة، ونينوى أعتى مكان لمحاربة الرب[2]. ويروى أن بنينوى ملك له جيوش كثيرة تزيد على عشرة آلاف قائد، وكان إذا غزا تكون معه تماثيل من الأسود والفيلة مصنوعة من النحاس والحديد يخرج من أفواهها لهب. وهو الذي غزا بني إسرائيل فقتل وسبى ثم عاد إلى نينوى، وتكرر ذلك منه، فذهب إليهم يونس يدعوهم إلى الله تعالى ونبذ الظلم والعدوان[3]. وقيل: إن يونس، كان في الأصل من أهالي نينوى، وكان رجلا صالحا يتعبد في جبل، بينما كان قومه يعبدون الأصنام[4]. ويورد بعض المفسرين روايات تفيد أن يونس عليه السلام ذهب مغاضبا ربه ومثل هذا لا يليق بمكانة النبوة الشريفة. وأما ما

---

(١) Larsen, M. T., The Conquest of Assyria, Excavtions in an Antique Land: 1840-1860, London, 1996, pp. 11-12, 201; Rogers, R. W., A History of Babylonia and Assyria, New York, 1902, vol. 1, p. 117.

يرى الدكتور مايكل روف أن هذا المزار هو حسب المعتقدات الإسلامية فقط. وربما هو في الواقع ليس قبرا للنبي يونس، عليه السلام.

(انظر: Roaf, M., op.cit., pp. 182, 186).

(٢) Ellul, J., The Judgment of Jonah, Grand Rapids, 1971, pp. 26 - 27.

ويذكر محمد الطاهر بن عاشور أن سكان نينوى هم خليط من الآشوريين واليهود الذين كانوا في أسر ملوك بابل بعد بختنصر، وكانت بعثة يونس إليهم في أول القرن الثامن ق.م. (المرجع السابق، ج١١، ص٢٩٠). مع العلم أن الدولة الآشورية قد سقطت على يدي نبوبولاصر والد نبوخذنصر الكلداني قبل أن يحتل بيت المقدس في عام ٥٨٦ ق.م. فكيف يكون اليهود قد تواجدوا في نينوى نتيجة لسبي ملوك بابل.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٨١ ـ ٨٢؛ القاسمي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٨١؛ النويري، المصدر السابق، ج١٤، ص١٧٣.

(٤) ابن الجوزي، الحدائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق: مصطفى السبكي، بيروت،، ١٩٨٨، ص١٣٩ ـ ١٤٠؛ محمد الفقي، المرجع السابق، ص١٩٧؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحس القصص، ج٢، ص١٧٠.

جاء في القرآن الكريم من أن يونس، عليه السلام، أبق إلى الفلك وخرج من بلدته ثم ركب البحر، فكل هذا بسبب مغاضبته لقومه وخروجه من غير أن يأذن له ربه بالخروج[1].

ويوجد في العهد القديم، سفر يُعرف بسفر يونان، يرى البعض أنه هو نفسه سفر يونس، عليه السلام، حيث تتشابه الأحداث الواردة فيه بقصة يونس عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم. ولكن مجموعة من علماء العهد القديم قد شككوا في نسبة هذا السفر إلى يونان بن أمتاي (متّى)، من حيث عدد من الوقائع التاريخية الخاصة بمدينة نينوى التي لا يعرف من تاريخها أن أهلها تابوا بعدما جاءهم النبي يونس، عليه السلام. ومن المعروف أن هذه المدينة قد مرّت بأحداث دامية في أواخر أيام الدولة الآشورية حتى سقطت على أيدي الكلدانيين والميديين. ومع هذه الشكوك إلا أننا نعتقد أن يونان العهد القديم هو نفسه يونس القرآن الكريم من حيث التشابه في قيامه بالدعوة بين أناس عتاة، ثم غضبه ورجوعه عنهم وركوبه البحر ثم التقام الحوت له وبقائه في جوفه مدة، ثم دعاؤه الله تعالى أن ينجيه من هذا الكرب، فاستجاب الله دعاءه ثم ذهابه إلى نينوى وإيمان أهلها بالله عز وجل[2]. ولكن مع وجود بعض التحريفات في القصة التوراتية، وهذه عادة كتّاب العهد القديم في تحريف الكتاب المقدس، فهم كما قال الله تعالى﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦، المائدة: ١٣). وإن عدم ثبوت القصة في المصادر الآشورية لا يعني أن القصة خيال أو أسطورة ويكفي أنها قد وردت في القرآن الكريم. كما أن الآشوريين كانوا على أغلب

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٨، ص٢٤٦٣؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص٢٠٨ - ٢١٠، ج١٧، ص٧٦ - ٧٧.

(٢) انظر: الحاج محمد وصفي، المرجع السابق، ص٢٨١ - ٢٨٢؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: الحضارة، التوراة والتلمود، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج٣، ص٥٠ - ٥٣. لمزيد من التفاصيل حول قصة يونس عليه السلام، انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني، ج٤، ص٣٤ - ٨١؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحس القصص، ج٢، ص١٧٠ - ١٩٠.

فترات تاريخهم وثنيين فلا يرون توثيق وتسجيل قضية التوحيد التي تهدم أساسات الوثنية. ويرجح أن يونس عليه السلام عاش في الفترة من ٨٢٠ أو ٨٢٣ إلى ٧٥٠ ق.م.، وكانت نبوته في حوالي عام ٧٨٠ ق.م[١]. والفترة التي عاشها يونس، عليه السلام، كانت آشور تمر بظروف سياسية وعسكرية سيئة بعد وفاة الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م.) حكم فيها عدد من الملوك الضعاف الذين لم يكونوا على مستوى المسؤولية، انفرط في عهودهم عقد الدولة الآشورية وتفلتت من حكمها العديد من الولايات والأقاليم وحدثت في عهودهم الثورات وتقلص نفوذ الدولة[٢].

وقد ورد اسم يونس بن متى مصرّحا به في الصحيحين وغيرهما، في قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»[٣]. واسم متى يشابه في النطق اسم «متاي» المذكور في العهد القديم. كما يرد في السيرة أن النبي ﷺ قد ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، فآذوه ورموه بالحجارة، فلجأ إلى بستان لشيبة وعتبة ابني ربيعة، فلما رأوه على هذه الحال أرسلا إليه غلاما لهما يدعى عداس، بقطف من عنب. ودار حوار بين النبي ﷺ وعداس، عرف فيه ﷺ أن هذا الغلام من بلدة النبي يونس،

---

(١) الحاج محمد وصفي، المرجع السابق، ص٣٠٨؛ عادل طه يونس، المرجع السابق، ص٦٦، ٦٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤؛ طه باقر، المرجع السابق، ص٥٠٦ ـ ٥٠٨؛ عيد مرعي، المرجع السابق، ص١١٦، ١١٨؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (١٠) تاريخ العراق القديم، ص٣٧٨ ـ ٣٨٠.

(٣) انظر: البخاري، الصحيح، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين).، حديث رقم: ٣٣٩٦، ٣٤١٦؛ مسلم، الصحيح، كتاب: الفضائل، باب: من فضل يونس، حديث رقم: ٢٣٧٦، ٢٣٧٧؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦.، ص٥٥٧ ـ ٥٥٨؛ أبا نعيم، حلية الأولياء، ج٢، ص٢٥٤، ج٣، ص١١٣؛ البنا الساعاتي، الفتح الرباني، ج٢٠، ص٨٠، ٨٣، ٨٥؛ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج٧، ص٣٥٩ ـ ٣٦٠؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ج٥، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٢٢٩.

نينوى. كما يروي موسى بن عقبة أن خديجة رضي الله عنها قد سألت عداسا هذا عند بدء الوحي على رسول الله ﷺ عن ما لاقاه في غار حراء، وأجابها أن هذا ما كان يأتي موسى وعيسى عليهما السلام، ثم ذهبت إلى ورقة بن نوفل. ويروي الواقدي في المغازي أن عداسا نهى عتبة وشيبة عن الخروج إلى بدر، وهما بمكة فخالفاه، ويقال: إنه خرج معهما فقتل ببدر ويقال: إنه لم يُقتل فرجع فمات، وهذا الذي رجّحه الواقدي[1]. وعلى الرغم من اشتهار قصة لقاء النبي ﷺ بعداس في الطائف إلا أنها من مرسلات محمد بن كعب القرظي وموسى بن عقبة، مع أن إسنادها صحيح[2].

---

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص٤٦٧ ـ ٤٦٨؛ سعيد حوى، الأساس في السنة، ج١، ص٢٨٠؛ السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص٥٦؛ محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج١، ص٤٠٣؛ الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، ١٩٦٦، ج١، ص٣٣، ٣٥. أما ما رواه الواقدي فلا يصح لأن الواقدي متروك، مع سعة علمه.

(٢) حول التعليقات على قصة عداس، انظر: أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ج١، ص١٨٥ ـ ١٨٦؛ مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص٢٢٧. وانظر كذلك تعليق الألباني على كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي (دمشق، ١٩٨٩، ص١٢٦، ح. ١). وقد أخرج القصة الطبري في التاريخ (ج٢، ص٣٤٤ ـ ٣٤٦) براوية محمد بن حميد الرازي (وثّقه جماعة وتركه آخرون (انظر: الذهبي، الكاشف، تحقيق: عزت علي وموسى محمد، القاهرة، ج٣، ص٣٥). عن سلمة بن الفضل (الأبرش الأنصاري مولاهم، أبو عبد الله الأزرق الرازي، قاضي الري، وهّنه علي بن المديني، ووثّقه ابن معين، وضعّفه آخرون، وكان قويا في المغازي. انظر: خلدون الأحدب، المرجع السابق، ج١، ص٢١٤ ـ ٢١٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٩ ـ ٥٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٩٢؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج١١، ص٣٠٥ ـ ٣٠٩، عن ابن إسحاق (وقد صرّح بالتحديث) عن يزيد بن زياد (ويقال ابن أبي زياد، مولى ابن عباس، وثّقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه البخاري: لا يتابع على حديثه، روى عنه مالك. انظر: أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج٧، ص٢٨٢؛ الذهبي، الكاشف، ج٣، ص٢٧٨؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٣٢، عن أبي حمزة محمد بن كعب القرظي. (وهو تابعي ثقة، معروف، مشهور، أخرج له أصحاب =

قرية:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ (الأنبياء: ١١):

قيل: هي حضور وسحول، قريتان باليمن بعث الله تعالى لهما نبيا، وهو شعيب بن ذي مهدم بن حضور بن عدي، فكذبوه. ولهذا النبي قبر في اليمن، بجبل يقال له ضين، كثير الثلج[١]. وقصة هذا النبي حدثت قبل عهد المسيح وبعد زمن سليمان. أو نزلت الآية في أهل حضرموت، وكان أهلها من العرب الذين قتلوا نبيا لهم، يدعى أبراخيا بن أحنيا بن زربايل بن شاثيل، من ولد يهوذا بن يعقول، فسلّط الله عليهم بختنصر حتى قتلهم وسباهم، فهربوا، فقالت لهم الملائكة استهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾. وأهالي حضورا هم ورعوايل ويأمن من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[٢].

= الكتب الستة. انظر: ابن حبان، كتاب مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر، بيروت، ١٩٥٩، ص٦٥، رقم: ٤٣٦؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٥٠٤؛ خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ رجال تفسير الطبري، ص٥٠٧). ويوجد مسجد على الأطراف الغربية لبساتين وج بالطائف عند سفح جبل يقال له: أبو الأخيلة يدعى مسجد عدّاس ويقال: إنه كان في الأصل معبدا لعدّاس. وهو الآن مسجد جامع يحتوي على منبر إلى يمين المحراب، وله مئذنة. (سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٣).

(١) ويوجد القبر المعروف بقبر النبي شعيب على قمة جبل حضور. وأصبح هذا القبر مزارا يأتي إليه الناس في الأخيرة من شهر رمضان وفي عيد الأضحى، ويقيمون احتفالات كبيرة حوله. (انظر: اليمن في كتابات الرحالة الأجانب (١) إدوارد جلازر، ترجمة: أحمد قايد الصايدي، صنعاء، ١٩٩٩).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص٣٤٢؛ ابن حبيب، المصدر السابق، ص٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٤؛ الدياربكري، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٠؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١١٢ ـ ١١٣؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٥٧ ـ ١٥٨. ووردت أحيانا الإشارة إلى اسم الجبل بلفظة صنين (صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٩٤). وهي خطأ، وربما حدث تصحيف في الاسم. (انظر: أبا عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: جمال طلبة، ج٣، ص١٥٤).

وقيل: إن حضورا كانت بأرض السماوة، بين العراق والشام إلى حد الحجاز، وقيل: كانت في شمال سوريا[1]. والأرجح أن الآية عامة ولهذا جاءت لفظة القرية منكرة، وقوله ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ صيغة تكثير، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾[2].

القرية:

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ (العنكبوت: ٣١)؛

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (العنكبوت: ٣٤):

أهل قرية سدوم[3].

قرية:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (القصص: ٥٨):

أشار إليها بـ﴿تِلْكَ﴾ أي ترونها خرابا تمرون عليها كحجر ثمود، والظاهر أن القرى عامة في القرى التي أهلِكت بمعنى أن الله تعالى لا يهلكها في وقت واحد حتى يبعث في أم تلك القرى أي كبيرتها التي ترجع إليها تلك القرى، ومنها يمتارون وفيها عظيمهم الحاكم على تلك القرى. ويجوز أن يراد بالقرى القرى التي في عصر النبي ﷺ، فيكون أم القرى مكة ويكون الرسول ﷺ خاتم النبيين. وهذا تخويف لأهالي مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم فقابلوها بالأشر والبطر، فدمّرهم الله وخرّب ديارهم وكان الله الوارث لتلك المساكن[4].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٥٨.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٣٤٨.

(٣) الطبري، التفسير، (طبعة دار الفكر)، ج٢٠، ص١٤٧؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص٥٠.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٩، ص٢٩٩٧؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٣٤؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

القرية:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (يس: ١٣):

هي أنطاكية في رأي كثير من المفسرين والمؤرخين والجغرافيين المسلمين، وقد روي هذا عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه وبريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهري وغيرهم. وبهذا الخصوص يروى أن الرسل الثلاثة هم من حواريي المسيح عليه السلام، ذهبوا إلى أنطاكية للدعوة إلى الله تعالى، وكانت لهم كرامات مثل إشفاء المرضى وإبراء الأكمه وإحياء الموتى بإذن الله، وأول من آمن بهم الراعي حبيب النجار. وقد حدثت لهم قصة مع ملك المدينة المدعو أنطيخس بن أنطيخس، وقيل: أبطيحس (أو بحناطيس الرومي أو أنطيخس) الذي عذّب اثنين منهم ثم لما رأى كراماتهم وفضلهم آمن بالله عزوجل. وقيل: بل أن الملك كفر وأمر بقتل الرسل الثلاثة، فلما نهاهم حبيب النجار أمر بقتله هو أيضا، فأصاب المدينة العذاب[1]. وقيل: إن الرسل هم صادق ومصدوق وشلوم، وقيل: شمعون ويوحنا وبولس وهم رسل المسيح، وقيل: غير ذلك[2]. وينكر ابن كثير كونهم رسل المسيح ويقول: «إن أهل أنطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا أول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢١١ ـ ٢١٢؛ ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٥٥٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢٠، ص٢٢٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٧٩؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥٣٥ ـ ٥٣٦؛ الثعالبي، عرائس المجالس، ص٣٦٤؛ الخازن، المصدر السابق، ج٤، ص٤؛ الطبري، التفسير، (طبعة دار الفكر)، ج٢٢، ص١٥٥؛ محمد الفقي، المرجع السابق، ص١٩٢ ـ ١٩٣؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٣٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٤، ص٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٢٢، ص١٠؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٥٢؛ الثعالبي، عرائس المجالس، ص٣٦٣؛ الخازن، المصدر السابق، ج٤، ص٤؛ خليل ياسين، المرجع السابق، ج٢، ص١٣٨؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص١٥٦.

ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بطاركة النصارى وهن أنطاكية والقدس والإسكندرية وروما ثم بعدها القسطنطينية ولم يهلكوا، وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا». ويؤكد في موضع آخر أن هذه القرية ليست أنطاكية، وربما هي مدينة أخرى بنفس التسمية، لأن هؤلاء أهلكوا بتكذيبهم رسل الله إليهم وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح. وهي أول مدينة آمنت بالمسيح وهي إحدى المدائن الأربع التي فيها بطاركة (القدس والإسكندرية وروما وأنطاكية). ويقول ابن كثير أيضا نقلا عن أبي سعيد وغيره: إن الله تعالى بعد إنزال التوراة لم يهلك أمة من الأمم بإبادتهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بقتال المشركين(١). صحيح أن أهل أنطاكية آمنوا بالنصرانية، واشتُهرت باسم أنطاكية النصرانية منذ بداية ظهور الديانة الجديدة، ولكن من المحتمل أن وجود اليهود في المدينة جعل البعض يطلق عليها هذه التسمية خاصة في بدايات ظهور النصرانية حيث لم يفرق القدماء بين اليهود والنصارى أو لم تتضح لهم الفروق بين الطائفتين بعد(٢). وحتى ما اكتُشف من آثار لكنيسة قديمة في المدينة لا تعود إلى أقدم من القرن الرابع الميلادي(٣). كما أن رأي ابن كثير هذا لا يتفق مع الواقع التاريخي لمدينة أنطاكية، كما سيتضح لاحقا. وابن كثير نفسه يورد أن الملك الظالم الحاكم على أنطاكية هو أنطيخس بن أنطيخس وهو بالتأكيد الملك السلوقي

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٥٥٦؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٥٣، ٢٥٥. انظر كذلك: سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٨، ص٤٦٣١.

(٢) حول كنيسة أنطاكية الأولى، انظر: أغناطيوس زكا الأول عيواص، القديس مار بطرس، هامة الرسل، دمشق، ١٩٩٦، ص٨١ ـ ٨٢؛ أغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث تاريخية دينية أدبية، دمشق، ١٩٩٨، ج١، ص١٢ ـ ١٤؛ تفسير الكتاب المقدس، ج٥، ص٣٤٤

Klingaman, W., The First Century: Emperors, Gods and Everyman, London, 1991, p. 257; Mar Ignatius Zakka I Iwas, The Syrian Orthodox Church of Antioch at a Glance, Aleppo, 1983, pp. 8-9, 16 - 17.

(٣) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٢٦.

المعروف أنطيوخوس الرابع بن أنطيوخوس الثالث، وهو تولى الملك بين عامي ٢١٥ و١٦٣ ق.م. وهو بالتالي بعد التوراة بمئات السنين، فكيف يجزم ابن كثير بأن الله تعالى لم يهلك أمة بعذاب عام بعد إنزال التوراة. وقد نُسب إلى النبي ﷺ حديث يقول فيه: إن المدينة هي أفسوس وهي طرسوس، وأنها بأرض رومية[١].

ويوجد الآن بأقصى أنطاكية من جهة الشرق غار يعرف بغار حبيب النجار، ويقول أهل المدنية: إنه كان مسكنا لحبيب. ويوجد له قبر في وسط المدينة بجنب قبر الرسول الثالث كما يعتقد الأهالي، والقبران يقعان ضمن مسجد بني عليهما. وفي غرب المدينة توجد ربوة يسميها الأهالي ربوة جبريل، ويقولون: إن جبريل عليه السلام صاح بأهل المدينة من هناك[٢]. ويقال: إن هذا القبر هو قبر حبيب النجار صاحب يونس عليه السلام، وليس صاحب الرسل الثلاثة[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢١٢، ح. ١.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص١٥١. يقول المستشرق ڤاجاد: إن قبر حبيب النجار يقع عند سفح سيلفيوس، ويرى أن قصته الواردة في التفاسير وكتب التاريخ والجغرافيا عبارة عن أسطورة. ويذكر أن البعض يرى أن حبيب النجار هو أجابوس الوارد ذكره في الإنجيل، في سفر أعمال الرسل، ولكن ڤاجاد ينكر هذه الصلة.
(انظر: Vajad, G.,"Habīb al-Nadjār", EI², vol. 3, p. 21)
ولفظة «أجابوس» ربما كانت من أصل يوناني، تعني «المحبوب». ولقد كان هذا الرجل في القدس ثم ذهب إلى أنطاكية وتنبأ بجوع عظيم، وقد حدث هذا الجوع في عهد الإمبراطور الروماني كلوديوس. (بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٨٩). ويرى الكاتب محمد الفاكياني أن حبيب النجار هو نفسه أجابوس، وهو أول من آمن بالمسيح في أنطاكية، ولقد سمي جبل سيلفيوس بجبل حبيب النجار. (محمد الفاكياني، «دراسة تاريخية عن أنطاكية»، تاريخ العرب والعالم، س. ٧، ع. ٨٣/ ٨٤، (سبتمبر/ أكتوبر ١٩٨٥)، ص٩٣).

تعتبر أنطاكية عاصمة السلوقيين اليونانية المقدونية، وكانت عاصمة اقتصادية وحضارية مهمة تضاهي الإسكندرية. وقد أنشأها سلوقس الأول، مؤسس الدولة السلوقية في حوالي عام ٣٠٠ ق.م. ونسبها إلى والده أنطيوخوس. وهي مدينة ذات موقع إستراتيجي مهم، تقع في الشمال الغربي لسورية، عند الطرف الجنوبي لسهل العمق، يحدها شرقا جبل سيلبيوس وغربا نهر العاصي. وتمر بها عدد من الطرق التجارية القديمة القادمة والمتجهة من سوريا وآسيا الصغرى[١]. ويُعتقد أنها بُنيت على أنقاض مدينة أقدم منها تدعى باليونانية هيوبوليس Ιώπολις أو أن أنطاكية تأسست في منطقة مأهولة بالسكان منذ حقب قديمة، وعُرفت المدينة الجديدة باسم أنطاكية على العاصي تمييزا لها عن مدن أنشأها سلوقس الأول في بلاد سوريا وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى. وفي الفترة البيزنطية سُميت باسم تيوبوليس Θεύπολις أي مدينة الله. أما لفظة أنطاكية فهي تحدرت من اللفظ الآرامي אַנְטִיוֹכְיָא أو السرياني ܐܢܛܝܘܟܝܐ أنطوكيا ثم حدث فيها نوع من التهذيب اللغوي لتصبح «أنطاكية»[٢].

وبلغ عدد سكانها في بداية الحكم الروماني حوالي ٥٠٠ ألف نسمة[٣]. ثم صارت أعداد السكان تتناقص ولم يأت القرن الرابع الميلادي إلا وعدد

---

(١) «أنطاكية» في دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٤٨٨، ٤٩٠؛ عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، لندن، ١٩٩٩، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧؛ مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين: دراسة سياسية حضارية، دمشق، ١٩٩٣، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥؛

Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of the Hellenistic World, Oxford, 1951, vol. 1, pp. 478, 480, 481.

(٢) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية، ص٨٦ ـ ٨٧؛ عبد الله الحلو، صراع الممالك، ص٢٧٢. يصف يحيى شامي أنطاكية بقوله إنها: «من أهم المدن الكبرى في العالم القديم» وهي «مدينة قديمة جدا بل هي من أقدم مدن العالم». (المرجع السابق، ص٣٠٨، ٣٠٩).

(٣) عبد الله الحلو، صراع الممالك، ص٢٨٢؛ Rostovtzeff, M., op.cit, vol. 1, p. 498.

سكان أنطاكية قليل مقارنة بالقرون الماضية(١). أما ديانة المدينة الأولى فهي الوثنية، وبها عدد من معابد الآلهة اليونانية مثل معبد الإله أبوللو الذي كانت طقوس عبادته تقوم على كثير من الرجس والنجاسة والممارسات الجنسية الجامحة. وكانت الربة «تيخي» (الحظ) هي ربة أنطاكية الخاصة. وعلى العموم فقد كان لأنطاكية وضاحيتها دفنة قصب السبق في حياة الترف والخلاعة والترف والفساد(٢).

أما بخصوص ما حدث من كوارث طبيعية ومصائب بيئية أصابت أنطاكية فإن المدينة قد تعرّضت لعدد كبير من الزلازل والطواعين على مر تاريخها منذ تأسيسها. ومن هذه الزلازل ما حدث في شهر ديسمبر من عام ١١٥م عندما كان الإمبراطور الروماني تراجان متواجدا في المدينة، وكان زلزالا قويا جدا لدرجة أن الإمبراطور هرب من المدنية بعدما خرج من نافذة في القصر الذي كان مقيما فيه(٣)؛ وما حدث في حوالي عام ٥٢٦م. حيث بلغ عدد القتلى حوالي ٢٥٠،٠٠٠، وقيل ٣٠٠،٠٠٠ نسمة، وفي زلزال عام ٥٨٨م. هلك حوالي ٦٠،٠٠٠ نسمة(٤). ويبدو أنه نتيجة لهذه الزلازل والكوارث وما قيل من كون أنطاكية هي مدينة الرسل الثلاثة والرجل الصالح

---

(١) Cumont, F.,"The Population of Syria", JRS, 24 (1934), pp. 187 - 189.

(٢) بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٢٥؛ حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص١٠٨؛ فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢٢، ص٣٦٠؛ Bowesock, G. W., Hellenism in Late Antiquity, Ann Arbor, 1993, p. 37.

(٣) Dio Cassius, The Roman History, LXVIII, 24, 1-2.

(٤) Liebeschuetz, J. H. W. G, Antioch, Oxford, 1972, p. 129; Whitley, M.,"Greek Historical Writing of After Procopius: Variety and Vitality", in Cameron, A. and Conrad, L. I. (eds.), The Byzantine and Early Islamic Near East, Princeton, 1992, p. 60.

الذين كذبهم أهلها، فإن بعض الرواة والقُصّاص جعلوا أنطاكية إحدى مدن النار الأربع، كما روي عن مكحول[1].

أما ما ذكره المفسرون والمؤرخون المسلمون من كون مدينة أنطاكية هي المعنية بالقرية في سورة يس فيحتاج إلى أدلة تاريخية وآثارية تناسب الواقع التاريخي والآثاري للمدينة. وقد أخرج الطبري وغيره روايات عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه أن ذلك ينطبق على ملك سماه أبطيحس بن أبطيحس الوثني (وقيل: هو مخلنطيس بن مخلنطيس) الذي كذّب الرسل الثلاثة صادق وصدوق وسلوم[2]. فيبدو والله أعلم أن المقصود بأبطيحس هو الملك السلوقي المشهور أنطيوخوس الرابع بن أنطيوخوس الثالث (الكبير) الذي تعرّض في عهده يهود أنطاكية للاضطهاد والعذاب نتيجة ثورة إخوانهم في فلسطين وبيت المقدس[3]. ومن المعروف أن اليهود قد استقروا في أنطاكية منذ بداية تأسيسها في عهد سلوقس الأول، وتزايدت أعدادهم في

---

(١) والقول هو: «أربع مدن من مدن الجنة: مكة والمدينة وإيلياء ودمشق، وأربع من مدن النار: أنطاكية والطوانة وقسطنطينة وصنعاء». (ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٣٩؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٧). وهذا الأثر لا يصح، ولا أصل له، ومنكر، ففي سنده الموقري وهو متهم. (أبو أحمد بن عدي، الكامل، ج٧، ص٧١ - ٧٣؛ الديلمي، فردوس الأخبار، تحقيق: فواز أحمد الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص٤٥٧، رقم: ١٥١٦؛ الذهبي، ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، ص١٤٠، رقم: ٤١٦؛ السيوطي، اللآلئ المصنوعة، ج١، ص٤١٩؛ محمد ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث الشام، ص٣٩ - ٤٠؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١، ص٥٩٦). والغريب أن حديثا آخر وضع على النبي ﷺ يمتدح أنطاكية وأن فيها التوراة وعصى موسى عليه السلام ورضراض الألواح ومائدة سليمان عليه السلام، وأنها ستكون مأوى المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٨، ص٥١٠، ج١١، ص٣٣٢ - ٣٣٣).

(٢) التفسير، ج٢٢، ص١٥٦. انظر كذلك: ابن الجوزي، زاد المسير، ج٧، ص١٠.

(٣) Josephus, Antiquities of the Jews, VII. iii, 2-4; Simchowitsch, J. N.,"Antioch", UJE, vol. 1, p. 338.

العهد الروماني[1]. وكانت ثورة يهود فلسطين سببا في نقمة أنطيوخوس الرابع على يهود أنطاكية حيث عذّب وقتل وسبى عددا منهم انتقاما منهم، ومن أشهر المقتولين في هذا الشأن الكاهن أليعازر الذي أعدمه أنطيوخوس مع سبعة من المكابيين[2] عندما رفضوا ترك ديانتهم والعودة إلى الكفر. وهؤلاء قد أحضرهم من بيت المقدس وأعدمهم في أنطاكية تخويفا ليهودها. وأصبحت قصة أليعازر والمكابيين مشهورة ومهمة في التقاليد والكتابات اليهودية والنصرانية[3]. ولكن، وإن صحت رواية قتل أليعازر وإخوانه إلا أن أنطاكية لم تتعرض للدمار الذي أشار إليه القرآن الكريم. على الرغم من دخول الدولة السلوقية في خلافات أسرية بعد وفاة الملك أنطيوخوس الرابع. وفي عام ١٤٨ ق.م. تعرّضت أنطاكية أيضا لزلزال كبير في حكم الملك السلوقي الإسكندر بالاس (١٤٥ ـ ١٥٠ ق.م.)، وحدث زلزال آخر في عام ١٣٠ ق.م.، وفي ٩ أبريل ٣٧ م. تعرّضت أنطاكية أيضا لزلزال في زمن الإمبراطور الروماني جايوس، وأيضا في زمن الإمبراطور كلاديوس (٤١ ـ

---

(١) «أنطاكية» في دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٤٩٠؛ مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص٣٢٦.؛ Simchowitsch, J. N., op.cit., vol. 1, p. 338.

(٢) المكابيون نسبة أسرة من الكهنة اليهود أعلنت الثورة على السلوقيين في أواسط القرن الثاني ق.م. وأنشأت دويلة يهودية سرعان ما توسعت لتشمل كامل أرضي فلسطين. وقد تزعّم الثورة رجل طموح يدعى يهوذا المكابي بن ماتاثياس، وكان والده في الأصل كاهنا من مدينة مدين. وعُرفت هذه الأسرة أيضا بالأسرة الحشمونية. وقد وردت قصة يهوذا وثورته في الإنجيل في سفر المكابيين وهي خمسة أسفار، وتلحق أحيانا بالعهد القديم، ولكن البروتستانت لا يعترفون بصحتها. ولعل لفظة «مكابيين» مشتقة من اللفظة العبرية «مقبة» بمعنى المطرقة أو المضرب. (انظر: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٩١١ ـ ٩١٣؛ كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص٣٦ ـ ٣٧؛ فيليب حِتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص٢٦٨ ـ ٢٧٠؛ مخطوطات قمران ـ البحر الميت، ج١، ص١٤ ـ ١٦؛ مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص١٢٦ ـ ١٢٧؛ الموسوعة العربية العالمية، ج٢٧، ص٣٤١).

(٣) Downey, G., A History of Antioch in Syria, New York, 1961, pp. 108ff., 110, 113, 116.

٥٤ م.)[1]. وهذه الكوارث والزلازل والدمار من قبيل عذاب الله وتدميره، وبهذا لا يسلّم لما ذكره ابن كثير من كون أنطاكية لم تهلك لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك.

وعلى الرغم من تعدد وكثرة هذه الزلازل إلا أنه لم تسبقها حوادث مشابهة لما ذكره القرآن الكريم. ولكن في ١٣ ديسمبر ١١٥م. أصيبت أنطاكية بزلزال عنيف جدا كاد يفني المدينة، بل أن الإمبراطور الروماني تراجان، أصيب ونجا بأعجوبة من فتحة نافذة بيته، وكان الإمبراطور متواجدا في أنطاكية في شتاء ذلك العام. ويصف ديو كاسيوس[2] الزلزال بالشدة والعنف وأنه كان مصحوبا بعواصف رعدية ورياح شديدة، وعانى السكان كثيرا من ذلك وسقط بعضهم في البحر حيث حملتهم الرياح واستمرت الزلازل لعدة أيام وليالٍ. ولكن هناك حادثة مشابهة لما أورده القرآن الكريم حدثت في المدينة، ففي حوالي هذا العام وما قبله تعرّض النصارى المؤمنون لعذاب من الرومان بموافقة من الإمبراطور الروماني تراجان. وتذكر كتب الكنيسة ومؤرخو النصرانية الأوائل أن أمّاً لثلاثة أطفال وعددا من النصارى أحرقوا في أنطاكية. وأشهر من تعرّض لهذا العذاب هو الأسقف الأنطاكي المعروف، أجنائيوس (أغناطيوس) ثيوفوروس، وهو عالم له مكانته في الديانة النصرانية، وهو تلميذ للحواري بولس الذي زار أنطاكية مع الحواري برنابا. وأجنائيوس له عدد من الرسائل في الديانة النصرانية. وقد أمر تراجان بإرساله إلى روما مصفدا بالأغلال في حراسة عشرة من الجنود القساة. وفي روما عُذّب ثم ألقي إلى الوحوش فقطعته إربا، وكان في طريقه إلى روما لا يكف عن شرح فكرته ونشر الدعوة التي آمن بها. وكان قد واجه تراجان وأعلن إيمانه بالمسيح وكفره

---

(١) بطرس البستاني، «أنطاكية»، في دائرة المعارف، ج٤، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩؛
Downey, G., op.cit., pp. 119, 126, 138, 142, 190, 195-196.

(٢) Dio Casius, The Roman History, LXVIII, 24-25
انظر كذلك: عبد الله الحلو، صراع الممالك، ص٢٨٧؛
Bennet, J., Trajan Otimus Princeps: A Life and Times, Bloominton, 1997, p. 196.

بالوثنية الرومانية مما أثار حفيظة الإمبراطور وسكان أنطاكية الذين كانت غالبيتهم على الوثنية[1] وأجناثيوس يُعرف في المصادر النصرانية السريانية بالقديس مار أغناطيوس النوراني. ولفظة «نوراني» ترجمة للاسم اللاتيني «إغناطيوس». كما اتخذ له اسما آخر هو «ثاوفوروس» ويعني «حامل الله» أو «الذي حمله الله»، وهو بطريرك أنطاكية الثالث. وهو سرياني الأصل، ربما وُلد حوالي عام ٣٥م. وأصبح أسقفا على أنطاكية في عام ٦٨م. ضمّن عددا من رسائله وكتبه الدعوة إلى الوحدة ودوام الصلاة والتنسّك والتعبّد والاهتمام بالأرامل والفقراء. وعمل على محاربة الخرافات والأساطير اليهودية والوثنية. وأثبتت عدد من المصادر السريانية موقفه العظيم أمام الإمبراطور تراجان وثباته أمام المغريات والتهديدات. وتقبّله أمر القتل بالبشر والفرح والسرور وابتهاجه بالشهادة المقبلة في سبيل الله[2].

على الرغم من قيام ثلاثة من حواريي المسيح وهم بول وبرنابا وجون بزيارة أنطاكية بهدف نشر الدعوة ولكن استجابة السكان لدعوة التوحيد كانت قليلة. وقد بذل هؤلاء الرسل الثلاثة جهودا في نشر الدعوة، وتم تأسيس كنيسة في أنطاكية، ولكنها كانت في بداية الأمر في كهف ثم كان التقاء نصارى

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول أجناثيوس ورسائله ودعوته ووقوفه في وجه تراجان، انظر: أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٤٩، ٥٧؛
Eusebius, The History of the Church from Christ to Constantine, tran. G. A. Williamson, New York, 1965, p. 145; Ignatuis of Antioch, A Commentary of the Letters of Ignatius of Antioch, ed. H. Koester, Philadelphia, 1985, passim; Hridge, H. W. A. and Hate, G. (eds.), Eusebius, Christianity and Judaisim, Detriot, 1992, pp. 623-624; Schaff, P., History of the Christian Church, Ann Arbor, 1985, vol. 1, p. 319, vol. 2. pp. 47, 48-49; Walker, W., (et.al.), A History of the Chritian Church, pp. 39f., 42

وكما هو معروف فإن النصارى في القرون الميلادية الثلاثة الأولى كان أغلبهم على التوحيد والدين الصحيح. (انظر: محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، دمشق/ بيروت، ١٩٩٥، ص٢٣ ـ ٢٦).

(٢) أغناطيوس زكا الأول عيواص، صفحات مشرقة من تاريخ الكنيسة في القرنين الثاني والثالث للميلاد، دمشق، ١٩٩٧، ج١، ص٩ ـ ٧٢.

أنطاكية يتم في بيوت الأتباع خفية وبعيدا عن الأنظار، وكانوا يتعرّضون لمضايقات الأهالي، وبالذات اليهود[١]. مع العلم أن أنطاكية كانت مهمة بالنسبة للدولة الرومانية وكانت مقرا للقوات الرومانية في الشرق ومنطلقا لتحركاتهم ولهذا ما كانوا يسمحون بخروجها من أيديهم أو حدوث تمرد فيها[٢]. وكانت أنطاكية أيضا مركزا وثنيا مهما في الشرق وبها معابد عدد من الآلهة مثل أبولو وأثينا وهرقل وآلهة سورية ورومانية وفارسية أخرى[٣].

ويذهب البعض إلى أن تراجان كان متسامحا مع النصارى الأوائل فإنه لم يتعرّض لهم بسوء خلال فترة حكمه، ويرى البعض أنه حتى الأباطرة الذين اضطهدوا النصارى قبل تراجان لم تكن لهم سياسة مخطط لها ضد النصارى ناتجة عن شعور ديني يدافع عن الوثنية، ولكنهم كانوا يحاربونهم خشية من قيامهم بالثورات ضد الإمبراطورية وأيضا ليعترفوا بأن الإمبراطور إله[٤]. وكما يعتقد البعض أن تراجان بالذات كان من أكثر الأباطرة الرومان تسامحا مع

---

(١) حول زيارات الحواريين لأنطاكية، وأثرهم في الدعوة ومضايقات اليهود والأهالي لهم، انظر مثلا:

Bacon, B. W.,"Peter's Triumph at Antioch", JRS, 9 (1929), pp. 204-233; Duchesne, M. L., Early History of the Church, London, 1933, vo. 1, pp. 16-17, 18, 19, 20, 129, 323; Holzner, J., Paul of Tarsus, trran. F. C. Eckhaff, New York, 1945, pp. 87-96; Klingaman, W., op.cit., p. 257; Latourelt, K. S., A History of Christianity, New York, 1953, p. 116; Ramsay, W. M., The Cities of Paul, Grand Padis, 1949, pp. 296-298.

(٢) Henderson, B. W., The Life and Principate of the Emperor Hadrian, New York, pp. 33-34; Millar, F., The Roman Near East: 31 BC - AD 337, Cambridge (Mas), 1993, p. 105.

(٣) Frederick, W. N.,"Antioch on the Orontes as a Religions Center: I. Paganism Before Constantine", ANRW, II, 18. 14, pp. 2322-2379.

(٤) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١، ص٥٥؛ رأفت عبد الحميد، «الإضطهاد الروماني للمسيحيين»، مجلة كلية الآداب، (جامعة الإمارات)، ع. ٣ (١٩٨٧)، ص١٢ - ١٣؛

Lynam, R., op.cit., vol. 2, pp. 417-418.

النصارى بدليل أن الأديب والمؤرخ المشهور پليني الأصغر عام ١١٢م. الذي كان واليا على بثينيا، قد بعث برسالة إلى الإمبراطور تراجان، يسأله كيف يتعامل مع النصارى، ويخبره أنه اتّبع معهم أسلوب السؤال والتحقيق، فكان يسأل النصارى إن كانوا نصارى أم وثنيين، ثم يكرر عليهم السؤال، فإذا أصروا على قولهم من كونهم نصارى، يهددهم فإذا أصروا من جديد أعدمهم. فكان جواب الإمبراطور: يمتدح عمله ويثني عليه ويقول له: لاتوجد هناك قاعدة ثابتة يمكن اتّباعها في مثل هذه الأمور[١].

ولكن على الرغم من هذا الاستنتاج إلا أن الإمبراطور وولاته يرون كل واحد يخرج عن إطر الدولة الدينية والسياسية والعسكرية خارجا عن الطاعة ويجب عقابه، كما أن رسالة پليني تحتوي عبارة «أنه لم يسبق له حضور محاكمات النصارى»، مما يوحي بأن محاكمات النصارى كانت أمرا مألوفا في تلك الفترة من حكم تراجان[٢]. كما يفهم من رد الإمبراطور إلى أن الدولة لا تسعى هي بحد ذاتها في إثارة الفتنة وإشعالها، ويبدو أن هذا التوجيه كان في أوقات الاستعداد لغزو الدولة البارثية أو أن الرومان لا يريدون إثارة القلاقل في دولتهم وهم في حالة حرب مع البارثيين. ومع تلك السياسة إلا أن عددا من النصارى قد عوقبوا بين عامي ١١٠م. و١٢٥م. بسبب ديانتهم ورفضهم عبادة الأصنام وتقديم الأضاحي لها[٣].

---

(١) Pliny the Younger, Letters, trans. W. Melmoth, London, 1915, Bk. X. xcvi Longden, R. D., "The Wars of Trajan" CAH, 1936, vol. 11, pp. 255-256; Barners, T. D.,"Legislation Against the Christians", JRS, 58 (1967), pp. 36-37; Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Emipre, London, 1994, vol. 1, pp. 534-536.

(٢) محمد السيد محمد عبد الغني، أضواء على المسيحية المبكرة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٢١. انظر كذلك:

Jones, D. L.,"Christianity and the Roman Imperial Cult", ANRW, II, 23.2, p. 1037.

(٣) أغناطيوس زكا الأول عيواص، صفحات مشرقة، ج١، ص١٨ ـ ١٩؛ ميخائيل السوري الكبير، التاريخ، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، حلب، ١٩٩٦، ج١، ص١٣٤؛ Frederick, W. N., op.cit., p. 2322.

ولقد وردت عدد من الروايات والقصص في عدد من كتب الجغرافية والتاريخ الإسلامية حول مدينة أنطاكية، ومن أول من بناها وتاريخها القديم، فقيل: إن بانيها هو أنطيخس، الملك الثالث بعد الإسكندر، وقيل: هو أنطيغونيا في السنة السادسة لوفاة الإسكندر، ولم يتمها فبناها بعده سلوقس وسماها على اسم ولده أنطيوخوس وقيل: إن بانيها هو أنطيقس(١). وقيل: إنه بُنيت على يدي أنطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح(٢). وبلا شك فإن هذه المعلومات فيها خلط كثير، فكما ذكرنا سابقا أن باني المدنية هو الملك سلوقس الأول في حوالي عام ٣٠٠ ق.م.، وسماها أنطاكية نسبة إلى والده أنطيوخوس. وكان ذلك بعد وفاة الإسكندر المقدوني بثلاث وعشرين سنة.

ويُعتقد أن قبر حبيب النجار موجود في أنطاكية يزار، وهو الذي عُني بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾(٣) (القصص: ٢٠). ووصف الجغرافيون المسلمون مدينة أنطاكية وصفا حسنا، فذكروا جمال شوارعها

---

(١) السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٤٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٦.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص١٥٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٩. وقد روى أبو الحارث بن عمارة عن أبيه عن محمد بن أحمد بن إبراهيم عن هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم عن رجل عن مكحول عن كعب الأحبار، قال: «بطرسوس من قبور الأنبياء عشرة، وبالمصيصة خمسة وبالثغور وبأنطاكية قبر حبيب النجار وبحمص ثلاثون قبرا وبدمشق خمسمائة قبر وببلاد الأردن مثل ذلك». وسند الرواية معلول بسبب محمد بن أحمد الذي ترجم له ابن عساكر ولم يحك فيه جرحا ولا تعديلا، والوليد ومكحول مدلسان ولم يصرحا هنا بالسماع، إذن فالسند ضعيف، والخبر إسرائيلي. (الدوسري، الروض البسام، ج٤، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨). وروى ابن عساكر رواية مشابهة عن عبد الله بن سلام أن بالشام ١٧٠٠ قبر، وروى عن كعب الأحبار حكاية مشابهة أيضا. وفي إسناد هذه القصص مجاهيل وفيها انقطاع. (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٤١١). انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٢٢، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

وعلو أسوارها وأبراجها وكنائسها وقربها من البحر وحمايتها الطبيعية بالجبل المحيط بها[١].

ومع ترجيحنا أن قصة أصحاب القرية حدثت في عهد الإمبراطور الروماني تراجان، إلا أن هذا لا يمنع من حدوث قصص مشابهة، خاصة أن فترات الاضطهاد التي حدث فيها قتل وتعذيب لعدد من النصارى الأوائل الذين واجهوا الوثنيين الرومان ورغبوا في نشر الدين الحق، ومن أمثلة هؤلاء المناضلين بابولا، أسقف أنطاكية فيما بين عامي ٢٣٨ و٢٥٠م. الذي جُلد وعذب وسجن مع تلاميذ صغار كان يلقنهم الدين الحق، وقد حُز رأسه مع الفتيان الثلاثة؛ والمعلم الأنطاكي لوكيانوس الذي قُبض عليه وسجن وعذب ثم قُدّم للأسود في عام ٣١٢م[٢].

قريتك:

﴿قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ (محمد: ١٣):

مكة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهالي مكة في تكذيبهم للنبي ﷺ[٣].

قريتكم:

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ (الأعراف: ٨٢)؛

---

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٧٩ ـ ١٨٠؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص٢٥٧؛ حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص١٠٦ ـ ١٠٩؛ عبد الله الحلو، صراع الممالك، ص٢٧٧ ـ ٢٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٦ ـ ٣١٨.

(٢) أسد رستم، المرجع السابق، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٩٩، ١٧٩.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٣٩٤؛ ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٢٩٤؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص٤٨؛ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤١؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج١٠، ص٤٥.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (النمل: ٥٦):

هي سدوم، قرية قوم لوط[١].

قريتنا:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ (الأعراف: ٨٨):

وهي مدين وقيل: الأيكة وهي تبوك[٢]. ولكن الأرجح هي أرض مدين على اعتبار أن شعيبا عليه السلام قد بعث في الأصل لأهالي مدين.

القريتين:

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (الزخرف: ٣١):

فرؤساء مكة هم علماؤها وساداتها وهم أعلى الناس منزلة ودرجة ومكانة فيها، وعظماء مكة والطائف هم الطبقة المختارة والصفوة المتزعمة في الناس، وإلى هذه الطبقة تكون الزعامة والقيادة ورجاحة الرأي. وقيل: هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي. وقيل: هما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وقيل: هما عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل. والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي من البلدتين كان[٣].

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٥؛ أحمد الصاوي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٥؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤١.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٦؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج٩، ص٧.

(٣) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٢١٧؛ ابن كثير، التفسير، ج٧، ص٢١٣؛ جواد علي، المفصل، ج٤، ص٤٩؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٥٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص٦٣٠. ساق كل من ابن أبي حاتم في تفسيره (ج١٠، ص٣٢٨٢) والطبري في تفسيره (طبعة دار الفكر: ج٢٥، ص٦٥ ـ ٦٦) روايات عن ابن عباس وقتادة وابن زيد حول من هما رجلا القريتين. وقد اختتم الطبري هذه الروايات بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال =

قصر مشيد:

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ (الحج: ٤٥):

يذكر ابن فضل الله العمري أنه في اليمن ثم يضرب أمثلة من قصور اليمن كغمدان وزيدان[١]. وذكر المقدسي أن القصر المشيد هو في أرض جزيرة العرب دون أن يحدد موقعه[٢]. وقيل هو قصر بناه شداد بن عاد بن إرم، ولم يبن في الأرض مثله. وهو على قمة جبل عالٍ لا يرتقى إليه، وهو بالقرب من عدن، ولما مرّت عليه الدهور استملكته الجان[٣]. وقيل: إن بانيه هو جند بن عاد، وذلك لأنه رأى ما نزل بقوم هود من الريح، فعزم على بناء قصر مشيد، فبالغ في تشييده، وانتقل إليه، وكان له قوة عظيمة، فكان يقتلع الشجرة، ويمر بيده في الجبل فيخرقه وكان مولعا بالنساء، فتزوج أكثر من ٧٠٠ إمرأة، ورزق من كل إمرأة ذكرا وأنثى، فلما كثر ولده وقومه طغى في الأرض وتجبّر، وكان يقعد في أعلى قصره مع نسائه فلا يمر به أحد إلا أمر بقتله. فلما كثر فساده أهلكه الله بصيحة جبريل جاءته من قِبل السماء فأهلكته هو وأولاده وقومه[٤]. ويبدو أن عدم معرفة كنه القصر جعلت القصص والأساطير تحاك حوله ويغلب على هذه القصص الانتحال والخرافة.

= جل ثناؤه، مخبرا عن هؤلاء المشركين، وقالوا: لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ والاختلاف فيه موجود».

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٧٣.

(٢) أحسن التقاسيم، ص٧٣.

(٣) ابن إياس الحنفي، بدائع الدهور، ص٧٧؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١١٨ ـ ١١٩؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٨١؛ القرطبي، التفسير، ج١٢، ص٥٠.

(٤) النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٨٦.

حرف الكاف

الكعبة:

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (المائدة: ٩٥)؛

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٩٧):

هو البيت نفسه، لا غير، سمي بذلك لتكعيبه قبل هدمه، وقيل: لتربيعه، وكل بناء مربع كعبة، وقيل لاستطالة بنائه وكل بناء أعلي كعبة[١]. وقال الطبري: إن الكعبة هي الحرم كله[٢]. ﴿وَجَعَلَ﴾ سمى وخلق وصيّر الله تعالى الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم، والقوام للشيء هو الذي به صلاحه ومعاشه. وكانت الكعبة قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم[٣]. وقد ذكر الرواة والأخباريون قصصا كثيرة

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٤، ص١٢١٣؛ القرطبي، التفسير، ج٦، ص٢٠٩؛ الطبري، التفسير، ج١١، ص٨٩ ـ ٩٠؛ عبد القادر بن محمد الأنصاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧٤؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج١، ص٣٥٠. انظر رأي أ.د. محمد بيومي مهران حول معنى الكعبة. (مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، ١٩٩٥، ج٢، ص١٦٧ ـ ١٦٨. وكتابه الآخر: مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) الحضارة العربية القديمة، الإسكندرية، ب.ت.، ص٤٨٧ ـ ٤٨٩.

(٢) التفسير، ج١١، ص٩١.

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٢، ص١٩٦؛ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج٢، ص٢٠٦، ٢٠٧ ـ ٢٠٨؛ البروسوي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٤؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٧٨، ج٦، ص٢٠٩.

عن بناء الكعبة وكيفية بنائها، وتجاوزت بعض هذه القصص حد المعقول والمقبول، وبالغت كثيرا في هذه الحكايات[1]. فقيل: إن الكعبة بنيت على أيدي الملائكة قبل نزول آدم بألفي عام وقيل: بناها آدم وحواء ونسب حديث إلى النبي ﷺ يذكر آدم وحواء وبنائهما للكعبة. ويروى أيضا أنها بنيت على يدي شيث بن آدم، وتبالغ القصص في تبيان كيفية البناء وكيف عرف البناؤون حجم وهيئة الكعبة[2]. وقد اعتبر المستشرقون هذه الروايات والقصص عبارة عن أساطير[3]. ونحن نرى أن وصف أساطير أيضا فيه مبالغة فربما بعض هذه القصص له أصل أو أن بعضها صحيح ولكن أحيط بزيادات رغبة في تعظيم الكعبة. وعلى أية حال فإن الكعبة والبيت قد ارتبطا بإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ومع ذلك الارتباط الوثيق إلا أن الروايات اختلفت في كيفية بناء الكعبة وزمن بنائها وكيف تمكن إبراهيم عليه السلام من تحديد هيئة الكعبة ومن أرشده إلى ذلك. بل أن البعض ذكر أن الكعبة بنيت من أربعة جبال هي حراء ولبنان والجودي وطور سيناء وطور زيتا، وتتعدد الروايات وتكثر التفاصيل التي تبعد عن الواقع[4].

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه القصص والروايات، انظر مثلا: الثعالبي، عرائس المجالس، ص٧٥ ـ ٨٢. انظر كذلك: محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، ج٢، ص١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٧، ص١٤٢؛ علي حسني الخربوطلي، تاريخ الكعبة، بيروت، ١٩٩١، ص١١ ـ ١٤؛ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكة، ١٩٩٧، ص٤١ ـ ٤٢.

(٣) Wensinck, A. J.-[J. Jomier],"Kaʿba", EI^2, vol. 4, p. 321.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول روايات بناء الكعبة، انظر: أبا السعود، المصدر السابق، ج١، ص١٥٩ ـ ١٦٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٠؛ علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص١٧ ـ ٢٠؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) الحضارة العربية القديمة، ص٤٨٩ ـ ٤٩٧.

وقد أثّر البيت الحرام بصورة عامة في تاريخ مكة وتاريخ من سكنها من قبائل العرب، وإن ارتباط تاريخها بقريش والحج والتجارة، ساهم في ازدهار مكة وثراء أهلها[١]. وقال جواد علي حول كثرة الروايات المتعلقة بتاريخ الكعبة ومدينة مكة: «الواقع إن في كثير مما ذكره أهل الأخبار عن مكة ما يناقض بعضه بعضا وما لا يلتئم مع ما يذكرونه عنها وهو في حاجة إلى نقد وغربلة»[٢].

الكهف:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ (الكهف: ٩)؛

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ (الكهف: ١٠)؛

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ (الكهف: ١١)؛

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٦)؛

الكهف لغة هو كالبيت المنقور في الجبل، وهو كالغار إلا أنه أوسع من الغار[٣].

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، القاهرة، ١٩٨٥، ص١١٥ ـ ١٨٢، ٢١٩ ـ ٢٤٣؛ جواد علي، المفصل، ج٤، ص٥ وما بعدها؛ علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص٢٣. وما بعدها؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، ج٢، ص١٧٧ ـ ١٨٢؛ نفس المؤلف، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) الحضارة العربية القديمة، ص٤٩٧ ـ ٥٠٥؛ Wensinck, A. J.-[J. Jomier],"Kaʿba", EI^2, vol. 4, pp. 321-322.

(٢) المفصل، ج٤، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

(٣) الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦١؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص٣٩٧؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٨٠٣.

يروى أن الملك المعاصر لأصحاب الكهف هو دقيوس ويقال: دقيانوس، وكانوا بمدينة للروم اسمها أفسوس[1]. ويقال: إن دقيوس حكم ٦٠ سنة[2]. ويروى أن أصحاب الكهف فتية من الروم، دخلوا الكهف قبل المسيح، فرارا بدينهم، وبعثهم الله تعالى في الفترة بعد المسيح. وكان الملك المعاصر لهم يدعى دقيانوس الذي دعا الناس إلى المجوسية، وقد خرج هؤلاء الفتية في عهد ملك مسلم يدعى بيدوس أو بونياس. ويعرف كهفهم باسم حزوم والجبل الذي فيه الكهف يدعى ناجلوس والمدينة التي كان فيها الفتية هي أفسوس ويقال: هي طرسوس. ويقال: إن دقيوس خلفه على الحكم ملك يدعى جالش مدة ثلاث سنوات أو للیانس ثم قليطانس مدة عشر سنوات[3]. وقيل: إن الكهف يقع بالقرب من بلدة هرقلة المشهورة، إلى الشرق منها، ويعرف بجبل الكهف. وقيل: إنه يعرف بجبل الرقيم، ويروى أن عبادة بن الصامت مر على هذا الجبل في طريقه لمقابلة قيصر الروم، ورأى الكهف وفيه ثلاثة عشر جثة[4]. وقيل: إن الكهف في فلسطين وقيل: في الأندلس قريب من لَوْشة، جهة غرناطة[5].

روت عدد من كتب التفسير أنه لما غزا معاوية بلاد الروم، مر بمنطقة في آسيا الصغرى يقال: إن بها الكهف، فبعث أناسا لينظروا إلى أصحاب الكهف، فلما دخلوا جاءتهم ريح فأحرقتهم. وقد روى هذا الحديث الواحدي في تفسيره من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٠٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٩٥.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٠٩ ـ ١١٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤؛ الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٦ وما بعدها؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٠٢؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٢٨ ـ ١٣٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٥، ص٢٦٦.

(٤) أبو الفداء، المصدر السابق، ص٣٨٣؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠٨.

(٥) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٣؛ القرطبي، التفسير، ج١٠، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف. وقال ابن حجر: أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وأبو بكر من روايه يعلى عن سعيد عن ابن عباس، وإسناده صحيح[١]. ويقال: إن الكهف بالقرب من مدينة طرسوس[٢]. ويروي المسعودي أن الخليفة العباسي الواثق أرسل بعثة إلى بلاد الروم بقيادة محمد بن موسى المنجم ليرى أصحاب الكهف والرقيم، فوجد الكهف في موضع يدعى حارمي أو خارمي. وقيل: في منطقة تدعى الخان على بُعد ثلاثة أيام من طرسوس[٣]. والفتية هم مكسلمينا (أو مكلمسينا) وتمليخا (أو يمليخا) ومرطوس (أو مطرسوس) ونيرويس وكسطومس ودينموس وريطوفس قالوس ومحسيلمينيا، وقيل غير ذلك، بل نسب حديث للنبي ﷺ يذكر أسماء هؤلاء الفتية[٤]. وكما يقول أبو حيان: «أسماء أهل الكهف أعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط، والسند في معرفتها ضعيف والرواة مختلفون في قصصهم وكيف كان اجتماعهم وخروجهم ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى من قصصهم»[٥].

---

(١) الزيلعي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠١، رقم: ٧٣٥؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٢١٣ ـ ٢١٤؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤؛ الواحدي، الوسيط، ج٢، ص١٤٠. وعزا السيوطي إخراجه أيضا إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٣٤.

(٣) القضاعي، كتاب الإنباء بأنباء الأنبياء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٩٨، ص٨٧؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٣٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٩٥. خارم في بلاد الروم، بين عمورية ونيقية. (ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٢١١).

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٨؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص١١٣؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ص٣٧٣؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٠٠؛ المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص١٢٨.

(٥) أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص١٠١.

وقصة أصحاب الكهف عرُفت في المصادر النصرانية اليونانية والسريانية والأثيوبية والأرمنية باسم «نائموا إفسوس السبعة» أو «النيام السبعة»، Seven Sleepers of Ephesus التي تتحدث عن سبعة من الفتيان فروا بدينهم في عهد الإمبراطور الروماني ديكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١م.) ولجؤوا إلى كهف قرب مدينتهم، وهي أفسيس[١]، ومكثوا فيه مدة ثلاثة قرون حتى استيقظوا في عهد الإمبراطور البيزنطي ثيوديسيوس، وهذه القصة مشهورة في المصادر النصرانية، على اعتبار أنها مواجهة بين الكفر والإيمان. ولكن تختلف طريقة العرض عن القصة القرآنية من حيث أن الأهالي قد اكتشفوا غياب هؤلاء الفتية ثم أمر الملك بالبحث عنهم بعد الضغط على آبائهم وإجبارهم على التخلي عنهم. وقد علم الملك أن الفتية قد اختفوا في كهف في جبل قريب يدعى Anchilus، فأمر بالتفتيش عنهم ثم وجدهم في أحد الكهوف، حينها أمر بسد باب الكهف بصخرة كبيرة، وتوفي الفتية بالداخل. وقد قام اثنان من النصارى بكتابة قصة هؤلاء الفتية على لوحة من المعدن ودفنها تحت الصخرة العظيمة. وتواصل القصة النصرانية الحديث عن اكتشاف الكهف بعد ٣٠٧ سنوات في عهد الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيس. وكان اكتشاف الكهف قد جاء لإثبات أن الله تعالى سوف يعيد الأرواح إلى الأبدان بعد الوفاة، يوم البعث والنشور، وكان ينكر هذه العقيدة عدد من النصارى المتمردين من أمثال القسيس ثيودور، فبعث الله تعالى له ملكا على هيئة رجل يقوم ببناء حظيرة للأغنام بالقرب من مدخل الكهف، وهناك قام البناؤون بنقل الحجارة

(١) مدينة يونانية مشهورة، على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، على الجانب الجنوبي من نهر قيسطرة (كايستر) بالقرب من مصبه، وتبعد ٦٠ كم من أزمير، وهي تقع في مقابل جزيرة ساموس، ولها ميناء صناعي مهم. ويعني الاسم في اليونانية «المرغوبة». اشتهرت بعمائرها ومبانيها الجميلة ومعابدها وأسواقها. وللمدينة مكانة في الأساطير والآداب اليونانية والديانة النصرانية من حيث كنيستها وعقد عدد من المجامع الكنسية فيها. ولها تاريخ موغل في القدم. («أفسس» في دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨؛ بطرس البستاني، «أفسوس»، في دائرة المعارف، ج٤، ص٤٦ ـ ٤٧؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٩٢ ـ ٩٣).

المتراكمة بالقرب من الباب، حتى انكشف، وأيقظ الله تعالى الفتية، وكأنهم ناموا ليلة واحدة فقط ويذهب أحدهم إلى البلدة لشراء الطعام والاستفسار عن الأوضاع، حينها ينكشف أمرهم ويعرف أهل السوق أن هؤلاء هم الفتية الذين اختفوا قبل أكثر من ٣٠٠ سنة ويتبعونه إلى الكهف بين مصدق ومكذب ويعثروا على البقية تعلوا وجوههم السكينة والوقار والنور ويعثر الناس كذلك على لوحتي المعدن، وبعد ذلك مات الشباب الموتة النهائية. ويقوم الإمبراطور بزيارة الكهف ليرى بنفسه كيف يحيي الله الموتى(١). ومع ورود هذه القصة واشتهارها في عدد من المصادر النصرانية إلا أنها أثارت عند الكثيرين منهم، خاصة المُحْدَثِين، شكوكا حول حقيقة وقوعها وزمنها وأبطالها ومن هو الملك الذي لجؤوا في أيامه إلى الكهف ومن هو الذي خرجوا في أيامه. خاصة أن الملك ديسيوس حكم بين سنتي **٢٤٩** و**٢٥١**م. وكان حكمه قصيرا، مشغولا فيه بالصراع مع القبائل المتبربرة في أوربا، وحكم ثيوديسيوس الثاني بين عامي ٤٠٨ و٤٥٠م. وهي أقل من فترة **٣٠٩** أو **٣٠٧** سنة. وصنّف أغلبهم هذه القصة ضمن الأساطير وشك البعض في حقيقة حدوثها(٢). ويرى البعض أن هذه الحادثة وقعت في عهد الإمبراطور الروماني المعروف هادريان (١١٧ ـ ١٣٨م) الذي قام بجولات في الولايات

---

(١) أغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث، ج١، ص١٨٧ ـ ٢٠٤؛ أغناطيوس زكا الأول عيواص، صفحات مشرقة، ج١، ص١٢٠ ـ ١٢١؛ ميخائيل السوري الكبير، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩ ـ ٢٧٣؛

Guidi, L.,"Seven Sleepers", Ency. of Religion and Ethnics, vol. 10, pp. 428-429; Paret, R."Aṣḥāb Al-Kahf", EI[2], vol. 1, p. 691.

يذكر ابن كثير أن الأهالي لما ظفروا بأصحاب الكهف ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه، قالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم، فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم. (التفسير، ج٥، ص١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) أغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث، ج١، ص٢٠٠ ـ ٢٠٢؛

Kazhdan, A. "Seven Sleepers", Britannica, vol. 10, p. 666; "Seven Sleepers of Ephesus", Ency. Americana, vol. 24, p. 596; Wensinck, A. J.,"Aṣḥāb Al-Kahf", EI[1], vol. 1, p. 479.

الشرقية للإمبراطورية، وهو الذي قضى بعنف وشدة على ثورة اليهود في فلسطين وبيت المقدس في عام ١٣٥م[1]. ومع صحة ما قيل من قيام هادريان بإخماد ثورة اليهود وقيامه بجولات في الولايات الشرقية، إلا أنه لم يشتهر عن هذا الإمبراطور قيامه بتعذيب وقتل النصارى، بل عُرف عنه التسامح معهم وعدم الالتفات إليهم إلا في حالة مخالفتهم لقوانين الدولة.

وبالمقارنة بين قصة هؤلاء الفتية في المصادر النصرانية وفي المصادر الإسلامية نجد تشابها كبيرا في عدة أمور مثل كون الحادثة وقعت في إفسوس وأنها حدثت في عهد الإمبراطور الروماني الوثني ديكيوس وأن الفتية خرجوا من بلدتهم فرارا بدينهم وأن جنود الملك الظالم عثروا عليهم في الكهف بعد أن تتبعوا أحدهم، وقد أمر الملك بسد مدخل الكهف عليهم عقابا لهم، وأنهم لبثوا مدة طويلة في الكهف. بل أن أسماء الفتية تكاد تكون نفسها المذكورة في المصادر الإسلامية ولكن باللفظ العربي مثل مكسلمينا Maximilian (أو مكلمسينا) وتمليخا (أو يمليخا) Jamblichus ومرطوس Martin (أو مطرسوس) ونيرويس وكسطومس Constantine ودينموس أو دوانوانس Dionysius[2]. وهذا يؤكد نقل المؤلفين والرواة من مصادر سريانية أو يونانية قصة الفتية، أو روايتها عن أهل الكتاب أصحاب تلك المصادر.

---

(١) أبو الحسن الندوي، تأملات في سورة الكهف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٦ ـ ٣٨؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٦، ص٣١٦٤.

(٢) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص١٤٤؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢١٦ ـ ٢١٧؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣، ص١٩٣ ـ ١٩٤؛

"Seven Sleepers", Britannica, vol. 10, p. 666.

انظر مناقشة البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص لأعداد الفتية وأسمائهم في المصادر السريانية في كتابه بحوث، ج١، ص٢٠٤ ـ ٢٠٦. وقد ذكر الألوسي رواية عن ابن عباس أن هؤلاء الفتية كانوا في زمن ملك من الجبابرة، فروا بدينهم ولجأوا إلى الكهف، وبدأ الملك يتتبع أخبارهم حتى عرف أنهم مختبئون في كهف قريب، وأحس الملك أنه سيكون لهؤلاء الفتية شأن كبير، لذا أمر بسد باب الكهف عليهم، =

وفي عام ١٩٥٣ عثر الباحث الأردني محمد تيسير ظبيان على كهف قريب من مدينة عَمان، اعتقد أنه هو الكهف المقصود في قصة أصحاب الكهف، وهذا ما كان شائعا بين الأهالي في الأردن، وهو يقع بالقرب من قرية يسميها البدو «الرجيب»، في منطقة البصة الواقعة على بُعد ١٠ كم من عمان، إلى الغرب منها. وقد أجرى ظبيان عددا من الاتصالات بدائرة الآثار الأردنية التي قامت بعد مدة بالتنقيب في الكهف. ويرى المؤلف أن هذا الاكتشاف أعظم اكتشاف تاريخي وآثاري في القرن العشرين. وكانت من أهم نتائج البحث والتنقيب ما يلي[1]:

= وأمر بكتابة أسمائهم على لوح من رصاص، وجعله في خزانته للتأريخ. وقد عزا الألوسي إخراج هذه الرواية إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. (روح المعاني، ج١٥، ص٢١٧). وأيضا يورد الألوسي رواية يعزو إخراجها إلى ابن أبي حاتم وعبد الرزاق وابن المنذر عن وهب بن منبه، وهذه القصة تشابه القصة المروية عن ابن عباس. (الألوسي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢١٧). ويذكر عبد الرزاق عن وهب أن أحد حواريي عيسى عليه السلام أتى مدينة الفتية يدعو إلى الله فآمن به هؤلاء الفتية، فهددهم الملك الكافر، ففروا بدينهم ولجأوا إلى الكهف، وقد أمر الملك بسد مدخل الكهف. (التفسير، ج٣، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨). وفي سند عبد الرزاق عن وهب، إسماعيل بن شَرْوَس، الذي اتهمه معمر بن راشد بالكذب ووضع الحديث، وضعفه الإمام أحمد. ولكن ابن احبان ذكره في كتابه: الثقات. (انظر: أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج١، ص٣٢٠؛ ابن حبان، الثقات، حيدرآباد، ١٩٨٠؛ ج٦، ص٣١؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج١، ص٤١١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٢٣٤؛ سؤالات أبي داوود للإمام أحمد، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة، ١٩٩٤، ص٢٤٠، رقم: ٢٤٥). لمزيد من هذه القصص انظر: الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص١٨٦ ـ ١٩١؛ النويري، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٦٨ ـ ٢٧٢.

(١) محمد ألتونجي، معجم أعلام القرآن الكريم، ص٥٥؛ محمد تيسير ظبيان، أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى، القاهرة، ١٩٧٨، ص٦٤ ـ ٦٧، ٧٣. انظر كذلك: حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٧٦، ٧٩؛ محمد محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دمشق، ٢٣٣. يقول أبو حيان: «أن في الشام كهف فيه موتى، ويزعم مجاوروه أنهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة». (المصدر السابق، ج٦، ص١٠٢).

(١) العثور على ثمانية قبور أربعة في الجهة الشرقية وأربعة في الجهة الغربية للكهف.

(٢) وجدت في الجهة الشمالية مقصورة متسعة، يعتقد الباحث أنها الفجوة الوارد ذكرها في القرآن الكريم.

(٣) العثور على بقايا آثارية لمسجد، يعتقد أنه هو المقصود في الآية.

(٤) العثور على مسجد ثان في الجهة الجنوبية للكهف.

(٥) وجد في واجهة الكهف عمودان مزخرفان، وطراز بنائهما ربما يعودان زمنيا إلى القرن الثالث الميلادي.

(٦) العثور على نقود نحاسية وفضية رومانية وبيزنطية وأموية وعباسية وعثمانية، وقلائد وأساور وخواتم وخرز.

(٧) وجد جماجم وهياكل عظمية لم تعرف أزمانها بعد.

(٨) برزت على جدران الكهف كتابات يونانية وعربية بالخط الكوفي. بعضها أشارت إلى أن المسجد الثاني قام بتجديده الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون، حاكم مصر. ويوجد نقش آخر يورد أن المسجد قد جدد أيضا في سنة ١١٧هـ، واعتمادا على هذا التاريخ يعتقد أن المسجد ربما بني في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك ابن مروان، ثم جدد أيضا في سنة ٩٠١هـ، وفي سنة ٩١٥هـ.

(٩) عثر على عبارة محفورة في الصخر بالخط الكوفي، تطلق على الكهف اسم «كهف ابن حوا». ووجد هذا الاسم أيضا منقوشا على بلاطة تاريخ المسجد الثاني بتاريخ ٢٧٧هـ. ويؤكد الباحث أن قصة أصحاب الكهف قد حدثت إبان عهد الإمبراطور الروماني تراجان، على اعتبار أنه أحد طغاة الأباطرة العابدين للأوثان الملاحقين للموحدين، وهو الذي أصدر مرسوما يقضي بقتل كل من يرفض عبادة الأوثان وتقديم القرابين لها[١].

---

(١) محمد تيسير ظبيان، المرجع السابق، ص٣٤ ـ ٣٥.

مع العلم أن هذا الإمبراطور كان من أقل أباطرة الرومان مواجهة مع النصارى وقد ناقشنا هذه المسألة سابقا.

ويؤكد السيد ظبيان أن هذا الكهف هو كهف الفتية، ويأخذ على عدد من المفسرين والمؤرخين والجغرافيين المسلمين تحديدهم لكهف مدينة إفسوس في آسيا الصغرى. ويستشهد بأبيات لكثير عزة يذكر فيها «الموقر» و«الرقيم» وهما موضعان قريبا من عَمان، والرقيم هي نفسها قرية «الرجيب»، وأن الكهف هذا ذكره أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار وأنه قد صلى في مسجده المجاور. كما يدلل على صحة رأيه إلى أقوال عدد من الأجانب الذين زاروا الكهف. وكذلك يقول: إن الكهف يتجه إلى الناحية القبلية والشمس تطل عليه حين تشرق ولكنها في نفس الوقت لا تنفذ إلى داخله، وأن المسجد الوارد في الآية هو المسجد الذي تم العثور عليه بالقرب من الكهف. ويعقد الباحث مقارنة بين كهف إفسوس وكهف الرقيم هذا مثل: أن كهف إفسوس لا يوجد عنده مسجد، وأن في الكهف وجدت مئات المدافن المبنية من الطوب بينما كهف الرقيم فيه فقط ثمانية مدافن محفورة في الصخر وهي بيزنطية كما تدل على ذلك الزخرفة والنقوش والنقود. ولا توجد في كهف إفسوس أي نقوش أو كتابات بينما كهف الرقيم فمملوء بالكتابات المتعددة. وكهف إفسوس يقع في الشمال الشرقي فبالتالي لا يمكن لأشعة الشمس السطوع عليه، ولا توجد فيه فجوة كما في كهف الرقيم. ويستدل أيضا بقصة سعيد بن عامر أثناء توجهه لفتح الشام في خلافة عمر ومروره بكهف الرقيم هذا[1].

وعلى الرغم من هذه الأدلة إلا أنها لا تدل بصورة قاطعة على أن كهف الرقيم هو الكهف المعني، بسبب أن عددا من الرواة والمفسرين والمؤرخين كانوا يرون أن البتراء هي الرقيم وليس هذا. كما أن لفظة (المسجد) الواردة في الآية لا تعني بالضرورة المسجد الإسلامي المعروف، ولكن مكان العبادة

---

(١) محمد تيسير ظبيان، المرجع السابق، ص٤٣، ٤٨ ـ ٤٩، ٥٠ ـ ٥١، ٩٣ ـ ٩٤، ٩٦ ـ ٩٨، ٩٩ ـ ١٠٥.

ربما كنيسة أو معبد. ووجود مثل هذه الكتابات لا يعني أنها في الكهف الصحيح، خاصة أنها لم تشر صراحة إلى كونه كهف أصحاب الكهف. ولا تعد زيارات الكثيرين للكهف دليل على صحة هذا الرأي، إلا أننا نرجح أنه قد شاع بين الناس في فترة من الفترات أنه كهف أصحاب الكهف. وحتى القبور الثمانية لم يبين الكاتب هل عثر فيها على هياكل عظمية أم هي مجرد توابيت حجرية.

ويرى العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن ما ذكر في سبب نزول سورة الكهف من علم اليهود بأهل الكهف وجعلهم العلم بأمرهم أمارة على نبوءة الرسول ﷺ، يبعد أن يكون أهل الكهف هؤلاء من النصارى، نظرا لأن اليهود يتجافون عن كل خبر فيه ذكر للنصرانية. وأنه من المحتمل أن اليهود كانوا يقصدون حادثة أصابت اليهود. ويذكر محمد الطاهر بن عاشور أنه يوجد في مكان بأرض سكرة قرب المرسى، من أحواز تونس كهوف، قال البعض أنها كانت مخابئ لليهود كانوا يختفون فيها من اضطهاد الرومان. كما يقول أنه يجوز أن يكون لليهود والنصارى حوادث وقصصا لصالحيهم عرفوا بأهل الكهف[1].

(١) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٥، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥. ويذكر النويري حديثا عن وهب بن منبه يرويه عن النبي ﷺ: «إن نزول عيسى بن مريم عليه السلام علم للساعة، وإن الله يبشّرهم عند عيسى بن مريم عليه السلام، وإنه يحج في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا» (المصدر السابق، ج٢٥، ص٢٧٢) وهذا الحديث مرسل، كما أنه يخالف صريح القرآن في كون أصحاب الكهف قد ماتوا.

حرف الميم

مبوأ صدق:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (يونس: ٩٣):

بوّأنا أي أسكنا بما لنا من العظمة، ومعنى ﴿صِدْقٍ﴾ أي فضل وكرامة منه وقيل مكان صدق الوعد وكان وعدهم فصدقهم الوعد، وقيل: صدق تصدّق به عليهم لأن الصدقة والبر من الصدق والبر من الصدق، وقيل: أي منزلا صالحا مرضيا محمودا، وعن الضحاك أنه مصر والشام، وعن قتادة أنه الشام وبيت المقدس، أو الشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه أو الأرض المقدسة أو ما فتح الله على بني إسرائيل من أرض فلسطين أو المقصود ما أنزلهم الله تعالى في مصر في السابق ثم لاحقا في فلسطين[١]. وقال البعض: إنهم اليهود المعاصرون للنبي ﷺ، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، ومنزل الصدق هو ما بين المدينة والشام[٢].

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٩٨٥؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٠؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٧، ص٢١٦؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٢٢٩؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص١٩٠؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١١، ص١٨٩؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٩؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٢٥٢؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٧٥؛ الطبري، التفسير، ج١٤، ص١٩٨ ـ ١٩٩؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١١، ص٢٨٢؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١١، ص٢٥٨. عزا السيوطي إخراج أثري الضحاك وقتادة إلى عبد الرزاق (التفسير، ج٢، ص٢٩٧) وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر. (الدر المنثور، ج٣، ص٣١٦).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٦٢؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٥، ص١٩٠؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١١، ص١٨٩؛ عبد الرحمن بن مخلوف =

مجمع البحرين:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ (الكهف: ٦٠):

روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: بحر فارس والروم، وروى ابن أبي حاتم عن السدي أنهما: الكر والرس حيث إنهما يصبّان في البحر، وقيل عند طنجة وقيل: هما بحرا الأردن والقلزم أو الكر (الكتر) والرس في أرمينيا. وقيل: هما بحر المغرب وبحر الزقاق[١]. وقيل: إن مجمع البحرين هما مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية، وقيل: أفريقية[٢]. وقيل أن ملتقاهما البحر الأحمر والبحر المتوسط[٣]. ويبدو أن من أبعد المكان عن شبه جزيرة سيناء فقد أخطأ، نظرا لكون موسى عليه السلام وقومه كانوا في سيناء بعد خروجهم من مصر. والأرجح أن مجمع البحرين هو خليج السويس وخليج العقبة، وملتقاهما هو رأس شبه جزيرة سيناء، عند طرفها الجنوبي حيث يتفرع عندها البحر الأحمر إلى فرعين يذهبان شمالا ويحصران بينهما شبه جزيرة سيناء. وهذا الرأس صخري، تكثر فيه الصخور والآكام وتتشابه فيه معالم الصخور[٤].

= الثعالبي، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١١، ص٢٨٣؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١١، ص٢٥٩.

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٧٥، ٢٣٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٥٢٣؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٥، ص٣١٢؛ السدي، التفسير، ص٣٣٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٠٣؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٧٣؛ عبد الرزاق، التفسير، ج٢، ص٤٠٥؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٤٦٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٠ ـ ٥١.

(٢) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٧، ص٢٣٧٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٥، ص٣٦٢.

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص٥٩.

(٤) محمد بكر إسماعيل، المرجع السابق، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦. انظر كذلك: محمد ألتونجي، معجم أعلام القرآن الكريم، ص٢٠٣.

المحراب:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ (آل عمران: ٣٧)؛
﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ (آل عمران: ٣٩)؛
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ (مريم: ١١)؛

قيل: إن زكريا بنى لها محرابا أو غرفة في المسجد يصعد إليها بسلم، وقيل: هو أشرف المجالس ومقدمتها، كأنما وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس، وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب[١]. وسُمي بذلك لأن الإنسان يحارب فيه شيطانه وهواه أو لأنه من حق الإنسان أن يكون حريباً من أشغال الدنيا ومن توزع الخاطر. أو بمعنى آخر هو بناء يتخذه أحد ليخلو فيه بتعبده وصلاته، وأكثر ما يتخذ في علو يرتقى إليه بسلم أو درج، وهو غير المسجد[٢]. ثم أطلق المحراب عند المسلمين على موضع كشكل نصف قبة، يجعل بموضع القبلة ليقف فيه الإمام للصلاة. وأول محراب في الإسلام محراب مسجد الرسول ﷺ الذي صنع في خلافة الوليد بن عبد الملك[٣]. وورد في سورة سبأ لفظ ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ فقيل هي القصور

---

(١) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص١٨٨؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٤٥٧؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٢؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٤٢٧؛ الطبري، التفسير، ج٦، ص٣٥٧؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٢١٢.

(٢) انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦؛ الجوهري، المصدر السابق، ج١، ص١٠٨ ـ ١٠٩؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٢٥؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧. حول المحاريب في العمارة الإسلامية، انظر: أحمد رجب محمد، «المحاريب»، الأزهر، ج٣، س. ٦٣، (أكتوبر ١٩٩٠)، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢، ج٥، س. ٦٣ (نوفمبر ١٩٩٠)، ص٥٥٢ ـ ٥٥٦؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٩٥؛
Cresmell, Early Moslem Architecture, Cairo, 1955.

لارتفاعها، ومنه محاريب غمدان. وقيل: المحاريب صور الملائكة والأنبياء كانت تصور في المساجد ليراها الناس. وقيل: أن محاريب بني إسرائيل هي مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها أو التي يجتمعون فيها للصلاة، أو هي بنيان دون القصور أو قصور ومساجد أو هي قصور حصينة، ومساكن شريفة[1]. وخروج زكريا من المحراب أي من المسجد وقيل من مصلاه أو من مبنى الصلاة أو من الغرفة[2]. وقيل: إن المحراب هو نفسه المذبح، والمذبح هو عبارة عن مقصورة في مقدم المعبد، لها باب يصعد إليه بسلم ذي درجات قليلة، ويكون فيه الشخص محجوبا عمن في المعبد[3]. ويفهم من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾. (ص: ٢١) أن داوود عليه السلام كان في مكان عبادته أو مصلاه أو في مكان خلوته، وكان هذا المكان مسورا ومرتفعا. على اعتبار أن المحراب يعني المكان المرتفع الشريف[4].

محله:

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ (الفتح: ٢٥):

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٥؛ أبو السعود، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٥؛ الجوهري، المصدر السابق، ج١، ص١٠٨؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧؛ الزمشخري، الكشاف، ج٣، ص٢٨٢؛ الطبري، التفسير، ج٢٢، ص٧٠.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص٤٣٥؛ البيضاوي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص٥٣.

(٣) محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٣؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٣، ص١٤٢، ج١٦، ص٣٧. ويروي الألوسي أن النبي ﷺ قد نهى عن اتخاذ المذابح في المساجد تشبها بالنصارى. (المصدر السابق، ج٣، ص١٤٦).

(٤) الزبيدي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤.

قيل: مكة أوالحرم أو البيت[1]، وقال كثير من المفسرين: إن محل ذبح الهدي هو منى[2]. وهي أحد مشاعر الحج وأقربها إلى مكة، ينزله الحاج يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة ويقيم فيه إلى اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر، وبه الجمرات الثلاث ومسجد الخيف ومسجد المرسلات ومسجد الكبش ومسجد الكوثر. وسمي المكان بمنى لما يُمنى به من الدماء أي يراق. وقيل: لأن آدم، عليه السلام، تمنى فيه الجنة. وقال ابن الأعرابي: أمنى القوم ومنّى الله الشيء قدّره وبه سمي منى. وقيل: سمي منى لأن الكبش مني به أي ذبح، وقيل: أخذ من المنايا، وهي بليدة صغيرة على فرسخ من مكة[3].

المدائن:

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ (الأعراف: ١١١)؛

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (الشعراء: ٣٦)؛

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (الشعراء: ٥٣):

جمع مدينة، وترد في القرآن مرة في معرض إرسال فرعون لإحضار السحرة من مدن مصر لمواجهة موسى عليه السلام، ويقال هي مدائن صعيد مصر وكانت مقر العلماء بالسحر، أو هي كل مدائن وحواضر مصر العظيمة، مثل منف وطيبة وغيرهما. ومرة في معرض خروج موسى عليه السلام وقومه من مصر وملاحقة فرعون وجنوده لهم، وندائه في مدن مصر بضرورة إخضاع هؤلاء الفارين، والمدن المعنية هنا هي المدن التي كانت يومئذ تحت حكم

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٤٦٢؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص١٨٧؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص٩٥ فما بعدها؛ القاسمي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٩.

(٢) أبو السعود، المصدر السابق، ج٨، ١١١؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٢٦، ص١١٣؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٨٤.

(٣) انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٨، ص٢٦٩ ـ ٢٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠.

فرعون أو المدن التي من المظنون مرور بني إسرائيل بها أثناء فرارهم[1].
وقيل: إن فرعون أرسل إلى سحرة مدينة بوصير لاشتهارها بالسحر وقيل بل أن بلدة دلاص هي مجمع سحرة مصر، ومنها قدموا إلى فرعون[2].

مدخل صدق ـ مخرج صدق:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ (الإسراء: ٨١):

المدخل هو المدينة، والمخرج هو مكة، أو أدخلني المدينة وأخرجني إلى مكة لفتحها أو المدخل والمخرج هو مكة، وقيل: إن المدخل هو الجنة وأن المخرج هو من مكة إلى المدينة. وقيل: إن المدخل والمخرج هو غار ثور، وقيل: إن المدخل هو مكة والمخرج هو حنين. ووردت أقوال أخرى غير مكانية مثل المدخل هو الدين والمخرج هو الدنيا[3]. وقال ابن عباس إن

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٠؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥١٩؛ الدامغاني، المصدر السابق، ص٤٣٠؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٤٠؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٤٤، ج١٩، ص١٢٩ ـ ١٣٠؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١٩، ص٦٦.

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٢٣٦؛ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦١٢؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٤. بوصير بلدة من بلدات الأشمونين، اندثرت، وقد كانت واقعة بجوار الجبل الغربي في الشمال الغربي للأشمونين التي بمركز ملوى بمديرية أسيوط وعلى بُعد ١٤ كم منها. (ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص١١٧؛ محمد عثمان رمزي، المرجع السابق، ق. ١، ص١٨٠). ودلاص بلدة ومنطقة في صعيد مصر، تقع على غربي النيل. وهي من القرى المصرية القديمة. وكانت واقعة على نهر النيل، ولذا سماها الرومان **Nilopolis** أي مدينة النيل. وقد تحول النيل عنها إلى الشرق من زمن بعيد. (محمد عثمان رمزي، المرجع السابق، ق. ٢، ج٣، ص١٥٩ ـ ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢. ص٥٢٣).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٧٧ ـ ٧٨؛ الطبري، التفسير، ج١٥، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

رسول الله ﷺ كان بمكة ثم أمر بالهجرة، وأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[1] (الإسراء: ٨٠).

مدين:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف: ٨٥)؛

مَدَن لغة الإقامة بالمكان، ومدين اسم أعجمي، وإن اشتق من العربية فمعنى ذلك أن «الياء» زائدة[2]. وهم ولد مدين أو مديان بن إبراهيم من امرأته قطورا، وكان قد اتخذها لنفسه مسكنا فنسبت إليه. وقد عاش مدين عمرا طويلا، وتزوج امرأة من العمالقة فولدت له أربعة بنين، ونسلوا، فكثر عددهم في حياة مدين نفسه. ويروى أنه أمرهم ببناء مدينة حصينة سموها مدين[3]. وتقع أرض مدين في الشام تلقاء غزة، ليست بعيدة عن أرض معان، وهي قريبة من بحر القلزم (الأحمر)، على بُعد ٧٣ كم. وكان بينها وبين مصر ٨ أيام، كما بين الكوفة والبصرة[4]. ويمتد ساحل مدين على طول

---

(١) الإمام أحمد، المسند، برقم: ١٩٤٨؛ مرويات الإمام أحمد في التفسير، ج٣، ص٨٧. وقد قال محقق وجامع تفسير الإمام أحمد: إن إسناد الحديث حسن، وعزا إخراجه إلى الترمذي والحاكم من طريق جرير به، وقال الترمذي حسن صحيح (السنن، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم: ٣١٣٩)، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي. وأن للحديث شواهد عن الحسن وقتادة وابن زيد. وفي سند الحديث قابوس بن أبي ظبيان، وفيه لين، ولكن تصحيح الأئمة له يدل على أنه من جيد حديثه. حول قابوس، انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤٤٩؛ رجال تفسير الطبري، ص٤٥٠؛ من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال، ص٧٠، رقم: ١٩٣.

(٢) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج١٣، ص٤٠٢؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٩، ص٣٢٨؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص٢٧٠.

(٣) السهيلي، التعريف والإعلام، ص٧٨؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص١٦٧؛ الطبري، التفسير، ج٨، ص٢٣٧.

(٤) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٠١؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٨، ص١٧٥؛ البروسوي، المصدر السابق، ٦، ص٣٩٣؛ عاتق بن غيث البلادي، =

خليج العقبة لمسافة حوالي ٢٠٠ ميل إلى الجنوب، ومن رأس الخليج إلى الشمال نحو ٣٦ ميلا، وهو ساحل متعرج[١]. وعلى هذا الساحل تقع المدينة القديمة لمدين، التي سماها بطليموس ويوسيبيوس موديانا Modiana ومودونا Modouna[٢]. ولعلها هي مودين Modin الواردة في سفر المكابيين الأول[٣].

ومدين أكبر من تبوك، وتبعد عنها ٢٢٠ كم. وهي على العموم تقع على تخوم الحجاز الشمالية مع بلاد الشام[٤]. أما المقريزي فيجعل مدين من أرض مصر وليس من أرض الشام[٥]. والبعض جعل مدين تقع بين منطقة شاسعة تمتد بين طور سيناء ونهر الفرات[٦]. واعتبر البعض أن مدين من أعمال المدينة المنورة، وتابعة لها[٧]. وعلى حسب تحديد العهد القديم فإن

= معجم قبائل الحجاز، مكة، ١٩٧٩، ج٢، ص٤٤٧؛ نفس المؤلف، معجم معالم الحجاز، ج٨، ص٦٨؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤١٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩٢. يدعي زياد منى أن مدين ربما هي المدينة في القنفذة أو المدان في إقليم عسير. وهو بالتالي يتبع كمال صليبي في اعتقاد أن قصص بني إسرائيل جرت في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية اعتمادا على التشابه في أسماء المواضع والمواقع. (جغرافية التوراة، ص١٥٩).

(١) NNBD, p. 833; Western Arabia and the Red Sea, Geographical Handbook Series, London, 1939/1945, pp. 126-127.

(٢) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٤٤٧؛ Buhl, F. [Bosworth, C. E.], Madyan Shuʿayb", p. 1156; Froster, C., The Historical Geography of Arabia, London, 1984, vol. 1, pp. 322-323.

(٣) كمال الصليبي، البحث عن يسوع، ص٣٧؛ Buhl, Fr.,"Madyan S_huʿaib", EI[1], vol. 5, p. 104.

(٤) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١. ص٦٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٥٢؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢٧.

(٦) محمد إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص١٩٩.

(٧) قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، بيروت، ١٩٨٨، ص٦٨.

المديانيين قد بنوا مستوطناتهم إلى الشرق من الحافة الشمالية للبحر الأحمر. على طول خليج العقبة[1]. وقيل: إن مدين اسم عربي لماء كانوا عليه، وقيل: اسم بلد وجعل اسما للقبيلة، وهو الأرجح[2]. وقال البعض: إنهم هم أصحاب الأيكة[3]. ويقال: إن بلدة البِدْع الحالية تشغل ما كان يعرف بمدين. وهذه البلدة تقع إلى الغرب من تبوك، على بُعد ٢٢٠ إلى ٢٥٠ كم، وتقع إلى الشرق من خليج العقبة، على بُعد ٧٠ كم، وبها مكان يعرف بمصلى شعيب، وآثار نبي الله شعيب المعروفة بمغاير شعيب، وهو موضع فيه آثار ومجموعة من القبور القديمة[4].

وقيل: إن مدين هي قرية كفر مندة الواقعة بين طبرية وعكا، وبها البئر الذي استقى منه موسى عليه السلام، ويقال: بأن بها قبر صفورة زوج موسى، وفيها ولد ولدان ليعقوب، يقال: لهما أشير ونفتالي. ويقال: إن في بادية طبرية عدد من قبور الأنبياء كشعيب عليه السلام[5]. ولا شك هذا التحديد بعيد عن الواقع التاريخي، نظرا لأنه يجعل مدين في أرض الشام

---

(١) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٤٤٨؛ Eissfflft, O.,"Palestaine in the Time of the 19th Dynasty: (a) The Exoduscud Wanderings", CAH, vol. 2 (2), p. 325; Negev, A., op.cit., p. 211.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١٢، ص١١٤؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٥، ص٣١٣؛ القرطبي، التفسير، ج٧، ص١٥٨.

(٣) ابن أيبك الداواداري، كنز الدرر وجامع الغرر: ج٢ ـ الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، تحقيق: إدوارد بدي، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٢٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٠٧؛ Buhl, F. [Bosworth, C. E.], Madyan Shuᶜayb, p. 1156.

(٤) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ١، ص١٧٣، ق. ٣، ص١٢٤٣ فما بعدها؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٨٤؛ نفس المؤلف، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٩٣؛ Buhl, F. [Bosworth, C. E.], Madyan Shuᶜayb, p. 1156.

(٥) ابن جبير، المصدر السابق، ص٢٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٩٢، ج، ص٥٣٥.

بعيدة عن سيناء حيث لجأ موسى فارا من فرعون وحيث وصل وقومه بعد ذلك، وتاهوا في الصحراء.

وذكر البعض أن ملوك مدين الذين هلكوا يوم الظلة[١] هم أبجد (أو أبو جاد) وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت. وأن أخت كلمن قالت شعرا ترثي أخاها. وقد كان أبجد يحكم مكة وماولاها من أرض الحجاز، وهوز وحطي بأرض الطائف، وكلمن وسعفص وقرشت بأرض مصر[٢]. أما بخصوص الشعر لا ندري كيف وصل إلى الرواة مع الفارق الزمني الشاسع بين مدين وبين فترة رواية الشعر، كما أن الشعر مروي بكلمات عربية فصيحة، ربما لا نعرف الصلة بين لغة مدين واللغة العربية المعروفة. إضافة إلى أن أسماء الملوك هي عبارة عن حروف الهجاء في عدد من اللغات السامية كالعبرية والسريانية. ولقد كان المديانيون قوما تجارا، يتاجرون بالذهب والبخور مع اليمن، وبعضهم كانوا بدوا قاموا بمهاجمة بني إسرائيل في فلسطين في عصر القضاة. وسكن فرع من المديانيين بالقرب من جبل سيناء[٣]. وقد أطلق عليهم بعض المؤلفين الرومان واليونانيين لفظة Saraceni أي عرب أو بمعنى آخر بدو على سكان مدين من الإسماعيليين والمديانيين[٤]. ولهذا قال البعض: إن المديانيين عرب[٥].

---

(١) وهو اليوم الذي أصابهم فيه حر شديد مدة سبعة أيام، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم. (ابن كثير، التفسير، ج٣، ص٢٩٨).

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٧١؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٨٣.

(٣) جواد علي، المفصّل، ج١، ص٤٥٤ - ٤٥٥، ٤٥٦؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٤٤٧. - ٤٤٨؛
Bettam, I.,"Midian", UJE, vol. 7, pp. 537-538; NNBD, pp. 833, 835.

(٤) جواد علي، المفصّل، ج١، ص٢٧.

(٥) بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٥، ص٣١١؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، ص٤٤٧.

وقد بعث الرسول ﷺ سرية إلى مدين أميرهم زيد بن حارثة فأصاب سبيا منهم. وقد استقرت قبيلة جذام في أرض مدين[1]. ولذلك يقال: إن شعيبا عليه السلام أحد بني وائل من جذام. ويذكر بعض النسابة أن جذام من ولد يعفر بن مدين بن إبراهيم، ويوردون حديثا للنبي ﷺ يقول فيه لوفد جذام: «مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له»[2]. والوضع في هذا الحديث ظاهر بيّن، خاصة أنه من مرويات ابن الكلبي، وهو تالف، لا تقبل رواياته. كما أنه يتعارض مع الحديث الحسن الذي يرويه الترمذي عن فروة بن مسيك المرادي عن النبي ﷺ من أن جذام من نسل سبأ، الذين هاجروا من اليمن واستقروا في الشام[3]. كما أنه في السيرة لم يرد ضمن الوفود ذكر وفد قبيلة جذام، سوى قدوم شخصين أحدهما وفادة رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذامي الذي ذُكر بأنه أهدى للنبي ﷺ عبدا، والثاني فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي الذي بعث إلى النبي ﷺ بإسلامه وأهدى إليه بغلة بيضاء. وفي الروايتين علل الانقطاع وضعف الإسناد، فبالتالي فالروايتان ضعيفتان[4]. إذن فإننا لا نرى نسبة أو علاقة بين جذام ومدين خاصة أن النسابين والرواة ذكروا أن مدين من نسل إبراهيم عليه السلام، وليس من نسل سبأ. وقد نسب الرواة جذام

---

(١) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٠١؛ البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٨٧، ص٣٨١؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٢٧؛ الهمداني، المصدر السابق، ص٢٤٣.

(٢) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٠١؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٥٥؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ج، صُ٢٠٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، ج٥، ص٣٦١، كتاب التفسير، باب: ٣٤ ـ ومن سورة سبأ، حديث رقم: ٣٢٢٢؛ أبو بكر العربي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، إعداد: هشام سمير البخاري، بيروت، ١٩٩٥، ج١٢، ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، الزرقاء، ١٩٨٨، ج٤، ص٣١٥، ٣٢٢ ـ ٢٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ج٢، ص٤٤٢.

إلى جذام عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن (بن غريب) زيد كهلان بن يشجب[١]. ويقول المقريزي: إن مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له ٢٤ ولدا ذكرا، كثرت أولادهم حتى بنوا المدائن والقرى والحصون وعمّروا بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها ٥٠٠ سنة. وأن ملوك مدين استولوا على مصر مدة ٥٠٠ سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها سليمان عليه السلام[٢]. وبالتأكيد أن هذه القصة تناقض حقائق ووقائع التاريخ.

ويذكر المقريزي أيضا أنه كان بأرض مدين عدة مدائن قد باد أهلها وخربت وبقي منها إلى أيامه (حوالي عام ٨٢٥هـ) نحو الأربعين مدينة قائمة، منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه[٣].

وفي موضع مدين اليوم العديد من الخرائب والآثار الدالة على ازدهار المنطقة في عصور سابقة، وتشهد على ما مرت به من أحداث وتطورات وتشمل الآثار مبان وبقايا قصور ومعابد وقبور وأدوات فخارية ومعدنية وحجرية. ويقال: إن في أرض مدين كهف كان يأوي إليه شعيب عليه السلام، وفيها جبال كثيرة وفيها كهوف ومغارات تحت الأرض، فيها عظام بالية عليها رواسخ مبينة، وهم قوم شعيب عليه السلام الذين أهلكهم الله تعالى. كما أن مدين شهدت عددا من الدول والممالك والأحداث التاريخية[٤].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٢، ص٤٢٠؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص١٧٤؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٣٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٣٠.

(٣) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٣٠. يذكر الرحالة الألماني أنه على قمة جبل حضور في اليمن يوجد قبر يُعرف بين الأهالي بأنه قبر النبي شعيب، عليه السلام. (المرجع السابق، ص٨٣).

(٤) انظر: إسحاق بن حسين المنجم، المصدر السابق، ص٢٥؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ق. ٣، ص١٢٠٧ فما بعدها؛ حمود بن ضاوي القثامي، المرجع السابق، ج١، ص٣٠٠ ـ ٣٢٦؛ =

المدينة:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٣):

مدينة مصر[١].

المدينة:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (يوسف: ٣٠):

هي مصر أو في مصر[٢]. وبخصوص لفظة المدينة الواردة في آيتي سورتي الأعراف ويوسف ربما لا تعنيان مصر، البلد المعروف جغرافيا، ولكن تعنيان مدينة معينة في مصر ربما تكون العاصمة. وذلك أن لفظة مصر الدالة على المدينة أو البلد لم تظهر إلا في العصر الإسلامي، ويعنون بذلك عاصمة مصر مثل الفسطاط[٣]. فلفظة «مدينة» الواردة في آية سورة الأعراف ربما تشير إلى عاصمة الدولة في عهد فرعون موسى، وربما تكون بر ـ رعمسيس التي بناها وشيدها الفرعون رمسيس الثاني، هذا على رأي من يقول: إن رمسيس هو فرعون الاضطهاد الذي عاصر موسى عليه السلام وهو الذي تربى موسى في قصره. أما لفظة «مدينة» في آية سورة يوسف فتشير إلى عاصمة الدولة في عهد الهكسوس وهي أواريس، على رأي من يقول: إن يوسف عليه السلام وأهله وصلوا ودخلوا مصر في عهد الهكسوس، وهذا

= Buhl, F. [Bosworth, C. E.], Madyan Shuʿayb", p. 1156.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٥٢٣؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٩؛ الطبري، التفسير، ج١٣، ص٣٣؛ القرطبي، التفسير، ج٧، ص١٦٦.

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٣٠٨؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٦؛ البروسوي، المصدر السابق، ٤، ص٢٤٤؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٢٧٦؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣١٦؛ الطبزي، التفسير، ج١٦، ص٦٢.

(٣) Wensinck, A. J.,"Miṣr, Egypt", EI^2, vol. 7, p. 147.

الرأي له ما يبرره من دلائل[1]. ويرى محمد الطاهر بن عاشور أنها منفيس (منف) العاصمة القديمة، المشهورة لمصر[2]. ولكن من المعروف أن الهكسوس، وهو العهد المرجح أن يكون يوسف عليه السلام قد عاصره في مصر، قد اتخذوا عاصمة جديدة لهم وهي مدينة أورايس. ويرى البعض أنها نفسها تانيس الحالية، ولكن حفائر البعثة النمساوية تدل على أن موقعها هو تل الضبعة في صحراء الإسماعيلية. وهو موقع تبلغ مساحته حوالي ٢ كم٢، وقد بدأت التنقيبات الآثارية فيه منذ عام ١٩٦٦م. وتبين من خلال اللقى الآثارية والبقايا والمخلفات أن الموقع بدأ الاستطيان فيه منذ الفترة الانتقالية الأولى مرورا بفترة الهكسوس، بل عُثر فيه على مخلفات تعود لفترات تاريخية متأخرة[3].

---

(١) تثار العديد من الآراء والتساؤلات حول عصر يوسف عليه السلام ومتى دخل مصر هو وأهله. حول هذه المسألة ولمزيد من التفاصيل، انظر مثلا: زنون كوسيدوفسكي، المرجع السابق، ص٨٢ ـ ٨٩، ١١٨ ـ ١٣٢؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٢) مصر منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص٥١٤ ـ ٥١٥؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: (٢) مصر، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٩٩ ـ ١٠٥. والبعض يغيّر كثيرا في وقائع التاريخ في محاولاته لتحديد عصر يوسف وفرعون موسى، انظر:

Rohl, D. M., Pharaohs and Kings: A Biblical Quest, New York, 1995, passim.

وإن كنا نميل إلى أن يوسف عليه السلام تواجد في مصر أيام الهكسوس.

(٢) المرجع السابق، ج١٢، ص٢٦٠.

(٣) انظر: جواد بولس، الموسوعة التاريخية: شعوب الشرق الأدنى وحضارته، تعريب وتحقيق: سيمون وماري عواد، بيروت، ١٩٩٣، ج٢، ص٤٩٧ ـ ٤٩٨، ٤٩٩؛ سليم حسن، المرجع السابق، ج٤، ص٧٦ ـ ٧٧؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٠٨؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد، المغالطات والافتراءات، ص١١٨ ـ ١١٩؛ محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم: مصر، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج١، ص٣٠ ـ ٣١؛ محمد جمال الدين مختار، «العصر المتوسط»، في كتاب: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٦٠؛ معجم الحضارة المصرية القديمة، ص٦٥؛ BMDAE, pp. 76-77.

المدينة:

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٦٧﴾ (الحجر: ٦٧):

أهل مدينة سدوم، وهم قوم لوط[١]. أو مدائن قوم لوط التي كانت خمسين قرية، وقيل: أربعا، وقيل: سبعا منها صبعة وصعرة (صغر أو غورزغز) وعمرة دوما، أعظمها سدوم وجموره (أو عامورا)[٢]. وكان قاضي سدوم يضرب به المثل في الجور والظلم ويقال: أجور من قاضي سدوم، وأجور من سدوم[٣]. ويرى البعض أن أرض سدوم وقوم لوط كانت في مكان البحر الميت الآن[٤]. وهذا البحر يقع الآن في جنوبي فلسطين، وهو أخفض منطقة في العالم، ويبلغ طوله حوالي ٨٠ كم، وعرضه حوالي ١٥ ـ ١٦ كم[٥].

ويقال: إن مدائن لوط بين كرمان وخراسان[٦]. أما فيما يتعلق من كون قرى أو مدائن لوط في مكان البحر الميت الآن فغير صحيح، حيث تكون البحر الميت جولوجيا قبل زمن لوط بآلاف السنين، وكان تكونه نتيجه هبوط حاد وهزة أرضية في العصر الميوسيني في الطرف الشرقي القديم للبحر المتوسط. كما أنه في نهاية الأخدود الأفريقي العظيم[٧].

---

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٤٠٧؛ الطبري، التاريخ، ج١، ص٢٩٣؛ الطبري، التفسير، ج١٤، ص٤٣.

(٢) البروسوي، المصدر السابق، ٤، ص٤٧٧؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٩٠؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج١، ص٢٦٧.

(٣) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٢٩؛ NNABD, p. 339.

(٤) ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج١، ص١٦٢؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج١، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٥) NNABD, p. 338.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٢.

(٧) دائرة المعارف الكتابية، ج٢، ص٨٠ ـ ٨١. انظر كذلك: بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص١٦٤ ـ ١٦٥.

المدينة:

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ (الكهف: ١٩):

طرسوس، وكان اسمها في الجاهلية أفسوس[١]. ويقال دقسوس[٢]. وقيل هي منبج[٣].

المدينة:

﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا﴾ (الكهف: ٨٢):

وهي القرية، وهي أنطاكية[٤].

المدينة:

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (النمل: ٤٨):

مدينة صالح، وهي حجر ثمود بين الحجاز والشام[٥]. أو المقصود مجتمع ثمود وقريتهم[٦].

المدينة:

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ (القصص: ١٥)؛

---

(١) الألوسي، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٣٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ٥، ص٢٢٩؛ البقاعي، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٢؛ القرطبي، التفسير، ج١٠، ص٢٤٤.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٢١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٢٧٦.

(٣) السيوطي، مفحمات الأقران، ص٧١.

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج١٦، ص١٢؛ البروسوي، المصدر السابق، ٥، ص٢٨٦؛ القرطبي، التفسير، ج١١، ص٢٧.

(٥) البروسوي، المصدر السابق، ٦، ص٣٥٦؛ السمرقندي، التفسير، ج٢، ص٤٩٩؛ الطبري، التفسير، ج١٩، ص١٧٢.

(٦) ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص٢١٨.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ١٨):

قيل: هي مدينة منف في مصر، وعن السدي: «كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثلما يلبس وكان إنما يدعى موسى بن فرعون ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد»[١]. ومنف أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان، وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان. ولها سبعون بابا، وحيطانها من حديد وصفر، وفيها كانت الأنهار التي كانت تجري من تحت فرعون[٢]. وقيل: إن المقصود بالمدينة هي مصر نفسها[٣]. وقيل: إنها المدينة التي كان يسكنها فرعون، وهي قرية على رأس فرسخين من مصر أو قريبة منها، وتدعى هذه القرية حابين أو أم خنان. وقال الضحاك: هي عين شمس[٤]. أو هي مدينة مصر الكبرى[٥]، أو هي العاصمة

(١) السدي الكبير، التفسير، ص٣٧٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص١٢٢؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص٤٣؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج٢، ص١٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٨.

(٢) ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص٥٥١؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص٢٧٣؛ ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٧٢؛ البروسوي، المصدر السابق، ٦، ص٣٩٠؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٨٠ فما بعدها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص٣١١؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص١٦٨؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٢٣.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٠؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٣٢؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٨، ص٥٨٤؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢٠، ص٤٣؛ صديق بن حسن القنوجي، المصدر السابق، ج٥، ص١٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٢.

(٥) الشوكاني، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٣.

وقتئذ[1]، أو هي بصورة عامة مدينة فرعون دون تحديد[2]. ووردت منف في العهد القديم بصيغة: «نوف»[3]. ويقال: إن أصل كلمة «منف» بلغة القبط «مافه»، فعربت فقيل «منف». وقيل: إنها أول مدينة عمّرت بعد الطوفان، وسكنها بيصر بن حام بن نوح ومن معه من أولاده وأهله الذين كانوا يبلغون ٣٠ شخصا، منهم ٤ أولاد قد بلغوا وتزوجوا فبذلك سميت «مافه»[4]. ويبدو أن المدينة المعنية هي عاصمة مصر في عهد الأسرة المصرية التاسعة عشر، وهي مدينة بر ـ رعمسيس (دار أو بيت رمسيس) التي بناها رمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م.) وسخّر لها بني إسرائيل وغيرهم من الشعوب المستعبدة، هذا على اعتبار أن فرعون موسى (فرعون الاضطهاد) هو رمسيس الثاني، كما ذكرنا سابقا. وورد في سفر الخروج الإصحاح ١٢/٣٧: «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سُكُّوت» وقد أصبحت بر ـ رعمسيس على أيام الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين المقر الملكي الرئيس في الشمال. وموقع هذه المدينة التاريخية، يبدو أنه في مكان بين صان الحجر وبلدة قنتير (أو قنتطير) (مركز الحسينية الشرقية)، الواقعة على بُعد ٩ كم إلى الشمال الشرقي من فاقوس الشرقية، قرب عاصمة الهكسوس القديمة، أواريس. ولهذا الرأي ما يدل عليه من البقايا المادية والمخلفات الآثارية[5].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٦٨١؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج٢، ص٣١٢.

(٢) البقاعي، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٥٥.

(٣) NNABD, p. 820.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٨٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول مدينة بر ـ رعمسيس، انظر: سليم حسن، المرجع السابق، ج٤، ص٧٦؛ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٢٤٧؛ محمد بكر، «عصر الدولة الحديثة: ١٥٧٥ ـ ١٠٧٨ ق.م».، في كتاب موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ص٢٦٤؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ عصر إبراهيم، ج١، ص٣٩٨ ـ ٤٠١؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٣) مصر =

المدينة:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ (التوبة: ١٠١)؛

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ (التوبة: ١٢٠)؛

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ (الأحزاب: ٦٠):

اسم خاص بمدينة الرسول ﷺ[١].

مدينة الجبارين:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ (المائدة: ٢٢):

= منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والعشرين، الإسكندرية، ب.ت.، ص٢٨٤ ـ ٢٨٧؛ محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم: مصر، ج١، ص٣٨ ـ ٤٠؛ صحيفة الخليج (مجلة الخليج)، ع. ٧٥١٨، الأحد: ١١ رمضان ١٤٢٠هـ = ١٩/١٢/١٩٩٩؛ معجم الحضارة المصرية القديمة، ص١٣١؛ BMDAE, p. 237. تثار العديد من التساؤلات حول من هو فرعون موسى، وهل هناك فرعونان واحد للاضطهاد وهو رمسيس الثاني، وآخر للخروج وهو مرنبتاح بن رمسيس الثاني، أم غيرهما؟ حول كون رمسيس الثاني هو فرعون موسى عليه السلام (فرعون التسخير)، وأن مرنبتاح بن رمسيس الثاني هو فرعون الخروج، انظر: محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٣) مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والعشرين، ص٤٨١ ـ ٥٣٩؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: (٢) مصر، ص٣٠٢ ـ ٣٢٨.

(١) الطبري، التفسير، ج١٤، ص٤٤٠، ٥٦١، ج٢٢، ص٤٨؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج١، ص٣٩٤. قدّم ويندر عرضا موجزا لتاريخ المدينة المنورة من قبيل الإسلام حتى العصر الحديث، انظر:

Winder, R. B.,"Al-Madīna", EI^2, vol. 7, pp. 994-1007.

يقال: هي مدينة أريحا[1]، في الغور من أرض الأردن، ذات نخل وموز وسكر كثير، سميت بأريحا نسبة إلى أريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح. ونظرا لوصف أصحابها بالجبارين يورد الرواة والأخباريون قصصا عجيبة عن ضخامة أجسامهم وطولهم وبشاعة مناظرهم وهيئاتهم، تبعد كثيرا عن الحقيقة، بل هي على الأغلب من الإسرائيليات. بل نُسبت رواية لابن عباس تتحدث عن ضخامة هؤلاء العمالقة وطولهم، وهي رواية بلا شك غير صحيحة[2]. وأشار البعض أن مدينة الجبارين المقصودة في الآية هي مدينة دمشق. والجبارون هم قوم من العماليق من بني عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح[3]. وحسب الواقع التاريخي أن دمشق في إبان هجرة بني إسرائيل من مصر إلى فلسطين لم تكن تابعة للكنعانيين سكان فلسطين. وحتى إشارات التوراة والعهد القديم إلى كنعان فإنها تعني فلسطين وفينيقيا[4]. أما

---

(١) معناها «مدينة القمر» أو «مكان الروائح العطرية»، تقع على مسافة ٥ أميال غربي نهر الأردن، وعلى مسافة ١٧ ميلا شمال بيت المقدس. ومدينة أريحا القديمة فمكانها الآن في موقع تل السلطان الذي يبعد عن أريحا الحديثة مسافة ميل. (بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٥٨).

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٨٧؛ عبد الغني الدقر، المصدر السابق، ج١، ص٣٤؛ القزويني، المصدر السابق، ص١٤٢ ـ ١٤٣؛ محمد بن محمد أبو شهبة، الموضوعات والإسرائيليات، ص١٨٤ ـ ١٨٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٤٩؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٦ ـ ١٩٧. ويقول الباحث رمزي نعناعة حول هذا الموضوع: إن «إيراد صفاتهم من السخافات والخرافات التي لا تعطي الفكر إلا خيالا ولا تزيد الفؤاد إلا خبالا». (المرجع السابق، ص٣٠٧) حول رواية ابن عباس انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٢، ص١١٤. يرى كمال صليبي كعادته أن «أريحا» هي «يرحو» في مرتفعات زهران بعسير. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص١٧٣ ـ ١٧٤).

(٣) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠، ٣٨٥.

(٤) سبتينو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٤.

البلقاء فمن المعروف أنها منطقة وليست مدينة معينة. وعلى الأرجح أن المقصود بـ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ ، هي أرض فلسطين بصورة عامة وليس مدينة معينة، لأن هدفهم هو دخول الأرض المقدسة. وقيل: إن قرية الجبارين التي افتتحها يوشع هي البلقاء من أرض الأردن(١).

ويرى ابن كثير أن يوشع قد افتتح بيت المقدس وليس أريحا، اعتمادا على مارواه الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس»(٢)، وقد انفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري(٣). وهذا الحديث قد يفهم منه أيضا أن يوشع كان ليالي سيره إلى بيت المقدس وليس أثناء حصاره للمدينة المقدسة، خاصة أن يوشع، كما ورد في العهد القديم، قد افتتح أريحا وتوفي قبل أن تصبح بيت المقدس ضمن نفوذ بني إسرائيل، وكان داوود عليه السلام هو أول أنبياء بني إسرائيل دخولا لبيت المقدس

---

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٨٨؛ المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، ج٣، ص٨٩؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص.

(٢) الإمام أحمد، المسند، ج٢، ص٣٢٥.

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٨٨. وقد أورد ابن كثير هذا الحديث في البداية والنهاية وعزاه إلى الإمام أحمد ثم قال تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط البخاري، واستدل أيضا أن فاتح بيت المقدس هو يوشع وليس موسى، وأن حبس الشمس كان عند فتح بيت المقدس لا أريحا. (ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣٠١؛ البنا الساعاتي، المصدر السابق، ج٢٠، ص١٠٤ ـ ١٠٦. انظر كذلك: سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٤، ص٢٠٣٧؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٩٠؛ مجاهد، التفسير، ج١، ص٧٦؛ محمد سلامة جبر، تاريخ الأنبياء والرسل، ج٣، ص٥ ـ ٦؛ محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، ج٢، ص١٤٦ ـ ١٤٧). وورد حديث في سنده ضعف أن النبي ﷺ قال: «لم تحبس الشمس لأحد إلا يوشع عليه السلام في فتح بيت المقدس»، (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٤، ص١٨٤، ج١٢، ص٢٣١).

كفاتح. أو يفهم أيضا أن بيت المقدس قد تعني الأرض المقدسة بصورة عامة[1].

وقيل: إن موسى عليه السلام هو الذي تولى فتح أريحا وليس يوشع[2]. وقد ورد عن النبي ﷺ أن نبيا من أنبياء بني إسرائيل دعا الله أن يمسك له الشمس حتى يفتتح المدينة التي هو محاصر لها، واستجاب الله دعاءه حتى دخلها. ويرى كثير من العلماء أن هذا النبي هو يوشع وأن المدينة هي أريحا[3]. وفي رواية لأبي هريرة عن النبي ﷺ: «حاصر نبي من الأنبياء مدينة عليها سبعة أسوار، وبقي سور منها»[4] وفي رواية عبد الرزاق عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «فلما أتى المكان الذي يريد»[5] بدون أن يحدد النبي ﷺ هذا المكان.

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تاريخ بني إسرائيل في أيام يوشع، انظر مثلا: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام ١٣٥ م، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج٢، ص٥٥٥ ـ ٥٦٠، ٧٤٤ ـ ٧٥٣.

(٢) أبو حيان، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٠؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم، حديث رقم: ٣١٢٤؛ الحافظ العراقي، المصدر السابق، ج٣، ص١٧٤٩ ـ ١٧٥١، رقم: ٧١٨؛ بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٢، ص٢٨١. وقد أورد بدر الدين العيني وابن حجر العسقلاني (فتح الباري، ج٦، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣) عددا من الأقوال حول من حبست لهم الشمس. انظر كذلك: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٥٤. وانظر كذلك: البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٧.

(٤) الخطيب البغدادي، الأسماء المبهمة، ص٣٣١ ـ ٣٣٢، رقم: ١٦٥. وقد أورد الخطيب البغدادي هذه الرواية بهذا السند: أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدي حدثنا سعيد بن الحكم أخبرنا يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة.

(٥) عبد الرزاق، المصنف، ج٥، ص٢٤١، رقم: ٩٤٩٢.

وقيل: إن القرية هي البلقاء وقيل: الشام أو الرملة، وقيل: الأردن أو فلسطين أو تدمر، وقيل: مصر أو قرية بقرب بيت المقدس[١]. وقيل: إن القرية التي أُمروا بدخولها فرفضوا هي حبرون[٢]. وهذه الأقوال نرى أنها غير صحيحة.

ومن المحتمل أن الجمع بين الروايتين هو أن يوشع قام بافتتاح أريحا أولا ثم اتجه ثانيا إلى بيت المقدس وهناك حُبست له الشمس، خاصة أن العهد القديم، سفر يوشع، تؤكد أن فتح أريحا تم بعد حصار دام ستة أشهر، وعندما سقطت أسوارها في ليلة الجمعة قبل غياب القمر، حبسه الله تعالى عن المغيب حتى تم الفتح. أما الحديث الشريف فيصرح أن الشمس هي التي حبست ليوشع وأن ذلك كان وقت حصاره لبيت المقدس[٣].

مرج البحرين:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (الفرقان: ٥٣)؛
﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ (الرحمن: ١٩):

المرج هو الخلط والإرسال، وفي هذه الآية يوضح الله تعالى أن الماء المالح يلتقي بالماء العذب ولا يختلطان. ولقد ضرب المفسرون أمثلة من هذا الالتقاء بين الماء العذب والماء المالح، كمصب نهري دجلة والفرات عند شط العرب في الخليج العربي[٤]. كما ذكر المفسرون عددا من البحار المشهورة مثل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) وما يتصل به من الزقاق (مضيق جبل طارق) والبحر الأحمر وبحر اليمن وبحر البصرة (الخليج

---

(١) أبو حيان، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٠ ـ ٢٢١؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٨٨؛ الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٨٩؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٥١٢، ٥١٤.

(٣) محمد الفقي، المرجع السابق، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٤) ابن الجوزي، تحفة الأريب، ص٢٤٤؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٩٦.

العربي) وبحر الصين والهند وبحر الروم (البحر المتوسط) وغيرها من البحار[1]. ويبدو أن هذه الآية عامة، وهي من معجزات القرآن الكريم، حيث يرسل الله المياه بنوعيها المالح والعذب، وهو الذي يمنعها من الاختلاط، مع أنه لا يوجد حاجز حسي بينهما، فهما يلتقيان دون أن يختلطا. مثل مياه الأنهار العذبة تستمر في جريانها عبر البحار لا تختلط بمياهها وتبقى عذبة تسير مئات الكيلومترات في أعماقها، ومن هذه الأنهار الكبرى الأماوزن والنيل وغيرهما، ومثل بحيرة بالخاش الروسية فنصفها الغربي عذب ونصفها الشرقي مالح ولا يختلطان. وهذه البحيرة، واسعة جدا، تقع في جنوب شرقي كازاخستان، وترتفع ٣٤٢ م عن مستوى سطح البحر، وتبلغ مساحتها ١٧،٢٧٥ كم^{2}، وعرضها ١٠ كم[2].

مساجد الله:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ (البقرة: ١١٤):

الذين منعوا مساجد الله هم النصارى، والمسجد هو بيت المقدس، وقد ورد عن مجاهد قوله: أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه[3].

وقال آخرون: إن المقصود بالمانعين هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى، والمسجد هو بيت المقدس. وروي عن ابن عباس أنهم

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٦، ص١٢٦؛ السيوطي، مفحمات الأقران، ص٧٩.

(٢) حنفي أحمد، المرجع السابق، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥؛ فوزي محمد حميد، الجغرافية القرآنية، دمشق، ١٩٩٣، ص٢٣٤ ـ ٢٣٦؛ الموسوعة العربية العالمية، الرياض، ١٩٩٦، ج٥، ص٧٤.

(٣) الطبري، التفسير، ج١، ص٤٩٨. وقد أخرج الطبري قول مجاهد بسند صحيح. (حكمت بن بشير بن ياسي، المرجع السابق، ج١، ص٢١٩ ـ ٢٢٠). انظر كذلك: أبا بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص٥٠.

النصارى، من حيث أنه توبيخ لهم وقد كانوا يدعون أنهم من أهل الجنة، وكذلك عن قتادة الذي قال: «أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس». وعن السدي أن «الروم كانوا ظاهروا بختنصر وأصحابه على خراب بيت المقدس حتى خرّبه وأمر به أن تطرح فيه الجيف وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا»[1]. وعن كعب الأحبار: «أن النصارى لما ظهروا على بيت المقدس حرّقوه فلما بعث الله محمدا أنزل عليه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٤)، فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفا»[2]. ويرد الفخر الرازي على ذلك بقوله: «ولا خلاف بين أهل السير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس وأيضا فإن النصارى يعتقدون في تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه»[3].

أو أن المقصود هو المسجد الحرام وأن المشركين قد منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخوله يوم الحديبية، واضطروه أن ينحر هديه بذي طوى[4]. أو أنها تعني مشركي قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ عن الدعوة

---

(١) السدي الكبير، التفسير، ص١٢٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص١٠٨؛ الطبري، التفسير، ج١، ص٤٩٨؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٥٣.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص١٠٨.

(٣) التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٢، ص١٠. انظر كذلك: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج١، ص٤١٧.

(٤) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١، ص١٣٤؛ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص٥٠؛ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٠٦؛ الطبري، التفسير، ج١، ص٤٩٨؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٢، ص١٠ - ١١؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٥٤.

إلى الله في مكة وألجأوه إلى الهجرة[1]. وورد عن ابن عباس أن قريشا منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام[2].

ويؤكد الطبري أن المقصود هو بيت المقدس وليس المسجد الحرام، وأن النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده، وأن المشركين لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا في بعض الأوقات منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه، وأن الذين وصفهم الله بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها، إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وأن الآية التي قبل قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ (البقرة: ١١٤) قد مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم والتي بعدها نبهت بذم النصارى، والخبر عن افترائهم على ربهم ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر، ولا للمسجد الحرام قبلها[3].

---

(١) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠١؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٢، ص١٠؛ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص٢٤.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص١٠٨. يعلّق العلامة القاسمي على هذه الآية بقوله «إن ما قام به المشركون من صد المسلمين عن المسجد الحرام، تخريب له، لأن منع الناس من إقامة شعار العبادة فيه، سعي في تخريبه. وأن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ بشارة من الله للمسلمين بأنه سيظهرهم على المسجد الحرام، ويذل لهم المشركين، حتى لا يدخل المسجد الحرام منهم إلا خائفا.وقد أنجز الله صدق هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام.وهذا هو الخزي لهم في الدنيا». (المصدر السابق، ج١، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠). وهذا ما رجّحه من قبل ابن كثير، التفسير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٣٦٩.

(٣) الطبري، التفسير، ج١، ص٤٩٨ ـ ٤٩٩. انظر كذلك: البلنسي، المصدر السابق، ص١٧٣ ـ ١٧٤.

ويورد الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ (البقرة: ١١٤)، عن قتادة قوله: «وهم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نهك ضربا وأبلغ إليه في العقوبة»، وقوله كذلك: «وهم النصارى فلا يدخلون المسجد إلا مسارقة إن قدر عليهم عوقبوا». وعن السدي: «فليس في الأرض رومي يدخلها اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها»[1].

ويرى البعض أن الآية نزلت في طيطوس بن إسيانوس الرومي (أو هو نطوس بن أسبيانوس الرومي أو هو ططلوس الرومي) وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرّقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، وبقي خرابا إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر رضي الله عنه[2]. ويذكر المراغي أن الآية تعني حادثة بعينها وهي: «ما وقع من تيطس الروماني إذ دخل بيت المقدس بعد موت رفع المسيح بنحو سنة وخرّبها حتى لم يبق منها حجرا على حجر وهدم هيكل سليمان حتى لم يترك إلا بعض جدرانه مبعثرة وأحرق بعض نسخ التوراة وكان المسيح قد أنذر اليهود بذلك وكان هذا بإيعاز وتحريض من المسيحيين انتقاما منهم إذ أخرجوهم من ديارهم وتحقيقا لوعد المسيح فتسللوا لواذا على قلتهم حتى وصلوا إلى روما فحرضوا تيطس على غزوهم في بلادهم وكان له هوى في ذلك فأجابهم إلى ما طلبوا»[3].

وفي الحقيقة أن بيت المقدس قد تعرض إلى كثير من الغزوات والتخريب من قِبل السلوقيين ثم الرومان على مختلف عهودهم الأولى.

---

(١) الطبري، التفسير، ج١، ص٥٠٠.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٣؛ القرطبي، التفسير، ج٢، ص٥٤؛ محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج١، ص٤٣٠؛ الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص٢٤.

(٣) أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١، ص١٩٧ ـ ١٩٨.

ويعتبر تخريب تيطس لبيت المقدس بين عامي ٧٠ و٧١م. من أشد التخريبات التي تعرضت لها القدس. وكان سبب هجوم القائد الروماني على المدينة هو قيام اليهود بالثورة على الرومان الذين أخمدوا هذه الثورة بالعنف والقتل والتخريب والتدمير، بل أن تيطس حفر أساسات البيت المقدس نكاية في الثائرين. ولم يكن للنصارى يد في دفع الرومان للقيام بذلك نظرا لأنهم مستضعفون، ليس لهم قوة ومنعة، بل أنه قبل سنوات قليلة تعرض النصارى للحرق والقتل والصلب على يد الإمبراطور الروماني نيرون[1]. وينقل محمد رشيد رضا عن الشيخ محمد عبده قوله حول قيام النصارى بتحريض الرومان على غزو بيت المقدس نكاية باليهود: «لا أدري هل يصح هذا الخبر أم لا فإن قائليه لم يأتوا بأدلة ولا بنقول تاريخية ولكنني أعلم أن المسيحيين على قلتهم وتشتتهم واستخفائهم قد وصلوا إلى روما وكانوا يودون الإيقاع باليهود الذين اضطروهم إلى الخروج من بلادهم انتقاما منهم، فهذه قرائن ترجح أنه كان للمسيحيين يد في إغارة تيطس، ولكن لا يجزم به إلا إذا وجد نقل تاريخي صحيح يؤيد الخبر». ويرى محمد رشيد رضا أن الآية ربما تشير إلى عمل سيقع، مثل إغارة الصليبيين على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين وصدهم عن المسجد الأقصى. أو ربما تشير الآية إلى حادثة القرامطة الذين هاجموا مكة ومنعوا المسلمين منها. ثم ينقل محمد رشيد رضا عن الشيخ محمد عبده خلاصة رأيه في تفسير هذه الآية وهو: «ولكن لا يجزم به إلا إذا وجد نقل تاريخي صحيح يؤيد الخبرسواء كانت الآية في حادثة واقعة أو

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول ثورة اليهود في فلسطين وقيام تيطس بتخريب بيت المقدس، انظر مثلا:

Jones, B. W., The Emperor Titus, New York, 1984, pp. 34-63; Josephus, Wors of the Jews, Bk. V, chs. ii, iv, v, vi, vii, viii-xiii, in W. Whiston, Josehpus Complet Works, Grand Rapids, 1984; Schäfer, P., The History of the Jews in Antiquites, Luxemborg, 1995, pp. 126-129; Word, A. M. et.al., A History of the Roman People, 1999, Upper Sadle River, p. 321.

حول الاضطهاد الذي لاقاه النصارى في عهد نيرون، انظر: حمد محمد بن صراي، معالم التاريخ اليوناني والروماني، ص٢٦٩.

منتظرة أم كانت وعيدا للذين لا يحترمون المعابد على الإطلاق، وهي على كل حال ناطقة بوجوب احترام كل معبد يذكر فيها اسم الله تعالى بالصلاة والتسبيح وبتحريم السعي في خرابها ومن يقوم بذلك هم أظلم الناس»[١]. ومع احترامنا لرأي المفسرين في هذا الأمر إلا أن النصارى كانوا في بداية تواجدهم في روما في خوف ورعب خاصة أنهم تعرّضوا للعذاب والنكال في عهد الإمبراطور نيرون.

ومن المحتمل أن المعني هو بيت المقدس، ولكن صيغة الجمع تقتضي كون حكم الآية عاما، لكل من فعل ذلك في أي مسجد كان، كما يقال لمن آذى صالحا واحدا، ومن أظلم ممن آذى الصالحين[٢]. ويؤكد القرطبي ذلك: «والمراد من منع كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع،فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف»[٣]. أو أن هاتين الآيتين تتعلقان بمسألة تحويل القبلة وسعي اليهود لصد المسلمين عن التوجه إلى الكعبة، وإطلاق النص يوحي بأنه حكم عام في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها[٤]. ويرى السيوطي أن رواية ابن عباس بكون الآية تتعلق بما صنعته قريش من منع النبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة، هي أصح إسنادا، ولكنه في نفس الوقت يرى أن الرأي الأول كون الآية تتعلق بغزو الروم ومعاونة النصارى لهم أرجح لأنها أقرب إلى رعاية النظم حيث أن الآيات السابقة كلها في قبائح اليهود والنصارى[٥].

---

(١) محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج١، ص٤٣٠ ـ ٤٣٢.
(٢) البروسوي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٨؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٨١.
(٣) القرطبي، التفسير، ج٢، ص٥٣ ـ ٥٤. انظر كذلك: أبا بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص٥٠.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص١٠٤ ـ ١٠٥.
(٥) قطف الأزهار، ج١، ص٣١٠.

مساجد الله:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ (التوبة: ١٧)؛

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (التوبة: ١٨):

أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها[١]. وما يتبع المسجد الحرام من المسعى وعرفة والمشعر الحرام والجمرات والمنحر من منى[٢].

المسجد الذي أُسس على التقوى:

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (التوبة: ١٠٨):

يوجد قولان في المسألة، فالأول أن المعني هو مسجد قباء الذي أسسه رسول الله ﷺ، وهو الرأي الأشهر والأوفق للقصة، إذ أن مسجد الضرار في قباء. والرأي الثاني أن المقصود المسجد النبوي، وقد وردت عدد من الأحاديث عن أبي سعيد الخدري وأبي بن كعب وزيد بن ثابت عن النبي ﷺ تؤكد ذلك[٣]. ولا يمنع أيضا أن يكون المراد بالمسجد كلا المسجدين، مسجد النبي ﷺ ومسجد قباء[٤]. والراجح، والله أعلم، أن المراد بالمسجد

---

(١) البروسوي، المصدر السابق، ٣، ص٣٩٧؛ البقاعي، المصدر السابق، ج٨، ص٤٠٠ ـ ٤٠١؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٤.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٠، ص١٤٠.

(٣) الإمام أحمد، المسند، ج٥، ص١١٦، ٣٣١؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ج٥، ص١٨١ ـ ١٨٢، حديث رقم: ١٣٩٨؛ الترمذي، السنن، ج٢، ص١٤٤؛ النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص٣٦.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج٧، ص٣٦؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١١، ص٢٠؛ البروسوي، المصدر السابق، ٣، ص٥٠٧؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص٢٧٧؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦؛ الفخر الرازي، التفسير =

الذي أسس على التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ في المدينة وليس مسجد قباء، وذلك لتصريح النبي ﷺ بذلك، فقد سئل ﷺ، فقيل له: أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: هو مسجدكم هذا، يعني مسجد المدينة[1].
وقال النووي: «هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن، وردّ لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء»[2]. وقال الحافظ العراقي: «وهذا الحديث أرجح وأصح وأصرح»[3]. ويقول ابن عطية: «وردّ لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء وهذا الحديث أرجح وأصح وأصرح ويقول ابن عطية: ويليق القول الأول بالقصة (يقصد مسجد قباء) إلا أن القول الثاني روي عن رسول الله، ولا نظر مع الحديث»[4].

المسجد الأقصى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١):

هو مسجد بيت المقدس، وسمي بالأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض، يعظم بالزيارة، وقد أعاد بناءه سليمان عليه السلام. و﴿حَوْلَهُۥ﴾ أي الشام[5].

= الكبير، (دار إحياء التراث العربي)، ج٦، ص١٤٧؛ القرطبي، التفسير، ج٨، ص١٦٥.

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، ج٥، ص١٨٢، حديث رقم: ١٣٩٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) النسائي، السنن بشرح السيوطي، ج٢، ص٣٧.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج٧، ص٣٦. نُقش على جوانب من جدران وباب مسجد قباء قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (سعاد ماهر، المرجع السابق، ص٣٩، ٤٠).

(٥) البقاعي، المصدر السابق، ج١١، ص٢٨٩؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص٩٦؛ القرطبي، التفسير، ج١٠، ص١٣٩.

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون فيمن بنى وأسس المسجد الأقصى، وورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص: «أن سليمان بن داوود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة: سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه[1]، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد الأقصى أن لا يأتيه أحد لا ينهزه (يدفعه) إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»[2]. ويرد في حديث آخر أن أبا ذر الغفاري، قال: «قلت يا رسول أي مسجد وضع في الأرض أول، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما، قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعده، فإن الفضل فيه»[3]. ويبدو للوهلة الأولى أن هناك تعارض ظاهري بين الحديثين حيث إنه من المعروف أن إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة والمسجد الحرام في مكة، وبين عهدي إبراهيم وسليمان بون شاسع، ليست أربعين سنة الواردة في الحديث الثاني. ولحل هذا الإشكال فإننا نفترض أن إبراهيم عليه السلام بعدما ابتنى الكعبة بأربعين سنة، وضع أساسات المسجد الأقصى في بيت المقدس في حوالي القرن الـ ١٨ ق.م. ثم أعاد سليمان عليه السلام بناءه وتجديده، ولم

---

(١) أي يوافق حكمه في السداد والإصابة. (الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دمشق، ١٩٩٤، ج٩، ص٢١١ ـ ٢١٢).

(٢) حول روايات هذا الحديث وتخريجه، انظر: الإمام أحمد، المسند، ج٢، ص١٧٦؛ السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزياداته، تحقيق: الألباني، دمشق، ١٩٦٩،

يكن هو المؤسس الأول للمسجد الأقصى[1]. البعض ينكر كون سليمان هو باني أو مجدد بناء المسجد، حتى لا نعطي اليهود مجالا وحجة في تثبيت ادعاءاتهم في بيت المقدس، وربط المسجد بالهيكل[2].

وحتى لو افترضنا أن المسجد الوارد ذكره في الأحاديث هو نفسه الهيكل المشار إليه في العهد القديم فإن ذلك لا يعطي الحق لليهود في احتلال فلسطين وتخريب المسجد بحجة البحث عن بقايا الهيكل، ومن المعروف أن المسجد والهيكل مخصصيْن لعبادة الله تعالى. ولا نلتفت إلى مزاعم التوراة المحرفة والكتّاب اليهود الذين صوّروا الهيكل بصورة عظيمة، وادعوا أن سليمان قد استخدم في بنائه كميات ضخمة جدا من الذهب والفضة والأخشاب والحجارة والنحاس. وبلغ شأواً عظيما في الاتساع والجمال والزخرفة والتنظيم. ولا يمكن رسم صورة حقيقية أو حتى قريبة للهيكل اعتمادا على الروايات الإسرائيلية. وكما ذكرنا سابقا أن بيت المقدس تعرّض لغزوات وتخريبات على مر العصور جعلت من الصعب التأكد من الروايات الإسرائيلية.

المسجد:

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ (الإسراء: ٧):

المسجد الأقصى أو مسجد بيت المقدس[3].

---

(١) لمزيد من المناقشة والتفاصيل حول هذه المسألة ومعرفة الآراء الأخرى، انظر: أبا السعود، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٨؛ ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، ص٣٧؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٤٠٨ ـ ٤٠٩؛ ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٦٣ ـ ٦٤؛ القرطبي، التفسير، ج٤، ص٨٨ ـ ٨٩؛ محمد بيومي مهران، مصر وبلاد الشرق الأدنى: (٨) بلاد الشام، ص٣١٦ ـ ٣٢٤.

(٢) محمد محمد شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، ص٣٠٠ ـ ٣٠٥.

(٣) ابن كثير، التفسير، ج٥، ص٤٥؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص١١؛ الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٣؛ وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، ج١٥، ص٢٣.

المسجد الحرام:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤):

المقصود الكعبة[١].

المسجد الحرام:

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: ١٩١):

أي في الحرم[٢]. أو هو المسجد الأكبر الذي فيه الكعبة، والحرام المحرم، وذكره دون الكعبة إيذان بكفاية مراعاة جهة الكعبة، لأن استقبال عينها للبعيد متعذر[٣]. وقد أخرج البيهقي في سننه عن ابن عباس مرفوعا: «البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي». وقال البيهقي: «والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي». وقال البيهقي: «به عمر بن حفص المكي وهو ضعيف لا يحتج به وروي بإسناد آخر ضعيف عن عبد الله بن حبشي كذلك معروفا ولا يحتج بمثله والله أعلم»[٤].

المسجد الحرام:

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦):

أورد الطبري وغيره[٥] عددا من الروايات في تفسير قوله تعالى: ﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ واختلف المفسرون في تحديد المكان الجغرافي

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص١٥٣؛ الطبري، التفسير، ج٢، ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) البقاعي، المصدر السابق، ج٣، ص١١١؛ الطبري، التفسير، ج٢، ص١٩٢.

(٣) البروسوي، المصدر السابق، ١، ص١٥١.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، بيروت، (دار المعرفة)، ب.ت.، ج٢، ص٩؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص١٤٧.

(٥) البخاري، الصحيح، كتاب الحج، باب: قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، الطبري، التفسير، ج٤، ص١٠٩ ـ ١١٢؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٥٥٣، ٥٥٥.

المعني، فعن ابن عباس أنهم هم أهل الحرم وكذلك القول نفسه عن مجاهد. وورد عن مكحول وعطاء أنهم من دون المواقيت إلى مكة. وعن عطاء أيضا: عرفة ومر الظهران وعرنة وضجنان والرجيع ونخلتان. وعن ابن زيد: أهل مكة وفج وذي طوى وما يلي ذلك فهو من مكة. ويختم الطبري هذه الآراء بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قال إن حاضري المسجد الحرام من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تقصر إليه الصلوات»[1].

المسجد الحرام:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١):

الحرم كله مسجد[2]، أو الكعبة[3]، أو مكة كلها[4].

المسجد الحرام:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧):

عن مجاهد أن رسول الله ﷺ أري وهو بالحديبية، أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين[5]. وسند هذا الأثر حسن إلى مجاهد، لكنه مرسل[6].

---

(١) الطبري، التفسير، ج٤، ص١١٢. انظر كذلك: أبا بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص١٨٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٣٧.

(٣) البقاعي، المصدر السابق، ج١١، ص٢٨٩.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج٩، ص٧ ـ ٨؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٢٠٦.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٨٠؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص١٠٧.

(٦) حافظ محمد الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، الدمام، ١٩٩٠، ص٢٤.

مسجد الضرار:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة: ١٠٧):

هو المسجد الذي بناه المنافقون في قباء، وهو قريب من مسجد قباء[١]. ورُوي أنه في شرقي مسجد قباء، وأصبح في مكانه مزبلة[٢].

المشعر الحرام:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨):

المشعر لغة، هو المعلم والمتعبَّد لأن الصلاة عنده والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج وفروضه[٣].

وورد عن ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وسعيد بن جبير وقتادة ومعمر أن المشعر المزدلفة كلها[٤]. وقيل: هو جبل قزح الذي يقف عليه الإمام، وقوله ﴿عِندَ﴾ للتنبيه على أن الوقوف فيما يقرب من جبل قزح أفضل في الوقوف من سائر المواضع بالمزدلفة، ولا ينافي ذلك صحة الوقوف في جميع مواضعها[٥]. وقد احتج الفقهاء بحديث جابر الطويل الذي ورد فيه

---

(١) ابن كثير، التفسير، ج٤، ص١٤٩؛ الطبري، التفسير، ج١١، ص٢٣، ٢٥؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٩٥؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج١١، ص٢٤.

(٢) الويرثلاني، المصدر السابق، ص٤٦٩.

(٣) ابن سيده، المخصص، بيروت، (دار الفكر)، ١٩٧٨، ج١٣، ص٩٣؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٤، ص٤١٤؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٤٥٦؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١٢، ص١٩١ ـ ١٩٢.

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٨؛ البلنسي، المصدر السابق، ص٢٠٣؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٢٢٤؛ الطبري، التفسير، ج٢، ص٢٨٧ ـ ٢٩٠.

(٥) الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، ١٩٦٨، ص٣٤؛ البروسوي، المصدر السابق، ١، ص٢١٧؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢، ص١٠١.

قوله: «ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وكبّره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر فدفع قبل أن تطلع الشمس»[1]. واعتبر الفقهاء أن المشعر الحرام المقصود في الحديث هو جبيل قزح. وإن كان الظاهر من الحديث أنه لم يخصص المكان نفسه على اعتبار أنه وحده المشعر الحرام، ويرى جماهير المفسرين وأهل السير والحديث أن المشعر هو جميع المزدلفة[2]. وروى مالك عن النبي ﷺ «أن عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، والمزدلفة كلها مشعر، وارتفعوا عن بطن محسر»[3]. وقد قال ابن عبد البر: هذا الحديث يتصل من حديث جابر ومن حديث ابن عباس وعلي. وأكثر الآثار ليس فيها استثناء بطن عرنة من عرفة وبطن محسر من المزدلفة[4]. وهو الصحيح كما قرر ابن عبد البر.

مصر:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ (البقرة: ٩١)؛

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس: ٨٧)؛

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ، حديث رقم: ١٢١٨.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، (طبعة الشعب)، ج٣، ص٣٤٩.

(٣) الموطأ، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة ومزدلفة، رقم: ٨٨٣، ٨٨٤، تحقيق: عارف الحاج وسعيد محمد اللحام، بيروت، ١٩٨٨.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الحج، باب: من قدّم ضعفة أهله بليل، فيقفون بالمزدلفة ويدعون، ويقدّم إذا غاب القمر، ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٦٧٥؛ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المحميدة، ١٩٩٠، ج٢٤، ص٤١٨ ـ ٤١٩؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٣ ـ ١٧٥؛ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، الرياض، ١٩٩٦، ج٨، ص٥٥٧ ـ ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٢.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ (يوسف: ٢١)؛

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ (يوسف: ٩٩)؛

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الزخرف: ٥١):

وردت هذه اللفظة في أربعة مواضع من القرآن الكريم. وفي ثلاثة مواضع تم الاتفاق أن المقصود هي أرض مصر، فأما الموضع الأول فهو في سورة البقرة، وقد اختلف المفسرون في تفسير وتحديد مسمى مصر، على رأيين:

الأول أن المعني هو مصر من الأمصار لا مصر بعينه، والمقصود في الآية اهبطوا مصرا من الأمصار لأنكم في البدو والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي وإنما يكون في القرى والأمصار. وقد روي هذا التفسير عن ابن عباس وقتادة والسدي ومجاهد وابن زيد وغيرهم[1].

والرأي الثاني أنها مصر البلد المعروفة، وورد هذا الرأي عن أبي العالية والأعمش[2]. وهو من قبيل التهديد والتذكير بما كانوا عليه في مصر من الذل والهوان مع الأكل[3]. وكما يرى سيد قطب أن الله تعالى قد أخرج بني إسرائيل على «يدي نبيهم موسى من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة وليرفعهم من المهانة والضعة، وللحرية ثمن وللعزة تكاليف وللأمانة الكبرى التي ناطهم الله بها فدية ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف ولا يريدون أن يدفعوا الفدية حتى بأن يتركوا

---

(١) البروسوي، المصدر السابق، ١، ص١٥٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٧٣؛ الطبري، التفسير، ج١، ص٣١٤.

(٢) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٧٥؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١، ص٧٣؛ الطبري، التفسير، ج١، ص٣١٤.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٥٢٤.

مألوف طعامهم وشرابهم وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة وفي طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة إنهم يريدون الأطعمة المنوعة التي ألفوها في مصر، فعندما يطلبون يقول لهم نبيهم: عودوا إذن إلى مصر التي أخرجتم منها عودوا إلى حياتكم الدارجة المألوفة إلى حياتكم الخانعة الذليلة حيث تجدون العدس والبصل والثوم والقثاء ودعوا الأمور الكبار التي ندبتم لها، ويكون هذا من موسى تأنيبا لهم وتوبيخا، وقول موسى تذكير لهم بالذل في مصر وبالنجاة منه»[1].

ويعلّق الطبري على هذين الرأيين بقوله: «أن لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر عن الرسول يقطع مجيئه وأهل التأويل يتنازعون تأويله فأولى الأقوال بالصواب أن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بيّنه الله في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذا كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشام»[2].

ويرد في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ (يونس: ٨٧): ولقد قال مجاهد أن مصر المعنية في الآية هي مدينة الإسكندرية، ولكن أكثر المفسرين يرون مصر هي البلد المعروف دون تحديد مدينة معينة[3].

وقد ذكر البعض أن مصر، معرب مصرائيم، وهو اسم أحد أولاد نوح عليه السلام، وهو أول من اختطها فسميت باسمه[4]. وقيل نسبة إلى مصر بن

---

(١) في ظلال القرآن، ج١، ص٧٤ ـ ٧٥.

(٢) التفسير، ج١، ص٣١٤ ـ ٣١٥.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٥٤.

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٧٥. يعتقد كمال صليبي أن اسم «مصريم» يشير إلى مواقع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، منها قرية المصرمة (مصرم)، في =

أينم بن حام بن نوح[١]. وقيل: إنها نسبة إلى قبط بن مصر بن قوط بن حام أو نسبة إلى مصر بن بيصر بن حام أو مصريم بن مركايل أو مصرام بن نقراوش بن مصريم. ويورد المؤرخون والرواة والأخباريون قصصا حول أول من سكن مصر، ونسبوا كثيرا من مدن مصر وقراها إلى أولاد نوح وأحفاده[٢]. مع العلم أن العهد القديم ذكر أن مصر أو ميزرايم أحد أولاد حام[٣].

ومصر لغة الحد في كل شيء، أو الحد بين الأرضين، ولكونها آخر حدود المشرق وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما، وجمعها أمصار. ومصر سميت بذلك لتمصرها أي تمدنها، ورغبة الناس السكنى فيها[٤]. ومصر بمعنى «حد أو حدود» كلمة معروفة في عدد من اللغات السامية مثل الأكادية والآشورية والآرامية اليهودية[٥]. مع العلم أن لفظة ﴿مِصْرَ﴾ لم ترد في الكتابات المصرية القديمة، وكان المصريون القدماء يسمون بلادهم «كمت»، وتعني الأرض «السوداء، الخصبة»، ويقابل هذا الاسم لفظة

= مرتفعات عسير، وقرية مصر في وادي بيشة. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٩٤، ١٤٦). ويتبع زياد منى كمال صليبي في تحديد مصر المذكورة في قصص التوراة وبني إسرائيل في منطقة عسير، وليس هي مصر المعروفة. (المرجع السابق، ص٥٣ وما بعدها).

(١) ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٥٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٢٩، ج١، ص٤٨؛ ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٦ ـ ٨؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح، القاهرة، (مؤسسة دار التعاون،)، ١٩٧٤، ص١٥ ـ ١٦؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١٤، ص١٢٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٦٢ ـ ٦٣، ٥٦ ـ ٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦٠.

(٣) NNABD, p. 380.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٨٩ ـ ٩٠؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٥، ١٧٦؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٧٦٩؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج١٤، ص١٢٦؛ الصاحب بن عباد، المصدر السابق، ج٨، ص١٤٣؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٣٤.

(٥) Bosworth, C. E. and Wensinck, A. J.,"Misr, Egypt", EI^2, vol. 7, p. 146.

«دشرت»، وهي الأرض الحمراء وتعني الصحراء. وورد في النصوص المصرية أيضاً اسم «تاوي»، وتعني الأرضين أي أرض الصعيد وأرض الدلتا. والراجح أن اسم مصر كلمة سامية الأصل، وأول من استخدمها الآشوريون عندما حددوا منطقة تقع في الشمال الغربي من بلاد العرب. وعرفها البابليون في أواخر القرن السادس ق.م. باسم «مصرو» و«مصر»، والفرس باسم «مصرايا» و«مدرايا» و«مودراتو»، والمعينيون باسم «مصر» و«مصرى»، والآراميون باسم «مصرين»[1].

وقد اختلف الجغرافيون والرواة والمؤرخون القدماء في تحديد مساحة مصر وحدودها فمنهم من قصر حدودها على الحدود الجغرافية المعروفة لمصر الآن ومنهم من أدخل البحر الأحمر وشمال الحجاز وأرض مدين وجنوب فلسطين[2]. ومنهم من ذكر أن حدود مصر، طولا من رفح والعريش إلى أسوان، وعرضا من برقة إلى أيلة[3]. ومن المحتمل أن الاختلاف في الاتساع والضيق اعتمد في فترات كانت ولاية مصر الإسلامية أو الممالك التي حكمت مصر وما كانت يتبع لها من أراض ومناطق.

معاد:

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ (القصص: ٨٥):

أي إلى مكة، ويقال أن هذه الآية نزلت في الجحفة والنبي ﷺ في هجرته. ويقال أن المعاد هو الجنة وقيل الموت وقيل إلى القيامة بالبعث[4].

---

(١) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (١) مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص٢١ ـ ٢٥؛ Rohl, D. M., op.cit., p. 13.

(٢) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص٧ ـ ١١؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٧.

(٣) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٧٧، ٧٨؛ ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٥٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٧ ـ ٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦١.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٢٥٠ ـ ٢٥١؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٣٦٢ ـ ٣٦٣؛ الطبري، التفسير، ج٢٠، ص١٢٤ ـ ١٢٥.

وقيل بيت المقدس، ويبدو أن هذا القول يعتمد على كون الشام وأرض بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر[1]. وكون المعاد هو مكة المكرمة فتأتي هذه الآية وعدا من الله تعالى للنبي ﷺ بعودته إليها فاتحا، غالبا، وهو الآن خارج منها في أذى وغلبة من أهلها، ولكنه سيعود منتصرا إن شاء الله[2].

مغرب الشمس:

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ (الكهف: ٨٦):

أورد السيوطي في الدر روايه عزاها إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وأخرجها أيضا أبو الشيخ بهذا السند: حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف حدثنا أبو عبد الرحمن الصنعاني القاضي في تفسير ابن جريج أن ذا القرنين وجد مدينة لها إثنا عشر ألف باب، لولا أصوات أهلها لسمع وجوب الشمس حين تجب، وحدث عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبن فيها قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا سربا لهم حتى تزول الشمس». وقد عزا السيوطي تخريج هذا الحديث أيضا إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج. ويبدو أن الإسناد فيه انقطاع لأن ابن جريج لم يذكر في شيوخه الحسن البصري، وقال: «حُدثت عن الحسن»[3].

ويروي أبو الشيخ أيضا بهذا السند فيقول: حدثنا الوليد حدثنا إبراهيم بن يوسف (والصواب هشام بن يوسف) عن ابن جريج في تفسير قوله تعالى ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، قال: مدينة لها إثنا عشر بابا. وهشام بن يوسف ذُكر في

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٦٥٤؛ ابن كثير، التفسير، ج٦، ص٢٧٠ ـ ٢٧١؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص١٩٣ ـ ١٩٤؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص١٩ ـ ٢٠؛ أحمد المراغي، المرجع السابق، ج٢٠، ص١٠٤.

(٣) أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٤، ص١٤٤٠ ـ ١٤٤١، رقم: ٩٥٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٢٤٨، ٢٤٩.

تلاميذ ابن جريج، ومع ذلك فإن الإسناد فيه سقط أيضا، لأن هشام بن يوسف توفي في عام ١٩٧هـ، وأما الرواي عنه وهو الوليد فقد كانت وفاته في سنة ٣١٠هـ عن بضع وسبعين سنة[١]. فيكون بين وفاة كلّ منهما ١١٣ سنة، وهذا أمد بعيد يتعذر فيه لقاء أحدهما بالآخر، ثم لم نقف على من اسمه الوليد يروي عن هشام بن يوسف.

وأورد أبو الشيخ كذلك بهذا السند، قال: حدثنا الوليد حدثنا أبو طالب حدثنا نصر بن علي حدثنا سلم بن قتيبة حدثنا سهل السراج سمعت الحسن يقول في قوله تعالى ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل﴾ قال: أرضهم أرض لا تحمل البناء، فإذا طلعت الشمس تغوروا في الماء، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم. وأخرج هذه الرواية أيضا أبو داوود الطيالسي ومن طريقه ابن جرير في تفسيره عن سهل السراج وفي آخر الرواية «ثم قال الحسن هذا حديث سمرة». وذكر السيوطي في الدر هذا الحديث وعزاه إلى البزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم. وفي السند انقطاع[٢].

وروى أبو الشيخ أيضا بهذا السند: حدثنا أحمد بن القاسم حدثنا سليم بن منصور حدثنا ابن الأصبهاني عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير أن ذا القرنين سار حتى أتى مطلع الشمس فمثل له مدينة خارجة من أفق السماء، فتطلعت نفسه أن يملكها، ولكنه رُد عنها عن طريق رجل تمثل له وأقنعه بضرورة العودة وقال له بأنك ملكت الدنيا وتطمع في هذه المدينة. وهذا الأثر إسناده ضعيف لأجل عمرو بن ثابت ابن أبي المقدام الكوفي، فهو ضعيف، رمي بالرفض[٣].

---

(١) أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٤، ص١٤٧١، رقم: ٩٦٩.

(٢) أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٤، ص١٤٧١ ـ ١٤٧٢، رقم: ٩٧٠؛ ابن كثير، التفسير، ج٣، ص١٠٣؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٢٤٩؛ الطبري، التفسير، ج١٦، ص١٤.

(٣) أبو الشيخ، كتاب العظمة، ج٤، ص١٤٧٢ ـ ١٤٧٣، رقم: ٩٧١. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٤١٩.

ومن المحتمل أن مغرب الشمس هو في مكان الساحل الغربي لآسيا الصغرى حيث ساحل بحري إيجة ومرمرة. وهذا التحديد يعتمد على شخصية الملك ذي القرنين ومن هو هذا الملك[١]. أو هو عند شاطئ المحيط الأطلسي أو عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب، ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ[٢].

مقاعد القتال:

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ (آل عمران: ١٢١):

تبوئ المؤمنين أي تنزلهم، وأصله من المآب وهو المرجع، والمقاعد جمع مقعد، والمراد به مكان القعود أو بمعنى المواطن والمواقف، أو أنه ﷺ كان يبيّن لهم منازلهم ويجعلهم ميمنة وميسرة، وحيث أمرهم، وكان ذلك يوم أحد عند الجمهور. وعن الحسن البصري أن ذلك كان يوم الأحزاب، وعنه أيضا أنه كان يوم بدر، وهو رأي غريب لا يعوّل عليه[٣].

مقام إبراهيم:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)؛

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ (آل عمران: ٩٧):

المقام في اللغة موضع القدمين، حيث يقوم عليه الإنسان[٤]، وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن مقام إبراهيم هو عرفة

---

(١) مولانا أبو الكلام آزاد، المرجع السابق، ص١٣١.

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٦، ص٣٢٢٨ ـ ٣٢٢٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٧، ص٤٤١؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧، ٣٠١؛ ابن كثير، التفسير، ج٢، ص٩٠، ٩٢؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٣، ص٤٤ ـ ٤٥؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٤، ص٧١؛ النسفي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٨.

(٤) الواحدي النيسابوري، الوسيط، ج١، ص٢٠٥.

وجمع ومنى، وروى عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن مقام إبراهيم هو الحج كله، وقيل: هو الحرم كله، وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار والحجر الأسود والمشاعر كلها[1]. وقيل: هو الحجر الذي جعل عليه إبراهيم رجله حين غسلت أم إسماعيل رأسه وهو موضوع بإزاء الكعبة[2]. وقيل: ما وقف عليه ليأذن للحج[3]. والأرجح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم عليه السلام حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان يناوله إسماعيل لبناء البيت[4]. وروي عن مجاهد أن

---

(١) التفسير، ج١، ص٥٨ ـ ٥٩؛ انظر كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج١، ص٢٢٦، ج٣، ص٧١١؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٤٨٠ ـ ٤٨١؛ البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٥١؛ خليل ياسين، المرجع السابق، ج١، ص١٤٢؛ سعيد بن منصور، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٦٩، رقم: ٥١٠؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج١، ص٤٨٠؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص١٧٨؛ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، الزهور المقتطفة، ص٧٥؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص٣٥.

(٣) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، الزهور المقتطفة، ص٧٥.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الأنبياء، باب: يزِفُّون النَّسَّلانُ في المشي، عن ابن عباس، حديث رقم: ٣٣٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٥٠١؛ الألوسي، المصدر السابق، ج٤، ص٦؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص١٧٨ ـ ١٧٨؛ الطبري، التفسير، ج٣، ص٣٤ ـ ٣٥؛ عبد الملك بكر عبد الله قاضي، المرجع السابق، ج٢، ص٨٥، ٩٥، رقم: ٩٣٠٦. يقول الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم: هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام». (التفسير، ج٣، ص٣٦ ـ ٣٧). يقول عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني عن مقام إبراهيم: «إن ثبت وضعه (إبراهيم عليه السلام)، رجله على الحجر وهو على دابته فليس هذا بقيام على الحجر، ولا هو عبادة فلا يناسب مزية الحجر وإنما القيام الحقيقي هو ما وقع بعد ذلك من قيامه عليه لبناء الكعبة ثم للأذان بالحج». (مقام إبراهيم، تحقيق: علي بن حسين الحلبي الأثري، الرياض، ١٤١٧هـ، ص٥٠).

الآيات البينات هي أثر قدمي إبراهيم عليه السلام، وروي عن ابن عمر وابن عباس أن المقام من الجنة[١]. وروى ابن عمرو عن النبي ﷺ أن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، لولا ذلك لأضاءتا ما بين السماء والأرض أو ما بين المشرق والمغرب[٢].

وكان المقام ملتصقا بالكعبة، فأبعده الخليفة عمر ليسهل على الناس الطواف[٣].

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٣، ص٧١١؛ الأزرقي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩؛ الطبري، التفسير، ج٧، ص٢٩. وعزا السيوطي إخراج أقوال قتادة ومجاهد إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (الدر المنثور، ج٢، ص٥٤).

(٢) مرويات الإمام أحمد في التفسير، ج١، ص٩١. وقد أخرج الإمام أحمد هذا الحديث من طريق عفان عن رجاء بن أبي يحيى عن مسافع بن شيبة به، وصححه محققه، وأخرجه الترمذي من طريق يزيد بن زريع عن رجاء بن أبي يحيى به، ثم قال: هذا يروى عن ابن عمرو موقوفا. وفيه عن أنس أيضا، أخرجه الحاكم وهو حديث غريب، وأخرجه ابن حبان من طريق رجاء بن صبيح والحاكم، ومن طريقه البيهقي كذا في الترغيب، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: وقفه أشبه والذي رفعه ليس بالقوي، ورجاء بن أبي يحيى ضعيف. (البنا الساعاتي، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٨؛ الترمذي، السنن، كتاب الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، حديث رقم: ٨٧٨؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٣، ص٥٢٦ ـ ٥٢٧. انظر كذلك: مرويات الإمام أحمد في التفسير، ج١، ص٩١). وقال محقق كتاب البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج٧، ص٥٨٣، أن رجال الحديث موثقون، وعزا إخراجه كذلك إلى ابن خزيمه في صحيحه. انظر كذلك: المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٢١٧، رقم: ٣٤٧٤٠ ـ ٣٤٧٤٣.

(٣) الإمام أحمد، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، مكة المكرمة، ١٩٨٣، ج١، ص٣٢٤، رقم: ٤٥٥؛ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المصدر السابق، ص٥٥ ـ ٨٢؛ عبد الملك بكر عبد الله قاضي، المرجع السابق، ج٢، ص١٤١، ١٤٣ ـ ١٤٤، رقم: ٩٣٤١؛ المحب الطبري، المصدر السابق، ص٣٤٤ ـ ٣٤٧؛

Kister, M. J.,"Makām Ibrāhīm", EI², vol. 5, pp. 106-107.

مقام كريم:

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ (الشعراء: ٥٨):

قيل: هو الفيوم من أرض مصر[١]. والأرجح هو المنزل الحسن، وقيل: غير ذلك[٢].

المكان الشرقي:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ (مريم: ١٦):

انتبذت أي اعتزلت وانفردت وتخلت للعبادة من أهلها في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس أو قعدت في مشرقه للاغتسال من الحيض. وعن الحسن أن النصارى اتخذوا المشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا[٣].

المكان القريب:

﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ (ق: ٤١):

صخرة بيت المقدس التي يقف عليها إسرافيل فينفخ في الصور. وهذا مروي عن قتادة وكعب وغيرهما. ويروي كعب أنها أقرب الأرض إلى السماء بـ ١٨ ميلا[٤]. ويعلّق ابن عطية على قول كعب: «وهذا الخبر إن كان بوحي وإلا فلا سبيل إلى الوقوف على صحته»[٥]. أو أن مكان النداء وصف

---

(١) السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٢٤.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص١٢٥؛ القرطبي، التفسير، مج٧، ص٧١.

(٣) بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٧٤؛ الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٥٠٥؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٧، ص٥٢٠.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٥٧٥ ـ ٥٧٦؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص١١٠ ـ ١١١؛ الطبري، التفسير، ج٢٦، ص١٨٣؛ النويري، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٥.

(٥) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٥٧٦.

بالقرب من حيث تسمعه جميع الخلائق[1]. ثم إنه لم يصح الخبر إلى كعب نفسه لأن في إسناده الوليد بن مسلم وهو من مدلسي المرتبة الرابعة والذين لا يقبل حديثهم إلا بالتصريح بالسماع ولم يصرّح هنا وقتادة الذي روى هذا الأثر عن كعب لم يسمع منه لأن كعبا توفي قبل ولادة قتادة.

المكان القصي:

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (مريم: ٢٢):

أي بعيدا عن أهلها وراء الجبل، وقيل: أقصى الدار وقيل: مكانا بعيدا عن زكريا حياء منه. وقيل: ذهبت إلى مصر[2]. ولكن من المعروف عند النصارى وهو وارد في الأناجيل أن مريم كانت مقيمة في الناصرة وليس في بيت المقدس، وأنها كانت ذاهبة إلى بيت لحم، وولدت عيسى عليه السلام في مغارة ببيت لحم. وتبعد بيت لحم ٦ أميال إلى الجنوب من بيت المقدس[3].

مكة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: ٢٤):

هي مكة المكرمة، والحرم الآمن، وأم القرى، ومهبط الوحي، ومبعث النبي ﷺ. تقع مكة في منتصف الطريق بين اليمن والشام، وتبعد

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٣، ص٥٧٥.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٥٠٦؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٧، ص٥٢٥.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح: ٢، الآية: ١؛ إنجيل لوقا، الإصحاح: ١، الآية: ٢٦، الإصحاح: ٢، الآيات: ٤ ـ ٧؛ أحمد زكي، انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، بيروت، ١٩٩٥، ص٣١٢٢٩١٢٦٤ ـ ٣١٣؛ بطرس عبد الملك وآخرين، المرجع السابق، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦، ٩٤٦ ـ ٩٤٧؛

DKIFB, pp. 211, 218-219; NNABD, pp. 883-884.

عن ساحل البحر الأحمر بـ ٨٠ كم، في واد من أودية جبال السراة، تحيط به الجبال، وله ثلاثة منافذ[١]. وقد اختلف العلماء والرواة والأخباريون في اشتقاق كلمة ﴿مَكَّةَ﴾، فقيل أنها تمك الجبارين، أي تذهب نخوتهم، وتستأصلهما، و أنها مشتقة من قول: امتك الفصيل ضرع أمه، إذا مصه مصا شديدا وشرب ما فيه من حليب، ولما كانت مكة مكانا للعبادة فقد جذبت الناس من جميع الأماكن. أو أنها سميت بذلك لقلة مائها، فكان أهلها يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه، أو أنها سميت بذلك كونها وسط الأرض كالمخ الذي هو وسط العظم وأصله، إلى غير ذلك من التفسيرات[٢]. ويحتمل أن الاسم أخذ من لغة المسند، وهي «مك رب»، فـ«مك» تعني «بيت»، و«رب» تعني «الرب تعالى»، أي بمعنى «بيت الرب». أو أصل الكلمة هو «مقرب» التي تعني «الهيكل». وقد أورد الجغرافي المشهور، بطليموس، اسم مدينة دعاها «ماكورابا» (مكربة)[٣]. وبالتأكيد إن تاريخ مكة، قديم جدا، وله أحداث ووقائع تاريخية كثيرة. وقد أوردنا سابقا معلومات عن البيت الحرام والمسجد الحرام وبكة، وغيرها.

---

(١) عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٣٠١؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، ج٢، ص٧٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٧، ص٤٣٨؛ ابن الجوزي، مثير العزم الساكن، ج١، ص٣٢٤؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص٤٩٠ ـ ٤٩١؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٧٧٢؛ السمين الحلبي، المصدر السابق، ج٤، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٤، ص٩ ـ ١١؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، ج٢، ص٨٠، ٨٢ ـ ٨٣. وتعني لفظة «مكة» في اللغة البابلية «البيت». (هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص٢٤٩، ٨٠٧).

المؤتفكات ـ المؤتفكة:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ (التوبة: ٧٠)؛

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ الحاقة: ٩)؛

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ (النجم: ٥٣):

المراد لغة هو كل من انقلبت مساكنه ودثرت أماكنه، وهي مدائن قرى لوط، وقيل: البصرة[١]. والأرجح هي قرى لوط. ويقال إنها خمس: صامورا وصابورا وسدوم ودومة وعامورا، وأعظمها سدوم. وقيل: هي صعبة وصعدة وعميرة ودوما وسدوم. ويروى أنه كان على كل مدينة سور عظيم مبني من الحجارة الرصاص، وعليهم ملك يدعى سدوم، وهو من بيت نمرود بن كنعان[٢]. وكانت منطقة قرى لوط عبارة عن خرائب في أيام المسعودي في حوالي عام ٣٣٢هـ، وترى فيها الحجارة المسومة[٣]. وقد أوقع الله تعالى بقوم لوط عذابا خاصا، لم يوقع مثله في أقوام كافرين آخرين، وهذا العذاب يتناسب مع جرائمهم التي ارتكبوها[٤]. وروي عن قتادة أن مدائن قوم لوط أربع، ثلاث منهن بالسهل، ببطن الغور، فيها ثلاثة آلاف ألف، والرابعة على الظاهر من الشراة فيها أربعة آلاف ألف إنسان. وهذا الأثر عن قتادة لا يصح لوجود الغرائب والمبالغات فيه، كما أن في

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١٤، ص١٣١؛ ابن كثير، التفسير، ج٤، ص١١٤، ج٧، ص٤٤٢؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٤، ص٩٩، ج١٠، ص٢٨٤، ٦٢٣؛ فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٤٣١، ٤٣٢.

(٢) السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٧٦؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص١٢٣. يورد الطبري عددا من الروايات والآثار عن مجاهد وقتادة وابن زيد وأبي عيسى يحيى بن رافع في تفسير المؤتفكة والمؤتفكات. (انظر: التفسير، ج١٤، ص٣٤٥؛ ج٢٧، ص٧٩، ج٢٩، ص٥٢ ـ ٥٤. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، التفسير، ج٦، ص١٨٣٧).

(٣) مروج الذهب، ج١، ص٤٧ ـ ٤٨.

(٤) صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج١، ص٥١٥ ـ ٥١٦.

سنده خليد بن دعلج وهو ضعيف، وقد حدّث عن قتادة أحاديث بعضها منكرة، وقال عنه ابن معين: ليس بثقة، وفي سند الأثر أيضا الوليد بن مسلم، وهو كثير التدليس والتسوية[1]. وروي عن مجاهد أن قرى قوم لوط أهوى بها جبريل، ورفعها إلى السماء ثم أهوى بها[2]. ويقول الطبري: «فإن قال قائل: فإذا كان عني بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد؟ قيل: إنها كانت قريات ثلاث فجمعت لذلك ولذلك جمعت بـ «التاء» على قول الله والمؤتفكة أهوى»[3]. ويشيع بين الناس أن قرى قوم لوط هي الآن في باطن البحر الميت، ويحاول البعض الغوص في أعماق البحر للبحث عن المؤتفكات المستقرة في قاعه. وكانت قبل ذلك واحة غنّاء، مخضرة. وقد أظهرت صور القمر الصناعي ثلاثة مظاهر غير طبيعية، ربما تكون خرائب عمرانية واقعة في الطرف الشمالي من البحر الميت. وهذه الصور هي التي شجعت البعض على المضي في استكشاف قاع البحر بحثا عن قرى لوط، وتم تخصيص غواصة صغيرة لهذا الغرض[4].

---

(١) روى هذا الأثر أبو الشيخ في كتاب العظمة، ج٣، ص٧٩٨ ـ ٨٠٠، رقم: ٣٧٢. انظر كذلك: أبا أحمد بن عدي، الكامل، ج٣، ص٤٧ ـ ٤٩؛ الحافظ المزي، تهذيب الكمال، ج٨، ص٣٠٧ ـ ٣٠٩. وقد وردت في النص المطبوع من كتاب العظمة عبارة قتادة بصورة غير مفهومة وهي: «مدائن قوم لوط تبلغ ثلاثة آلاف ألف بالسهل ببطن الغور، والرابعة على الظاهر من الشراة فيها أربعة آلاف ألف إنسان». ولقد قمنا بإعادة صياغة العبارة ليستقيم السياق، والله أعلم بالصواب.

(٢) وإسناد الرواية صحيح. أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، ج٣، ص٧٩٦ ـ ٧٩٧، رقم: ٣٦٩. انظر كذلك: الطبري، التفسير، ج٢٧، ص٧٩.

(٣) التفسير، ج١٤، ص٣٤٦. يقول صديق بن حسن القنوجي في المؤتفكات أنها «قرى قوم لوط، وقد أهلكهم لما أمطر عليهم من الحجارة، فإن كانت مراده به فهي على حقيقتها وإن كان المراد مطلق قرى المكذبين، وهي لم تخسف بأجمعها فيكون المراد به مجازا انقلاب حالها من الخير إلى الشر تشبيها على طريق الاستعارة». (المصدر السابق، ج٣، ص١٤٣ ـ ١٤٤).

(٤) صحيفة الخليج (استراحة الجمعة)، ع. ٧١٤٥، الجمعة ٢٢ شعبان ١٤١٩هـ = ١١/ ١٢/١٩٩٨.

حـرف الـنـون

نعمة:

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ (الدخان: ٢٧):

قيل: المراد بالنعمة هو نيل مصر، ونسب هذا القول إلى ابن عمر، وقال ابن لهيعة: إنها الفيوم، وعن ابن زياد أنها أرض مصر[١]. ولكن ابن كثير فسّر الثلاث آيات بصورة عامة، ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ فتحدث عن الجنات على حافتي نهر النيل، ما بين أسوان إلى رشيد، وكان له تسعة خلجان، وأن جميع أرض مصر زروع وخضرة وخيرات. فعاش قوم فرعون عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة[٢]. ويبدو أن الأرجح هو أن النعمة التي كان فيها فرعون وقومه هي السعة ونضارة العيش، واستعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والطعام الناعم والعيشة الحسنة[٣].

---

(١) القرطبي، التفسير، مج٨، ص٩٣.

(٢) التفسير، ج٧، ص٢٣٩.

(٣) البروسوي، المصدر السابق، ج٨، ص٤١٢؛ سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٩، ص٥١٩١؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٤، ص٥٧٥؛ الطبري، التفسير، ج٢٥، ص١٢٣؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٥، ص٩٠؛ القرطبي، التفسير، مج٨، ص٩٣.

نهر:

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ (البقرة: ٢٤٩):

وهو نهر فلسطين وقيل: الأردن وهو المسمى بالشريعة[١]. وقيل: هو نهر بين الأردن وفلسطين[٢]. أو هو نهر أبي فطرس القريب من الرملة[٣]. وقيل: إنه نهر أجراه طالوت لبني إسرائيل، بأمر الله تعالى، لما شكوا إليه العطش والجهد[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٢٣؛ ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج١، ص١٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٨؛ الثعلبي، عرائس المجالس، ص٢٣٨؛ الطبري، التاريخ، ج١، ص٤٦٩؛ الطبري، التفسير، ج٥، ص٣٤٠ وما بعدها؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٢، ص٤٩٦؛ النويري، المصدر السابق، ج١٤، ص٤٤. وعزا السيوطي إخراج قول ابن عباس من أن النهر هو نهر الأردن إلى ابن أبي حاتم. وأيضا ذكر السيوطي قولا لابن عباس أن النهر هو فلسطين، وعزا إخراجه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. (الدر المنثور، ج١، ص٣١٨).

(٢) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٢٥؛ ابن أبي حاتم، التفسير، ج٢، ص٤٧٣؛ البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥١. وهذا قول لابن عباس كما أورده السيوطي، وعزا إخراجه إلى ابن جرير. (الدر المنثور، ج١، ص٣١٨).

(٣) البلنسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

(٤) صابر طعيمة، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٣٢ - ٢٣٣.

حرف الواو

واد غير ذي زرع:

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم: ٣٧):

هو وادي مكة الذي تشرف عليه جبال جرد فتزيد في قساوته، ولا يوجد به ماء غير ماء زمزم، وآبار أخرى حفرها أهالي مكة، لذلك لم تصلح أراضي مكة لأن تكون أرضا ذات نخل وزرع. وقد سكن الناس في البداية جبل أبي قبيس قبل سكنهم بطحاء مكة، لأنه مكان مرتفع، لا خطر على من يسكنه من إغراق السيول له. وجعلت طبيعة هذا الوادي أهالي مكة يميلون إلى السلم ولا يميلون إلى الحرب إلا في حالات الدفاع عن النفس، فهم يعون حقيقة كونهم في واد ضيق بين جبلين متقابلين، وفي استطاعة الأعداء سد منفذي الوادي والسيطرة على المرتفعات المحيطة، فينحصرون وتنقطع عنهم السبل. كما أن ضرورات التجارة والحياة حتمت عليهم التعامل السلمي مع القبائل الأخرى(1). وروي عن قتادة وغيره أن مكة لم يكن بها زرع يوم مجيئ إبراهيم عليه السلام بزوجته وابنه. وقد روت عدد من كتب الحديث والتفسير قصة هاجر ومحاولاتها البحث عن مصدر الماء ثم تفجر الماء بين رجلي إسماعيل، وترك إبراهيم لولده وزوجته بأمر الله في هذا

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤، ص٣٦٦؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٢٥٣؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٣، ص٢٣٧؛ جواد علي، المفصل، ج٤، ص٥، ٧، ٢١؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج١٣، ص٢٤١. وقد روى عبد الرزاق قول قتادة بسند صحيح. (حكمت بن بشير بن ياسين، المرجع السابق، ج٣، ص١٤١).

الوادي، مع اتكاله الكامل على الله تعالى[1]. وقوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧) يدل على أن البيت كان قديما في هذا الوادي، وكان علمه عند إبراهيم عليه السلام، وإما أن يكون قالها لما كان قد أعلمه الله تعالى أنه سيبنى هنالك بيتا لله عز وجل فيكون محرما[2].

وادي النمل:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ (النمل: ١٨):

يقال: إنه واد تسكنه الجن الذين كانوا يتخذون النمل مراكبا لهم، وقيل: إنه فيما وراء الهند أو في بلاد التبت أو اليمن أو قريب من الطائف. أو هو واد بين بيت جبرين وعسقلان[3]. وقيل: هو واد كثير النمل بالشام[4]. وقيل: هو واد يعرف بوادي السدير (أو السدر) في منطقة الطائف[5]. وقيل: هو واد بأقصى بلاد اليمن، وقيل: هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم، وهذا التحديد الأخير مما لا يصدق ولا يلتفت إليه[6].

---

(١) ابن أبي حاتم، التفسير، ج١، ص٢٣٢؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص١١٣ - ١١٤؛ السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص٥٤؛ عبد الرزاق، التفسير، ج٢، ص٣٤٣؛ القرطبي، المصدر السابق، ج٩، ص٢٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) ابن عطية، المصدر السابق، ج٨، ص٢٥٣؛ القرطبي، التفسير، ج٩، ص٣٤٣.

(٣) الخازن، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٩؛ عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ج٩، ص٢٨٥٧؛ ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص١٨٥؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٦٠؛ الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص١٤١؛ الفخر الرازي، المصدر السابق، ج٨، ص٥٤٨. انظر الحوار بين النملة وسليمان عليه السلام، النويري، المصدر السابق، ج١٤، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج١٩، ص١٧٥؛ النويري، المصدر السابق، ج١٤، ص١٠٣.

(٦) أبو حيان، المصدر السابق، ج٧، ص٦٠؛ الألوسي، المصدر السابق، ج١٩، ص١٧٥.

الوادي:

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ (الفجر: ٩):

أي ثمود الذين قطعوا صخور الجبال واتخذوا فيها بيوتا، وقيل: إنهم أول من نحت الجبال والصخور والرخام، وبنوا ١٧٠٠ مدينة كلها من الحجارة. وتدل الآية على أن ثمودا كانوا يسكنون في منطقة صخرية في أحد الأودية[١]. ويقال: إنهم كانوا ينقبون في الجبال البيوت، ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبل. وقيل: إنهم كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم[٢]. ويروى أن الوادي المذكور في الآية هو وادي القرى[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٥٠؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج١، ص٢٧١ ـ ٢٧٢؛ محمد سلامة جبر، المرجع السابق، ج١، ص٤٨؛ النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨٨.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٤٩٦.

(٣) النسفي، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨٨؛ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، المصدر السابق، ج٣٠، ص٩٢.

حرف الياء

يثرب:

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ (الأحزاب: ١٣):

الاسم القديم لمدينة الرسول ﷺ. وأثرب لغة في يثرب وهي نسبة إلى أول من سكنها وهو يثرب بن قانية بن مهليل بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: يثرب بن قانية بن مهلايل بن إرم بن عاد بن عوص بن إرم بن نوح، وقيل: هو يثرب بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم، وقيل في نسبه غير ذلك[١]. وقيل: إن يثرب كلمة محرفة عن الكلمة المصرية «أتربيس»[٢]. وأقدم مصدر أشار إلى يثرب هو نص الملك البابلي نبونئيد الذي سكن تيماء مدة تزيد على عشر سنوات، وسماها بطليموس يثربه، وعُرفت عند اصطفيان البيزنطي بـ«المدينة»، وورد اسمها في عدد من الكتابات المعينية. ولورودها في هذه المصادر يدل على أنها كانت معروفة في فترات متعددة من التاريخ[٣]. ويثرب لغة إما لكونه مأخوذا من الثَّرَب وهو الفساد أو

---

(١) انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص٢١؛ أحمد بن عبد الحميد العباسي، المصدر السابق، ص٥٥ ـ ٥٦؛ السهيلي، التعريف والإعلام، ص١٣٧؛ الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور، ج٢، ص٣٤٧؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد، ج١٤، ص٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، دمشق، ١٩٨٢، ص٢١ ـ ٢٢.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٤، ص١٣٠؛ خالد الدسوقي، «نابونيد وحملته في شمال الحجاز»، الدارة، س. ٢، ع. ٢، (يوليو ١٩٧٦)، ص٢٠١؛

Winder, R. B., op.cit., p. 994.

من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب[١]. وكانت يثرب في القدم أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وفيها نخيل كثيرة، وهي غربي مشهد حمزة، كان ينزلها الحاج الشامي. ويحتمل أنها سميت بها كل أرض المدينة في السابق[٢].

وقد أورد البعض أن النبي ﷺ نهى عن تسميتها بهذا الاسم نظرا لاشتقاقاته ومعانيه اللغوية، وقال: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات». وهذا حديث لا يصح تفرد به صالح بن عمر عن يزيد أبي زياد، قال فيه عبد الله بن المبارك: إرم بيزيد، وقال أبو حاتم الرازي: كل أحاديثه موضوعة، وقال النسائي: متروك الحديث[٣]. وورد في أحاديث أخرى

---

(١) محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٦٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص٩؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٤٠.

(٣) انظر: ابن الجوزي، كتاب الموضوعات، تحقيق: توفيق حمدان، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص١٣١؛ الذهبي، ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، ص١٨٧، رقم: ٦٠٧؛ موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج١٠، ص١٧٣. (يعلّق حمزة أحمد الزين على هذا الحديث بقوله أن إسناده ضعيف، لأجل يزيد بن أبي زياد، وهو عند أبي يعلى (٣/ ٢٤٧، رقم: ١٦٨٨. ولكن الحديث له شواهد فإن النبي ﷺ سمى المدينة طابة. (الإمام أحمد، المسند، شرحه ووضع فهارسه: حمزة أحمد الزين، القاهرة، ١٩٩٥، ج١٤، ص١٩٧، حديث رقم: ١٨٤٢٨). وعلى الرغم من طعن ابن الجوزي في هذا الحديث إلا أنه قد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات، وقد ذب الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث في كتابه القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، وهو الحديث الحادي عشر. وقال إن يزيد وإن ضعَّفه بعضهم من قِبل حفظه وبكونه كان يُلقَّن فيتلقن في آخر عمره فلا يلزم من شيئ من ذلك أن يكون كل ما يُحدِّث به موضوعا. (انظر: ابن حجر العسقلاني، أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير ناصر الناصر، دمشق، ١٩٩٣، ج١، ص٥٨٢، رقم: ١١٣٦؛ البنا الساعاتي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٢٦٧؛ محمد محمد شراب، في أصول تاريخ العرب الإسلامي، دمشق، ١٩٩٣، ص٩٢). ونُسب للنبي ﷺ حديث آخر: «من قال: يثرب فليقل: المدينة عشر مرات». وهو لا يصح. (انظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة =

تصريح النبي ﷺ باستخدام اسم يثرب مثل قوله ﷺ: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»(١). وقوله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية»(٢). والمقصود في هذا الحديث أن عمارة بيت المقدس بكثرة الرجال والعقار والمال، أي وقت خراب المدينة، وقيل: إن عمرانه باستيلاء الكفار عليه أو عمرانه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان ثم يعمره الكفار، والأصح بالعمران هو الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد، وقت خراب المدينة فإن بيت المقدس لا يخرب(٣). وورد

= والموضوعة، ج١٠، ص١٧٤). وصالح بن عمر، ثقة. (انظر: ابن حبان، كتاب مشاهير علماء الأمصار، ص١٧٨، رقم: ١٤٠٧؛ من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال، ص٧٥، رقم: ٢١١).

(١) الحديث من رواية أبي هريرة، أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب فضائل المدينة، باب: فضائل المدينة وأنها تنفي الناس، حديث رقم: ١٨٧١) ومسلم في صحيحه (كتاب: الحج، باب: المدينة تنفي شرارها، حديث رقم: ١٣٨٢). (البنا الساعاتي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٣٦٦). وأخرجه النسائي، التفسير، ج٢، ص١٦٤، رقم: ٤١٩.

(٢) الحديث من رواية معاذ بن جبل، وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في النهاية عن الإمام أحمد (المسند، ج٥، ص٢٣٢، ٢٤٥) وقال: وهكذا رواه أبو داوود (السنن، ج٤، ص٤٨٢) عن عباس العنبري عن أبي النضر هاشم بن القاسم به، وهذا إسناد جيد وحديث حسن وعليه نور الصدق وجلالة النبوة. (ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: أحمد عبد الشافي، بيروت، ١٩٩١، ص٤٦؛ البنا الساعاتي، المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٨). وروى أبو عمرو عثمان الداني هذا الحديث بلفظة «عمارة بيت المقدس». وقد أخرجه أيضا أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب: أمارات الملاحم، حديث رقم: ٤٢٩٤؛ وابن أبي شيبة في المصنف؛ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. (أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعةوأشراطها، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض، ١٩٩٥، ج٣ ـ ٤، ص٨٨٥ ـ ٨٨٦، ٨٩٠، رقم: ٤٥٧، ٤٥٩).

(٣) ابن كثير، النهاية، ص٤٦؛ عون المعبود، ج١١، ص٤٠ ـ ٤١. وقد أخرج أبو داوود هذا الحديث في السنن، كتاب الملاحم، باب أمارات الملاحم.

عن النبي ﷺ قوله: «يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية رأيت في المنام أن أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب»[1]. ويبدو أن النهي إنما كان للتنزيه والشارع من شأنه تغيير الأسماء القبيحة إلى الحسنة، كما أن الله تعالى ذكرها في القرآن باسم ﴿يَثْرِبَ﴾ إخبارا به عن تسمية الكفار لها قبل أن تنزل تسميتها، ويجوز أن يكون هذا قبل النهي[2].

اليم:

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ (طه: ٣٩)؛

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ (القصص: ٧):

﴿ٱلْيَمِّ﴾ لغة البحر، وهو معرب سريانية وأصله «يما» أو هو عبراني الأصل أو أن اللفظة قبطية الأصل أو زنجية، أو لعل أصله عربي أخذته لغات سامية أخرى من العربية[3]. والمعني في الآية هو نهر النيل[4].

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم: ٣٦٢٢؛ مسلم، الصحيح، كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٢٧٢.

(٢) بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٣، ص٢١٨؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج٢، ص٣٠٦؛ محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، ص٤٠، ٦٤.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق، ص١٩١ ـ ١٩٢؛ السيوطي، المهذب، تحقيق: التهامي الراجحي، ص٧٣، ١٦٦؛ السيوطي، قطف الأزهار، ج٢، ص١٠٤٧؛ مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٥، ص٣٩٤؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٧٥.

(٤) ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص٢٦٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص١٠؛ السدي، التفسير، ص٣٤٥؛ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ج٢، =

ونهر النيل هو أطول أنهار العالم حيث يبلغ طوله حوالي ٦٥٠٠ كم. وينبع من سلسلة البحيرات الكبيرة مثل فكيتوريا وألبرت وغيرهما، وتغذيه أيضا سيول الحبشة. ويمر النهر بسهول وصحاري واسعة وغابات ضخمة. وأصل لفظة «النيل» هي الكلمة اليونانية «نيلوس» Neilos. ولهذا النهر العظيم ارتباط قوي ومتين بتاريخ مصر منذ نشأة الحضارة والاستيطان فيها، ومصر فعلا هبة النيل. وقد مجّد المصريون نهر النيل واعتبروه أصل الحياة وذكروا فضائله في أناشيدهم وتراتيلهم، ونال عندهم مكانة دينية عالية[١]. ووصف الجغرافيون المسلمون بإسهاب نهر النيل وبيّنوا عظمة هذا النهر ومكانته في مصر وعذوبة مائه وبيئته ورووا في فضله عددا من الروايات والأقوال[٢]. كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: بأن نهر النيل أحد أنهار الجنة[٣].

= ص٢٨٦؛ الغرناطي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٢؛ محمد بن أحمد كنعان، المرجع السابق، ص٢٢٠؛ النسفي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧؛ النويري، المصدر السابق، ج١٣، ص١٨٠.

(١) لمزيد من التفاصيل حول نهر النيل وتاريخه ومنابعه وبيئته وذكره في المصادر المختلفة ودوره في الحياة المصرية، انظر مثلا: أبو اليسر فرج، النيل في المصادر الإغريقية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٤١ فما بعدها؛ جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة، ١٩٨٠، ج١، ص١٢٣ فما بعدها؛ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (١) مصر، ص٢٩٨ ـ ٣٠٤؛ مختار السويفي، مصر والنيل، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٨ ـ ٢٨؛ معجم الحضارة المصرية القديمة، ص٢٦٣ ـ ٢٦٥؛ BMDAE, pp. 202-203.

(٢) انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٧٥؛ ابن الفقيه الهمداني، المصدر السابق، ص٦٤ ـ ٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٥ ـ ٣٩١.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢٠٧، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج، حديث رقم: ٣٨٨٧؛ الإمام أحمد، المسند (الموسوعة الحديثية)، ج١٢، ص٥٠٦ ـ ٥٠٧، حديث رقم: ٧٥٤٤، ج١٣، ص٢٦٨، حديث رقم: ٧٨٨٦، ج١٥، ص٤٢١، حديث رقم: ٩٦٧٥، ج٢٠، ص١٠٧ ـ ١٠٨، حديث رقم: ١٢٦٧٣؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٦، ص٣٧٢، ج٧، ص٢٥٦، ٢٧١؛ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج١، ص٥٠٣.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (الأعراف: ١٣٦)؛

﴿مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ (طه: ٧٨)؛

﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص: ٤٠):

البحر الأحمر حيث أغرق الله تعالى فرعون وجنوده وقيل: كان غرقهم في نيل مصر، ولكن الرأي الأول هو الأرجح[1]. وقيل: هو بحر يسمى إسافا من وراء مصر[2].

﴿لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه: ٩٧):

أي نلقيه في البحر[3]. وهو البحر الأحمر.

---

(١) ابن عطية، المصدر السابق، ج١١، ص٣٠٣؛ البقاعي، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٣٧؛ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج٩، ص٧٥. يدعي كمال صليبي أن «اليم» تعني غرب الرمال، وأنها تشير إلى بلاد يام على حدود الربع الخالي. (التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٢٦٤). انظر كذلك: زياد منى، المرجع السابق، ص١٩٥ فما بعدها.

(٢) السيوطي، مفحمات الأقران، ص٨٤.

(٣) ابن جزي الغرناطي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩؛ أبو حيان، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٦؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٢٨، ٣٢٧.

المصادر والمراجع العربية

(١) إبراهيم أحمد المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥.

(٢) إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، بيروت، (دار المعرفة)، بدون تاريخ.

(٣) إبراهيم بن صالح بن راشد المجادعة الدوسري، الأفلاج، سلسلة هذه بلادنا، رقم: ٢٧، الرياض، ١٩٩٠.

(٤) إبراهيم العلي، الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لندن، ١٩٩٦.

(٥) إبراهيم كمال أدهم، السحر والسحرة من منظور القرآن والسنة، بيروت، ١٩٩١.

(٦) إبراهيم يوسف الشتلة، «الثموديون»، الدارة، س. ٥، ع. ٤ (١٩٨٠)، ص. ١٨٥ ـ ١٩٨.

(٧) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة، ١٩٩٧.

(٨) ابن أبي شيبة المصنف، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، ط. ٢، ١٩٧٩.

(٩) ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الرياض، ١٩٩٩.

(١٠) ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، بيروت، ١٩٩٦.

(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ١٩٨٥.

(١٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، ١٩٦٣.

(١٣) ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (مكتبة الجمهورية المصرية)، القاهرة، بدون تاريخ.

(١٤) ابن إياس الحنفي، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤.

(١٥) ابن أيبك الداواداري، كنز الدرر وجامع الغرر: ج. ٢ ـ الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، تحقيق: إدوارد بدي، بيروت، ١٩٩٤.

(١٦) ابن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٩٩١.

(١٧) ابن بلهيد النجدي، صحيح الأخبار في بلاد العرب من الآثار، بيروت، ١٩٧٢.

(١٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٢٩.

(١٩) ابن تيمية، مناقب الشام وأهله، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، والكتاب مع كتاب تخريج أحاديث فضائل الشام للألباني، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢٠) ابن جبير، الرحلة، بيروت، ١٩٧٩.

(٢١) ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونس وإبراهيم عوض، القاهرة، ١٩٧٣.

(٢٢) ابن جنّي، المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، إسطنبول، ط. ٢، ١٩٨٦.

(٢٣) ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، ١٩٨٩.

(٢٤) ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تحقيق: علي حسن البواب، الرياض، ١٩٨٦.

(٢٥) ابن الجوزي، الحدائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق: مصطفى السبكي، بيروت، ١٩٨٨.

(٢٦) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط. (المكتب الإسلامي)، دمشق. زاد المسير، المكتب الإسلامي، دمشق/بيروت، ١٩٨٧.

(٢٧) ابن الجوزي، كتاب الموضوعات، تحقيق: توفيق حمدان، بيروت، ١٩٩٥.

(٢٨) ابن الجوزي، مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الرياض، ١٩٩٥.

(٢٩) ابن حبان، الثقات، حيدرآباد، ١٩٨٠.

(٣٠) ابن حبان، كتاب مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر، بيروت، ١٩٥٩.

(٣١) ابن حبان، المجروحين، تحقيق: محمود زايد، حلب، ١٤٠٢هـ.

(٣٢) ابن حبيب، المحبّر، (دار الآفاق الجديدة)، بيروت، ب.ت.

(٣٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٧١.

(٣٤) ابن حجر العسقلاني، أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل، المسمى: إطراف المُسنِد المعتلي بأطراف المُمسنَد الحنبلي، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، دمشق، ١٩٩٣.

(٣٥) ابن حجر العسقلاني، تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: عبد الرحمن القزقي، عَمان، ١٩٨٥.

(٣٦) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، حلب، ١٩٩١.

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد عبد الباقي، بيروت، ١٩٨٩. فتح الباري، تحقيق: دار أبي حيان، القاهرة، ١٩٦٩.

(٣٨) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، حيدر آباد، ١٩٧١.

(٣٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٢.

(٤٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ط. ٢، ١٩٣٨.

(٤١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، وضع المقدمة والهوامش والفهارس: محمد مخزوم، بيروت، ١٩٨٨.

(٤٢) ابن خلدون، العبر في وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)، بيروت، ١٩٧١.

(٤٣) ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، ١٩٨٧.

(٤٤) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، بيروت، ١٩٨٨.

(٤٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (دار صادر)، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٦) ابن سيده، المخصص، بيروت، (دار الفكر)، ١٩٧٨.

(٤٧) ابن شيرويه الديلمي، فردوس الأخبار، تحقيق: فواز أحمد الزمرلي و محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، ١٩٨٧.

(٤٨) ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: عادل عبد الحميد العدوي، مكة المكرمة، ١٩٩٦.

(٤٩) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة، ١٩٦٩.

(٥٠) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٨٠.

(٥١) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المحميدة، ١٩٩٠.

(٥٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد صبيح، القاهرة، (مؤسسة دار التعاون،)، ١٩٧٤.

(٥٣) ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ١٩٨٠.

(٥٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دمشق، ١٩٩٥.

(٥٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالي الفاروق ـ عبد الله الأنصاري ـ عبد العال السيد ـ محمد الشافعي صادق، الدوحة، ١٩٧٧.

(٥٦) ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: هادي حسن حمودي، الكويت، ١٩٨٥.

(٥٧) ابن فضل العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إعداد: فؤاد سزكين، إستانبول، ١٩٨٨.

(٥٨) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، بيروت، ١٩٨٨.

(٥٩) ابن قانع، معجم الصحابة، تحقيق: خليل إبراهيم قوتلاي، الرياض، ١٩٩٨.

(٦٠) ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ط. ٢، ١٩٦٩.

(٦١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملح وآخرين، بيروت، ١٩٨٩. وتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، ١٩٩٧.

(٦٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، طبعة الشعب، القاهرة، ١٩٧١. وبتحقيق: محمد إبراهيم البنا، بيروت، ١٩٩٨.

(٦٣) ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، بدون تاريخ.
(٦٤) ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت، ١٩٩٠.
(٦٥) ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: أحمد عبد الشافي، بيروت، ١٩٩١.
(٦٦) ابن الملقن، مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد، الرياض، ١٤١١هـ.
(٦٧) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، (دار صادر)، بدون تاريخ.
(٦٨) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقّا، بيروت، ١٩٨٣.
(٦٩) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، الزرقاء، ١٩٨٨.
(٧٠) ابن النجار، أخبار مدينة الرسول ﷺ، المعروف بالدرة الثمينة، تحقيق: صالح محمد جمال، مكة المكرمة، ١٩٨١.
(٧١) ابن الوردي، التاريخ، النجف، ١٩٦٩.
(٧٢) أبو أحمد بن عدي، أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه، تحقيق: عامر حسن صبري، بيروت، ١٩٩٤.
(٧٣) أبو أحمد بن عدي، الكامل في الضعفاء، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، ١٩٨٨.
(٧٤) أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٨٨. أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
(٧٥) أبو بكر بن العربي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، إعداد: هشام سمير البخاري، بيروت، ١٩٩٥.
(٧٦) أبو حاتم الرازي، كتاب الجرح والتعديل، (دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد)، ط. ١، (دار إحياء التراث العربي)، بيروت.
(٧٧) أبو الحسن الندوي، تأملات في سورة الكهف، القاهرة، ١٩٧٧.
(٧٨) أبو داوود، السنن، تعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، بيروت، ١٩٦٩.
(٧٩) أبو داوود، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٩٨٨.
(٨٠) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، كتاب البدء والتاريخ، وضع حواشي الكتاب خليل عمران المنصور، بيروت، ١٩٩٧.

(٨١) أبو السعود، التفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، بيروت، (دار إحياء التراث العربي)، ١٩٩٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (دار المصحف)، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨٢) أبو الشيخ الأصفهاني، أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، الرياض، ١٩٩٨.

(٨٣) أبو الشيخ الأصفهاني، كتاب العظمة، تحقيق: محمد فارس، بيروت، ١٩٩٤.

(٨٤) أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، قرطاج، ١٩٩٢.

(٨٥) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ١٩٨٣، القاهرة. وتحقيق: جمال طلبة، بيروت، ١٩٩٨.

(٨٦) أبو عبيد القاسم بن سلام، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، رواية عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت، ١٩٨٥.

(٨٧) أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض، ١٩٩٥.

(٨٨) أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة من طبعة سنة ١٨٤٠.

(٨٩) أبو القاسم بن بشكوال، كتاب الغوامض والمبهمات، تحقيق: محمود مغراوي، جدة، ١٩٩٤.

(٩٠) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٧.

(٩١) أبو اليسر فرج، النيل في المصادر الإغريقية، القاهرة، ١٩٩٥.

(٩٢) أبو يعقوب الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

(٩٣) أبو يعلى الموصلي، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، بيروت، ١٩٨٥.

(٩٤) أثير الدين أبي حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد، ١٩٧٧.

(٩٥) الإمام أحمد، كتاب العلل ومعرفة الرجال، تعليق: طلعت قوج بيكيت و إسماعيل جراح أوغلي، إستانبول، ١٩٨٧.

(٩٦) الإمام أحمد، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، مكة المكرمة، ١٩٨٣.

(٩٧) الإمام أحمد، المسند، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، بيروت، ١٩٩١. الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، بيروت، ١٩٩٤. المسند بتحقيق: محمد أحمد شاكر، القاهرة، (دار الاعتصام)، ١٩٧٠. المسند، شرحه ووضع فهارسه: حمزة أحمد الزين، القاهرة، ١٩٩٥.

(٩٨) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، القاهرة، ١٩٨٥.

(٩٩) أحمد أبو الفضل عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، الرياض، ١٩٨٠.

(١٠٠) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر . العراق . إيران، بيروت، ١٩٨٩.

(١٠١) أحمد جمال العمري، الحديث النبوي والتأريخ، القاهرة، ١٩٩٠.

(١٠٢) أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دمشق، ١٩٩١.

(١٠٣) أحمد رجب محمد علي، «من العناصر الهامة في العمائر الدينية الإسلامية المحاريب مفهومها القديم والحديث: أهميتها ـ أنواعها ـ زخارفها»، الأزهر، ج. ٣، س. ٦٣ (أكتوبر ١٩٩٠)، ص. ٣١٨ ـ ٣٢٢؛ ج. ٥، س. ٦٣ (ديسمبر ١٩٩٠)، ص. ٥٥٢ ـ ٥٥٦.

(١٠٤) أحمد زكي، انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، بيروت، ١٩٩٥.

(١٠٥) أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، بغداد، ١٩٨٦.

(١٠٦) أحمد الصاوي المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر)، بدون تاريخ.

(١٠٧) أحمد بن عبد الحميد العباسي، كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، القاهرة، ط. ٢.

(١٠٨) أحمد غسان سبانو، «المسلات المصرية الفرعونية»، مجلة تاريخ العرب والعالم، س. ٢، ع. ١٩، (مايو ١٩٨٠)، ص. ٦٠ ـ ٦٦.

(١٠٩) أحمد فخري، الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٩٤.

(١١٠) أحمد مصطفى المراغي، التفسير، القاهرة، ١٩٧٤.
(١١١) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مكتبة الثقافة الدينية)، القاهرة، بدون تاريخ.
(١١٢) أ. أ. س. إدواردز، أهرام مصر، ترجمة: مصطفى أحمد عثمان، مراجعة: أحمد فخري، الألف كتاب: ٩٩)، القاهرة، ١٩٥٦، وطبعة (الألف كتاب الثاني: ٢٧٢، الهيئة المصرية للكتاب)، القاهرة، ١٩٩٧.
(١١٣) أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشّاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، بيروت، ١٩٨٢.
(١١٤) الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق: رشدي الصالح، بيروت، ١٩٩٦.
(١١٥) إسحاق بن الحسين المنجم، آكام الجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، بدون بلد ودار وتاريخ نشر.
(١١٦) أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، بيروت، ١٩٨٨.
(١١٧) الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، الرياض، ١٩٦٨.
(١١٨) أغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث تاريخية دينية أدبية، دمشق، ١٩٩٨.
(١١٩) أغناطيوس زكا الأول عيواص، صفحات مشرقة من تاريخ الكنيسة في القرنين الثاني والثالث للميلاد، دمشق، ١٩٩٧.
(١٢٠) أغناطيوس زكا الأول عيواص، مار بطرس، هامة الرسل: في كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية، دمشق، ١٩٩٦.
(١٢١) «إطلالة على المعالم والآثار في مدائن صالح»، المنهل، ع. ٤٥٤، س. ٥٣. مج. ٤٨ (١٣٥٥هـ)، ص. ٢١٨.
(١٢٢) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٩٩٣.
(١٢٣) الألوسي، روح المعاني، (دار إحياء التراث العربي)، بيروت، بدون تاريخ.
(١٢٤) أنطوان بطرس، آخر عجائب الدنيا السبع: لغز الهرم الكبير، لندن، (رياض الريّس)، ١٩٩٨.
(١٢٥) البخاري، الأدب المفرد، تصحيح: محمد هشام البرهاني، أبوظبي، ١٩٨١. (مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم، دولة الإمارات العربية المتحدة).

(١٢٦) البخاري، التاريخ الكبير، حيدر آباد (دائرة المعارف العثمانية)، ١٩٤١. (التاريخ الكبير، طبعة دار الفكر).

(١٢٧) البخاري، الصحيح، بيروت، بدون تاريخ.

(١٢٨) بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، القاهرة، ١٩٧٢.

(١٢٩) البروسوي، تفسير روح البيان، (دار الفكر)، دمشق، بدون تاريخ.

(١٣٠) بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٩٧.

(١٣١) البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، بيروت، ١٩٨٥. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان المسلم، الرياض، ١٤٠٩هـ.

(١٣٢) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٨٧.

(١٣٣) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، ١٩٩١.

(١٣٤) البلنسي، تفسير مبهمات القرآن، تحقيق: حنيف القاسمي، بيروت، ١٩٩١.

(١٣٥) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (طبعة دائرة المعارف الإسلامية)، حيدر أباد، ١٩٧٨.

(١٣٦) البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (دار إحياء التراث العربي)، القاهرة، ط. ١، ١٩٧٠.

(١٣٧) البوصيري، مختصر السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٦.

(١٣٨) بيستون وآخرون، المعجم السبئي، بيروت، ١٩٨٢.

(١٣٩) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (التفسير)، القاهرة، ١٩٦٨.

(١٤٠) م. ب. بيوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ترجمة: محمد الشعيبي، بيروت، ١٩٨٧.

(١٤١) البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مومباي، ١٩٨٦.

(١٤٢) البيهقي، السنن الكبرى، بيروت، (دار المعرفة)، بدون تاريخ.

(١٤٣) الترمذي، السنن، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، بيروت، (دار عمران)، ب.ت. وتحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، القاهرة، ١٩٨٧.

(١٤٤) الترمذي، العلل الكبير، ترتيب: أبي طالب القاضي، تحقيق: حمزة ديب مصطفى، عَمان، ١٩٨٦.
(١٤٥) تفسير الكتاب المقدس، إعداد جماعة من اللاهوتيين، بيروت، ١٩٩٠.
(١٤٦) تقي الدين الجراعي الحنبلي، الأوائل، تحقيق: عادل الفريجات، دمشق، ١٩٨٨.
(١٤٧) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي المالكي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكة المكرمة، ١٩٩٧.
(١٤٨) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي المالكي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت، (دار الكتب العلمية)، بدون تاريخ.
(١٤٩) ثابت عبد الحليم الخواجا، حتمية زوال دولة إسرائيل، بيروت، ١٩٩٥.
(١٥٠) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٥.
(١٥١) الثعالبي، قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، (دار إحياء الكتب العربية)، القاهرة، بدون تاريخ.
(١٥٢) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، بيروت، ١٩٦٩.
(١٥٣) جاسم بن سليمان الفهد الدوسري، الروض البسام بترتيب فوائد تمام، بيروت، ١٩٩٣.
(١٥٤) جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، بيروت، ١٩٩٣.
(١٥٥) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، القاهرة، ١٩٨٠.
(١٥٦) جمال عبد الهادي محمد و وفاء محمد رفعت، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: جزيرة العرب، سيرة هود وصالح وشعيب وسليمان عليهم السلام وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل، القاهرة، ١٩٨٤.
(١٥٧) جواد بولس، الموسوعة التاريخية: شعوب الشرق الأدنى وحضارته، تعريب وتحقيق: سيمون وماري عواد، بيروت، ١٩٩٣.
(١٥٨) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٩٣.
(١٥٩) ج. كونتنو، الحضارة الأفريقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: طه حسين، القاهرة، ١٩٩٧.
(١٦٠) جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، بيروت، (دار مكتبة الحياة)، بدون تاريخ.

(١٦١) جون هيلي، «الأنباط ومدائن صالح»، الأطلال، ع. ١٠ (١٩٨٦)، ص. ١٤٢.
(١٦٢) جون هيلي، نقوش المقابر النبطية في مدائن صالح Healey, J. F., The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih, Journal of Semeitic Studies Suppl. 1, Oxford, 1993، ترجمة: أ. د. سليمان بن عبد الرحمن الذيبب، الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود.
(١٦٣) الجوهري، الصحاح تاج العربية وصحاح اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٧٩.
(١٦٤) جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، القاهرة، ١٩٩٢.
(١٦٥) جيمس هنري برستد، كتاب تاريخ مصر منذ أقدم الأزمنة إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، القاهرة، ١٩٢٦.
(١٦٦) الحاج محمد وصفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، بيروت، ١٩٩٧.
(١٦٧) حافظ محمد الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، الدمام، ١٩٩٠.
(١٦٨) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٠.
(١٦٩) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٤.
(١٧٠) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٩٥.
(١٧١) حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٣.
(١٧٢) حسين حمزة بندقجي، جغرافية المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٨١.
(١٧٣) حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، الإسكندرية، ١٩٨٩.
(١٧٤) حكمت بن بشير بن ياسين، التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المدينة المنورة، ١٩٩٩.
(١٧٥) الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، بيروت، (دار صادر)، بدون تاريخ.
(١٧٦) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، الرياض، ١٩٧٧.

(١٧٧) حمد محمد بن صراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، رأس الخيمة/ دبي، ١٩٩٨.

(١٧٨) حمد محمد بن صراي، معالم التاريخ اليوناني والروماني، رأس الخيمة/ دبي، ١٩٩٨.

(١٧٩) حمود بن ضاوي القثامي، شمال الحجاز: الآثار، بيروت، ١٩٩١.

(١٨٠) حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، القاهرة، ١٩٨٠.

(١٨١) خالد الدسوقي، «نابونيد وحملته على شمال الحجاز»، الدارة، ع. ٢، س. ٢، (يوليو ١٩٧٦)، ص. ١٩٠ ـ ٢١١.

(١٨٢) الختلي، سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور، المدينة المنورة.

(١٨٣) خزعل الماجدي، إنجيل بابل، بيروت، ١٩٩٨.

(١٨٤) خزعل الماجدي، إنجيل سومر، بيروت، ١٩٩٨.

(١٨٥) الخطابي، معالم السنن، بيروت، ١٩٨١.

(١٨٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، (دار الكتاب العربي)، بدون تاريخ.

(١٨٧) الخطيب البغدادي، كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تحقيق: عز الدين علي السيد، القاهرة، ١٩٩٢.

(١٨٨) خلدون الأحدب، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة، دمشق، ١٩٩٦.

(١٨٩) خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض، ١٩٨٢.

(١٩٠) خليل ياسين، أضواء على متشابهات القرآن، بيروت، بدون تاريخ.

(١٩١) خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ١٩٨٦.

(١٩٢) الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سعيد الأهل، بيروت، ١٩٨٣.

(١٩٣) دوبون ـ سومر، الآراميون، ترجمة، ناظم الجندي، طرطوس، ١٩٨٨.

(١٩٤) الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، (مؤسسة شعبان)، بدون تاريخ.

(١٩٥) الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، بيروت، ١٩٩٥.

(١٩٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: المغازي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٩٠.

(١٩٧) الذهبي، تذكرة الحفّاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعملي، بيروت، ١٩٥٦. (تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي)، بدون تاريخ.
(١٩٨) الذهبي، ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، ١٩٩٤.
(١٩٩) الذهبي، العبر في خبر من غبر، بيروت، ١٩٨٥.
(٢٠٠) الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: عزت علي عيد عطية وموسى علي الموشني، القاهرة، ١٩٧٢.
(٢٠١) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، ١٩٦٣.
(٢٠٢) رابح لطفي جمعة، «سبأ بين التاريخ والنص القرآني»، الدارة، ع. ٢، س. ١٧، (١٩٩١)، ص. ٧٧ ـ ١٠٧.
(٢٠٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٧٠. مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، ١٩٩٢.
(٢٠٤) رأفت عبد الحميد، «الإضطهاد الروماني للمسيحيين»، مجلة كلية الآداب، (جامعة الإمارات)، ع. ٣ (١٩٨٧)، ص. ٣ ـ ٣٨.
(٢٠٥) رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧.
(٢٠٦) رجال تفسير الطبري جرحا وتعديلا، جمع وترتيب: محمد صبحي حلاق، بيروت، ١٩٩٩.
(٢٠٧) رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٩٥.
(٢٠٨) رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، القاهرة، ١٩٩٦.
(٢٠٩) روس هولوي، موسوعة العملة: العملة في الحضارة الإغريقية، العملات في الإمبراطورية اليونانية، ترجمة: ملاذ الجفار ومأمون عابدين، دمشق، ١٩٨٨.
(٢١٠) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، بيروت، ١٩٧٤.
(٢١١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٧٢.
(٢١٢) زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، بيروت، ط. ١، ١٩٨٣.
(٢١٣) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، ١٩٧٩.

(٢١٤) الزمخشري، الكشّاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، بدون تاريخ.

(٢١٥) زنون كوسيدوفسكي، الأسطورة والحقيقة في التوراة، ترجمة: محمد مخلوف، دمشق، ١٩٩٦.

(٢١٦) زياد منى، جغرافية التوراة، لندن، ١٩٩٤.

(٢١٧) الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢١٨) زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، تحقيق: أحمد مجتبي بن نذير عالم السلفي، الرياض، ١٤٠٩هـ.

(٢١٩) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم: إيران والأناضول، (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي)، بغداد، بدون تاريخ.

(٢٢٠) سبتينو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، بيروت، ١٩٨٦.

(٢٢١) سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، القاهرة، ١٩٨٧.

(٢٢٢) سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دمشق، ١٩٨٥.

(٢٢٣) سعيد حوّى، الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية، بيروت، ١٩٨٩.

(٢٢٤) سعيد بن منصور، السنن، تحقيق: سعيد بن عبد الله آل حميد، الرياض، ١٩٩٣

(٢٢٥) سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، القاهرة، ١٤١٤هـ.

(٢٢٦) سلطان محيسن، آثار الوطن العربي القديم: الآثار الشرقية، (كلية الآداب، جامعة دمشق)، دمشق، ٨٨/ ١٩٨٩.

(٢٢٧) سليم حسن، مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٤.

(٢٢٨) سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٩٩.

(٢٢٩) سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش الحجر النبطية، الرياض، ١٩٩٨.

(٢٣٠) سليمان بن عبد الرحمن الذييب، «نقوش عربية شمالية من تَبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية»، دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج. ٢٤، ع. ٢ (آب ١٩٩٧)، ص. ٣٥٧ ـ ٣٦٩.

(٢٣١) السمرقندي، التفسير المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد المجيد التوتي، بيروت، ط. ١، ١٩٩٣.
(٢٣٢) السمعاني، الأنساب، تعليق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، ١٩٨٨.
(٢٣٣) السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨١.
(٢٣٤) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد ألتونجي، بيروت، ١٩٩٣.
(٢٣٥) سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، بيروت، ١٩٩٨.
(٢٣٦) السهيلي، التعريف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عبد مهنا، بيروت، ١٩٨٧.
(٢٣٧) السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، ١٩٦٧. وبتحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، بيروت، ط. ١.
(٢٣٨) سؤالات أبي داوود للإمام أحمد، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة، ١٩٩٤.
(٢٣٩) السويدي، سبائك الذهب، بيروت، ١٩٨٩.
(٢٤٠) سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب، دمشق، ١٩٩٣.
(٢٤١) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة، ١٩٧٨.
(٢٤٢) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، بيروت، ١٩٨٢.
(٢٤٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، ١٩٨١.
(٢٤٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧.
(٢٤٥) السيوطي، أسباب النزول، تحقيق: بديع السيد اللحام، بيروت/ دمشق، ١٩٩٠.
(٢٤٦) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ب.ت، (دار المعرفة)، بيروت.
(٢٤٧) السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزياداته، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دمشق، ١٩٦٩.

(٢٤٨) السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق: أحمد محمد الحمادي، الدوحة، ١٩٩٤.

(٢٤٩) السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، خرّج آحاديث الكتاب وعلّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت، ١٩٩٦.

(٢٥٠) السيوطي، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ١٩٩٢.

(٢٥١) السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: التهامي الراجحي الهاشمي، الرباط، بدون تاريخ، (صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات).

(٢٥٢) السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق: محمد التونجي، بيروت، ١٩٩٥.

(٢٥٣) السيوطي، الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق: عبد القادر أحمد، القاهرة، ١٩٩٠.

(٢٥٤) السيوطي، الوسائل في مسامرة الأوائل، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، بيروت، ١٩٨٦.

(٢٥٥) شاه محمد علي الصيواني، أور، بغداد، ١٩٧٦.

(٢٥٦) الشريف جمال الدين أبو جعفر محمد الإدريسي، كتاب أنوار عُلوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، تحقيق: ألريش هارمان ـ سلسلة نصوص ودراسات من إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، ١٩٩١. وفي آخر الكتاب توجد ترجمة مختصرة ومناقشة لموضوعات الكتاب، ولكنها باللغة الألمانية.

(٢٥٧) شرف الدين بن ريان، الروض الريان في أسئلة القرآن، تحقيق: عبد الحليم محمد السلفي، المدينة المنورة، ١٩٩٤.

(٢٥٨) شرف الدين الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة/ الرياض، ١٩٩٧.

(٢٥٩) الشفيع الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج: فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، بيروت، ١٩٩٦.

(٢٦٠) شفيق مقار، السحر في التوراة والعهد القديم، لندن، ١٩٩٠.

(٢٦١) شكران خربوطلي، شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٢.

(٢٦٢) شهاب الدين أحمد الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، بيروت، (دار الكتاب العربي)، بدون تاريخ.

(٢٦٣) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، (دار المعرفة)، ب.ت.

(٢٦٤) الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، بيروت، ١٩٨٦.

(٢٦٥) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، ١٩٩٤.

(٢٦٦) صابر طعيمة، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، بيروت، ١٩٧٥.

(٢٦٧) صالح بن محمد بن جابر آل مريح، نجران، (سلسلة: هذه بلادنا: ٣٤)، الرياض، ١٩٩٢.

(٢٦٨) صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، وضع حواشي الكتاب: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ١٩٩٩.

(٢٦٩) صفوان داوودي، الحجرات الشريفة: سيرة وتاريخا، المدنية المنورة، ١٤١١هـ.

(٢٧٠) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير، دمشق، ١٩٩٨.

(٢٧١) صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، ١٩٩٨.

(٢٧٢) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ط. الأولى.

(٢٧٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط. ٢.

(٢٧٤) الطبري، التفسير، ط. ٦، ١٩٦٨، القاهرة.

(٢٧٥) الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دمشق، ١٩٩٤.

(٢٧٦) طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة: الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦.

(٢٧٧) عاتق بن غيث البلادي، معجم قبائل الحجاز، مكة المكرمة، ١٩٧٩.

(٢٧٨) عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة، ١٩٨٢.

(٢٧٩) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، مكة، ١٩٧٨.

(٢٨٠) عابد توفيق الهاشمي، عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآنا وتوراة وإنجيلا وتاريخا، بدون بلد النشر، (مكتبة أم القرى)، ١٩٩٠.

(٢٨١) عادل طه يونس، حياة الأنبياء بين حقائق التاريخ والمكتشفات الأثرية الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢٨٢) عبد بن حميد، المنتخب، تحقيق: مصطفى بن العدوي ثلباية، مكة المكرمة، ١٩٨٨.

(٢٨٣) عبد الله بن آدم صالح نصيف، «هل الحجر للأنباط أم للثموديين؟»، العصور، مج. ١٠، ج. ١، (١٩٩٥)، ص. ٧ ـ ١٨.

(٢٨٤) عبد الله أمين آغا وميسر سعيد العراقي، نمرود، بغداد، ١٩٧٦.

(٢٨٥) عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استنادا للجغرافيين العرب، بيروت، ١٩٩٩.

(٢٨٦) عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، بيروت، ١٩٩٩.

(٢٨٧) عبد الله بن عبد العزيز آل مفلح الجذالين، تأريخ الأفلاج وحضارتها، الرياض، ١٩٩٢.

(٢٨٨) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، الرياض، ١٩٨٠.

(٢٨٩) عبد الله بن محمد الرشيد، الرس، (سلسلة: هذه بلادنا: ١١)، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(٢٩٠) عبد الله بن ناصر الوليعي، «جغرافية هضبة نجد الرسوبية: دراسة لحافاتها وأوديتها»، الدارة، ع. ٤، س. ٢١ (رجب، شعبان، رمضان ١٤١٦هـ)، ص. ٦٧ ـ ١٤٧.

(٢٩١) عبد الله بن يحيى الزيدي، غريب القرآن وتفسيره، تحقيق: محمد سليم الحاج، بيروت، ١٩٨٥.

(٢٩٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دمشق، ١٩٩٠.

(٢٩٣) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٧.

(٢٩٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، «لمحات عن بعض المدن القديمة في شمالي غربي الجزيرة العربية»، الدارة، ص. ١، (مارس ١٩٧٥) ص. ٧٤ ـ ٨٧.

(٢٩٥) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وأحمد حسن الغزال وجفري كينج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، قسم الآثار والمتاحف ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤.

(٢٩٦) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد الفاضلي، بيروت/ صيدا، ١٩٩٧.

(٢٩٧) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٢٩٨) عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، ١٩٨٩.

(٢٩٩) عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، ١٩٧٢.

(٣٠٠) عبد الستار فتح الله سعيد، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٣٠١) عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، ١٩٩٢.

(٣٠٢) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، القاهرة، ١٩٩٠.

(٣٠٣) عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، دمشق، ١٩٩٤.

(٣٠٤) عبد العزيز غنيم عبد القادر، قصة البيت الحرام، سلسلة البحوث الإسلامية، س. ٢٤، كتاب رقم: ٥٠، القاهرة، ١٩٩٣.

(٣٠٥) عبد القادر حبيب الله السندي، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، الكويت، ١٩٨٦.

(٣٠٦) عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣٠٧) عبد الملك بكر عبد الله قاضي، موسوعة الحديث النبوي: أحاديث الحرمين الشريفين والأقصى المبارك، الرياض، ١٩٨٩.
(٣٠٨) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
(٣٠٩) عبد المنعم عبد الحليم سيد، «الأسماء والمسميات القديمة الواردة في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الأثرية الحديثة»، في عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، مجموعة بحوث نشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية، ١٩٩٣.
(٣١٠) عبد المنعم عبد الحليم سيد، المغالطات والافتراءات على تاريخ مصر الفرعونية والرد عليها وتفنيدها من واقع الأدلة الأثرية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
(٣١١) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، بيروت، ط. ٢.
(٣١٢) الحافظ العراقي، المستفاد من مبهمات المتن والإسناد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الحميد البر، القاهرة، ١٩٩٤.
(٣١٣) علي أبو عساف، «دمشق في العصر الآرامي»، في ندوة دمشق أقدم مدينة في التاريخ، دمشق، ١٩٩١، ص. ٢٦ ـ ٣٤.
(٣١٤) علي حسني الخربوطلي، تاريخ الكعبة، بيروت، ١٩٩١.
(٣١٥) علي القيم، «دمشق أقدم مدينة مأهولة في التاريخ»، في ندوة دمشق أقدم مدينة في التاريخ، دمشق، ١٩٩١.
(٣١٦) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، بيروت، ١٩٩١.
(٣١٧) عمر بن شبة، كتاب أخبار المدينة النبوية، ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله الدويش، تصحيح: عبد العزيز بن أحمد المشيقح، بريدة، ١٩٩٠.
(٣١٨) عمر بن شبة، تاريخ المدنية المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة، ١٩٧٩. وبتحقيق وتعليق وتخريج: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، بيروت، ١٩٩٦.
(٣١٩) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، القاهرة، ١٩٩٨.
(٣٢٠) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرين، دمشق، ١٣٩٢هـ.
(٣٢١) القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تونس/القاهرة، ١٩٧٨.

(٣٢٢) عيد مرعي، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق.م.، دمشق، ١٩٩١.

(٣٢٣) فاضل الربيعي، إرم ذات العماد، من مكة إلى أورشليم: البحث عن الجنة، لندن، ٢٠٠٠.

(٣٢٤) فاضل عبد الواحد علي، «ثم جاء الطوفان»، سومر، مج. ١/٢ (١٩٧٥)، ص. ٣ ـ ٣٧.

(٣٢٥) فتحي عفيفي بدوي، علم الآثار، القاهرة، ط١..

(٣٢٦) فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن الكريم، تحقيق: محمد كاظم الطريحي، بيروت، ١٩٨٦.

(٣٢٧) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، القاهرة، (دار الغد)، ١٩٩٢.

(٣٢٨) الفاكهي، أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، ١٩٨٧.

(٣٢٩) الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، القاهرة، ١٩٧٢.

(٣٣٠) الفراء، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٧٢.

(٣٣١) فراس سواح، آرام دمشق وإسرائيل، دمشق، ١٩٩٥.

(٣٣٢) فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دمشق، ١٩٨٩.

(٣٣٣) فوزي عبد الرحمن الفخراني، الرائد في فن التنقيب عن الآثار، بنغازي، ١٩٩٣.

(٣٣٤) فوزي محمد حميد، الجغرافية القرآنية، دمشق، ١٩٩٣.

(٣٣٥) فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، دمشق، ١٩٩٣.

(٣٣٦) فيليب حِتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مراجعة: جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٨٢.

(٣٣٧) القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والإغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس، ١٩٧٥.

(٣٣٨) القاسمي، التفسير (محاسن التأويل)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: هشام سمير البخاري، بيروت، ١٩٩٤.

(٣٣٩) قحطان رشيد صالح، الكشّاف الأثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧.

(٣٤٠) قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، بيروت، ١٩٨٨.

(٣٤١) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: أبو سفيان محمود بن منصور البسطويسي، المدينة المنورة، ١٩٩٧.
(٣٤٢) القرطبي، التفسير الكبير، ط. ٢، ١٩٩١، بيروت.
(٣٤٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (التفسير)، بيروت، ١٩٨٨.
(٣٤٤) القرطبي، تلخيص صحيح الإمام مسلم، دمشق، ١٩٨٨.
(٣٤٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ب.ت. (دار صادر)، بيروت.
(٣٤٦) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، ١٩٨٣.
(٣٤٧) قسطنطين خمار، موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت، ١٩٦٩.
(٣٤٨) القضاعي، كتاب الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء (تاريخ القضاعي)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت/صيدا، ١٩٩٨.
(٣٤٩) القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، (جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي)، مكة المكرمة، ١٩٩٥.
(٣٥٠) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٩٨٧.
(٣٥١) القلقشندي، قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٨٢.
(٣٥٢) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٨٠.
(٣٥٣) كامل جميل العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عَمان، ١٩٩٢.
(٣٥٤) كتاب اللغات في القرآن رواية ابن حسنون المقري بإسناده إلى ابن عباس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٧٢.
(٣٥٥) كمال صليبي، التوراة جاءت من جزيرة العربية، بيروت، ١٩٩٤.
(٣٥٦) كمال صليبي، البحث عن يسوع، عَمان، ١٩٩٩.
(٣٥٧) الكندي، فضائل مصر، تحقيق: إبراهيم أحمد العدوي و علي محمد عمر، القاهرة، ١٩٧١.

(٣٥٨) ل. ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، القاهرة، ١٩٩٧.
(٣٥٩) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي، بيروت، ١٩٨٨.
(٣٦٠) لؤي عجان، «إرم ذات العماد»، مجلة الأمة القطرية، شعبان ١٤٠٢هـ، ص. ٢٢ ـ ٢٣.
(٣٦١) ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، ١٩٨٥.
(٣٦٢) مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: عارف الحاج وسعيد محمد اللحام، بيروت، ١٩٨٨.
(٣٦٣) الماوردي، التفسير، تحقيق: خضر محمد خضر، الكويت، ١٩٨٢.
(٣٦٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، ١٩٩٠.
(٣٦٥) المتقي الهندي، كنز العمال، بيروت، ١٩٧٩.
(٣٦٦) مجاهد بن جبر، التفسير، تحقيق: عبد الرحمن بن الطاهر بن محمد السورتي، إسلام أباد، ب. ت. تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، الدوحة، ط. ١، ١٩٧٦.
(٣٦٧) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، بيروت، ب.ت.
(٣٦٨) مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
(٣٦٩) مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (مؤسسة الحلبي وشركاه)، القاهرة، بدون تاريخ.
(٣٧٠) مجد الدين الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٩.
(٣٧١) المحب الطبري، القِرى لقاصد أم القرى، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة.
(٣٧٢) محمد بن أحمد الحجري اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل الأكوع، صنعاء، ١٩٩٦.
(٣٧٣) محمد بن أحمد كنعان، قصص الأنبياء وأخبار الماضين، خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، ١٩٩٦.
(٣٧٤) محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، ١٩٦٩.

(٣٧٥) محمد ألتونجي، معجم أعلام الحديث النبوي من الصحيحين، الكويت، ١٩٩٩.
(٣٧٦) محمد ألتونجي، معجم أعلام القرآن الكريم، (مركز المخطوطات والتراث والوثائق، قسم القرآن الكريم وعلومه، ٥٧)، الكويت، ١٩٩٩.
(٣٧٧) محمد ابراهيم وضيف الله الطلحي، «تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر: الموسم الأول: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦»، الأطلال، ع. ١١ (١٩٨٨)، ص. ٥٧ ـ ٦٨.
(٣٧٨) محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، القاهرة، ١٩٩٦.
(٣٧٩) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، الإسكندرية، ١٩٩٩.
(٣٨٠) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل: التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام ١٣٥ م، الإسكندرية، ١٩٩٩.
(٣٨١) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب، الإسكندرية، ١٩٩٥.
(٣٨٢) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم: (٢) مصر، الإسكندرية، ١٩٩٥.
(٣٨٣) محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم: مصر، الإسكندرية، ١٩٩٩.
(٣٨٤) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (١) مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية، الإسكندرية، ١٩٨٨.
(٣٨٥) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٢) مصر منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٨.
(٣٨٦) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٨) بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٩٠.
(٣٨٧) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، ١٩٩٥.
(٣٨٨) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم: (٧) الحضارة العربية القديمة، الإسكندرية، بدون تاريخ.
(٣٨٩) محمد تيسير ظبيان، أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى، القاهرة، ١٩٧٨.

(٣٩٠) محمد جاسم حمادي المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، (مكتبة الطالب الجامعي، ١٩)، مكة المكرمة، ١٩٨٦.
(٣٩١) محمد جمال الدين مختار، «العصر المتوسط»، في كتاب: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧.
(٣٩٢) محمد حرب فرزات، موجز تاريخ سورية القديم، دمشق، ٩٢ ـ ١٩٩٣.
(٣٩٣) محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، ١٩٩٨.
(٣٩٤) محمد خير رمضان يوسف، الخضر بين الواقع والتهويل، دمشق، ١٩٩٤.
(٣٩٥) محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح، دمشق، ١٩٨٥.
(٣٩٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، بيروت، ١٩٧٠.
(٣٩٧) محمد سلامة جبر، تاريخ الأنبياء والرسل، الكويت، ١٩٩٣.
(٣٩٨) محمد سمير عطا، الفراعنة لصوص حضارة: المفاجأة المذهلة في حل لغز الأهرام المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
(٣٩٩) محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، دمشق، ١٩٨٥.
(٤٠٠) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، القاهرة، بدون تاريخ.
(٤٠١) محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دمشق، ١٩٩٤.
(٤٠٢) محمد صالح البلهيشي، بدر، سلسلة هذه بلادنا، رقم: ٤٢، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٤٠٣) محمد بن صامل العلياني السكمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، الرياض، ١٩٨٦.
(٤٠٤) محمد طاهر الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٧.
(٤٠٥) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس، ١٩٨٤.
(٤٠٦) محمد بن عبد الرحمن المغراوي، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، الرياض، ١٩٩٦.
(٤٠٧) محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، الكويت، ١٩٨٨.
(٤٠٨) محمد عثمان رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القاهرة، ٥٣/١٩٥٤.

(٤٠٩) محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، تونس، ١٩٩٤.
(٤١٠) محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، دمشق/بيروت، ١٩٩٥.
(٤١١) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، صيدا، ١٩٦٩.
(٤١٢) محمد علي البار، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دمشق، ١٩٩٠.
(٤١٣) محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي: الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، دمشق، ١٩٨٢.
(٤١٤) محمد الغزالي، فقه السيرة، دمشق، ١٩٨٩.
(٤١٥) محمد الفاكياني، «دراسة تاريخية عن أنطاكية مدينة التاريخ والآثار»، مجلة تاريخ العرب والعالم، س. ٧، ع. ٨٣/ ٨٤، (سبتمبر/أكتوبر ١٩٨٥)، ص. ٩١ ـ ٩٣.
(٤١٦) محمد الفقي، قصص الأنبياء، أحداثها وعبرها، القاهرة، ١٩٧٩.
(٤١٧) محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، ١٩٨٨.
(٤١٨) محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، ١٩٨٨.
(٤١٩) محمد محمد شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى: دراسة تاريخية موثقة، دمشق، ١٩٩٤.
(٤٢٠) محمد محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دمشق، ١٩٩١.
(٤٢١) محمد محمد شراب، معجم بلدات فلسطين، دمشق، ١٩٨٧.
(٤٢٢) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، القاهرة، ١٩٧٨.
(٤٢٣) محمد المشايخ، «أضواء على بوابات القدس»، آفاق الثقافة والتراث، (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي)، س. ٤، ع. ١٦، (شوال ١٤١٧هـ = مارس ١٩٩٧)، ص. ٥٠ ـ ٥٩.
(٤٢٤) محمد ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث الشام ودمشق للربعي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
(٤٢٥) محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن ابن ماجة، بيروت، ١٩٩١.
(٤٢٦) محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، الرياض، ١٩٨٠.

(٤٢٧) محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، ١٩٩٣.

(٤٢٨) محمد بن يوسف الصالحي، فضائل المدينة المنورة، تحقيق: محيي الدين متو، المدينة المنورة، ١٩٩٠.

(٤٢٩) محمود زهران، قصص من القرآن، القاهرة، ١٩٧٦.

(٤٣٠) محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، بيروت، ١٩٨٣.

(٤٣١) محمود شاكر، شبه الجزيرة العربية: نجد، (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا: ١٤)، دمشق، ١٩٧٦.

(٤٣٢) محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى، بيروت/القاهرة، ١٩٨٣.

(٤٣٣) محمود عبد الحميد أحمد، الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام ومصر، دمشق، ١٩٨٨.

(٤٣٤) محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١.

(٤٣٥) محمود محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، الرياض، ١٩٨٧.

(٤٣٦) مختار السويفي، مصر القديمة: دراسات في التاريخ والآثار، القاهرة، ١٩٩٧.

(٤٣٧) مختار السويفي، مصر والنيل في أربعة كتب عالمية، القاهرة، ١٩٨٨.

(٤٣٨) مخطوطات قمران ـ البحر الميت، التوراة: كتابات ما بين العهدين، تحقيق: أندريه دوبون ـ سومر ومارك فيلوتكو، ترجمة: موسى ديب الخوري، دمشق، ١٩٩٨.

(٤٣٩) مراد محمد الدش، الكشف عن مكان عبور موسى يغيّر حقائق التاريخ المصري والعبري القديم، الكويت، ١٩٩٧.

(٤٤٠) مرغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٠.

(٤٤١) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير، جمع وتخريج: أحمد أحمد البزرة وآخرين، الرياض، ١٩٩٤.

(٤٤٢) الحافظ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت.

(٤٤٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، (دار صادر)، بيروت، صورة من طبعة ليدن، ١٨٩٣.

(٤٤٤) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت، ١٩٨٩.

(٤٤٥) مسلم، الصحيح، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٤٦) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، كفر قارع، ١٩٩١.

(٤٤٧) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، ب.ت.

(٤٤٨) مطاع الطرابيشي، رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي)، دمشق، ١٩٩٤.

(٤٤٩) المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، باريس، ١٩٠٣.

(٤٥٠) معجم الحضارة المصرية القديمة، إعداد: جورج بوزنر ـ سيرج سونرون ـ جان يويوت ـ أ. أ. س. إدواردز ـ ف. .ل. ليونيه ـ جان دوريس، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، القاهرة، ١٩٩٢.

(٤٥١) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين: دراسة سياسية حضارية، دمشق، ١٩٩٣.

(٤٥٢) مقاتل بن سليمان، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، القاهرة، ١٩٧٥.

(٤٥٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، ١٩٨٧.

(٤٥٤) المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١. وبتحقيق المخطوطة كاملة على يدي: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، ١٩٩٩.

(٤٥٥) المقريزي، الخطط، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، ١٩٩٨.

(٤٥٦) من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال، رواية أبي خالد الدقاق يزيد بن الهيثم بن طهمان البادي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (مكة)، جامعة الملك عبد العزيز)، دمشق، ١٤٠٠هـ.

(٤٥٧) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، طرابلس، (جروس برس)، ب.ت.

(٤٥٨) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، الرياض، ١٩٩٢.

(٤٥٩) موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، إعداد: علي حسن علي الحلبي وآخريْن، الرياض، ١٩٩٩.

(٤٦٠) الموسوعة العربية العالمية، الرياض، ١٩٩٦.

(٤٦١) مولانا أبو الكلام آزاد، ويسألونك عن ذي القرنين، تقديم: أحمد حسن الباقوري، القاهرة، ١٩٧٢.

(٤٦٢) ميخائيل السوري الكبير، التاريخ، ترجمه من السريانية إلى العربية مار غريغوريوس صلبيا شمعون، إعداد وتقديم: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، حلب/ دمشق، ١٩٩٦.

(٤٦٣) نبيل راغب، عصر الإسكندرية: رؤية مصرية علمية، القاهرة، ١٩٩٣.

(٤٦٤) نبيل بن منصور البصارة، الذين تكلم فيهم ابن حجر في فتح الباري مقارنة بما قاله فيهم في تقريب التهذيب، الكويت، ١٩٨٦.

(٤٦٥) نجيب محمد البهبيتي، الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، الدار البيضاء، ص. ١٩٨٧.

(٤٦٦) النسائي، التفسير، تحقيق: سيد الجليلي وصبري الشافعي، القاهرة، ١٩٩٠.

(٤٦٧) النسائي، السنن بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، ١٩٨٨.

(٤٦٨) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي، الفتن، ضبط وصحح وعلّق على الكتاب: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، بيروت، ١٩٩٧.

(٤٦٩) النسفي، التفسير، بيروت، (دار الكتاب العربي)، ١٩٧٣.

(٤٧٠) نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، ١٩٦٢.

(٤٧١) نور الدين القاري، شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء ﷺ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٧٢) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، بدون تاريخ.

(٤٧٣) النووي، شرح صحيح مسلم، (طبعة الشعب)؛ (شرح صحيح مسلم) بيروت، ١٩٧٢؛ (شرح صحيح مسلم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.؛ (شرح صحيح مسلم)، تحقيق: عصام الطبابجي وجازم محمد وعماد عامر، القاهرة، ١٩٩٥.

(٤٧٤) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٩٤.

(٤٧٥) هادي عطية مطر الهلالي، دلالة الألفاظ اليمانية في بعض المعجمات العربية، (مركز الدراسات والبحوث اليمني)، صنعاء، ١٩٨٨.

(٤٧٦) هتون أجواد الفاسي، الحياة الإجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة من القرن الـ٦ ق.م. والقرن الـ٢ م.، الرياض، ١٩٩٣.

(٤٧٧) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، بيروت، ١٩٨٣.

(٤٧٨) هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، طرابلس، ١٩٩١.

(٤٧٩) الهيثمي، مجمع البحرين في زوائد المعجمين، تحقيق: عبد القدوس نذير، الرياض، ١٩٩٢.

(٤٨٠) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، ١٩٨٨.

(٤٨١) الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، بيروت، (عالم الكتب)، ب.ت. (أسباب نزول القرآن)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، ١٩٩١. (أسباب النزول)، تحقيق: السيد محمد صقر، جدة/بيروت، ١٩٨٧.

(٤٨٢) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيره وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس، بيروت، ١٩٩٤.

(٤٨٣) الواقدي، المغازي، تحقيق ونشر: مارسدن جونس، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٨٤) الورثيلاني، الرحلة (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، بيروت، ١٩٧٤.

(٤٨٥) وسام عبد العزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ـ ١ ـ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٨٢.

(٤٨٦) وهبة الزحيلي، التفسير الميسّر، بيروت/دمشق، ١٩٩١.

(٤٨٧) وهبة الزحيلي، القصة القرآنية: هداية وبيان، دمشق، ١٩٩٢.

(٤٨٨) ياقوت الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا، (مكتبة المثنى، بغداد، مصورة من نسخة ليبزج، ١٨٤٦).

(٤٨٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠.

(٤٩٠) يحيى بن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، قرطاج، ١٩٧٩.

(٤٩١) يحيى شامي، الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام، بيروت، ١٩٨٦.

(٤٩٢) يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، ١٩٩٣.
(٤٩٣) اليعقوبي، التاريخ، بيروت، ١٩٦٠.
(٤٩٤) اليمن في كتابات الرحالة الأجانب (١) إدوارد جلازر، ترجمة: أحمد قايد الصايدي، (ترجمات عن اليمن والجزيرة العربية، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، ع. ٣)، صنعاء، ١٩٩٩.
(٤٩٥) يوريس زارينس وآخرون، «تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/ الأخدود في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.»، الأطلال، ع. ٧، (١٩٨٣)، ص. ٢١ ـ ٣٩.
(٤٩٦) يوسف محمد العامري (الشامسي)، كعب الأحبار: مروياته وأقواله في التفسير المأثور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٢.
(٤٩٧) المطران يوسف الدبس، من تاريخ سورية الديني والدنيوي، بيروت، ١٨٩٣.
(٤٩٨) صحيفة الخليج: (استراحة الجمعة)، ع. ٧١٤٥، الجمعة ٢٢ شعبان ١٤١٩هـ = ١١ ديسمبر ١٩٩٨.
(٤٩٩) صحيفة الخليج، ع. ٧٢٢٠، الأربعاء: ٨ ذو القعدة ١٤١٩هـ ـ ٢٤/ ٢/ ١٩٩٩.
(٥٠٠) صحيفة الخليج: (استراحة الجمعة)، ع. ٧٤٩٥، ١٨ شعبان ١٤٢٠هـ =٦ ٢ نوفمبر ١٩٩٩.
(٥٠١) صحيفة الخليج: (مجلة الخليج)، ع. ٧٥١٨، ١١ رمضان ١٤٢٠هـ = ١٩ ديسمبر ١٩٩٩.
(٥٠٢) صحيفة الخليج، ع. ٧٥٧٩، ١٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ = ١٨ فبراير ٢٠٠٠.

المصادر والمراجع الأجنبية

اختصارات بعض المصادر والمراجع الأجنبية:

AAE: Arabian Archaeology and Epigraphy.
ANRW: Aufstieg und Niedergang der Romishen Welt.
BASOR: Bulletin of Americal School of Oriental Reserch.
BMDAE: British Museum Dictionary of Ancient Egypt, London, 1997.
CAH: Cambridge Ancient History.
CHI: Cambridge History of Islam.
CANE: Civilizations of the Ancient Near East, New York, 1995.
FDKIFB: The Dorling Kkindersley Illustrated Family Bible, London, 1997.
EI^1 - EI^2: Encyclopeadia of Islam.
JRS: Journal of Roman Studies.
NNABD: Nelsonsís New Illustrated Bible Dictionary, London, 1995.
UJE: The Universal Jewish Ency.
ZDMG: Zeitschrift der Deutchen Morgenländishen Gesellschaft.

(1) Abbott, J., Alexander the Great, New York, 1904.
(2) Albright, W. F.,"Abram and the Caravan Trade", BASOR, 163 (1961), pp. 44-54.
(3) Al-Wohaibi, A. N.,"Ḳarya", EI^2, vol. 4, p. 680.
(4) Armbruster, C. H., English-Amharic Vocabulary, Cambridge, 1910.
(5) Arnolt, M., Asyyrian Dictionary, Berlin, 1905.
(6) Arrian, Anabasis, tr. P. A. Brunt, London, III. 1.
(7) Bacon, B. W.,"Peter's Triumph at Antioch", JRS, 9 (1929), pp. 204-233.
(8) Bailey, L. R., Noah: The Person and the Story in History and Tradition, Columbia, 1989.
(9) Barker, P., Understanding Archaeology Excavation, London, 1986.

(10) Barners, T. D.,"Legislation Against the Christians", JRS, 58 (1967), pp. 36-.
(11) Beeston, A. F. L.,"Sabȧ", EI^2, vol. 7, p. 665.
(12) Bennet, J., Trajan Otimus Princeps: A Life and Times, Bloominton, 1997.
(13) Bettam, I.,"Midian", UJE, vol. 7, pp. 537-538.
(14) Bowesock, G. W., Hellenism in Late Antiquity, Ann Arbor, 1993.
(15) Bosworth, C. E. and Wensinck, A. J.,"Misr, Egypt", EI^2, vol. 7, p. 146.
(16) Buhl, F., "ᶜĀd", EI^2, vol. 1, p. 169.
(17) Buhl, F.,"Madayan S_h_uᶜaib", EI^1, vol. 5, p. 104.
(18) Buhl, F. [Bosworth, C. E.],"Madayin Shuᶜayb", EI^2, vol. 7, pp. 1155-1156.
(19) Charpin, D.,"The History of Ancient Mesopotamia: An Overview", in CANE, vol. 2, pp. 807-829.
(20) Chohen, S.,"Daniel", UJE, vol. 3, pp. 464-466.
(21) Cresmell, Early Muslem Architecture, (American Press), Cairo, 1955.
(22) Cumont, F.,"The Population of Syria", JRS, 24 (1934), pp. 187-189.
(23) De Blois, F., "The Date of 'Martyrs of Nagrān', AAE, 1 (2) (1990), pp. 110-123.
(24) Dio Cassius, The Roman History, trans. Cary, E., London, 1925.
(25) Downey, G., A History of Antioch in Syria, New York, 1961.
(26) Duchesne, M. L., Early History of the Church, London, 1933.
(27) Eissfflft, O.,"Palestaine in the Time of the 19th Dynasty: (a) The Exoduscud (28) Wanderings", CAH, vol. 2 (2), p. 307-330.
(29) Ellul, J., The Judgment of Jonah, Grand Rapids, 1971.
(30) Eusebius, The History of the Church from Christ to Constantine, tran. G. A. Williamson, New York, 1965.
(31) Fasold, D., The Discovery of Noah's Ark, London, 1990.
(32) The Final Sack of Nineveh, New York, 1998.
(33) Fox, R. L., Pagans and Christians, London, 1988.
(34) Frame, G., Babylonia 689-627 B.C: A Political History, London, 1992.
(35) Frederick, W. N.,"Antioch on the Orontes as a Religions Center: I. Paganism Before Constantine", ANRW, II, 18. 14, pp. 2322-2379.
(38) Froster, C., The Histrical Geography of Arabia, London, 1984.
(39) Gaster, Th. H.,"Magic", UJE, vol. 7, pp. 273-275.

(40) Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Emipre, London, 1994.

(41) Goldziher,"Al-Aḥḳāf", EI[1], vol. 1, p. 183.

(42) Guge, E. A. W., Babylonian Life and History, New York, n.d.

(43) Guidi, L.,"Seven Sleepers", Ency. of Religion and Ethnics, vol. 10, pp. 428-429.

(44) Hallo, W. W. and Simpson, W. K., The Ancient Near Easr: A History, New York, 1971.

(45) Henderson, B. W., The Life and Principate of the Emperor Hadrian, New York.

(46) Hridge, H. W. A. and Hate, G. (eds.), Eusebius, Christianity and Judaisim, Detriot, 1992.

(47) Haupt, P.,"Midian und Sinai", ZDMG, 63 (1909), p. 506-529.

(48) Holzner, J., Paul of Tarsus, trran. F. C. Eckhaff, New York, 1945.

(49) Hutchinson, R. W., and Thompson, R. C., A Century of Exploration at Neneveh, London, 1929.

(50) Ignatuis of Antioch, A Commentary of the Letters of Ignatius of Antioch, ed. H. Koester, Philadelphia, 1985.

(51) Mar Ignatius Zakka I Iwas, The Syrian Orthodox Church of Antioch at a Glance, trans. into English Emmanuel H. Bismarji, Aleppo, 1983.

(52) Jones, B. W., The Emperor Titus, New York, 1984.

(53) Josephus, Wors of the Jews, in W. Whiston, Josehpus Complet Works, Grand Rapids, 1984.

(54) Jouguet, P. Alexnader the Great and Hellenistic World, London, 1978.

(55) Kazhdan, A. Sevcenko, N. P., "Seven Sleepers", The Oxford Byz. Dic., vol. 3, p. 1883.

(56) Kister, M. J.,"Maḳām Ibrāhīm", EI[2], vol. 5, pp. 106-107.

(57) Kraemer, J., "Biʾr", EI2, vol. 1, p. 1230.

(58) Lammens, H.-[Abd al-Hafez],"H|unayn", EI[2], vol. 3, p. 578.

(59) Lecerf, J.,"Bayt", EI[2], vol. 1, p. 1139.

(60) Larsen, M. T., The Conquest of Assyria, Excavtions in an Antique Land: 1840-1860, London, 1996.

(61) Leslau, W., English-Amharic Dictionary, Wesbaden, 1973.

(62) Latourelt, K. S., A History of Christianity, New York, 1953.

(63) Levias, C.,"Sinai", UJE, vol. 9, p. 553.
(64) Liebeschuetz, J. H. W. G, Antioch, Oxford, 1972.
(65) Lockyer, H., All the Men of the Bible. All the Women of the Bible, Grand Rapids, 1995.
(66) Longden, R. D., "The Wars of Trajan" CAH, 1936, vol. 11, pp. 223-252.
(67) Millar, F., The Roman Near East: 31 BC - AD 337, Cambridge (Mas), 1993.
(68) Moscati, S., The Fas of the Ancient Orient, Chicago, 1960.
(69) Negev, A. (ed.), Arcaeological Encyclopedia of the Holy Land, Jerusalem, 1972.
(70) Nemet-Nejat, K. R., Dailly Life in Ancient Mesopotamia, Westport, 1998.
(71) Oates, J., Babylon, Slovenia, 1996.
(72) Palmer, E. H., The Desert of the Exodus: Journys on Foot in the Wilderness, Cambridge, 1871.
(73) Paret, R."Aṣḥāb Al-Kahf", EI^2, vol. 1, p. 691.
(74) Parpola, S., Neo-Assyira Toponyms, Neukirchen, 1970.
(75) Pellat, Ch.,"Kẖālid Bin Sinān", EI^2, vol. 4, p. 928
(76) Philby, J., The Land of Midian, London, 1957.
(77) The Penguin Dictionary of Archaeology, eds. W. Bary and D. Trump, Lonodn, 1982.
(78) Pitard, W. T., Ancient Damascus, Winona Lake, 1987.
(79) Pliny the Younger, Letters, trans. W. Melmoth, London, 1915.
(80) Plutarch, The Age of Alexnader, trans. I. Scott-Kilvert, Kent, 1990.
(81) Postgate, J. N., Early Mesopotamia: Society and Economy at the Dawn of History, New York, 1992.
(82) Ramsay, W. M., The Cities of Paul, Grand Padis, 1949.
(83) Rentz, G., "Al-Aḥḳāf", EI^2, vol. 1, p. 257.
(84) Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, Oxford, 1990.
(85) Robert, A. F.,"Ezra's Materials in Judaism and Christianity", ANRW, II. 19.1, pp. 119-136.
(86) Rogers, R. W., A History of Babylonia and Assyria, New York, 1902.
(87) Rohl, D. M., Pharaohs and Kings: A Biblical Quest, New York, 1995.

(88) Rostovtzeff, M., The Social and Econimic History of the Hellenistic World, Oxford, 1951.

(89) Russell, J. M., Sennacherib's Palace, Chicago, 1991.

(90) Safanor, A.,"Babel Tower", UJE, vol. 2, p. 8.

(91) Sauvaget, J.,"Esquisse d'une histoire de laville de Damas", Revue des Études Islamiques, 8 (1934), p. 421-480.

(92) Schaff, P., History of the Christian Church, Ann Arbor, 1985.

(93) Schäfer, P., The History of the Jews in Antiquites, Luxemborg, 1995.

(94) "Seven Sleepers", Britannica, vol. 10, p. 666.

(95) "Seven Sleepers of Ephesus", Ency. Americana, vol. 24, p. 596.

(96) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the Fifth Century, Washington, D.C, 1989.

(97) Shahid, I., "The Arabs in the Peace Treaty of A.D. 561", Arabica, iii (1956), pp. 181-213.

(98) Shahid, I.,, "Pre-Islamic Arabia", CHI, vol. 1, pp. 3-29.

(99) Simchowitsch, J. N.,"Antioch", UJE, vol. 1, p. 338.

(100) Smith, P., A Comendious Syriac Dictionary, Oxford, 1990.

(101) Speises, E, A.,"Damascus' as Ša-imērišu", JAOS, 71 (1951), p. 257-258.

(102) Stadelmann, R.,"Builders of the Pyramids", in CANE, vol. 2, pp. 719-734.

(103) Tadmor, H., "The Period of the First Temple, the Babylonian Exile and the Restoration", in H. H. Ben-Sasson, A History of the Jewish People., London, 1976, pp. 91-182.

(104) Thompson, R. C., The Devils and Evil Spirits of Babylonia, London, 1903.

(105) Trachtenberg, J., Jewish Magic and the Supertition, Philadelphia, 1961.

(106) Vajda, G.,"ʿAmālīḳ", EI², vol. 1, p. 429.

(107) Vajda, G.,"Ḥbīb al-Nadjār", EI², vol. 3, pp. 12-13.

(108) Walker, W., (et.al.), A History of the Chritian Church, .

(109) Wensinck, A. J.,"Aṣḥāb Al-Kahf", EI¹, vol. 1, p. 479.

(110) Wensinck, A. J.-[J. Jomier],"Kaʿba", EI², vol. 4, pp. 321-322.

(111) Wensinck, A. J.,"Miṣr, Egypt", EI², vol. 7, p. 147.

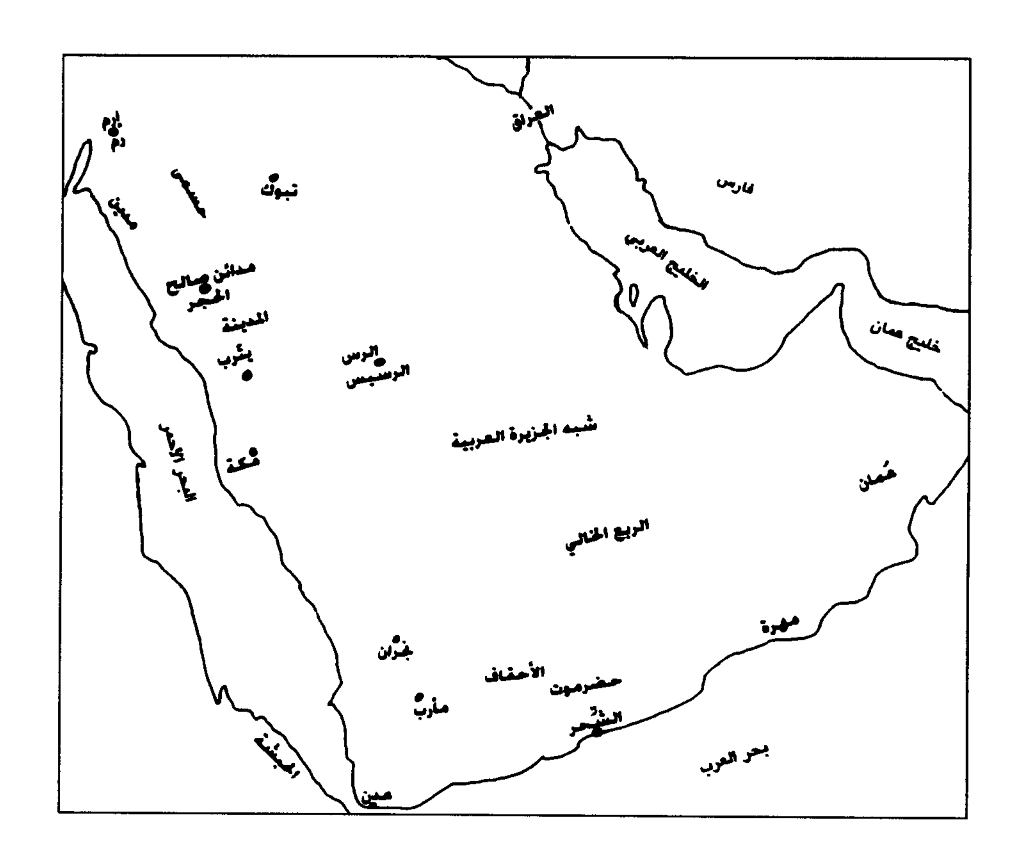
(112) Western Arabia and the Red Sea, Geographical Handbook Series, London, 1939/1945.

(113) Whitley, M.,"Greek Historical Writing of After Procopius: Variety and Vitality", in Cameron, A. and Conrad, L. I. (eds.), The Byzantine and Early Islamic Near East, Princeton, 1992.

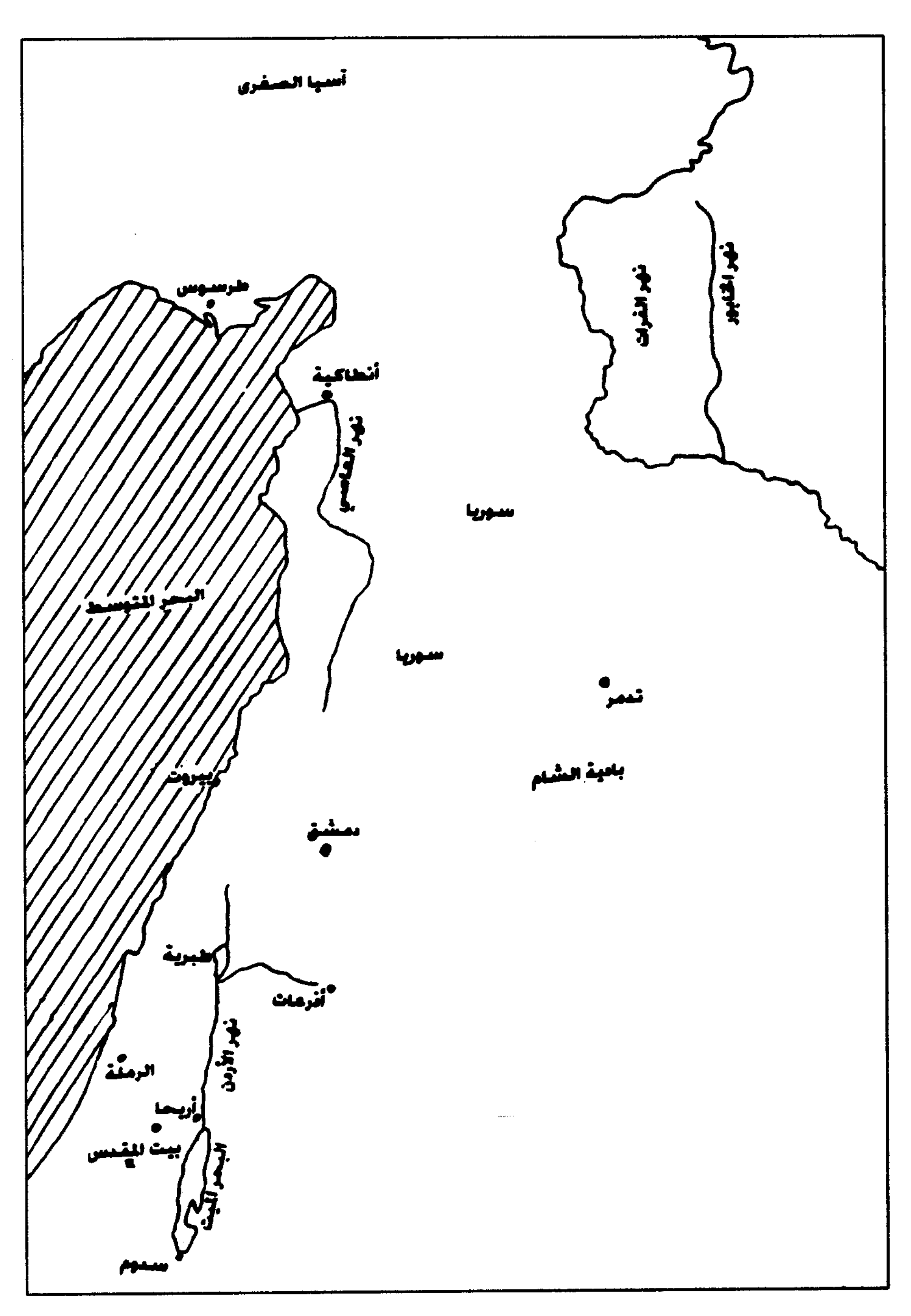
(114) Winder, R. B.,"Al-Madian", EI^2, vol. 7, pp. 994-1007.

(115) Word, A. M. et.al., A History of the Roman People, Upper Sadle River, 1999.

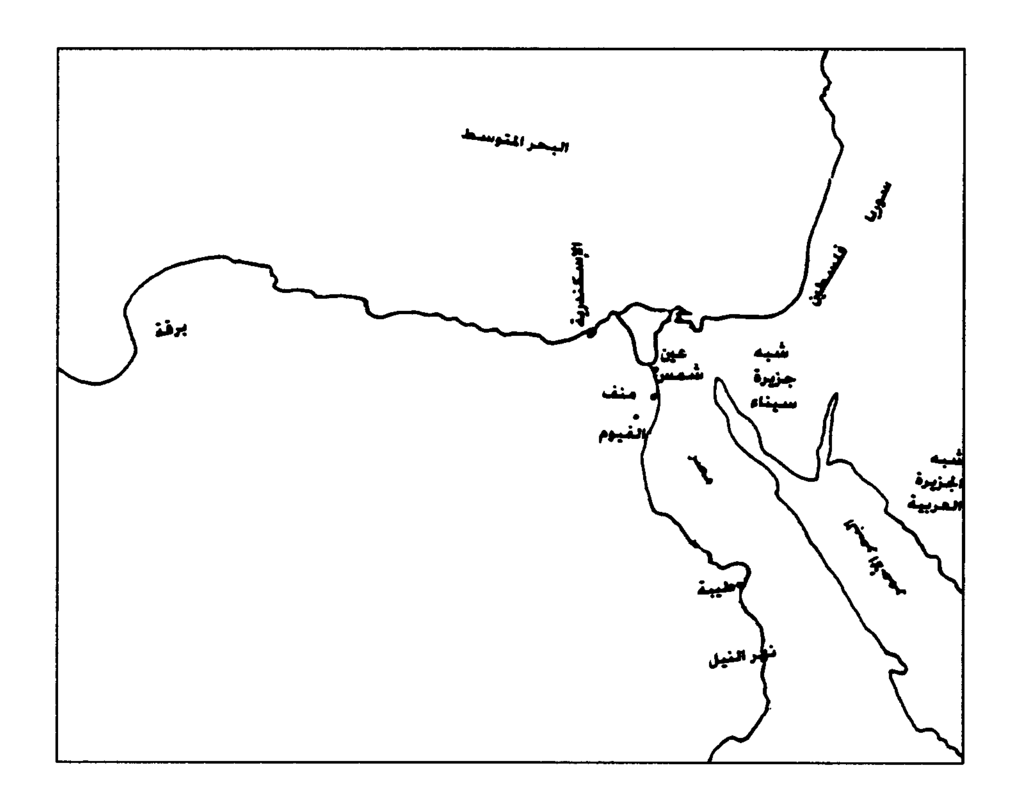




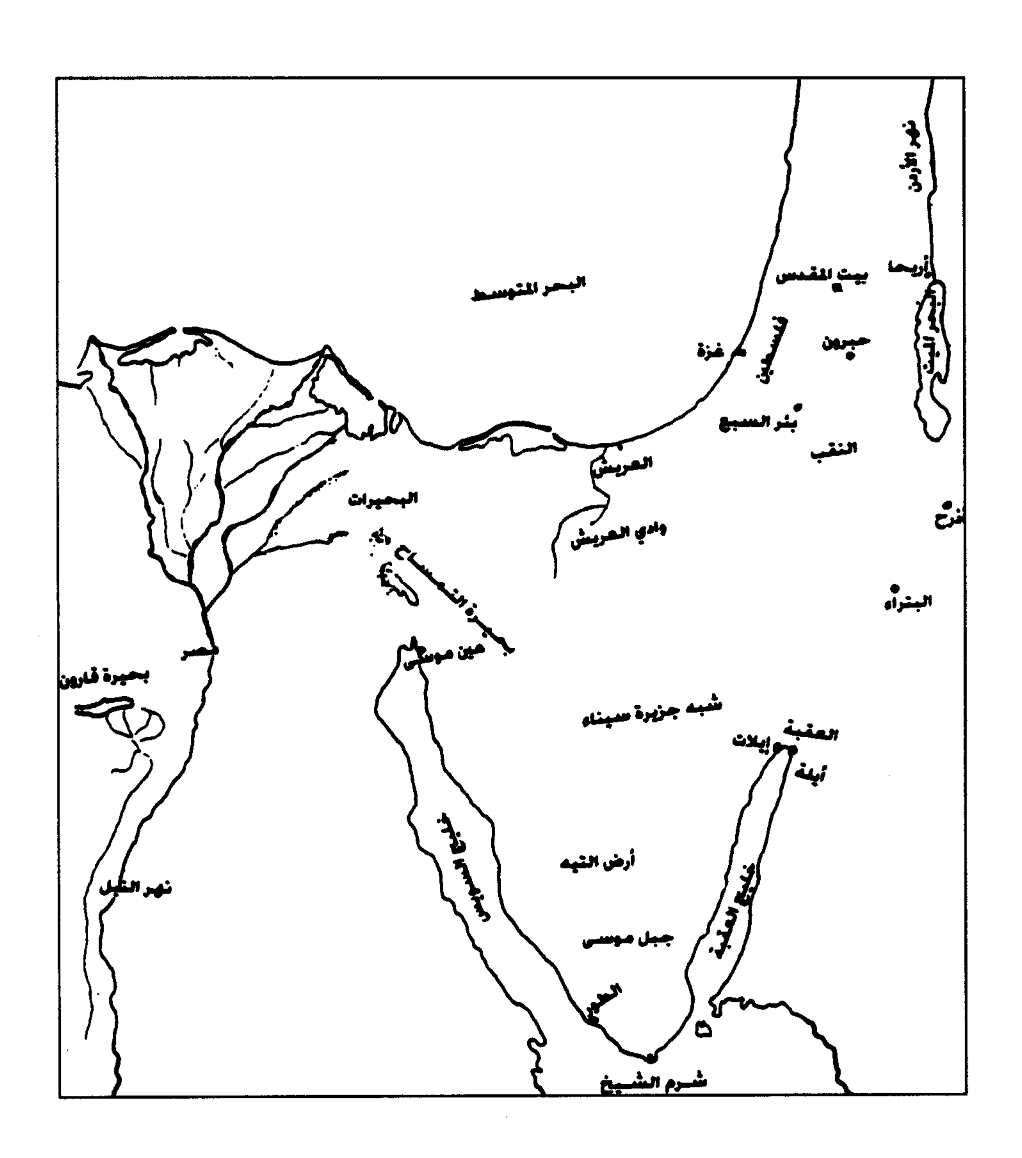
مواقع وأماكن في شبه الجزيرة العربية



مواقع وأماكن في سوريا (وبلاد الشام)، آسيا الصغرى



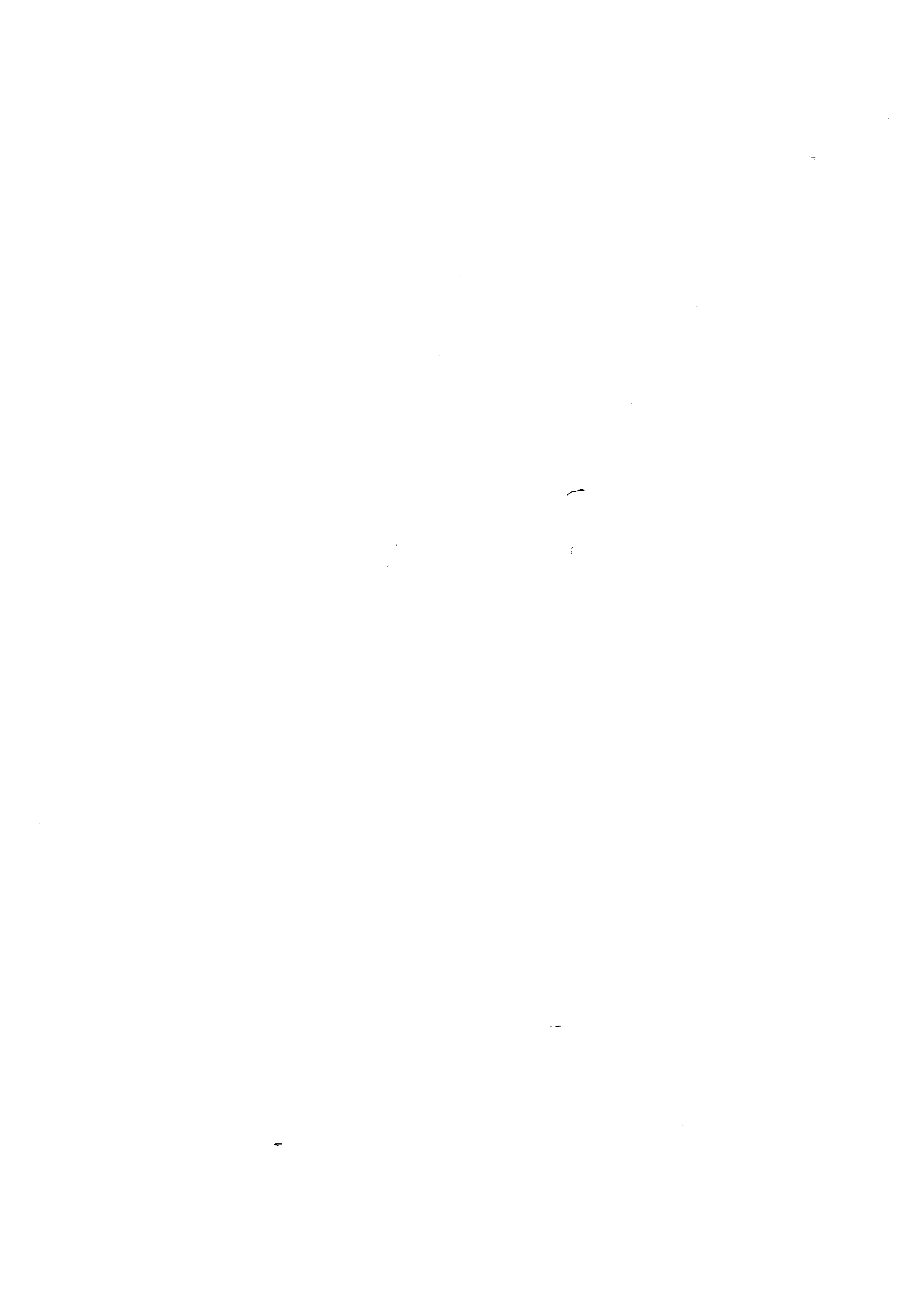
مواقع وأماكن في مصر



مواقع وأماكن في فلسطين وشبه جزيرة سيناء ومصر



مواقع وأماكن في بلاد الرافدين



المحتويات

المقدمة

نبذة عن المؤلِّفَيْن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء

ملحقات الكتاب



(163) Makānan Sharqiyyan (an east place) where Maryam was alone for worshipping Allah. It was in the east of Jerusalem.

(164) Makānun Qarīb (a near place), (Surah: 50/41): the dam of the Rock.

(165) Makkah, (Surah: 48/24).

(166) Muʾtafikāt & Muʾtafikah, (Surah: 9/70; 53/53; 69/9): towns of Lot.

(167) Naʿmah, (Surah: 44/27): the Nile or Fayyūm or the land of Eygept itself.

(168) Nahr (rivar), (2/249): the Rivar of Palastine or Jordun.

(169) Wādī Ghayr Dhī Zarʿ (The wadi without vigitation), (14/37): the Wadi of Makkah.

(170) Wādī al-Naml, (the wadi of ants), (Surah: 27/18): in India or in Tibet or in Yemen or near al-Ṭāʾif.

(171) The Wādī (Surah:89/9): in al-Ḥijr (Madāʾin Ṣāliḥ).

(172) Yathrib: (Surah: 33/13): the old name of Madīnah.

(173) Yamm (Surah: 20/39; 28/7): the Nile.

(174) Yamm (Surah: 7/136; 20/78, 97; 28/39, 40): the Red Sea.

(142) Madyan (Madian): (Surah: 7/85): in north-west Arabia.

(143) Madinah (town or city), (Surah: 7/123): Egypt.

(144) Madīnah (town or city), (Surah: 12/30): Egypt or a town in Egypt.

(145) Madīnah (town or city), (Surah: 15/67): Sodom.

(146) Madīnah (town or city), (Surah: 18/19): Ṭarsūs.

(147) Madīnah (town or city), (Surah: 18/83): Antioch.

(148) Madīnah (town or city), (Surah: 27/48): al-Ḥijr (Madāʾin Ṣāliḥ).

(149) Madīnah (town or city), (Surah: 28/15, 18): Memphis or ʿAyn Shams in Egypt.

(150) al-Madīnah, (Surah: 9/101, 120; 33/60): the town of the prophet.

(151) Madinat al-Jabbārīn (town or city of Amalekites), (Surah: 5/22): Jericho or Damascus or Ramlah or Palmyra.

(152) Mosques of Allah, (Surah: 2/114): Jerusalem and al-ʾAqṣā Muosqe.

(153) Mosques of Allah, (Surah: 9/17, 18): the Holy Mosque in Makkah.

(154) the Mosque which founded on the truth, (Surah: 9/108): the Mosque of the prophet or Qubāʾ in Madīnah.

(155) al-Masjid al-ʾAqṣā, (17/1): the Mosque of Jerusalem.

(156) al-Masjid (the Mosque), (Surah: 17/7): in Jerusalem.

(157) al-Masjid al-Ḥrām (the Holy Mosque), (Surah: 2/144, 191, 196; 17/1; 48/27), in Makkah.

(158) al-Mashʿar al-Ḥarām, (Surah: 2/198): mashʿar means a signe or the place of worship. It is Muzdalifah.

(159) Miṣr, (Surahs: 2/91; 10/87; 12/21, 99; 43/51): Egypt.

(160) Maʿād, (Surah: 28/85): Makkah or Jerusalem.

(161) Maghrib al-Shams: (where the sun rest), (Surah: 18/86): the eastren coast of Asia Minor.

(162) Maqām ʾIbrāhīm, (Surah: 2/125; 3/97): it is the stone which Abraham standed on it when he was building the Kaʿbah. This stone now near Kaʿbah in Makkah.

(125) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 12/82): Egypt of a village in the entrance of Egypt.

(126) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 18/77): in Armenia or in southren Spain. However this town was not far from the Sinai.

(127) Qaryah Yūnus (the village/town of Jonah), (Surah: 10/98): Nineveh near Mosul.

(128) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 29/31, 34): Sodom.

(129) Qaryah Yāsīn (the village/town), (Surah: 36/13): Antioch in Syria. It was the capital of Seleucids.

(130) Qaryatak (your village/town), (Surah: 46/13): Makkah.

(131) Qaryatikum (your village/town), (Surah: 7/82; 27/56): Sodom.

(132) Qaryatunā (our village/town), (Surah: 7/88): Madyan.

(133) al-Qaryatayn (the two villages/towns), (Surah: 43/31): Makkah and al-Ṭā'if.

(134) Qaṣr Mashīd (the built Palace), (Surah: 22/45): near Eden in Yemen, which built by Shadād ibn ʿĀd ibn ʾIram.

(135) Kaʿbah, (Surah: 5/57, 95).

(136) al-Kahf (the cave), (Surah: 16/9, 10, 11, 16): where the seven young slept. It was in Ephesus or near Amman.

(137) Mubawwaʾ Ṣidq, (Surah: 10/93): the Israelites stayed in a good and safe place which it had been Syria and Jerusalem or the Holy Land or Egypt and then Palestine.

(138) Majmaʿ al-Baḥrayn (the gathering place of the two seas), (Surah: 18/60): in a place between the Sea of Persia and the Sea of Rūm, or near (Tangiers Ṭanjah) or between the Gulf of ʿAqabah and the Red Sea.

(139) al-Miḥrāb, (Surah: 3/37, 39; 19/11): a small room in a holy place in the al-ʾAqṣā Mosque.

(140) al-Madā'in (7/111; 26/36, 53): pl. of madīnah, town: which indicates to towns of south Egypt or all towns and cities of Egypt.

(141) Madkhal Ṣidq & Makhraj Ṣidq: (the entrance of truth and the exit of truth), (Surah: 17/81): Makkah and Madīnah.

(107) al-Ṭūr and Ṭūr Sinai, (Surahs: 19/52; 20/80; 95/2): the mountain where Moses talked to God. This mountain in Sinai.

(108) al-ʿUdwah, (Surah: 8/42): they were two, one near Madīnah the other one far the Madīnah towards Makkah.

(109) al-ʿArāʾ, (Surah: 37/145), means the land of no grass or a deserted land. It may indicate to the coast of Tigris or in Yemen.

(110) ʿArafāt, (Surah: 2/198): a wadi near Makkah.

(111) ʿAyn al-Qiṭr, (Surah: 34/12): the source of copper near Sana in Yemen.

(112) al-Ghār (cave), (Surah: 9/40): the cave where the prophet and his companion ʾAbū Bakr stayed in their way to Madīnah. It is called Thawr in southren Makkah.

(113) Qāf, (Surah: 50/1): It is said that Qāf is a mountain around the Earth.

(114) Qiblah, (Surah: 2/144, 145): Kaʿbah.

(115) al-Qurā, (villages), (Surah: 34/18): the villages between Syria and Yemen.

(116) al-Qrā, (Surah: 59/7): villages of Ṣafrāʾ, Yanbuʿ, Khaybar and Wādī al-Qurā.

(117) Qura Muhassanah, (the forted towns), (Surah: 59/14): forts and villages of Banu al-Nadhir in Madinah.

(118) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 2/58; 7/161): Jerusalem or Jericho.

(119) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 2/259): Jerusalem, or Jericho.

(120) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 4/75): Makkah.

(121) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 7/163): this town was near the sea called Aylah (al-Aqabah).

(122) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 21/74): Sodom.

(123) al-Qaryah (the village/town), (Surah: 25/40): Sodom.

(124) al-Qaryah al-ʾĀminah (the safe village/town), (Surah: 16/112): Makkah or Madīnah.

(94) Rawāsī, (mountains), (Surahs: 13/3; 15/19; 16/15; 21/31; 27/61; 31/10;
41/10; 50/7; 77/27) which are 17 like Qāf, ʿAbū Qubays in Makkah, al-Jūdī, Lebanon, al-Ṭūr in Sinai. However this word means any mountain in the world.

(95) al-Rīʿ, (Surah: 26/128) which means the high place or small mountain or road or wadi. This word may indicate to Pyramids in Egypt.

(96) al-Sāḥil, (the coast): (Surah: 20/39): the coast of Nile.

(97) al-Sāḥah, (37/177): means the wide place, place of the battle of Badr or Khaybar.

(98) al-Sāhirah, (Surah: 79/14): the land of Syria or the mountain of Jerusalem.

(99) Sabaʾ, (Surah: 34/15): the famous kingdom in south Arabia which originally indicates to a name of a man.

(100) al-Sadd (Surah: 18/93, 94): the two mountains where Dhū al-Qarnayn arrived in his journey. They may locate in the desert between China and the land of Moguls or between Armenia and Azarbaijan or in Georgia.

(101) al-Sūr (the wall), (Surah: 57/13): the Eastren gate of Jerusalem.

(102) Sayl al-ʿArim, (Surah: 34/16): flood of the wadi, or ʿArim means the rat of the deep water (flood) or the difficulty, which indicates to the dam of Maʾrib.

(103) al-Ṣakhrah, (Stone), (Surah: 18/63): the stone of Ceuta (Sabtah) or in Armenia or in Syria where Moses and his follow Joshua stayed in their journey.

(104) al-Ṣafā: (Surah: 1/158): the small mountain in the south of the Holy Mosque in Makkah.

(105) Ṣayāṣī (forts), (Surah: 33/26): which indicates to the forts of Banū Quraydhah in Madīnah.

(106) Ṭuwā, (Surah: 20/12; 79/16), a name of wadi in Syria or in Palestine or in Sinai where Moses walked in his return journey to Egypt. Tuwa also is a wadi near Makkah.

(79) Dār al-Fāsiqīn (the home of dissolutes), (Surah: 7/145): Syria or the Holy land or Egypt where unbelievers lived.

(80) Dārihim (their home or their Homes), (Surah: 7/78; 11/94; 29/37): the place of Thamūd in al-Ḥijr.

(81) Dārihim (their home), (Surah: 13/31): Makkah.

(82) al-Dār (the home), (Surah: 59/9): Madīnah.

(83) Diyārikum (your homes), Diyārihim (their homes): the Jews of Yathrib or the Israelites in Palestine after king Solomon.

(84) Diyarhim, (their homes): (Surah: 1/243): a village in the east of Wāsiṭ in Iraq.

(85) Diyārihim, (their homes), (Surah: 2/195): Makkah.

(86) Diyārihm, (their home), (Surah: 8/47): Makkah.

(87) Diyārihm, (their home), (Surah: 22/40): Makkah.

(88) Diyārihm, (their homes), (Surah: 33/27): places of Banū Quraydhah in Madīnah.

(89) Diyārihm, (their homes), (Surah: 59/2): places and forts of Banū al-Nadhīr.

(90) Diyārikum, (your homes), (Surah: 60/8-9): Makkah.

(91) Rabwah, (Surah: 23/50): Several places have been proposed:
(i) the high place.
(ii) Egypt.
(iii) Damascus.
(iv) al-Ramlah in Palestine.
(v) Jerusalem.
(vi) Palestine.
(vii) Alexandria.
(viii) Bethlehem.
(ix) al-Kūfah.

(92) al-Rass: (Surah: 25/38; 50/12): it means the well built by stones or means trace or village. It was in Eden or in a wadi in Azerbaijan or in Antioch.

(93) al-Raqīm (Surah: 18/9), means a book which was in the hands of the seven sleepers. It is said also a wadi in Palestine or a village or Petra.

earth or a special oven was in India or in Syria or in any other places.

(68) al-Tīn wa al-Zaytūn: (fig and olive), (Surah: 95/1) al-Tīn may mean the Mosque of Noah which built on the mountain of Jūdī or the mountain of Damascus while al-Zaytūn may indicate to the mountain near Jerusalem which also known as the mountain of al-Ṭūr.

(69) al-Jubb (the Well), (Surah: 12/10, 15) where Yusuf's brothers left him. It is said that this Well was in Jerusalem or in Jordan or between Hebron and Bʾir el-Shabiʿ.

(70) al-Jibāl (the Mountains), (Surah: 15/82): in the wadi of Thamūd.

(71) Jannāt (Gardens), (Surah: 26/57): the land of Egypt.

(72) Jannatayn min ʿAnāb (The two Gardens of grapes), (Surah: 18/32): al-Ṭāʾif or in Palestine or at the island of Tanis in Egypt.

(73) al-Jannah (The Garden), (Surah: 68/17): in place near Ṣanʿāʿ, called al-Dharwān.

(74) al-Jūdī (Surah: 11/44): where the Ark of Noah had stopped after the flood. Several palaces have been proposed for the Judi, as follows:

(i) The mountain of al-Jūdī in north Arabia near a mountain called ʾAjaʾ.

(ii) The mountain of Daris in Armenia.

(iii) A mountain in Kurdistan.

(iv) in Adiabene between Upper Zāb and Lower Zāb.

(v) A mountain to the east of Sinjār, near Ibn Omar's island.

(vi) A mountain in Phrygia in Asia Minor.

(vii) The mountain of al-Ṭūr in Sinai

(75) al-Ḥijr (Surah: 15/80) which known as Madāʾin Ṣāliḥ in north-west Arabia.

(76) al-Ḥujurāt (the rooms), (Surah: 49/4), the houses of the prophet in Madīnah.

(77) Ḥasanah (Surah: 16/41), Madīnah.

(78) Ḥunayn (Surah: 9/25). it is a famous wadi between Makkah and al-Ṭāʾif where a famous battle had happened in it between Muslims and unbelievers.

(48) al-Bāb (the door or the gate), (Surah: 1/58): gate of Jericho or Jerusalem which known as the gate of Ḥiṭṭah or the gate of Hebron or ʾAdhruḥ.

(49) Bābil (Babylon), (Surah: 1/102): the famous city of Babylon.

(50) al-Baḥr (the Sea), (Surah: 1/50): the Red Sea in must narrations.

(51) Badr: (Surah: 2/123): a small town 155 k, in the south-west of Madīnah.

(52) al-Badū: (the Bedouin): (Surah: 12/100): the desert of Palestine.

(53) Baṭn Makkah: (Surah: 48/24): al-Ḥudaybiyah or some places near Makkah.

(54) Bakkah: (Surah: 2/96): the other name of Makkah.

(55) Balad: (a town), (Surah: 1/126; 22/35): Makkah.

(56) al-Balad: (the town), (Surah: 16/7): Makkah or any place such as Syria and Yemen where the people of Makkah were trading with.

(57) al-Baldah: (the town), (Surah: 27/91): Makkah.

(58) al-Balad: (the town), (Surah: 90/1): Makkah or Madinah.

(59) al-Balad: (the town), (Surah: 95/3): Makkah.

(60) Baldah: (a town), (Surah: 34/15): Maʾrib or Ṣanʿāʾ.

(61) Bunyān: (building), (Surah: 16/26): the building which built by al-Namrūd in Babylon.

(62) Bayt (home or place): this word means Makkah or Kaʿbah or the Holy mosque. It is referred to in Surahs: 1/127; 2/96; 5/2; 8/35; 14/37; 22/26, 29, 33; 52/4.

(63) Baytuk: (your home), (Surah: 8/7): Madīnah or the home of the prophet Mohammed.

(64) Buyūt al-Nabiyy, (houses of the prophet): (Surah: 33/53): the house of Zaynab Bint Jaḥsh the wife of the prophet.

(65) Buyūt: (houses), (Surah: 10/87): means mosques which became Qiblah for Israelites which they were in Egypt.

(66) Buyūtikunn: (your houses), (Surah: 33/33, 34): means houses of the wives of the prophet.

(67) al-Tannūr: (the oven), (Surah: 11/40; 23/27): which boil over of water as a sign for Noah. It may mean the kewon oven or the

(25) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 17/104): Egypt, or Syria and Palestine.

(26) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 21/105): Syria or the Holy Land.

(27) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 24/55): Makkah, or the land of Madīnah, or Arabia or the Earth in general.

(28) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 27/48): the place of Thamūd.

(29) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 27/82): Makkah.

(30) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 28/4): Egypt.

(31) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 28/5): Egypt.

(32) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 28/6), Egypt or Egypt and Syria.

(33) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 28/19): Egypt.

(34) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 28/39): Egypt.

(35) ʾArḍunā (our Land), (Surah: 20/57): Egypt.

(36) ʾArḍunā (our Land), (Surah: 28/57): Makkah.

(37) ʾArdī (my Land), (Surah: 29/56): Madīnah.

(38) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 40/26): Egypt.

(39) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 40/29): Egypt.

(40) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 32/27), a land in Yemen, or villages between Yemen and Syria, or Egypt.

(41) al-ʾAraḍ (A Land), (Surah: 33/27), Makkah, Yemen, Syria, Egypt or the land of Khaybar or Persia and Byzantine.

(42) ʾArḍikum (your Land), (Surah: 7/110; 20/63; 26/35): Egypt.

(43) ʾIram: (Surah: 89/7): Damascus, or Alexandria, or Ur.

(44) ʾUmm al-Qurā: (the mother of villages), (Surah: 6/92; 42/7): Makkah.

(45) ʾAykah: (the Jungle), (Surah: 15/78; 26/176; 50/14): Madyan or Tabūk.

(46) ʾĪmān: (Surah: 59/9): Madīnah.

(47) Biʾr: (the well), (Surah: 22/45): near Ḥaḍūrā in Hadhramut.

(5) ʾArḍ ʾAllāh: (Surah: 4/97): Madīnah.

(6) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 4/100): Madīnah.

(7) ʾArḍ at-Tīh: (Surah: 5/26) where the Israelites lost their way in the desert of Sinai.

(8) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 7/74): the land of Thamūd.

(9) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 7/127): Egypt.

(10) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 7/128): Egypt or Palestine.

(11) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 7/129): Egypt, or Egypt and Syria, or the Holy land or the Earth in general.

(12) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 7/137): Egypt or the East and West of Syria, or East and West of Egypt and Syria, or Palestine, or villages of Syria, or the land between the Euphrates and al-Arish.

(13) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 21/71): Syria or Palestine or Jerusalem.

(14) al-ʾAraḍ al-Muqaddasah (the Holy Land): (Surah: 5/21): in several opinions:
(i) Jerusalem and its nearby;
(ii) Palestine;
(iii) Syria;
(iv) al-Ghūṭah, Palestine and Jordan.

(15) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 8/26): Makkah or the Earth in general.

(16) al-ʾAraḍ (the Land): (Surah: 10/78): Egypt.

(17) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 12/55): Egypt.

(18) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 12/56): Egypt.

(19) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 12/80): Egypt.

(20) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah:13/41; 21/44): Makkah.

(21) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 17/4): the Earth in general, or Syria and Jerusalem, or Palestine, or Egypt.

(22) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 17/76): Madīnah.

(23) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 17/90): Makkah.

(24) al-ʾAraḍ (the Land), (Surah: 17/103): Egypt, or Jordan, Palestine and Egypt.

Interface

This book deals with the geographical locations in the Holy Quran. These locations are mentioned directly or indirectly. Some of these locations are known as geographical places such as Egypt or Madayn or Makkah. While others such as "Earth" or "Land" or "Village" or "Town" or "City" which are not known from the Holy Quran that the exact names of these locations but the commentaries of the Holy Quran, narrators and historians state deferent names of these lands and cities. The aim of this book is to explain and discuss the matters of theses geographical names. We mention these names alphabetically and their indication in the Holy Quran. We discuss many narrations and stories which mentioned in the references of Tafsir and in historical, geographical, accounts, and lexicons, dictionaries and poetry. We also compare what mentioned in these Islamic reference with Old and New Testament, and in other Jewish and Christian sources. The Locations as follows:

(1) Al-ʾAḥqāf (Surah: 46/21): the place of ʾĀd. Scholars state three location of al-ʾĀḥqāf
(i) in South Arabia, between Oman and Hadhramut
(ii) North-West Arabia near place of Thamūd (al-Ḥijr)
(iii) Egypt.

(2) al-ʾUkhdūd: (Surah:85/4): where the Himyarite king, Dhū Nuwās, burn the believers. Narrators agree that al-ʾUkhdūd was in the town of Najrān.

(3) ʾAdnā al-ʾArḍ (the nearest land), (Surah: 30/3) where was the battle between the Byzantines and Persians. Scholars differ where was the ʾAdnā al-ʾArḍ. It is said in south of Syria, in a place between Iraq and Syria or in Syria as general.

(4) al-ʾAraḍ (the land), (Surah: 4/97): Makkah.